
KOPRULU KUT.
106


KÖPRÜLÜ KÜT.
106

قطعة من تفسير ثعلبي ١٣

معرفة لطيفة          سمرقندي

متصل المجلد الذي قبله وما في هذا المجلد سورة السجده الى
اوائل سورة المجادله واسال الله الحنان المنان ذو الفضل
والاحسان منزل القران ان يوفقني الى الوصول لتكميل هذا
المصحف الذي فاق في الافاق كل تفسير لكون مصنفه
ممن جمع بين الظاهر والباطن والواصل
الى اعلى درجات اليقين في كل متحرك
وساكن





١٠٦٦

يا كبيكج



سورة السجدة مكية وهى ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان كان اسما للسورة او للقران فبتدا خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان كان تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب خبر مبتداء محذوف او هو مبتدا مخبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير فى فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر او خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض لا محل له والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب فى ذلك اى كونه منزلا من رب العالمين ويضرره قوله ام يقولون افتراه لانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك لانه تقرير لكونه منه وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين ثم قرر ذلك بنفى الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه لان ام منقطعة بمعنى بل والهمزة انكار لقولهم وتعجيبا منه لظهور امره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق المنزل من الله ومعنى قوله لا ريب فيه ان هذا الكتاب ليس مظنة للريب ولا ينبغى ان يرتاب فيه لانه كلام معجز للبشر عن معارضته والانتباه بمثله فهو ابعد شئ من الريب واما قولهم افتراه فقول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل بقوله قبل التامل والنظر لانه سمع المنكرين المعاندين يقولونه ثم بين الغرض او المقصود من تنزيله بقوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك اى لتحذرهم عاقبة الكفر والمعاصى ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفى والثانية بيانية اى لم ياتهم نذير ما من قبلك لان قريشا كانوا امة امية لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد عم كقوله ما انذر اباؤهم وقال ابن عباس ومقاتل ذلك فى الفترة التى كانت بين عيسى ومحمد عليهما السلام فاذا لم ياتهم نذير لم يقم عليهم حجة بالشرايع التى لا يدركه عقلها الا الرسل وانما تقوم بمعرفة الله وتوحيده وحكمته لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان لعلهم يهتدون متعلق بقوله لتنذر من رسول الله عليه الكلام اى لتنذرهم انذار من يرجو ويطمع انه يثمر ولا يخيب سعيه ووجه اخر وهو ان لعل مشعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجى كانه قيل لتنذرهم ارادة ان يهتدوا ويعملوا عمل المهتدين الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام اولها يوم السبت واخرها يوم الجمعة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله تع التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة فى آخر الخلق فى اخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل خرجه مسلم وقال مجاهد اولها يوم الاحد واخرها الجمعة وقيل خلق الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيمة وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين وفى ذلك تعليم لخلقه التثبت والرفق والتانى فى الامور فانه تع قادر على ان يخلقها فى لمحة بصر واقل منها ولكنه خلقها على تؤدة وتدرج لتلك الذى ذكر ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وملك او قصد العرش واجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير على

حسب

حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وهو من المتشابهات الموكول علمها الى الله عند كثير من العلماء ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوزتم رضاه احد ينصركم ويشفعكم او ما لكم سواه ولى يتولى امودكم ولا شفيع يشفع لكم وينصركم فى مواطن نصركم على ان الشفيع مجاز يراد به الناصر لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير افلا تتذكرون افلا تتعظون بمواعظ الله فتحذروا عاقبة الكفر والمعاصى وتعلموا ان من قدر على اختراع السموات والارض وما فيهما كان قادرا على خلق الناس وبعثهم والانتقام منهم وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه فى الربوبية من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع يدبر الامر من السماء الى الارض اى يقضى ويقدر امر الخلق كله او يجرى امر الكاينات من الاحكام والتقادير والاسباب وينزلها من السماء الى الارض على حسب مقتضى حكمته ومشيته فيفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر فى ادبار الامور وعواقبها والتدبير ان ينظر الناظر فى ادبار الامور وعواقبها ليكون محمودا ولا يلقاه مكروه ولما دل بالجملة السابقة على عظم شانه وملكه وكبرياء سلطانه قفاها هذه الجملة واتبعها اياها لزيادة الدلالة على العظمة والكبرياء وانه لا يخرج من قضائه وتقديره امر من امور الكاينات كلها وان الكل تحت يده وفى تصريفه وقيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملكية وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه يصعد اليه ويثبت فى علمه موجودا فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون فى برهة من الزمان متطاولة يعنى بذلك الاستطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر المامور به من الطاعة والاعمال الصالحات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم يعرج اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا فى مدة متطاولة لقلة عمال الله والمخلصين والاعمال الصالحة الصاعدة اذ لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون وقيل يدبر الامر باظهاره فى اللوح المحفوظ فينزل به جبرئيل من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى وقت هو فى الحقيقة الف سنة لان مسافة هبوطه وصعوده مسيرة الف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام وهو يوم من ايامكم لسرعة جبرئيل لانه يقطع مسيرة الف سنة فى يوم واحد وقيل يقتضى قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الدنيا من السماء الى الارض الى قيام الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اى يصير اليه ليحكم فيه فى يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيمة وقرا ابن ابى عبلة يعرج مبنيا للمفعول وقرئ يعدون بياء الغيبة ذلك اى ذلك المعلوم المتميز بتلك الاوصاف التى لا يشاركه فيها احد او ذلك العظيم الموصوف بتلك الصفات العظيمة التى تدل على عظمته وكبرياء شانه وسلطانه وكمال قدرته وتدبيره عالم الغيب كل ما غاب عن العباد وخفى عليهم ولم يطلع عليه احد منهم موجودا كان او معدوما والشهادة وكل ما حضر مما يشهد على وحدانيته الدالة تع وقيل الغيب المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه يشاهد وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به فاذا كان عالم الغيب والشهادة لم يكن مدبرا الامر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش الاعلى وفق الحكمة البالغة العزيز الغالب على امره الرحيم على خلقه فى تدبيره او الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم عليهم حيث امهلهم ولا يعاجلهم بالانتقام والعقوبة او العزيز فى انتقامه من اعدائه الرحيم باوليائه وقيل فيه ايماء بانه مراعى المصالح تفضلا واحسانا وقرا زيد بن على عالم الغيب والشهادة



العزيز الرحيم بالجر الذى احسن كل شئ خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه
وقال قتادة حسنه اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على مقتضى الحكمة والمصلحة فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقال
مقاتل علم كيف يخلق كل شئ من قولهم قيمة المرء ما يحسنه اى يحسن معرفته ويعرف معرفة حسنة
بتحقيق واتقان وخلقه فى هذا الوجه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام صفة
لكل او شئ اى كل شئ خلقه فقد احسنه والباقون بسكونها على انه بدل من كل بدل الاشتمال
اى الذى احسن خلق كل شئ وبدأ خلق الانسان يعنى آدم من طين ثم جعل نسله
من سلالة ثم خلق ذريته من نطفة وسميت نسلا لانها تنسل منه اى تنفصل منه وتخرج من
صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسميت النطفة سلالة لانها تنسل من الانسان كما ينسل
السيف من الغمد من ماء مهين متعلق بالمحذوف لانه صفة لسلالة ومن بيانية كانه قيل من سلالة
كائنة او حاصلة من ماء مهين اى من ماء قذر ذليل وهو النطفة او بمعنى سلالة لانها فى معنى
مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى ويجوز ان يراد بالانسان الجنس وبالطين آدم لانه خلق منه
وهذا الوجه هو الموافق لقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين اى من طين آدم
فليتأمل ثم سويه قومه بان عدل شكله وصورته وكل عضو من اعضائه وحسنها اى جعل
له الخلقة السوية القويمة الحسنة ونفخ فيه من روحه اضاف الروح الى ذاته تعظيما له لان المضاف
الى العظيم يعظم بالاضافة اليه وقصدا الى ابهام امره وانه خلق لا يعلم حقيقته الا الله فاذا لم يعلموا
حقيقة مخلوق مع كل احد منهم فهم اجدر بان لا يعلموا حقيقة خالقه وقيل تشريفا واشعارا
بانه خلق عجيب وان له شانا مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد
عرف ربه وفيه نظر يظهر بالتامل فيما ذكرنا من مختار المحققين وايضا المعنى ونفخ فيه من الشئ
الذى اختص هو به وبمعرفته وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لتسمعوا كل مسموع وتبصروا
كل مبصر وتعقلوا كل معقول فتحسوا ما نصب من الايات وتنظروا فيها وتستدلوا بها الى غير
ذلك من المنافع قليلا ما تشكرون قليلا نصب على انه صفة مصدر محذوف تقديره تشكرون
شكرا قليلا او على الظرف اى في قليل من الاحيان تشكرون رب هذه النعم وما فى الوجهين مزيدة
لتاكيد معنى القلة والعامل ما يليه من الفعل وقيل القلة فى معنى العدم اى لا تشكرونه البتة والمعنى
ما اكفركم بهذه النعم او برعاية الآلات المعدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من
غير اشراك به احدا من خلقه وقالوا ائذا ضللنا فى الارض اى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا يتميز منه كما يضل الماء فى اللبن او غبنا فى الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه وقرأ على
وابن عباس رضى الله عنهما ضللنا بكسر اللام من ضل يضل وقرأ ابو حيوة وابن يعمر ضللنا بتشديد اللام
مجهولا اى غيبنا وقرأ الحسن صللنا بالصاد وفتح اللام وكسرها من صل اللحم واصل اذا انتن
وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفى خلق جديد وهو نبعث او يجدد
خلقنا وقرأ نافع والكسائى ويعقوب انا على الخبر والقائل من انكر البعث وقيل ابى بن خلف و

ولرضاهم

بيان قبض الروح لملك الموت

ولرضاهم بقوله اسند الى جميعهم بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بالوصول الى العاقبة من تلقى
ملك الموت وما بعده فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ فى الكفر وهو انهم
كافرون بجميع ما يكون فى العاقبة لا بالانشاء وحده قل يتوفيكم يستوفى نفوسكم وارواحكم
بان يقبض كلها لا يترك منها شيئا حتى لا يبقى احد منهم من قولك توفيت حقى من فلان و
واستوفيت اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا مثل تعجلته
واستعجلته وتقصيته واستقصيته ملك الموت الذى وكل بكم اى جعل وكيلا بكم اى قائما بقبض ارواحكم و
احصاء آجالكم ومنه الوكيل وهو القائم بما فوض اليه وروى ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة
اليد ياخذ منها صاحبها ما احب من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض ومغاربها
وله اعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وعن ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق
والمغرب وعن مجاهد حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطشت يتناول منها حيث يشاء
وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها وفى بعض الاخبار ان ملك
الموت على معراج بين السماء والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك
الموت وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه
الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا راى انسانا قد انقضى
اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الاموات وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ملك الموت لينظر فى وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة فاذا ضحك
ضحك العبد الذى بعث اليه يقول يا عجباه بعثت اليه لاقبض وهو يضحك ثم الى ربكم
ترجعون اى ثم لا ترجعون فى العاقبة الا الى ربكم الذى انشاكم واخرجكم من العدم
الى الوجود فاستعدوا للقائه وحسابه وقرأ الخليل ترجعون بفتح التاء ولو ترى اذ المجرمون
الكاملون فى الاجرام المتمادون فى الاثام وهم الكفار ناكسوا رؤسهم مطاطئوها عند ربهم
من الحياء والخزى والغم يقولون ربنا ابصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك
او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون
متقنون العلم بما وعدتنا اتقانا زال معه الشك والشبهة عنه اذ لم يبق لهم شك
بما شاهدوه وعاينوه وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا ودخولها على المضارع
ولم يقل ولو رايت لتنزيله منزلة الماضى لانه كلام من لا خلاف فى اخباره والمستقبل
عنده كالماضى فى تحقق الوقوع فهذا الامر مستقبل فى التحقيق ماض بحسب التاويل كانه
قيل قد انقضى هذا الامر ومضى لكنك ما رايته ولو رايته لرايت امرا فضيعا او ترى
حال ترى كقوله عم للمغيرة لو نظرت اليها او لاستحضار صورة روية المجرمين ناكسين
رؤسهم طالبين الرجعة الى الدنيا لان المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذى من شانه
ان يشاهد كانه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة ليشاهدها السامعون
ولا يجترؤا على ما اجتراء هؤلاء المجرمون ويجوز ان يكون للتمنى رسول الله صلعم

كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه يتجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله
له تمني ان يراهم على تلك الكيفية المخصوصة القبيحة والصفة القطيعة ليشمت بها ويقر بذلك عينه والخطاب
لرسول الله صلعم او لكل من يأتي منه الرؤية ولا يقدر لترى مفعول لان المعنى ولو يكون منك
رؤية في هذا الوقت او يقدر ما يدل عليه صلة اذ وقرأ عبيد بن عمير نكسوا رؤسهم
ولو شئنا هداية كل نفس لاتينا كل نفس هديها ما تصير به مهدية او ما تهتدي
به الى الايمان والعمل الصالح بالتوفيق وقيل هديها رشدها وتوفيقها للايمان ولكن حق القول
مني ثبت قضائي وسبق وعيدي وهو لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين من حزب ابليس
الذين اتبعوه في الكفر والمعاصي كما قال له لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين اعلم ان الله تع
يملا جهنم من الاقوياء كما يملا الجنة من الضعفاء بدليل قول النبي عم اذا ملئت جهنم تقول الجنة
ملئت جهنم من الجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملا من ضعفاء خلقك فينشئ الله خلقا عند
ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتا ولم يروا سوءا باعينهم رواه انس رضي
الله عنه وقوله عم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة
فاني لا يدخلني الا الضعفاء الناس وسقطهم فقال الله تع للنار انت عذابي اعذب بك من اشاء من
عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها رواه ابو هريرة رضي الله عنه قوله عم اوثرت اي فضلت وقوله
سقطهم اي رديهم فان سقط كل شيء رديه وقيل ذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية المسبب عن
سبب الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفع جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم
تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسايط والاسباب المقتضية له
وما مصدرية اي بنسيانكم او موصولة حذف العايد اليها او موصوفة كانه قيل بلذات وشهوات نسيتم
بسببها لقاء يومكم واضافة اللقاء الى اليوم كاضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي لقاء الله في يومكم
هذا افاد به ان التوغل في اللذات والشهوات يذهل الجن والانس عن تذكر الآخرة وما فيها من لقاء الله
ولقاء جزائه ويسلط عليهم نسيانهما ثم قال مقابلة انا نسيناكم اي جزيناكم جزاء نسيانكم او
او تركناكم في العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الايمان والاعمال الصالحة او جعلناكم
بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببالكم كشيء يطرح نسيا
منسيا وقيل اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل
على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم عليه وفيه من نكس الرؤس
والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب الخلد اي العذاب المخلد في جهنم بما كنتم تعملون اي بالذي
كنتم تعملونه من الكفر والمعاصي او بعملكم المجازى به عذاب الخلد في الزمان الماضي المتطاول او بذنوب
عملتموها في الدنيا مصرين عليها على ان ما مصدرية موصولة او مصدرية او موصوفة وتكرير
الامر للتأكيد واظهار الغضب عليهم ولما نيط به من التصريح بمفعوله وقيل وتعليله
بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم تدبير امرهم لعاقبة والتفكر
فيها دلالة على ان كل منهما يقتضي ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا

اى سجدوا

اى سجدوا الله شكرا على الايمان وتواضعا وخوفا من عذابه وحقيقته سقطوا على وجوههم
ساجدين وسبحوا ونزهوه عن كل ما لا يليق به من الشرك والشبه والعجز وغير ذلك
بحمد ربهم في موضع الحال اي حامدين له وملتبسين بحمده على ما رزقهم من الاسلام ووفقهم
له ولعبادته اذ لولا انعامه عليهم بالتوفيق لم يتمكنوا من الايمان باياته ومن عبادته التي
من جملتها السجود وهم لا يستكبرون من الايمان والعبادة كما يفعل من يصر مستكبرا
كان لم يسمعها ومثله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم الآية تتجافى جنوبهم
ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع
عليه من ضجع الرجل اذا وضع جنبه بالارض واضطجع مثله يدعون ربهم داعين اياه عابدين له خوفا لاجل خوفهم من سخطه وطمعا ولاجل طمعهم في رحمته ويجوز ان يكون انتصابهما
على الحال اي ذوي خوف وطمع بمعنى خايفين وطامعين وعلى الظرف اي وقت خوف وطمع وعلى
المصدر اي دعاء خوفهم ودعاء طمعهم وهم المتهجدون برواية معاذ بن جبل عن النبي صلعم
وعن بلال قال رسول الله صلعم عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة
الى الله ومنهاه عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد وعنه عم من قام قبل الصبح
يورث ثلثا صحة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب العباد وقال لا يزال جبرايل
يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لا ينامون بالليل وعن ام مبشر الانصارية
قال النبي عم تتجافى جنوبهم عن المضاجع هو بين العشاء والمغرب وعنه عم في تفسير
قيام العبد من الليل وعنه عم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي
بصوت يسمع الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون
الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب ساير
الناس وعن انس بن مالك نزلت فينا معشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا
حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ايضا نزلت في اناس من اصحاب النبي عم
كانوا يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء ويعضده ما روى انه عم سئل عن قوله تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فقال هي الصلوة بين العشائين انها تذهب بملاغي النهار وقال عطاء
هم الذين لا ينامون حتى يصلوا صلوة العشاء الآخرة وعن ابي الدرداء وابي ذر وعبادة بن الصامت
هم الذين يصلون العشاء الاخرة والفجر في جماعة وعنه عم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام
نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وعن الحسن ومجاهد ومالك وجماعة ان المراد منه
صلوة الليل قال ابو هريرة قال رسول الله صلعم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله
المحرم وافضل الصلوة بعد الفريضة صلوة الليل وعنه عم انه قال لمعاذ الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلوة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم الى قوله يعملون
وقال عم من صلى بعد المغرب اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او اربعين سنة شك الراوي

بيان التهجد

جمع ملغاة وهو اللغو

وقال ع م من صلّى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة اوكانه صلّى ليلة القدر
وعن ثوبان عنه ع م من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا
بصلوة اوقراة كان حقا على الله ان يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام
ويغرس له بينهما غراسا لوطافه اهل الدنيا لوسعهم ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه
الخير فلا تعلم نفس ما اخفى لهم قراء حمزة ويعقوب اخفى بسكون الياء على انه مضارع اخفيت
والباقون بفتحها على انه ماض مبنى للمفعول مسند لا ضمير ما وحذف الفاعل للعلم به وان هذا الفعل لا يصلح
الا لله وقرئ ما اخفى بلفظ الماضى المبنى للفاعل وهو الله تع قراء ابن مسعود وابن جبير ما نخفى بالنون
وقرئ ما اخفيت وما فى القراتين موصولة بمعنى الذى او استفهامية بمعنى اى علق عنها الفعل كقولك ما علمت
ايهما عمرو والمعنى فلا تعلم نفس النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل اى
نوع من الثواب اخفاه الله وادخرلهم من قرة اعين حال على الوجهين من ضمير اخفى اى كاينا مما تقربه
عيونهم وعن ابى هريرة عن النبى ع م يقول الله تع اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتهم عليه ثم قراء فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة
اعين الاية وقيل اخفوا اعمالهم فى الدنيا فاخفى الله لهم ثوابهم الذى لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وقرئ من قرات اعين لاختلاف انواعها جزاء بما كانوا يعملون اى جزوا جزاء
او اخفى للجزاء لان اخفاه لعلو شانه افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان
لا يستوون فى الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح وجمع هذا الضمير وتوحيده فى كان للحمل على لفظ
من تارة وعلى معناه اخرى كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا اما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فلهم جنات الماوى لانها الماوى الحقيقى والدنيا مجاز اليها وطريق لها يجوزونها
ويتعدون عنها اليها ولذلك سميت قنطرة وقيل جنات الماوى سميت بذلك لما روى عن ابن
عباس قال ياوى اليها ارواح الشهداء وقيل هى عن يمين العرش وقرئ جنة الماوى على التوحيد
وعن ابن عباس جنة الماوى كلها من الذهب الاحمر وهى احدى الجنات الثمانية التى هى
دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن وجنة الماوى وجنة الخلد وجنة الفردوس
وجنة نعيم نزلا حال من جنات والعامل الظرف او مصدر مؤكد لمضمون جملة لهم جنات
الماوى كانه قيل رزقا وعطاء والعامل محذوف اى رزقوا رزقا او اعطوا عطاء وعلى
الاول اسم لما يعد ويهيأ للنازل من طعام وشراب وصلة وهكذا اذا جعل حالا من الضمير
فى الظرف الواقع خبرا عن جنات الماوى وقراء ابن ابى عبلة وابو حيوة نزلا باسكان
الزاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الحسنة من الايمان والطاعات وترك المنكرات والثبات
عليها واما الذين فسقوا خرجوا عن الايمان والطاعة بايثار الكفر والمعصية عليهما فماويهم
النار فملجاهم ومنزلهم النار وقيل فجنة ماويهم النار اى النار لهم مكان جنة الماوى للمؤمنين
كقوله فبشرهم بعذاب اليم كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اى كلما طلبوا الخروج من النار فخرجوا
اعيدوا فيها لان الاعادة انما تكون بعد الخروج وقيل ان جهنم لتجيش بهم وتضربهم لهب نارها

فيلتقيهم

فيلتقيهم الى اعلاها فيريدون الخروج منها فيضربون بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين
خريفا وفيه اشعار بخلودهم فيها وعن ابى البرهسم انه قراء رددوا فيها لعله رآه فى بعض
المصاحف اوقال على التفسير وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون اهانة لهم
وزيادة فى هوانهم وغيظهم وتالمهم والظاهر ان الموصول فى موضع النصب على انه
صفة العذاب وجوز ان يكون صفة للنار على معنى الجحيم او الحريق ولنذيقنهم من العذاب
الادنى اى عذاب الدنيا من القتل والاسر والقحط سبع سنين حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحترقة والقد والاولاد وساير مصايب الدنيا واسقامها مما فيه تعذيبهم
دون العذاب الاكبر عذاب الاخرة اى نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الاخرة لعلهم
يرجعون يتوبون من الكفر والمعاصى او يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل
صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما فى قوله تع اذا قمتم
الى الصلوة ويدل عليه قراة من قراء يرجعون بالمبنى للمفعول ويجوز ان يكون المراد
نذيقهم العذاب مقدرين رجاءهم الرجوع عن الكفر على ان الترجى من الله حال الاذاقة
والرجاء منهم ولو بعد حين كقوله وبشرناه باسحق نبيا اى مقدرا نبوته والظاهر
على ما نقل عن سيبويه ان لعل فى مثله بمعنى كى روى ان عليا والوليد بن عقبة بن ابى معيط تنازعا
يوم بدر فقال له الوليد اسكت فانك صبى انا اشب شبابا منك واجلد جلدا وادب لسانا
واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملاء منك حشوا فى الكتيبة فقال له على اسكت فانك
فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من فى مثل حالهما وعن الحسن
بن على رضى الله انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا فى عشر ايات وسماك
فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها ومن اشنع ظلما ممن وعظ بايات ربه
فلم يتامل فيها ولم يلتفت اليها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع وضوحها وانارتها وارشادها الى اسباب
السعادة بعد التذكير بها عقلا كقولك لصاحبك دخلت المسجد ثم لم تصل فيه استبعادا لترك الصلوة
فيه بعد ان دخله ومنه قوله لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعادا
لزيارته غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن
كان اظلم من كل ظالم وقيل انا لم يقل انا منه منتقمون لانه لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين
عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضمير لم يفد
هذه الفايدة ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن فى مرية من لقايه يعنى انا اتينا موسى
مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل لقيناك من الوحى فلا تكن فى شك من انك لقيت مثله ولقيت
نظيره او من لقاء موسى الكتاب اى من تلقيه له بالرضاء والقبول او من لقايك موسى ليلة الاسراء عن ابن
عباس قال النبى صلع رايت ليلة اسرى بى موسى رجلا آدم طويلا جعدا كانه من رجال شنوءة
الحديث وعن انس قال رسول الله صلع لما اسرى بى الى السماء رايت موسى يصلى فى قبره
وروى فى حديث المعراج انه راه فى السماء السادسة ومراجعته فى امر الصلوة وقرا عبد الرحمن
السلمى

والحسن وقتادة مُرية بضم الميم حيث وجعلناه اى المنزل على موسى هدى لبنى اسرائيل هداية اوهاديًا
لهم الى الحق والطريق مستقيم وقيل انما جعل الله التورية هدى خاصة لبنى اسرائيل و لم يتعبد بما فيها
ولد اسماعيل عليهما السلام وقال قتادة وجعلنا موسى هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ايمة يهدون
يدعون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتيسيرنا وتوفيقنا لهم لما صبروا
قراء حمزة والكسائى ورويس لما صبروا بكسر اللام اى لصبرهم عن الدنيا او على الطاعة والدين والبلايا
من عدوهم بمصر والباقون بفتحها اى حين صبروا وقراء ابن يعمر وفرقة بما صبروا بالباء وهو
فى حرف ابن مسعود رضى الله وكانوا باياتنا يوقنون يعترفون بها علما ويقينا ومذعنون لها لا
تعتريهم مرية وشبهة ولا عناد لاطلاقهم على حقايقها وامعانهم النظر فيها وقدم الصلة
لمراعاة الفواصل ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضى ويحكم بينهم فيميز الحق واهله من الباطل
واهله وهو للتخصيص والتاكيد وان ذلك الفصل ليس الا اليه وحده لا يقدر عليه احد سواه ولا يفوض
الا من عداه فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوى
من جنس المعطوف والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون لان كم لا يقع فاعلا جاءنى
كم رجل كانه قيل اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون من عاد وثمود وقوم لوط او ضمير الله بدليل القراءة بالنون
يمشون فى مساكنهم يعنى اهل مكة يمرون فى متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد
ان فى ذلك لايات ان فى اهلاك القرون المتقدمة عليهم لحججا ومواعظ لكل مستبصر ومعتبر افلا يسمعون
ايات الله ومواعظه فيتعظوا بها فينتهوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب اولم يروا قد علموا انا
نسوق الماء الى الارض الجرز الى الارض التى جرز نباتها اى قطع لعدم الماء او لانه رعى وازيل ولا يقال
للتى لا تنبت كالسباخ جرز لقوله فنخرج به زرعا وقال ابن عباس هى ارض اليمن وقال مجاهد
هى ابين وقرا ابن عمير فيخرج به زرع تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والعشب وانفسهم
كالحنطة والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على وحدته وكمال قدرته وفضله وانه الحقيق بالعبادة وان
لا يشرك به بعض خلقه من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع وقراء الخليل الجرز بسكون
الراء والجُرَز بفتح الجيم والراء وقراء ابن عباس ياكل بالياء وفى حرف ابن مسعود ياكلونه وانعامهم
ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون
ان الله يستفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح
اى فى اى وقت يكون ان كنتم صادقين فى انه كائن قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
قيل يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقال
السدى يوم بدر وقال مجاهد والحسن والكلبى يوم فتح مكة وعلى القولين الاخيرين يكون المراد
بالذين كفروا المقتولين منهم اذ لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الغرق
وانطباقه جوابا عن سوالهم من حيث المعنى على حسب ما عرف من غرضهم فيه فان غرضهم فى السؤال
عن وقت الفتح استعجال منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا بما يمنع الاستعجال وان قيل
لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكانى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وامنتم فلم ينفعكم

الايمان

الايمان ولا استنظرتم فى استدراك العذاب فلم تنظروا ولا هم ينظرون يمهلون وقراء الخليل قل يوم
الفتح بالرفع فاعرض عنهم فلا تلتفت الى استعجالهم واستهزائهم وتكذيبهم وقال ابن عباس هو
منسوخ باية السيف وانتظر بهم الدواير او موعدى لك بالنصر عليهم وان ينزل بهم
نحو ما قصصنا من النقم النازلة باشباههم انهم منتظرون الغلبة عليكم والدواير وقراء ابن
السميفع بفتح الظاء يعنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم وان الملائكة ينتظرونه وعن المسيب بن رافع
قال النبى عم تجئ الم تنزيل السجدة يوم القيمة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك
وعن عبد الرحمن بن هرمز كان النبى عم يقراء فى الفجر يوم الجمعة الم تنزيل وهل اتى على الانسان وعن جابر
كان النبى عم لا ينام حتى يقراء تبارك والم تنزيل وعنه عم من قراء الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك
اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عم من قراء الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلثة
ايام سورة الاحزاب مدنية ثلث وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم عن ابى ذر قال
قال لى ابى بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين اية قال فو الذى يحلف به
ابى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم يعنى ان ذلك من جملة ما
نسخ من القرآن ومن الكذبات ان تلك الزيادة فى صحيفة فى بيت عايشة رضى الله عنها فاكلها
الداجن يا ايها النبى اتق الله ناداه بالنبى لا باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا ذكريا يا يحيى
تعظيما له وتنويها بفضله واما قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول وذلك لتعليم الناس انه
رسول الله وليعتقدوه ذلك ويجعلوه من عقايدهم الحقة وامره بالتقوى تعظيما لشان التقوى واظهارا
واظهارا لفضلها وتثبيتا له عليها كانه قال اثبت على التقوى ودم عليها وقيل خوطب رسول الله
والمراد خطاب امته ولا تطع الكافرين والمنافقين اى واثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء الطاعة
لهم وذلك ان رسول الله عم لم يكن مطيعا لهم حتى ينهى عن اطاعتهم لكنه اكد عليه ما كان عليه وثبت على
التزامه كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من الممترين ولا تجعل مع الله الها اخر الى غير ذلك وقيل
لا تساعدهم على شئ ولا تقبل لهم رايا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم بانهم اعداء الله واعداء
المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة روى ان رسول الله صلعم لما هاجر الى المدينة وكان يحب
اسلام اليهود قريظة والنضير وبنى قينقاع وقد بايعه قوم منهم على النفاق وكان يلين لهم
جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنهم وكان يسمع منهم فنزلت وروى ان ابا سفيان
وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم
عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع و
تنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله وعلى المؤمنين فقال عمر يا رسول الله ايذن لى فى قتلهم قال انى قد
اعطيتهم الامان فقال لعمر اخرجهم من المدينة فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فنزلت اى اتق
الله فى نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا
اليك وروى ان اهل مكة دعوا رسول الله صلعم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان

يزوج شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد وبخلقه قبل ان يخلقهم حكيما باهر الحكمة في كل شيء فلا يفعل شيئا الا على موجب الحكمة والصواب واتبع ما يوحى اليك من ربك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله كان بما تعملون خبيرا فموحى اليك ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرا ابو عمرو يعملون بالغيبة والباقون بالخطاب وهو عامة منها وتوكل على الله واسند امورك كلها اليه وكلها الى تدبيره وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي ما جعل الله قلبين في جوف رجل لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وقيل والمعنى ان الله تعالى لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليها وان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة في امراة ولا الدعوة والنبوة في رجل لتنافي الحالتين في كل منهما لان الام مخدومة لا يتصرف فيها تصرف المراة والدعوة عرض والنبوة اصل في النسب ولا يجتمعان في الشيء الواحد والمراد بذلك نفي ما زعمت العرب ان للبيب قلبين والمظاهر عنها كالام ودعي الرجل ابنه وانفي الامومة عن المظاهر عنها والنبوة عن المتبنى ونفي القلبين لتمهيد اصل يحمل ان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لم يجعل الزوجة والدعي اما وابنا لاحد وقال ومقاتل هذا مثل ضرب الله تعالى للمظاهرين من امراته وللمتبنى ولد غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة الكلبي سبي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة رضي الله عنها فلما تزوجها رسول الله صلعم وهبته له وطلبه ابوه وعمه فاختير فاختار رسول الله عم فاعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم فيهم فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما حال الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال ما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعلهم مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذب الله وقيل سهى في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد تقول نفس تامره ونفس تنهاه وتنكير رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى اي ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه والنكتة في ذكر الجوف التكنية التي في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي للمولود عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرا ابو عمرو والبزي اللاي بياء ساكنة وحدها على ان اصله اللائي بهمزة قبل الياء فحذفت الهمزة تخفيفا وقيل حذف الياء التي بعد الهمزة ثم ابدل من الهمزة ياء ثم اسكنت لاستثقال الحركة عليها وجاز التقاء الساكنين للمد وهو ابدال



على غير قياس وقال الشيخ ابو علي الفارسي لا يقدم على مثل هذا البدل الا انه يسمع وابو عمرو وهي لغة قريش وقد قيل ان القراء عبروا عن التليين لهؤلاء بالاسكان قالوا والاظهار لابي عمرو واللاي يئسن مما يدل على انه تليين وليس باسكان وقراءة ورش بحذف الياء وتسهيل الهمزة بين بين والكوفيون وابن عامر ييئسن بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على مثال القاضي والداعي وهو الاصل وقنبل وقالون بهمزة مكسورة ليس بعدها ياء ووجهه انه حذف الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة في الدلالة عليها كما يقال القاض والدع وقرا ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائي وخلف تظاهرون بالتخفيف مع فتح التاء وعاصم تظاهرون بضم التاء وكسر الهاء والباقون تظهرون بفتح التاء وبتشديد الظاء والهاء على ان اصله تتظهرون فادغم التاء في الظاء تخفيفا وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى قاعد وتظهرون من الظهور ومعنى ظاهر من امراته ان قال لها انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهر بحسب اللفظ كالتلبيت من لبيك وتعديته لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وكانوا يتجنبون المطلقة وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة ونظيره الى من مرانه لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن وهو بمعنى حلف واقسم ومعنى قولهم انت علي كظهر امي اي انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية بالظهر عن البطن لانه عمود البطن ويجوز ان يكون ذكر الظهر للتغليظ في تحريم امراته عليه فانهم كانوا يحرمون اتيان المراة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا فقياسه ان يجمع على فعلى كجرحى وقتلى واسرى لكن شذ عن القياس شذوذ قتلاء واسراء والوجه في مثل ذلك التشبيه اللفظي وهو ان يشبه فعيل بمعنى مفعول بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير اي ذلكم النسب قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يكون له حقيقة في الاعيان كقول الهاذي والله يقول الحق والله لا يقول الا ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو ما هو حق ظاهره وباطنه وهو يهدي السبيل وهو لا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اي دعاؤكم اقسط على ان الضمير للمصدر الدال عليه الفعل كقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى يعني انسبوهم الى ابائهم الذين ولدوهم فان نسبتهم اليهم ادخل في الامرين في القسط والعدل وهو البالغ في الصدق المطابق للواقع وقرا قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرافته ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه ويقال فلان ابن فلان كما قال ابن عمر رضي الله عنهما ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وروى سعيد بن جبير عن قتادة انه قرا يهدي السبيل فان لم تعلموا اباءهم تنسبونهم اليهم فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي وهذا مولاي يعني الاخوة والولاية في الدين وقيل فهم اخوانكم في الدين ومواليكم ان كانوا محررين وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به اي لا اثم عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني مخطئين قبل النهي او بعده على سبق اللسان او النسيان وقال قتادة لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه لم يكن عليك باس ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت او ولكن ما تعمدت فيه الجناح على ان ما في محل الجر عطفا على ما اخطاتم

ای کیاستہ وفطانتہ

او الرفع على الابتداء محذوف الخبر وعن النبي صلعم من ادعى الى ابيه وهو يعلم فالجنة عليه
حرام ويجوز ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على وجه العموم كقوله عم ما اخشى عليكم الخطاء
ولكن اخشى عليكم التعمد وقوله وضع عن امتي الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعموم
خطاء التبني وعمده ثم المتبنى اذا كان مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان
عبدا له عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة
خلافا لصاحبيه فانه لا يعتق عندهما واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان
كان عبدا عتق وكان الله غفورا رحيما بليغ المغفرة والرحمة يغفر للمؤمنين خطاياهم ويرحم
بهم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وكل شيء من امور الدينية والدنيوية فانهم لا يامرهم
ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس ولذلك اطلق ولم يقيد فيجب عليهم
ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها وحقه اثر لديهم من حقوقها
وشفقتهم عليه اقدم واتم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداه في الخطوب والحروب
ويتبعوه في كل ما دعاهم اليه او هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم لقوله تع
بالمؤمنين رؤف رحيم وعن ابي هريرة قال النبي عم ما من مؤمن الا وانا اولى به في الدنيا والاخرة اقرؤا
ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك
دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وقال ابن زيد النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فيما قضى فيهم كما انت
اولى بعبدك فيما قضيت عليه وقيل هو اولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي
صلعم يخرج الى الجهاد فامر الناس بالخروج فقال قوم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرأ ابن
مسعود وهو اب لهم اي في الدين لان كل نبي اب لامته واصل فيما جاء به الحيوة الابدية ولذلك صار
المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي مثل امهاتهم في وجوب التعظيم والاحترام وتحريم النكاح
وفيما سوى ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عايشة لسنا امهات النساء وروى الشعبي عن
مسروق ان امرأة قالت لعايشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فظهر بهذا انهن
امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم ولذلك لم يتعد هذا التحريم الى بناتهن ولم
يثبت لهن ساير احكام الامهات وضعف ما قال بعض المفسرين من انهن امهات المؤمنين
والمؤمنات جميعا واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض بعضهم بدل او مبتدأ اي ذو والقربات
بعضهم اولى ببعض في التوارث واولى بميراث بعض من ان يرثوا بالايمان والهجرة والمواخاة كان
المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تؤلف قلوب قوم باسهامهم باسهام بيان
لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما جاء الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بالقرابة
في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في القرآن المنزل على نبيه وهو هذه الاية او اية
الميراث المواريث او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم وهو متعلق باولى وافعل يعمل
في الجار والمجرور او حال والعامل فيه معنى اولى وليس حالا من اولوا الارحام للفصل بينهما
بالخبر من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم





اولى بان يرث بعضا من الاجانب او صلة لاولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين
بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم
ما يعتد الولاية فيه من النفع كقولك القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد احق منه في كل نفع من
ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف الوصية لانه لا وصية
لوارث وقيل النصرة وحفظ الحرمة او منقطع بمعنى لكن وعدي تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتدلوا
والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين كان ذلك في الكتاب مسطورا
اي كان ما ذكر في الايتين ثابتا في اللوح او القرآن وقال القرطبي في التورية والجملة مستانفة
كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم واذكر وقت اخذنا من
الانبياء جميعا ميثاقهم اي عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم اي واذكره لقومك
او ليكن ذلك الوقت على ذكر منك يعني لا تنسه وقال الزجاج اخذ الميثاق حيث اخرجوا من صلب
آدم كالذر وقال قتادة اخذ الميثاق منهم خصوصا ان يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم
بعضا وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا الى عبادته ويصدق بعضهم بعضا وينصحوا لقومهم وقال
الكلبي وان يبشر بعضهم بعضا ببعض ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم
خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرايع وقدم نبينا تعظيما له واشعارا بانه افضلهم قال النبي صلعم
انا اشرف الناس حسبا ولا فخر واكرم الناس قدرا ولا فخر الحديث وقال عم انا سيد الناس يوم القيمة
الحديث وعن انس قال النبي صلعم في هذه الاية كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث
واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما
حملوا ليسأل الصادقين عن صدقهم اي فعلنا ذلك او اخذنا ميثاقهم ليسأل الله يوم القيمة
المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم وما
اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وقال فلنسألن الذين
ارسل اليهم او الانبياء عما اجابتهم به اممهم كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم
وقال ولنسألن المرسلين وانما سألهم مع علمه انهم صادقين تبكيتا لمن ارسلوا اليهم من الكافرين
كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني الهين او المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان مصدق الصادق
صادق واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا لان المعنى ان الله اخذ الميثاق من النبيين
لان اثاب المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين
واعد للكافرين وقيل ليسأل الصادقين عن عملهم لله تع وقيل ليسأل الصادقين بافواههم
عن صدقهم في قلوبهم وعن الفضيل ان الله يسأل الصادقين عن صدقهم منهم عيسى بن
مريم فكيف بالمساكين الكذابين المرائين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذكروا ما
انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ جاءتكم جنود الاحزاب من قريش وغطفان
ويهود بني قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا وهي ريح الصبا
قال ابن عباس قال النبي صلعم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها

وهما للملائكة وكانوا الفا روى ان النبي صلى الله عم لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة واشار
بذلك سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه
وبينهم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام واشتد الخوف فظن المؤمنون كل ظن
ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر
ولا نقدر ان نذهب الى الغايط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني
حارثة يارسول الله ان بيوتنا عورة من العدو فاذن لنا فلنرجع الى ديارنا فانها خارجة
من المدينة فاقام رسول الله واقام المشركون قريبا من شهر لا قتال بينهم الا الترامي بالنبل
والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب
في وجوههم واطفاء نيرانهم واكفات قدورهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها
في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى قال سيد
كل حي يا بني فلان هلموا الي والنجا والنجا وقال خويلد بن طلحة الاسدي اما محمد فقد
بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وقراء ابو عمرو برواية علي بن نصر لم يروها
بالياء **وكان الله بما تعملون** من حفر الخندق وغيره وقراء ابو عمرو بالياء اي بما يعمل
المشركون من التحزب والمحاربة وساير اعمالهم والباقون بتاء الخطاب **بصيرا** رائيا بما تعملون
ويعملون فهو ناصركم عليهم وعاصمكم من شرهم **اذ جاؤكم** بدل من اذ جاتكم **من فوقكم**
من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان **ومن اسفل منكم** من اسفل الوادي من قبل المغرب
قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا **واذ زاغت الابصار** مالت عن
سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة
الروع **وبلغت القلوب الحناجر** رعبا وغضبا وغما لان الرية تنتفخ من شدة الفزع والغضب والغم
الشديد فترتفع القلب بارتفاعها الى راس الحنجرة التي هي منتهى الحلقوم وهو مدخل الطعام والشراب
ولذلك قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ
الحناجر حقيقة وعن ابي سعيد قلنا يوم الخندق يارسول الله هل من شيء نقوله
فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فقلناها فضرب
وجوه اعداء الله بالريح فهزموا **وتظنون بالله الظنونا** الانواع من الظن فظن المؤمنون
الثبت القلوب والاقدام ان الله ينجز وعده في نصرهم واعلاء كلمته ودينه او يبتليهم ويفتنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ما
حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون
وظن المؤمنون انهم يبتلون وقراء ابن كثير والكسائي وحفص وخلف الظنونا بالالف
في الوقف خاصة وحذفها في الوصل واثبتها في الحالين نافع وابن عامر وابو بكر وابو جعفر
وحذفها في الحالين ابو عمرو وحمزة ويعقوب والالف مزيدة في امثاله لرعاية الفاصلة كما زادها
البلغاء في القافية قال بعضهم اقلي اللوم عاذل والعتابا وقال غيره وقد كنت قدما هويت السمانا

والثباتها



والثباتها موافق لرسم الامام وحذفها هو القياس **هنالك ابتلي المؤمنون** اي عند ذلك
او في تلك الحال او في ذلك المكان اختبروا وامتحنوا بالحصر والقتال فظهر المخلص من المنافق
والثابت من المتزلزل **وزلزلوا زلزالا شديدا** عن الاعمش واشمام زاي زلزلوا وقراء الخليل زلزالا
بضم الزاء وقراء عاصم الجحدري زلزالا بفتح الزاء اي ازعجوا اشد الازعاج من شدة الفزع
والخوف **واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض** شك وضعف اعتقاد **ما وعدنا الله
ورسوله** من الظفر واعلاء الدين **الا غرورا** قولا باطلا قيل قائله معتب بن قشير حين
راى الاحزاب قال يعدنا محمد بفتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا فما هذا
الا وعد غرور **واذ قالت طائفة منهم** هم اوس بن قيظي ومن تابعه في رواية وعن السدي
عبد الله بن ابي واصحابه **يا اهل يثرب** هو اسم المدينة ولم ينصرف للتعريف ووزن الفعل وقيل التانيث
وقال ابو عبيدة يثرب اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها وفي بعض الاخبار ان النبي صلعم
نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره هذه اللفظة لان يثرب يفعل من التثريب
وهو اللوم الذي لا يستعمل الا فيما يكره غالبا ولذلك نفاه يوسف الصديق عم **لا مقام لكم** قرا حفص
بضم الميم الاولى والباقون بفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقومون فيه او تقيمون والضم
مكان او مصدر من اقام ومن فتحه اراد به المكان من قام وان الى منه المصدر على هذا **فارجعوا**
الى المدينة ومنازلكم امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلعم وقيل المعنى لا مقام لكم على دين
محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم القيام
بها **ويستاذن فريق منهم النبي** للرجوع وهم بنو حارثة وبنو سلمة **يقولون** حال او تفسير
ليستاذن **ان بيوتنا عورة** غير حصينة واصلها الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان
عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو السارق ويجوز ان يكون العورة تخفيف العورة
بكسر الواو وقد قراء بها جماعة من الثقات اعتذروا ان بيوتهم معرضة للعدو ممكنة
للسارق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستاذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه
فاكذبهم الله بقوله **وما هي بعورة** بل هي حصينة محرزة **ان يريدون الا فرارا** ما يريدون
بذلك القول الاعتذار الا الفرار من القتال **ولو دخلت عليهم** اي دخلت المدينة او بيوتهم من قولك
دخلت على فلان داره **من اقطارها** من جوانبها وحذف الفاعل وهو العساكر المتحزبة للعلم به بذكره سابقا
وقيل الايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب
عليه والمعنى ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة يغزون منها خوفا مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين **ثم سئلوا** عند ذلك الفزع والرجفة **الفتنة** الردة ومقاتلة المسلمين
**لاتوها** قراء نافع وابن كثير وابو جعفر لاتوها بالقصر اي لجاؤها وفعلوها والباقون لاتوها بالمد
اي لاعطوها وما منعوا انفسهم عنها وقراء الحسن سيلوا الفتنة بكسر السين وترك الهمزة ولا وقرا الخليل
سالوا بغير همز **وما تلبثوا بها** بالفتنة او باعطائها **الا يسيرا** ريثما يكون السؤال والجواب او وما
لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم واعطاء الكفر الا قليلا لان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعتوار

بيوتهم ليفرّوا عن رسول الله والمؤمنين ونصرتهم ومصافّة الاحزاب الذين ملؤهم هؤلاء هؤلاء رعبا
وهؤلاء الاحزاب لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم ثم عرضوا عليهم الكفر وان يكونوا على المسلمين لسارعوا
اليه ولم يتعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه ولقد كانوا
عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار عاهدوه من قبل غزوة الخندق لا يفرون من قتال اعداء الله ولا
ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا مع بني سلمة
ثم تابوا لما نزل فيهم ما نزل ان لا يعودوا لمثله وقال قتادة هم قوم غابوا عن بدر ورأوا ما اعطى الله
اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم ذلك وعن ابن عباس
ومقاتل والكلبي هم سبعون رجلا عاهدوا رسول الله وبايعوه ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم
وضعف هذا القول بان هؤلاء السبعين الذين بايعوا ليلة العقبة لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل
هذا القول وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا حتى يوفى مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل اذ لا بد لكل شخص من الفناء والهلاك سواء كان بحتف انف او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان
نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتعا او زمانا قليلا وعن بعض المروانية
انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب قل من ذا الذي يعصمكم من الله
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة انما جعل الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا منه لان معناه او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من
معطوف على — معطوف في
معنى المنع وقيل السوء الهزيمة والرحمة النصرة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم
ويتولى امورهم ويجريها على حسب ما يصلحهم ولا نصيرا يدفع الضرر عنهم قد يعلم الله
المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله وهم المنافقون وادخل قد ليؤكد علمه بما
هم عليه من التعويق والنفاق والمخالفة عن الدين ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله هلم الينا قربوا انفسكم
الينا وقيل ارجعوا الينا ودعوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك وقال
قتادة هؤلاء اناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار النبي عم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة
رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال مقاتل نزلت في المنافقين
وذلك ان اليهود ارسلت اليهم وقالوا ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا
عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد
الله بن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان واصحابه وقالوا لئن قدروا
عليكم لم يستبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا
الى اخواننا يعنون اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا ولا يأتون
البأس الحرب الا قليلا الا اتيانا قليلا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما امكن
لهم او يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا يقاتلون الا قليلا اذا اضطروا اليه
كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل الا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا

وقيل

وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم بالنصرة والنفقة في سبيل الله والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال
من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم
كالذي يغشى عليه من الموت كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك او كدوران
عين المغشي عليه من الموت او مشبهين او مشبهة بعينه والخليل يغشى بفتح الياء فاذا ذهب الخوف وحيزت
الغنائم سلقوكم ضربوكم وآذوكم بألسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق شدة القول باللسان وقال
ابن عباس عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة
يقولون اعطونا اعطونا فانا قد شهدنا معكم القتال فلستم احق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة
اشح قوم وعند البأس اجبن قوم وقال ابو عبيدة بالغوا فيكم بالكلام والسلاق والسلاق الخطيب
البليغ الذرب اللسان وقرئ صلقوكم بالصاد وهو لغة اشحة على الخير عند الغنيمة ليشاحون
المؤمنين وانتصابها على الحال او الذم ويعضده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه
وقرأ الشيخ الامام ابو بكر النيسابوري رحمه عن ابن ابي عبلة والبياني اشحة بالرفع اي هم اشحة وعن الخليل
اشحة بالجر اولئك لم يؤمنوا اخلاصا حيث ابطنوا خلاف ما اظهروا فصاروا لخبث الكفر وابغضهم للاسلام
وامقتهم عنده فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم اعمال حتى يرد عليها الاحباط
والابطال او ابطل تصنعهم ونفاقهم وعن مقاتل ابطل الله جهادهم وفي هذا التفريع دلالة على ان الاعمال
والاقرار باللسان من غير تصديق القلب لا اعتداد بها عند الله ويجعلها هباء منثورا وكان ذلك الاحباط على
الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء المنافقون
يظنون ان قريشا وغطفان واليهود لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا وانصرفوا عن الخندق الى داخل المدينة
لجبنهم المفرط وخوفهم الشديد وان يأت الاحزاب كرة ثانية وقرئ وان يأت بالتاء يودوا لو انهم
بادون في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقيل يتمنون انهم كانوا
في بادية مع الاعراب من الخوف والجبن يقال بدا يبدو بداوة اي خرج الى البادية وقرأ ابن عباس لو انهم
بُدّاء بتشديد الدال وضم همزة بعد الالف وطلحة بدّى جمع باد مثل غزّى جمع غاز وقرأ ابن ابي
عبلة يودوا انهم بحذف لو يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عن
اخباركم وعما جرى عليكم وقرأ يعقوب يتساءلون بتشديد السين اي يتساءلون
وقرأ الحسن وعاصم والاعمش فيما زعم ابو حاتم يسلون مخففا غير مهموز ولو كانوا
فيكم هذه الكرة لم يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة وخوفا
من التعيير وقال الكلبي رميا بالحجارة وقيل تعذيرا اي ليقيموا به عذرهم فيقولون قد قاتلنا
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اي يتبع
كالنصر لدين الله والثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه اسوة حسنة اي
قدوة يحسن التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي في نفسها هذا القدر من الحديد
اي الاقتداء
وقرأ عاصم اسوة بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي يأمل

اي يقتدى

الاسوة بالضم والكسر القدوة وهي المؤتسى به اي المقتدى به

ثواب الله او لقائه ونعيم الآخرة او يخاف الله او ايامه واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك رجوت زيدا وفضله فان اليوم الاخر داخل فيها ولمن كان صلة الحسنة او صفة لها او بدل من لكم بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم والجمهور على ان ضمير الخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا في السراء والضراء وقرن بالرجاء كثرة الذكر المشعرة بملازمة الطاعة الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة فان المؤتسي برسول من كان كذلك ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوا ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ووعد رسوله وايقنوا بالجنة والنصرة وعن النبي عم انه قال لاصحابه سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وعن ابن عباس قال النبي عم لاصحابه ان الاحزاب سايرون اليكم تسعا او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب او البلاء وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وورش وابن ذكوان وخلف راى بامالة الراء والهمزة حيث وقع وافقهم ابو عمرو في امالة الهمزة وعن السوسي خلاف في امالة الراء وصدق الله ورسوله فظهر صدق وعد الله ورسوله او صدقا في اجتماع الاحزاب علينا وسيرهم الينا او في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم لزيادة التمكين وقيل للتعظيم وما زادهم الضمير المستتر عايد الى ما اشير اليه بهذا من الخطب او البلاء وقرأ ابن ابي عبلة وما زادوهم بالواو الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما للاوامره وقضاياه واقداره روى ان انس بن النضر عم انس بن مالك غاب عن بدر فشهد احدا فلما نادى ابليس قتل محمد مر بعمرو معه رهط فقال ما يقعدكم قالوا قتل رسول الله صلعم قال فما تصنعون بالحيوة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم جالد بسيفه فوجد قتيلا وبه بضع وثمانون جراحة فكانوا يقولون فيه وفي اصحابه نزل قوله تع من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر بعض الصحابة كعثمان وطلحة وحمزة ومصعب وغيرهم انهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع رسول الله وقاتلوا حتى يستشهدوا فقد قاموا بنذرهم ووفوا به من صدقني فلان اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق فيه او جعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم قالوا له سنفي بك وهم وافون فقد صدقوه فمنهم من قضى نحبه فرغ من نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم في عنق كل حيوان وقال مقاتل نحبه اى اجله وقيل نحبه اى بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل يحتمل موته شهيدا او يحمل وفاه بنذره من الثبات مع رسول الله صلعم وقال محمد بن اسحق من قضى نحبه من استشهد يوم بدر واحد ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وثبت طلحة مع النبي عم يوم احد فجرح اربعا وعشرين جراحة وسماه النبي يومئذ طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود ويوم غزوة ذات العشير طلحة الفياض وقيل يوم الجمل وعن جابر نظر النبي صلعم الى طلحة بن عبيد الله فقال من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى هذا وعن قيس رايت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عم يوم احد وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل ولقد ثبت طلحة ومصعب مع رسول الله عم يوم احد حتى اصيبت يده وقتل مصعب فقال عم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوه من اهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقرأ ابن عباس ومنهم من ينتظر

ومنهم من بدل

ومنهم من بدل تبديلا وروى عنه عمرو بن دينار وآخرون بدلوا تبديلا وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به كان المنافقين قصدوا عاقبة السوء بتبديلهم العهد كما قصد الصادقون عاقبة الصدق والحسنى بثباتهم ووفائهم بالعهد لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما استويا في قصدها وارادتها والسعي لتحصيلها والتوبة عليهم مشروط بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا ستورا على من تاب محاء لما صدر منه رحيما منعما عليه بالجنة والثواب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير ظافرين بما ارادوا من الغلبة وهما حالان متداخلان او متعاقبان ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاول او استينافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا باهر القدرة على احداث كل شيء يريده عزيزا غالبا على كل شيء او منيعا لا يغلب في شيء من الاشياء وانزل الذين ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب على رسول الله والمسلمين من اهل الكتاب من بني قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرأ ابن عامر والكسائي وابو جعفر ويعقوب بضم العين والباقون بسكونها وهما لغتان فريقا تقتلون وتاسرون فريقا فريق وتاسرون بضم السين روى ان جبرائيل عليه السلام اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه جبرئيل والفرس والسرج فجعل رسول الله يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه فرسه والسرج وكان عم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبرئيل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب القوم ثم قال ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان لا يصلوا العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا في العشاء الآخرة لقول رسول الله فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال رسول الله صلعم لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي عم وقال لقد حكمت بما حكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم وضرب اعناقهم وهم من ثمان مائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل او اكثر واسر منهم سبعمائة وكان ذلك في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة واورثكم ارضهم من ارعهم وبساتينهم وديارهم وحصونهم وبيوتهم واموالهم ونقودهم ومواشيهم واثاثهم شبهت في بقائها على المسلمين بالميراث الباقي على الوارثين اذ ليسوا منهم في شيء من قرابة ولا دين ولا ولاء فاهلكهم الله على ايديهم وجعل املاكهم واموالهم غنائم لهم باقية عليهم كالمال الباقي على الوارث روى ان رسول الله عم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فتكلم في ذلك الانصار فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت لي هذه طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا لم تطؤها وسائر ارض الكفرة من العرب والعجم وعن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل وابن زيد خيبر وعن عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة

ذكر غزوة بني قريظة

ومن بدع التفاسير انه اراد نسائهم وقراءة زيد بن علي لم تطؤها بسكون الواو وترك الهمزة وكان الله على
كل شيء قديرا فهو يقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها قال
النبي عم لمعاذ اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بمتنعمين وزينتها وزخارفها واراد بها الاموال والبنين كما
صرح به في قوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والقران يفسر بعضه بعضا فتعالين فاقبلن بارادتكن
واختياركن لاحد الامرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما تقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني واصل تعال ان يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت
في استعماله الامكنة امتعكن اعطكن متعة الطلاق واسرحكن سراحا جميلا واطلقكن
طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سالنه شيئا من الدنيا من ثياب الزينة وزيادة النفقة وآذينه
بغيرة بعضهن على بعض فغمه ذلك فنزلت فبدا بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران
فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فروي الفرح في وجه رسول الله ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر
لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد الاية وروي انه قال لعايشة اني ذاكر لك امرا احب ان لا تعجلي
فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت افي هذا استامر ابوي وفي رواية
افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة
من نسائك باني اخترتك او بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا
ولا متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا وعن الزهري اقسم النبي عليه السلام ان لا يدخل على ازواجه
شهرا وروي انهن لما سالنه ذلك وآذينه هجرهن وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا
ما شانه وطلق رسول الله نساءه وقال عمر لاعلمن لكم شانه قال فدخلت على رسول الله فقلت يا رسول
الله اطلقتهن قال لا قلت اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله نساءه افانزل واخبرهم
انك لم تطلقهن قال نعم ان شيت فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي لم يطلق رسول الله نساءه
ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت انا استنبطت ذلك الامر قالوا وانزل الله اية التخيير وكانت
تحت رسول الله يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام
حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع من غير قريش زينب بنت
جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية
وقد وجدت في بعض كتب السير في ذكر ازواجه عم ان النبي تزوج فاطمة بنت الضحاك وخيرها حين
نزلت اية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها ثم كانت بعد ذلك تلتقط البعر وتقول انا الشقية اخترت الدنيا
وعن جابر دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلعم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لاحد منهم فاذن
له فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي عم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال
لاقولن شيئا اضحك رسول الله فقال يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها
فوجات عنقها فضحك رسول الله عم وقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجا
عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول لا تسالين رسول الله شيئا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا

وتسعا

وتسعا وعشرين ليلة ثم نزلت الاية الى قوله اجرا عظيما وعن عايشة لما مضت تسع وعشرون اعدهن
دخل علي رسول الله فبداني فقلت يا رسول الله انك اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين
اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون واختلفوا في حكم التخيير فعند ابي حنيفة واصحابه اذا قال اختاري او اختاري
نفسك فقالت اخترت نفسي او اخترت لا بد من ذكر النفس في قول احدهما وقعت طلقة باينة واعتبروا ان يكون ذلك
في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية
وهو مذهب عمر وابن مسعود وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان وعن الحسن وقتادة
والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واما اذا اختارت زوجها فلم يقع شيء باجماع الفقهاء ويعضده
قول عايشة خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه فلم يعده طلاقا وروي افكان طلاقا على ان تعليق التسريح
بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا
لزيد والحسن ومالك فان عندهم اذا اختارت زوجها يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث
وعن علي رض اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية واذا اختارت نفسها فواحدة باينة وروي عنه ايضا
انها اذا اختارت زوجها فليس بشيء كما اجمع الفقهاء وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن
الخلق ومتعة المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في النفقة واجبة عندنا ومتعة ساير المطلقات مستحبة
وعن الزهري متعتان احدهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق
ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد
بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة وهي درع وخمار
وملحفة على حسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منها ولا ينقص
من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة فلا ينقص من نصفها وفي امتعكن واسرحكن بالرفع على
الاستيناف وقراءة زيد بن علي والخليل امتعكن بالتخفيف والجزم وان كنتن تردن الله ورسوله والدار
الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها او اجرا عظيما
في الدنيا بوجود النبي وعدم شريكه وفي الاخرة بالثواب والنجاة ومن للبيان لكون كلهن
محسنات اصلح نساء العالمين يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة بسيئة بليغة في القبح
وهي الكبيرة وقراءة ابن عمرو والجحدري وزيد بن علي من تات بالتاء مبينة ظاهرة قبحها
والمراد كل ما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن رسول الله صلعم ونشوزهن وطلبهن منه
ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في
حديث الافك وقراءة ابن كثير وابو بكر مبينة بفتح الياء موضحة فحشها والباقون بكسرها وقد تقدم
تفسيرها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان
زيادة قبحه يتبع زيادة فضل المذنب ومرتبته والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرا نافع والكوفيون يضاعف مبنيا للمفعول وابن كثير وابن عامر نضعف
بالنون وبناء الفعل ونصب العذاب والباقون يضعف بالياء وبناء المفعول وتشديد العين وقرا ابو
البرهسم يضعف بالياء معلوما مشددا وقراءة الزهري يضاعف بالالف والرفع على هو يضاعف وقيل
اي يضاعف والتضعيف و

والمضاعفة بمعنىً وكان ذلك على الله يسيرا لا يصرفه عن المضاعفة كونهن نساء النبي ولا يمنعه عن التضعيف كيف
يصرف ويمنع عنه وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة والقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة
الله في طاعة رسوله والنزول على هواه ورضاه لله ورسوله ولعل ذكر الله للتأكيد او التعظيم وتعمل صالحا نؤتها
اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضاء النبي بالقناعة وحسن الخلق وطيب المعاشرة وقرأ يعقوب
تاتات ومن تقنت بالتاء فيهما حملا على الجانب المعنى وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعمل بالياء حملا على لفظ
من ويؤتها على ان الضمير المستتر عائد الى الله والباقون تعمل بالتاء حملا على معنى من وهو يعضد قراءة يعقوب
ونؤتها بالنون وقرأ ابو حيوة والخليل تقنت واعتدنا لها رزقا كريما حسنا مرضيا في الجنة وهو تاكيد
لزيادة اجرها وبيان ان الثواب العظيم اعده لها والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله
اعددنا فابدلت التاء الاولى بالتاء يا نساء النبي لستن كاحد من النساء احد اصل احد وحد بمعنى الواحد
ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير ومعنى لستن كاحد من النساء لستن كجماعة
واحدة من جماعات النساء اي اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن
في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى ولم يفرقوا بين احد منهم يعني بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم
في انهم على الحق وقال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم
علي وثوابكن اعظم لدي ان اتقيتن في الى فقط على حدوده وما امركن به ونهاكن عنه في طاعة الله ورسوله او مخالفة
حكم الله ورضاء رسوله او ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات وقيل ان تقيتن الله فاطعنه فلا
تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات والمومسات وقيل فلا تلن بالقول للرجال
ولا تعلن قولا يجد منافق او فاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمرأة مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا خاطبت
الاجانب لقطع الاطماع فيطمع الذي في قلبه مرض نفاق وريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على انه نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول كانه قيل فلا تخضعن فلا يطمع و
عن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب
وقلن قولا معروفا حسنا خشنا او بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير تخنيث
وقرن في بيوتكن قرأ نافع وعاصم وابو جعفر بفتح القاف على انه امر من قر يقر بفتح القاف
في المضارع واصله اقررن فنقلت حركة الراء الى القاف وحذفت لالتقاء الساكنين ثم حذفت همزة الوصل
استغناء عنها فصار قرن مثل ظلن ووزنه الحالي فلن والاصلي فعلن او قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها
الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكانوا قارة ونظيره خفن من خاف اي اجتمعن في بيوتكن والباقون بكسرها
على انه امر من وقر يقر وقارا اذا ثبت وسكن واصله اوقرن فحذفت الواو تخفيفا ثم الهمزة استغناء عنها فصار
قرن مثل عدن ووزنه الحالي علن او من قر يقر بكسر القاف في المضارع فاصله اقررن فنقلت كسرة
الراء الى القاف ثم حذفت كما تقدم عن همزة الوصل فصار قرن مثل ظلن ووزنه الحالي فلن والاصلي افعلن اي
الزمن بيوتكن وبالاصل قرأ ابن ابي عبلة ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن وبه قال ابن جريج وغيره وقال
مجاهد وقتادة التبرج هو التكسر والتغنج وقيل هو اظهار الزينة والمحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى اي تبرجا
مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وقال قتادة هي ما قبل الاسلام وقال



وقال الكلبي زمن نمرود كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره
وتعرض نفسها على الرجال وقال ابو العالية زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصا من
الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلقها فيه وقال الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل ما بين ادم
ونوح عليهما السلام وقال عكرمة عن ابن عباس بين ادريس ونوح عليهما السلام وكانت الف سنة وان
بطنين من ولد ادم سكن احدهما السهل والاخر الجبل وكان رجال الجبال صباحا وفي النساء دمامة والسهل بالعكس
فجاء ابليس واجر نفسه من رجل سهلي وكان يخدمه فاتخذ مثل ما يزمر الرعاء فجاء بصوت لم يسمع الناس
بمثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال
وتتزين لهن فهجم رجل من اهل الجبل عليهم في عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فاخبر اصحابه بذلك
فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
وقيل الجاهلية الاولى ما ذكروا الجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل الجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام كما قال قتادة والجاهلية الاخرى
جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام ويعضده قوله عم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر
او اسلام قال جاهلية كفر فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر
وقيل قد تذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى ولم يكن لها اخرى وفيه نظر لان عادا
الاولى قوم هود وعادا الاخرى ارم او قيل للاولى من اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عادا الاولى
ولمن بعدهم عاد الاخرى واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله في سائر ما امركن ونهاكن عنه
فامرهن بالخاص والعام من العبادات والطاعات تكميلا لهن وتطهيرا كما قال انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس لانه تعليل لامرهن ونهيهن ووعظهن على الاستيناف والمراد بالرجس الذنوب والمعاصي وقال ابن
عباس الشك والشرك وقال مقاتل الاثم الذي نهى الله النساء عنه اهل البيت نصب على النداء او المدح لانه
اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت رسول الله وحبيبه وعن سعيد بن جبير قال ابن عباس اراد
باهل البيت نساء النبي عم لانهن في بيته ويدل عليه السباق والسياق وعليه عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد
الخدري ومجاهد وقتادة وكثير من العلماء الى ان المراد علي وفاطمة والحسن والحسين عن عائشة ان النبي عم
خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله
فيه ثم جاء الحسن فادخله فيه ثم جاء الحسين فادخله فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا وعن عطاء بن يسار ان ام سلمة قالت في بيتي انزلت انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال هؤلاء اهل
بيتي قالت فقلت يا رسول الله اما انا من اهل البيت قال بلى ان شاء الله والظاهر ان الاستدلال بذلك على
عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها ولا يوافق قوله عم لام
سلمة بلى ان شاء الله وكل من الحديثين يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم
الصدقة بعده عليهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ويطهركم تطهيرا عن الادجاس والمعاصي وفي
استعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير تنفير المؤمنين عنها وترغيب لهم فيما رضيه لهم وامرهم به من
الطاعات والعبادات

واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين امرين هو ايات بينات تدل على صدق النبوة
لانه معجزة وهو حكمة وعلوم وشرايع وهو تذكير بما انعم عليهن من كونهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي حثا
على الانتهاء والايتمار فيما كلفن به وقال قتادة الحكمة السنة وقراء زيد بن علي والخليل ما تتلى ان الله كان لطيفا
بليغ البر بخلقه قد توصل بره الكامل خبيرا بليغ العلم بالاشياء كلها فيعلم ويدبر ما يصلح في الدين ان
او الخاضعين المنقادين لالوهية الله وقيل الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بجميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم او الثابتين على التصديق به ومراد اصحابنا
باتحاد الايمان والاسلام لان الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول ما جاء به من عند الله و
والاذعان له وذلك حقيقة التصديق ولذلك لم يصح في الشرع ان يحكم على احد بانه مسلم وليس بمؤمن او مؤمن
وليس بمسلم فلا يمتاز احدهما عن الاخر لم يريدوا الاتحاد بحسب المفهوم لان الايمان هو تصديق الله فيما اخبر
من اوامره ونواهيه ومواعيده والاسلام هو الخضوع والانقياد لالوهيته وهذا لا يحصل الا بقبول الامر والنهي
والوعد والوعيد والاذعان لذلك فمن لم يقبل شيئا من هذه الاربع فقد كفر وليس بمسلم والقانتين
والقانتات القايمين بطاعة الله والصادقين والصادقات في القول والعمل سرا وجهرا والصابرين
والصابرات على تجرع الغصص واحتمال البلايا والمحن في طاعة الله وازدياد الخير وعن المعاصي والذنوب
والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات المعطين
للصدقات يقال تصدق على الفقراء اذا اعطاهم الصدقة وهي العطية التي بها يبتغي المثوبة من الله تع وقد يجيء
التصدق بمعنى التفضل مجازا وهو المراد في قوله عليه السلام ان الله تع تصدق عليكم الحديث والصايمين والصايمات
المراد الصوم المفروض او مطلق الصوم كما في اخواته والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلعم
من استيقظ من منامه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات
والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لدلالة المذكور عليه وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين
الله كثيرا حتى يذكره قايما وقاعدا ومضطجعا وعن عطاء بن ابي رباح من فوض امره الى الله فهو داخل في قوله
ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه ومحمدا عليه السلام رسوله ولم يخالف قلبه لسانه دخل
في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة دخل في والقانتين والقانتات
ومن صان قوله من الكذب دخل في والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى
الرزية دخل في والصابرين والصابرات ومن صلى ولم يعرف من على يمينه وعن شماله دخل في والخاشعين
والخاشعات لبنى الامر في هذا على الاشد وليس هذا بمرضي عنه ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم
دخل في والمتصدقين والمتصدقات ومن صام من كل شهر ايام البيض دخل في والصايمين والصايمات
ومن حفظ فرجه عما لا يحل دخل في والحافظين والحافظات ومن صلى صلوات الخمس بحقوقها دخل في
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن ابي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في
طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا
رسول الله قال الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن ابي سعيد الخدري سئل رسول الله صلعم اي العبادة

افضل

وما يحصل للنبوة وان تكون اهل بيته وذلك خبر كان وعطف ان المسلمين والمسلمات الخ يبنى على الاسلام



افضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله
قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تكسر ويختضب دما لكان ذاكر الله كثيرا افضل منه درجة اعد الله
لهم مغفرة سترا ومحوا لما صدر منهم من الكباير التي تابوا عنها والصغاير لانهن مكفرات واجرا عظيما وثوابا لا يكتنه
كنهه ولا يقادر قدره على طاعتهم واعمالهم الحسنة وعده لهن ولغيرهن على الاسلام والايمان والاعمال الصالحة المذكورة
روي ان ازواج النبي صلعم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل
منا طاعة فنزلت وعن مقاتل قالت ام سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية للنبي عليه السلام
ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه نخشى ان لا يكون فيهن خير فنزلت وروي
ان اسما بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء النبي صلعم
فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فاتت النبي صلعم فقالت يا رسول الله ان النساء
لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن لم يذكرن بخير كما يذكر الرجال فنزلت وقيل لما نزل
في نساء النبي ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين
وهو ضروري وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات
مؤمنات وفايدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كانه قيل ان الجامعين والجامعات
لهذه الطاعات اعد الله لهم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة روي ان رسول الله صلعم خطب زينب بنت
جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وقالت انا بنت عمتك يا رسول
الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة فيها حدة ولذلك كره اخوها ذلك فنزلت فقالا رضينا يا رسول
الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهما وخمارا وملحفا ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام
وثلثين صاعا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت
نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده
والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله وذكر الله لتعظيم
امره وتحقيق ان قضاءه قضاء الله كان طاعته طاعة الله وهو نكاح زيد لزينب او ام كلثوم او النكاح او التزويج
ان يكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختياره
ورايهم تلوا لرايه وكان من حق الضمير ان يوحد كما تقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شانه كذا لكنه
جمع لعموم مؤمن ومؤمنة بوقوعها في سياق النفي فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرأ الكوفيون وهشام
يكون بالياء لان الخيرة بمعنى ما يتخير ولوجود الفصل والباقون بالتاء حملا على الظاهر وقال ابو معاذ قراء
بعضهم الخيرة بسكون الياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فقد اخطاه عن القصد خطأ لا يكاد
يخفى على كل احد فان عصيانهما ابهى انواع الضلالة واعظمها وابعدها عن الصواب والاستقامة واذ تقول للذي
انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله
فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة كان رسول الله قد اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ
فاعتقه وتبناه قبل الوحي وآخا بينه وبين حمزة بن عبد المطلب وفي رواية اخرى ذكرت قبل هذا وقال
الزهري زيد اول من اسلم وقال غيره اسلم بعد علي كرم الله وجهه وقيل اول من اسلم من
الموالي هو

وشهد بدرا واحدا والخندق والحديبية وخيبر واستخلفه النبي على المدينة حين خرج الى المريسيع وخرج
اميرا في سبع سرايا ولم يذكر في القرآن العظيم صحابة باسمه غيره وقتل يوم مؤتة وهو مما انعم الله
عليه وتفضل امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه
فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادها لاختطبها
وسمعت زينب التسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله
فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا
خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فلا تطلقها
ضرارا او تعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها او
علمه بان زيدا سيطلقها وستنكحها لان الله تع قد اعلمه بذلك وقال ابن عباس حبها وهو الاول وعن عمر
وعايشة وابن مسعود ما نزلت على رسول الله آية هي اشد عليه من هذه الآية وعن مسروق قالت
عايشة لو كتم النبي صلعم شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية والابداء الاظهار وقال اصحاب
غرايب القرآن عن ابن ابي عبلة ما الله مظهره ولا شك انه قال على التفسير او وجده في مصحف بهذه عبارته
وتخشى الناس تستحييهم او تخاف لومهم وتعييرهم اياك به والله احق ان تخشيه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال
وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء ومخافة قالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال
ذلك ان يصمت ويفوض الامر الى ربه حتى لا يخالف السر العلانية فلما قضى زيد منها وطرا اذا بلغ البالغ حاجته
من اخفاء شيء له فيه همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطلقها
وانقضت عدتها زوجناكها روي انها لما اعتدت قال رسول الله لزيد ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب
على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر
اليها حين علمت ان رسول ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري فان رسول الله يخطبك
ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها
فتزوجها رسول الله ودخل بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس
الخبز واللحم حتى امتد النهار وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرا اهل البيت
زوجتكها وقيل لجعفر الصادق الست تقراء على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي الا كذلك
ولا قراها الحسين على علي ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على النبي عم الا كذلك والمعنى انه امر بتزويجها
اياه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويعضده ما روى انس انها كانت تفتخر على ازواج النبي تقول زوجكن
اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وعن الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلعم اني لادل
عليك بثلاث ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله تعالى في السماء وان السفير
جبرئيل عم وفي جعل زيد سفيرا في خطبتها ابتلاء له عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه ورسوخه
فيه قال الزهري زيد اول من اسلم وقيل اسلم بعد علي وقيل اول من اسلم من الموالي ولم يذكر في القرآن
صحابي باسمه غيره وقتل يوم مؤتة رضي الله عنه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا تعليل للتزويج وفيه دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان

امر الله

وكان امر الله اي امر الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب او كان قضاء الله ماضيا
وحكمه نافذا وقد قضى في زيد ان يطلق زينب ويتزوجها رسول الله صلى الله عم ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له اوجب وقسم وقدر له من قولهم فرض لفلان في الديوان ومنه فروض العساكر
لارزاقهم سنة الله اسم وضع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا موكد لقوله ما كان على النبي كانه قيل
سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم في الاقدام على ما احل لهم واباح ووسع
عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهاير والسراري فكانت لداود مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان
ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية في الذين خلوا من قبل من الانبياء والرسل الذين مضوا قبل محمد وقال الكلبي
ومقاتل اراد داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها فكذلك جمع بين محمد عم وزينب وقيل اشار بالسنة
الى النكاح فانه من سنن الانبياء عليهم السلام قال النبي عم اربع من سنن المرسلين الحناء والتعطر والنكاح
والسواك وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله مجرور
على انه صفة للذين خلوا او مرفوع او منصوب على المدح وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشيه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
على كل شيء فينبغي ان لا يخشى الا منه ثم لما تزوج رسول الله زينب قال بعض الناس ان محمدا تزوج امراة ابنه فانزل
الله تع قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم لم يكن اب رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه
ما بين الاب والابن من حرمة المصاهرة والنكاح ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم
وابراهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم وكذلك الحسن والحسين على انهما لم يكونا
رجلين حينئذ او المقصود ولده خاصة لا ولد ولده ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث الرسالة
والشفقة والنصح لهم ووجوب التوقير والطاعة عليهم وكون ازواجه محرمة عليهم تحريم امهاتهم وزيد منهم
ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف ولكن بالتشديد على
حذف الخبر اي ولكن رسول الله اب من غير ولادة لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين واخرهم الذي
ختمهم او ختموا به قال النبي عم فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم
ولم تحل لاحد قبلي وبعثت الى الناس كافة وختم بي النبوة على قراءة عاصم بفتح التاء بمعنى الطابع وهو
ما يطبع به ويختم والمكسور بمعناه وبمعنى فاعل الختم ويقوي الوجه الاخير قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم
النبيين فلو كان له ابن بالغ جاز ان يكون نبيا كما قال النبي عم في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا
ولا يقدح فيه نزول عيسى لان معنى كونه اخر الانبياء انه اخر من نبي
ولا يتنبأ احد بعده مع انه اذا نزل كان على دينه عاملا بشرعه مصليا الى قبلته
متبعا لكتابه وسننه وعن ابن عباس يريد لو لم اختم به النبيين لجعلت له ابنا
يكون بعده نبيا وعنه ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير
رجلا وقراء الاعمش ولكن كان رسول الله وخاتم الانبياء وزيد بن علي وابن
ابي عبلة واليماني والخليل ولكن رسول وخاتم برفعهما وكان الله بكل شيء عليما بليغ العلم

وقراء الخليل يبلغون من الابلاغ ح

فيعلم من يستحق ان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه ولا يعلم احد سواه ذلك عن ابي هريرة قال رسول الله
صلعم مثلي ومثل الانبياء كمثل القصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون
من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت انا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي
البنيان وختم بي الرسل وعنه عم اول المرسلين آدم واخرهم محمد رواه ابن عباس رضي الله عنهما
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات او يعم انواع الثناء وما هو اهله من
التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وغير ذلك وعن ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها
حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا معلوما ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه
الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله
ذكرا كثيرا بالليل والنهار في البر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه
ابدا قلت بل المراد والله اعلم بالذكر الكثير ان يذكر على كل حال فان به النجاة من كل عقوبة وعذاب
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ايها الناس اذكروا الله على كل حال فانه ما من عمل احب الى الله وانجى من
كل سيئة في الدنيا والاخرة من ذكر الله عز وجل وقال عم ما عمل آدمي عملا انجى له من عذاب الله من
ذكر الله تع وسبحوه بكرة واصيلا وقولوا سبحان الله اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر
للدلالة على فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها ويجوز
ان يكون التسبيح محمولا على الصلوة وقيل بكرة يعني صلوة الفجر واصيلا يعني صلوة الظهر
وصلوة العصر وقال الكلبي واصيلا يعني صلوة الظهر والعصر والعشايين وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخواته وعن ابي هريرة
قال رسول الله صلعم اربع لا يمسك عنهن جنب ولا حايض سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقيل الفعلان اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم وصلى يوم الجمعة والمعنى المختار
المرضي عندنا دوموا على ذكر الله وتسبيحه واستغرقوا بهما ساعات ليلكم ونهاركم واحرصوا على ذلك
وذكر الله يشتمل كل ذكر طيب حسن من ماذكرناه ومن توحيد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وغير ذلك
مما كان رسول الله واصحابه يستغرقون به ساعات ليلهم ونهارهم هو الذي يصلي عليكم بالرحمة
وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام مما يصلحكم فقولك الصلوة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار
مشعر بان معنى الصلوة في نفسه واحد يختلف باختلاف المسند اليه ولا يدل على انها موضوعة
لمعان مختلفة باوضاع متعددة ليلزم الاشتراك فلا يكون لفظ الصلوة مشتركا بين المعاني المتعددة
كما زعم كثير من الناس وقيل المراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار
من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي ماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين
ترحما عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابوا الرحمة والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترءف حين يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة
والطاعة وقيل الصلوة من الله على العبد اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء

عليه

عليه وعن السدي قالت بنو اسرائيل لموسى ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام عليه فاوحى الله اليه ان
قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء ليخرجكم من الظلمات الى النور من
ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وقراد للتمثيل من الظلمة بالتوحيد وكان بالمؤمنين رحيما
حيث انعم عليهم بنعمة الايمان والنجاة من الكفر والعصيان وقيل حتى اعتنى بصلاح امرهم وانام قدرهم واستعمل
في ذلك ملائكة المقربين وهو دليل على ان المراد بالصلوة من الله الرحمة ويعضده ما روي عن انس انه لما نزل ان الله
وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الاية
تحيتهم يوم يلقونه التحية دعاء بالتعمير واضافتها الى الضمير من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم لقايه
عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة وعن انس عن النبي عم اذا جاء ملك الموت الى ولي الله فيسلم عليه
وسلامه عليه ان يقول السلام عليك يا ولي الله قم فاخرج من دارك التي خربتها الى دارك التي عمرتها واذا لم يكن وليا قال
له قم فاخرج من دارك التي عمرتها الى دارك التي خربتها سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وشدة واعد
لهم اجرا كريما ثوابا حسنا دايما على سبيل التعظيم وهي الجنة ولعل اختلاف النظم لرعاية الفواصل والمبالغة
فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا تشهد على امتك بتصديقهم وتكذيبهم مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم
قبول قول الشاهد العدل في الحكم وهو حال مقدرة نحو مررت برجل معه صقر صايدا به غدا اي مقدرا به
الصيد غدا ومبشرا لاهل الايمان والطاعة بالجنة ونذيرا ومنذرا لاهل الكفر والعصيان بالعذاب والنيران
وداعيا الى الله الى صراط الله كقولك وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله اي الى الاقرار به وبتوحيده
وبما يجب الايمان به من صفاته وافعاله ورسله واليوم الاخر وغير ذلك باذنه بامره وتيسيره اطلق لم من حيث
الله من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله ويسره وسراجا منيرا
يستضاء به عن ظلمات الجهالة وتقتبس من نور نبوته انوار البصاير ويمد به كما يمد بنور السراج نور الابصار وعنه عم
انزلت علي اية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال شاهدا على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار و
داعيا الى شهادة ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا بالقران ووصفه بالانارة وهي الاضاءة لزيادة نوره
وكماله فيه وفي الاخبار ان نور الانبياء كان من نور محمد عم وقال بعض الايمة ان الله تع اكرم رسوله بنور ظاهر
وهو القران وورث هذا النور على امته حتى استناروا بنوره من بعده والى اليوم الدين كما استنار
بنور الباطن من كان قبل من الانبياء مومنين بل كان به من قبل ادم نور السموات والارضين فما بنور السعادة
يكون التلاد وانما هو مخصوص بهذا الضياء وهو المطلوب من كل البلاد لا اطفات عنا نيران الهوى هذا
النور ولا بعثنا الا وهو محيط بنا يوم النشور والحمد لله على ما شرح به من الصدور والصلوة على محمد صاحب
النور وفي الحديث ان المؤمنين خلقهم الله من نوره وذلك فيما روى ابن عباس ان النبي عم قال ان الله تع خلقني
من نوره وخلق ابا بكر من نوري وخلق عمر بن الخطاب من نور ابي بكر وخلق المؤمنين كلهم من نور عمر غير
النبيين والمرسلين وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب
واذا ذكر المتفضل به وكبره فاظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل
وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على ساير الامم وذلك الفضل من جهة الله وانه اتاهم ما فضلهم به وهو عطف على مقدر
مثل وادع الناس الى الله وانذرهم وانما قدر ولم يذكر ظاهرا اختصارا ودلالة عليه بما تقدم وقيل ولعله

معطوف على محذوف مثل فراقب احوال امتك وفزاء الخليل فضلا كثيرا ولا تطع الكافرين و
والمنافقين معناه الدوام اى دم واثبت على ما انت عليه من مخالفتهم وترك اطاعتهم واتباعهم
او التهييج له عليه ودع اذاهم قال ابن عباس واصبر على اذاهم وقال الزجاج ولا تجازهم عليه
وهذا منسوخ باية القتال ويحتمل اضافته الى الفاعل والمفعول يعني ودع ايذاءك اياهم مجازاة ومؤاخذة على
كفرهم وايذاءهم اياك او دع ما يؤذونك به والمعنى اعرض عنهم غير ملتفت الى كفرهم ونفاقهم ولا مبال
بايذائهم او لا ايذائهم وتوكل على الله وفوض امورك كلها الى الله واسندها اليه او دم واثبت على التوكل
عليه فان العاقبة لك وما سبق به وعده من نصرتك عليهم وعصمتك من شرهم واعلاء كلمتك حق فهو
حسبك وكافيك وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه الامر باسرها في الاحوال عن آخرها يعني ان نصرتك
وحفظك مما في ضمان الله وضمان الله لا يخلف ولما وصفه الله تعالى بخمسة اوصاف وقابل كلا منها بخطاب يناسبه
قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على امته وهم شهداء على الامم وهو الفضل الكبير
والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب
للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب كانوا منذرين به في المستقبل
وقيل حذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده كالتفصيل وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين
والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة باذاهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من اناره برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه
يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي
وخلف تماسوهن بضم التاء وبالالف بعد الميم واصل النكاح الوطء ومنه قول الاعشى ومنكوحة غير ممهورة و
واخرى يقال لها قادها يعني المسبية الموطوءة ثم قيل للعقد نكاح مجازا تسمية للسبب باسم المسبب فان العقد
سبب للوطء المباح وعليه قوله تعالى اذا نكحتم المؤمنات اى اذا تزوجتم المؤمنات وقوله الزاني لا ينكح الا زانية
اى لا يتزوج والعقد والتزويج بمعنى واحد ولا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله الا بمعنى
العقد ونظيره تسمية النبات غيثا في قولهم رعينا الغيث لانه سبب للنبات والخمر اثما لانها سبب لارتكاب
الاثم وخص المؤمنات مع ان هذا الحكم الذي في الاية يستوي فيه المؤمنات والكتابيات تنبيها على ان من
شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته ويجتنب عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر فالتي في سورة
المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى
بالمؤمن من نكاح المؤمنات وفائدة ثم نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد
من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح والتراخي بها المدة في حالة الزوج ثم يطلقها وحكم الخلوة التي يمكن معها
المساس حكم المساس عند ابي حنيفة واصحابه فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها اى
تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه فلا عدة على غير المدخول بها
كما لا استبراء من امة لم يقربها مالكها او تعتدونها وتحصونها بالاقراء والاشهر وفي الاسناد الى الرجال دلالة
على ان العدة حق الرجال كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء
او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن



ضرارا لتعتدوا وقرأ الحسن من عدة تعتدونها قال ابو حاتم اظن انه اراد الادغام من تعتدونها فمتعوهن فاعطوهن
المتعة ان لم يكن مفروضا لها ولا يجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وان كانت المرأة مفروضا لها فالمتعة مندوبة ومستحبة
عنده وقيل واجبة وقال ابن عباس اذا لم يسم لها صداقا فلها المتعة وان كانت مفروضا لها الصداق فلها نصف
الصداق المفروض ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم وذهب بعضهم الى
انها تستحق المتعة بكل حال وسرحوهن وخلوا سبيلهن او اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير
المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها يحتمل
اعطاءها عاجلا وفرضها وتسميتها في العقد وليس تقييد الاحلال له باعطائها معجلة او بفرضها وتسميتها في العقد
لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها اى مما اعاده الله عليك يعني صيره لك ورده عليك وتخميسه
جعله فيئا لك اى غنيمة وتلك مثل صفية وجويرية ومارية وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك
وبنات عماتك يعني نساء قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعني نساء بني زهرة اللاتي هاجرن معك الى المدينة
ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة وان من هاجر منهن يحل له نكاحها دون من لا ويؤيده قول ام هانئ بنت
ابي طالب خطبني رسول الله حين فتح مكة فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر
معه كنت من الطلقاء وقيل نسخ شرط الهجرة بالتحليل وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره
ما قبله او عطف على قوله ازواجك اى احللنا لك امرأة مؤمنة ولا يدفع التقييد بان التي للاستقبال لان المراد بالاحلال
الاعلام بالحل اى اعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ولذلك نكرها
واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله امرأة وهبت نفسها منه وما كانت عنده امرأة
الا بعقد نكاح او ملك يمين وقال اخرون بل كانت عنده موهوبة نفسها واختلفوا فيها وقال قتادة هي ميمونة بنت
الحارث وقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الانصارية يقال لها ام المساكين وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل
هي ام شريك بنت جابر من بني اسد فقيل انه لم يقبلها وقيل بل قبلها ثم طلقها قبل ان يدخل بها وقال عروة بن
هي خولة بنت حكيم من بني سليم فارجاها فتزوجها عثمان بن مظعون وقرأ زيد بن علي وابو البرهسم وابو حيوة وامرأة
مؤمنة بالرفع على الابتداء او على وتحل لك امرأة مؤمنة وقرأ الحسن ان على التعليل بحذف اللام اى لان وهبت ويجوز
ان يكون مصدرا وقع ظرفا نحو آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود
وهبت بغير ان ان اراد النبي ان يستنكحها هو شرط للشرط الاول في استيجاب الحل لان هبتها نفسها
منه لا توجب له حلها الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا
ثم الرجوع الى الخطاب في قوله خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير
لاستحقاق الكرامة لاجله واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد ابو حنيفة على جواز انعقاد
النكاح بلفظ الهبة وذلك ان الهبة لفظ انعقد به نكاح النبي عليه السلام فينعقد به نكاح الامة لانه اسوة وقدوة
ولان الهبة عقد وضع في الشرع لملك الرقبة والنكاح لملك المتعة وذلك سبب لهذا فاطلق السبب
واريد المسبب هكذا قالوا والحق ان انعقاد النكاح بلفظ الهبة ليس بطريق اطلاق السبب على المسبب

لان الهبة ليست سببا لملك المتعة الثابتة بالنكاح للاختصاص بثبوت ملك الطلاق والايلاء والظهار بل بطريق
الاستعارة وهى اطلاق اسم المتباينين على الاخر لاشتراكهما فى لازم مشهور فمعنى النكاح مباين لمعنى الهبة لكونهما يشتركان
فى اثبات الملك وعند الشافعى لا ينعقد الا بلفظ النكاح والتزويج لقوله تع خالصة لك اجيب بان الخلوص ليس
فى اللفظ لان المجاز لا يختص بحضرة الرسالة بل فى الحكم وهو عدم وجوب المهر اى صحة النكاح بلفظ الهبة
مع عدم المهر مخصوصة بك اما فى غير النبى عليه السلام فالمهر واجب وايضا يجوز ان يكون المراد والله اعلم
انا احللنا لك ازواجك حال كونها خالصة لك اى لتحل ازواجه عليه السلام لاحد غيره كما قال وازواجه امهاتهم
وهذا مبنى على ان خالصة حال ويجوز ان يكون مصدرا موكدا مثل وعد الله اى خلص احلالها واحلال ما احللنا لك
على القيود المذكورة خلوصا لك ونظيرها فى المصدر العافية والكاذبة وان يكون صفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة
وقرئ خالصة بالرفع اى ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه
هذه المرأة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم من شرايط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء
حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم من الاحكام فى ملك اليمين او من توسع الامر فيها لانه كيف ينبغى ان يفرض عليهم
والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه خالصة دلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين
فى ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة والعكس اخرى اى لئلا يكون
عليك ضيق فى دينك للتوسيع بيان حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وذلك فى الجارية الهبة
وتسمية المهر واعطائه عاجلا ونكاح المهاجرات وفى دنياك حيث احللنا لك اجناس
النساء من المنكوحة والمملوكة والموهوبة بلا مهر وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه او للواقع
فى الحرج اذا تاب رحيما منعما على عباده بالتوسعة فى مكان الحرج وغيره ترجى من تشاء
منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضمها اليك وتضاجعها
او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لايهن شئت وتقسم لمن شئت او
او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبى عم
اذا خطب امرأة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه
اما ان يطلق او اما ان يمسك واذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق وعزل
فاما ان يخلى المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها والجمهور على ان الاية نزلت فى القسم بينهن
فان التسوية فى القسم كان واجبا فلما نزلت سقط عنه وصار الاختيار اليه وقيل نزلت
حين تغايرت وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت اية التخيير فاشفقن
ان يطلقهن فقلن يا نبى الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت ودعنا على حالنا
فارجاء بعضهن ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرة فكان تقسم لهن ما شاء
وآوى اليه بعضهن عايشة وحفصة وزينب وام سلمة فكان يقسم بينهن سواء وقيل لم يخرج
رسول الله احدا منهن عن القسم بل كان يسوى بينهن فى القسم مع ما اطلق وخير فيه الا سودة
فانها وهبت ليلتها لعايشة وقالت لا تطلقنى حتى احشر فى زمرة نسائك وقرا نافع وحمزة
والكسائى وحفص وابو جعفر وخلف ترجى بياء ساكنة والباقون ترجئ بهمزة مضمومة والمعنى



واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت عن القسمة وقيل طلقت بالرجعة فلا جناح عليك
فى شئ من ذلك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لاستواء حكم كلهن فيه ثم ان سويت
بينهن او رجحت بعضهن علمن انه بحكم او بوحيه فتطمئن نفوسهن ويحصل الرضى وقرة العيون
ويذهب التنافس والتغاير وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر بالبناء للمفعول
وقوله كلهن تاكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن وقرئ كلهن
بالنصب تاكيدا لهن اى يرضين بما اعطيت كلهن من الايواء الارجاء والايواء والعزل والابتغاء
وكان ذلك من خصايصه فرضين بذلك واخترنه على هذا التخيير الذى خيره الله فى صحبتهن وعن
بعضهم اتيتهن على كناية النفس والله يعلم ما فى قلوبكم اى يختص به علم جميع ما فى قلوبكم فيعلمكم
على حبه فاسرعوا فى احسانه وقيل فيه وعيد لمن لم يرض بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشية رسول الله
وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رسول الله وما فيه طيب نفسه
وقيل يعلم ما فى قلوبكم من امر النساء والميل الى بعضهن وكان الله عليما بذات
الصدور حليما لا يعاجل بالمواخذة بما كسبت قلوبكم فهو حقيق بان يتقى ويحذر لا يحل لك النساء
اى لا تحل لك واحدة من النساء لما تقرر ان حرف التعريف اذا دخل على الجمع يبطل الجمعية
ويراد الجنس وهو كالنكرة يختص فى الاثبات ويعم فى النفى كما اذا حلف لا يتزوج النساء او لا يكلم الناس
او لا يشترى العبيد فانه يحنث بالواحد لان اسم الجنس حقيقة فيه قرأ ابو عمرو ويعقوب
بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقى ولوجود الفاصل واذا جاز التذكير بغيره فى قوله
وقال نسوة كان معه اجوز وقيل جاز تذكير المسند الى الجمع وتانيثه على تاويل رسول الله
فى الازواج لما ان الاربع نصاب امته او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح
اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر بكلهن
او بعضهن بان تطلق واحدة وينكح مكانها اخرى وذلك انه عليه السلام لما خيرهن م
فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن وحرم عليه النساء سواهن ونهاه عن تطليقهن والابدال بهن
قاله ابن عباس وقتادة ومن مزيدة لتاكيد النفى يفيد استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا يحل
لك النساء من بعد الاجناس الاربعة التى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر
وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات من بعد المسلمات ولا ان تبدل بالمسلمات
غيرهن من اليهود والنصارى تقول لا يكون ام المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا ما ملكت يمينك
احل الله لك له ما ملكت يمينه من الكتابيات ان يتسرى بهن وعن الضحاك منعه من التبدل بازواجه
اللاتى فى حبالته ازواجا غيرهن فحرم عليه طلاقهن ولم يمنعه عن نكاح غيرهن
وعن ابى صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة
والخال والخالة ان شاء ثلثمائة وقيل فى تحريم التبدل هو من تبدل الجاهلية كانت العرب فى الجاهلية
يتبادلون فى ازواجهم يقول الرجل للرجل بادلنى بامرأتك وابادلك بامرأتى فينزل كل واحد

منها عن امانته لصاحبه فانزل الله ولا ان تبدل بهن من ازواج وعن ابي هريرة دخل
عيينة بن حصين على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عايشة من غير استيذان فقال رسول الله
يا عيينة اين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استاذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت
ثم قال من هذه الحميرا الى جنبك فقال هذه عايشة ام المؤمنين فقال عيينة افلا انزل لك عن
احسن الخلق فقال رسول الله عم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عايشة من هذا يا رسول
الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقرا الحسن تبدل بالجزم على النهي
ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو في موضع الحال من فاعل تبدل
لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن
وقال ابن عباس هي اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب فلما
استشهد اراد رسول الله ان يخطبها فنهي عن ذلك والمعنى انها ممن اعجبه حسنهن
والجمهور على ان الاية محكمة وعن عايشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلعم حتى
احل الله له النساء تريد ان الاية قد نسخت ونسخها اما بالسنة واما بقوله انا احللنا لك
ازواجك او بقوله ترجي من تشاء منهن وتووي اليك من تشاء على المعنى الثاني
الذي ذكر في تفسيره فترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف الا ما ملكت يمينك
قيل استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وعن ابن ملك بعد هؤلاء
لا مارية القبطية وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا
ما حد لكم وقيل هو تحذير عن مجاوزة الحد وتخطي حلاله حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يوذن لكم الا وقت ان يوذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام متعلق بيوذن
لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن
كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم
فوقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن
ولا تدخلوها الا غير ناظرين وقرا ابن ابي عبلة بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من
هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جايز عند البصريين وقرا حمزة والكسائي وهشام وخلف اناه بالامالة
لانه مصدر اني الطعام اني اذا ادرك كقولك قلاه قلى كان القوم يتحينون طعام رسول الله عم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه اي لا تدخلوا يا هولاء المتحينون للطعام الا ان يوذن
لكم الى طعام له اذنا خاصا وهو الاذن الى طعام فحسب غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا بعد الطعام لمهمتهم ولا مستانسين لحديث ولا طالبين
الانس لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له مجرور عطفا على ناظرين او منصوب بفعل
مقدر اي ولا تدخلوها مستانسين او ولا تلبسوا مستانسين روي ان رسول الله صلعم اولم على زينب
بتمر وسويق وشاة وامر انسا ان يدعو الناس فترادفوا افواجا ياكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله
دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا الطعام وتفرق الناس وبقي ثلث نفر يتحدثون عند النبي عم فاطالوا

المكث



المكث فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عايشة فقال السلام عليكم اهل البيت
فقالوا وعليكم السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن و
ودعون له ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان عليه السلام شديد الحياء فتولى فلما راوه متوليا خرجوا
فرجع ونزلت الاية ناهيا عن ذلك ان ذلكم اشارة الى الاستيناس الدال على اللبث وقيل الى اللبث كان يوذي
النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم محمول على تقدير المضاف
اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق لا ينبغي ان يستحيى منه ولما
كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يترك ترك الحيي منكم
وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عايشة حسبك في الثقلاء ان الله لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم
فانتشروا وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها على الحاء فاذا سالتموهن الضمير
لازواج النبي المذكورة في الاية المتقدمة على هذه الاية متاعا شيئا ينتفع به فاسالوهن المتاع من
وراء حجاب ستر قيل ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان
ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن ما راتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال
لو احتجبتن فان لكن على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب انك يا ابن الخطاب
لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وعن عايشة ان ازواجه عم كن يخرجن
بالليل لحاجتهن وكان عمر يقول للنبي صلعم احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة حرصا
على ان ينزل اية الحجاب فانزلها الله تع وقيل انه عليه السلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه
فاصابت يد رجل منهم يد عايشة فكره النبي ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم و
قلوبهن من الخواطر النفسانية والخيالات الشيطانية وعن انس قال عمر وافقني ربي في ثلثة
اشياء قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله انه يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين
بالحجاب فانزل الله اية الحجاب وبلغني بعض ما اذين به رسول الله فدخلت عليهن فجعلت
استقريهن واحدة واحدة قلت والله لتنتهين او ليبدلن الله ازواجا خيرا منكن حتى
اتيت على زينب فقال يا عمر اما كان في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت فخرجت
فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله وما صح لكم وما استقام ايذاء رسول الله وان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا من وفاته وفراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة في ايام
عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه السلام فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير نزلت الاية
في بعض اصحابه قال لين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة قال مقاتل
بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله تع ان ذلك محرم وعن النهي عن العالية
بنت ظبيان التي طلقها النبي عليه السلام تزوجت رجلا وولدت له وذلك كان قبل تحريم ازواج

النبي صلعم على الناس ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه بعده كان عند الله عظيما ذنبا
عظيما وفيه مع ما فيه من التسلية لرسول الله وتطييب نفسه ومسرة قلبه والتشريف عنه
تعظيم من الله له وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا
شيئا كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما بليغ العلم
بظاهر كل شيء وباطنه فيعلم ذلك فيجازيكم به عقوبة وعمم على اثر ذلك ليدخل فيه نكاحهن
وغيره ويفيد هم به مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا
اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء روي انه
لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب
فنزلت الاية ولم يذكر فيها العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله ابائك
ابراهيم واسمعيل واسحاق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفاها لابنائهما وابنائهما
غير محارم ولا نسائهن يعني نساء المسلمات حتى لا يجوز الكتابيات الدخول عليهن
او مطلق النساء ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقد مر في سورة النور ان عايشة اباحت
النظر لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وقيل من الاماء خاصة وهو
اقرب الى التقوى لان عبد المراة كالاجنبي خصيا كان او فحلا واين مثل عايشة في النساء واين
مثل عبدها في العبيد لا سيما في زماننا واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي
من الاستتار واحتطن فيه وفيما استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريق التقوى
في حفظهما وليكن عملكن في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن
ان الله على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه شيء من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه والتفاوت
في علمه الاحوال والاماكن والاوقات ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس ان الله يرحم
النبي والملائكة يدعون له وفي هذا اشعار بان معنى الصلوة في نفسه واحد يختلف باختلاف الموصوف
وقيل يصلون يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه وقال ابو العالية صلوة الله ثناؤه عليه عند
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء والجمهور على ان الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن
المؤمنين الدعاء وقراءة عبيد بن عمير وملائكته بالرفع على انه مبتدا خبره يصلون وحذف
خبران بقرينة المذكور تقديره ان الله يصلي ونظيره قوله تع ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه ادعوا له اي قولوا له صلى الله عليك فانكم اولى بذلك او اعتنوا انتم ايضا
فقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره ثم الصلوة على رسول
الله واجبة وكذا التسليم نظرا الى صيغة الامر واختلفوا في حال وجوبها فقيل تجب الصلوة كلما جرى ذكره وهو الاصح
لقوله عم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عم
هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني عنه لما اخبرتكم ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم
فيصلي علي الا قال ذلك الملكان غفر الله لك وقالت الملائكة لذينك الملكين امين وقيل يجب في كل مجلس مرة وان
تكرر

تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من
اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والاحوط الصلوة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار منها
قوله عم البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي ومنها ما ذكرناه اولا ومنها قوله عم من ذكرني فليصل علي
ومنها الاحاديث الاتية فامعن النظر فيها ولذلك قال الطحاوي الصلوة عند ذكر النبي عم تجب في كل مرة
ولم يرها ابو حنيفة واصحابه الصلوة عليه في الصلوة شرطا في جوازها وعن النخعي كانت الصحابة يكتفون
عن ذلك بالتشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي فقد جعلها شرطا في جوازها وتجوز الصلوة
على غيره تبعا كقولنا صلى الله على النبي واله وسلم ويكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا لذكر رسول
الله ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض وقال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يقف
مواقف التهم وكذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا وجليلا وعن ابي هريرة وعمار بن ياسر
قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تع ملكا اعطاه سمع الخلايق كلها وهو قائم على قبري
اذا مت الى يوم القيمة فليس احد من امتي يصلي علي صلوة الا سماه باسمه واسم ابيه قال يا محمد
صلى عليك فلان كذا وكذا فيصلي الرب على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وعن ابي طلحة جاء رسول
الله صلعم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال انه جاءني جبريل فقال يا محمد ان ربك يقول
اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك
الا سلمت عليه عشرا وفي مسند الامام احمد من صلى على النبي صلعم واحدة صلى الله عليه وملائكته
سبعين صلوة وفي الفردوس قال النبي عم اذا قال العبد اللهم صل على محمد خلق الله تع من تلك الكلمة
ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه في تخوم الارضين وراسه تحت العرش فيقول
صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه الى يوم القيمة وعن ابن مسعود وابي هريرة ان لله ملائكة
سياحين في الارض فضلا عن اهل الكتب يبلغوني عن امتي السلام وعن علي قال رسول الله صلعم
ان لله ملائكة خلقوا من النور لا يهبطون الا ليلة الجمعة ويوم الجمعة بايديهم اقلام من ذهب ودوي
من فضة وقراطيس من نور لا يكتبون الا الصلوة على النبي وعن ابي امامة عن النبي عم اكثروا من
الصلوة علي في يوم الجمعة فمن كان اكثرهم علي صلوة كان اقربهم مني منزلة وروى الكسائي عن الحسن
والبياء فصلوا عليه بزيادة الفاء ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه ولا يرضيانه
من الكفر والمعاصي او يؤذون رسول الله بشج وجهه وكسر رباعيته وقولهم ساحر شاعر مجنون
وغير ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولية وقيل في اذى الله ورسوله هو قول اليهود والنصارى والمشركين عزير ابن الله ويد الله مغلولة
وان الله فقير والمسيح ابن وثالث ثلثة والملائكة بنات الله والاصنام شركاءه وقيل قول الذين
يلحدون في اسمائه وصفاته وعن النبي صلعم يقول الله تع شتمني عبدي يقول اتخذ الله ولدا
وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد وعنه عم انه قال قال الله يؤذيني ابن
ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية شتمني ابن ادم ولم
ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله

ان الله لا يجيد له بعد ان يذله وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير وعن ابي هريرة سمعت النبي صلعم
يقول قال الله تعالى ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة او فليخلقوا حبة او شعيرة وعنه صلعم
اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون وقيل يؤذون الله او يؤذون اولياءه كقوله واسال
القرية اى اهل القرية وقال النبي صلى الله عليه وسلم من عاد لي وليا فقد اذنته بالحرب
ومن اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والولي اسم لمن امن بجميع ما جاء من عند الله وعمل الصالحات
واجتنب السيئات ونقيضه العدو وهو الكافر لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا نوعا من العذاب متناهيا في الاهانة فيذهب بعزهم وكبرهم والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق الاذى وقال مجاهد يقعون
فيهم ويرمونهم بغير جرم فقد احتملوا بهتانا افتراء وكذبا عليهم من بهته فلان بهتا وبهتانا اذا
قال عليه ما لم يفعله ومنه قول عبد الله بن سلام يا رسول الله ان اليهود قوم بهت جمع بهوت مبالغ
في باهت اسم الفاعل من البهتان والاحتمال مثل الاكتساب بناء ومعنى واثما مبينا ظاهرا الآية
فيه وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا عايشة
رضي الله عنها وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين يمشون في طرق المدينة يتبعون
النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوايجهن فيغمزون المراة فان سكتت اتبعوها وان ز
جرت انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكنهم كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان
زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فيشكون ذلك الى ازواجهن فذكروا
ذلك لرسول الله فنزلت ثم نهى الحراير ان يتشبهن بالاماء فقال يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين من جلابيبهن يرخين ملاحفهن عليهن ويسترن
بها وجوههن وابدانهن ومن تبعيضية او يحتمل وجهين ان يتجلببن من
بعض جلابيبهن غير متبذلات في درع وخمار كالاماء وان يرخين بعضها على البعض
وجوههن يتقنعن حتى يتميزن من الاماء وعن ابن عباس وعبيدة امرهن ان
يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة ليعلم انهن حراير
وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادنى ذلك ادنى ان يعرفن اولى واجدر
بان يعرفن ويميزن عن النساء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وقال انس
مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحراير القي القناع وكان الله
غفورا لما سلف من الفرطات والزلات والنكرات رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم الدينية والدنيوية
حتى الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون لم يرتدعوا ويمتنعوا عن نفاقهم وايذائهم والذين في قلوبهم مرض
فجور او ضعف ايمان وقلة ثبات عليه عن فجورهم وتزلزلهم في الدين والمرجفون في المدينة والذين يرجفون
باخبار السوء عن سرايا المسلمين فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت واكثر
الحدق ونحوها فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه
خبرا متزلزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة اى لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم

والفسقة

والفسقة عن فجورهم والمرجفون عن اخبار السوء لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم
او ما يضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة ثم لا يجاورونك فيها لا يساكنوك في المدينة عطف على لنغرينك
بدليل صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ولم يعطف بالفاء لانه ليس مسببا عن الاول وقد
جعل جوابا ثانيا للقسم عطف على الاول بثم دلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول اعظم
ما يصيبهم فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه الا قليلا جوارا او زمانا قليلا ريثما
يرتحلون بانفسهم وعيالهم ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء داخل على
الظرف والحال معا كما في قوله الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اى لا يجاورونك الا ملعونين
ولا يصح ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها اى اينما وجدوا وادركوا اخذوا وقيل قليلا هو منصوب على الحال
ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء وقرا عبيد بن عمير ملعونون على هم ملعونون
سنة الله في الذين خلوا من قبل في موضع مصدر مؤكد اى سن الله في الذين ينافقون
الانبياء ويسعون في وهنهم بالارجاف ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل
بدر واسروا ولن تجد لسنة الله تبديلا ان يبدلها احد لان ذلك مفعول له لا محالة وفي وضع المظهر
موضع المضمر تاكيد اخر يسالك الناس عن الساعة عن وقت قيامها واللام في الناس للعهد
اشارة الى المشركين واليهود لان الله عمى وقتها في التورية وغيرها او للجنس اشارة الى المسلمين
والكافرين جميعا لانهم كانوا جميعا يسالون عنه المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما
الكافر فليزيد استهزاء وانكارا وتعنتا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم
بانه علم قد استاثر الله به فقال قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم
بين لرسوله انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين فقال وما يدريك
لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او ذات قرب او في زمان قريب ويجوز ان يكون
تذكير القريب بناء على ان الساعة بمعنى البعث او اليوم ان الله لعن الكافرين
طردهم عن رحمته ولذلك يستهزؤن بالحق الذي لا بد لكل خلق من انتهايه اليه والاهتمام
بالاستعداد له واعد لهم سعيرا نارا مسعورة شديدة الايقاد خالدين فيها حال مقدرة
اى مقدرين الخلود فيها ابدا دايما واكد الخلود بالتابيد والدوام مبالغة في ذلك لا يجدون وليا يحفظهم
ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف وجوههم فيها من جهة الى
جهة كالبضعة التي يشوى بالنار او تدور في القدر اذا غلت او تطرح ابدانهم في النار مقلوبين منكوسين
وخص الوجه بالذكر تعبيرا عن الكل وهي الجملة باشرف اجزائه واكرمها وقرى تقلب بمعنى وتقلب
اى نحن وتقلب اى السعير وقرا ابن ابي عبلة وقرئ وابو البرهسم سنقلب وجوههم
ويوم منصوب بفعل مضمر مثل اذكر او بقوله يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فلن
نبتلى بهذا العذاب وعلى الاول يقولون حال وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون
قادتهم ورؤساءهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر ويعقوب ساداتنا على انها جمع سادة

تقلب

وهي جمع سيد دلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا قرئ بنوه لنا يقال ضل السبيل واضله اياه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص والكسائي واطعنا الرسول فاضلونا السبيل بغير الف في الوصل وحمزة وابو عمرو ويعقوب في الوقف ايضا والباقون بالالف في الحالين تشبيها للفواصل بالقوافي فان زيادة الالف لاطلاق الصوت وفايدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان مابعده مستانف واما اخذها فهو القياس ربنا اتهم ضعفين من العذاب مثلي ما اتيتنا من العذاب لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كثيرا كثير العدد وقراة عاصم كبيرا بالباء اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا فاظهر براته من قولهم او مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل في اذى موسى وذلك ان قارون استاجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على راس الملاء فعصمها الله كما مر في سورة القصص وقيل اتهام ناس اياه بقتل هرون حين خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملايكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراة موسى وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انهم كذبوا وانه بريء منه ويعضده قول نبينا صلعم ان موسى كان اذا اغتسل اعتزل وحده فقالت بنو اسرائيل ما يمنعه ذلك الا انه ادر فبينا هو ذات يوم يغتسل وقد وضع ثيابه على حجر فجمح الحجر بثيابه فاتبعه موسى وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر فضرب الحجر ست ضربات او سبع ضربات فاتى باديات في الحجر فلما نظرت بنو اسرائيل متجردا علموا انه ليس كما قالوا فذلك قوله تعالى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها رواه ابو هريرة وانس وذكره احمد والبخاري ومسلم والترمذي في كتبهم كما في الفردوس الكبير وقراة الخليل فبره بغير همزة وكان عند الله وجيها ذا جاه ومنزلة فلذا كان يدفع عنه التهم والاذى لئلا يلحقه ولا يوصف بنقيض ذلك كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وجاه وقراة ابن مسعود وابو حيوة والاعمش وكان عبدا لله وجيها وقال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في رمضان فسمعته يقرؤها وقراة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله وهذه ليست كذلك وقال ابن عباس وجيها عظيما عند الله لا يسال الله شيئا الا اعطاه وقال الحسن مستجاب الدعوة وقيل محببا مقبولا وفي مصحفه وكان عبدا لله وجيها بالاضافة وقراة اليماني وابو البرهسم وجيها بكسر الواو يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في رعاية حقوقه وحقوق عباده او في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يوذي رسوله وقولوا قولا سديدا قال ابن عباس صوابا والحسن صدقا وقتادة عدلا وقيل مستقيما وقال عكرمة هو قول لا اله الا الله وقيل قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل من سد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم وتسديد قولكم يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا فيظفر بالخير كله والجنة

تأكيد

تأكيد لما تقدم مما نهى عنه وامر به وبعث على عايته ومحافظته ولما علق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء فابين ان يحملنها واشفقن منها فامتنعن عن حملها وخفن منها او قاد بين الامانة كما تقرره وحملها الانسان يجوز ان يفسر الحمل بترك الامانة والامتناع عن ادائها من قولك فلان حامل الامانة ومحتمل لها بمعنى انه لا يوديها الى صاحبها حتى تزل عن ذمته ويخرج عن عهدتها بجعل الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها كما يقال ركبته الديون والمعنى انا عرضنا الامانة الطاعة على هذه الاجرام العظام فانقادت لامر الله انقيادا يصح من الجمادات واطاعت له طاعة يليق بها حيث لم تمتنع عن مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيات مختلفة واشكال متنوعة كما قال اتينا طايعين والانسان مع حيوته وكمال عقله وصلوحه للتكليف لم يكن حاله فيما يصح منه ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه مثل حال تلك الجمادات بل انه ان يكون محتملا لتلك الامانة موديا اياها ومن ثم وصفه بالظلم لانه تارك لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه طريق سعادته وهو اداء الامانة وان يفسر بتحمل التكلف من حملت الشيء على ظاهره والمعنى ان ما كلفه الانسان من عظمه وثقل محمله بحيث لو عرض على هذه الاجرام التي هي من اعظم خلق الله واقواه واشده تحملا واستقلالا لابين حمله والاستقلال به واشفقن منها وقد حمله الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته ثم غدر بالحمل ولم يف بالامانة ويعضد الاول قول الحسن حيث فسره بالخيانة كما سيجيء فمثل انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها فليس في تفسيره الاول حذف المعطوف مع حرف العطف اعني ثم غدر بالحمل فلا اختصار فيه من هذا الوجه وان اشتمل الوجهان على طي عرضناها على الانسان واياما كان فالعرض والاباء والاشفاق تمثيل وتصوير وتخييل وقال من السلف لما خلق الله هذه الاجرام خلق فيها فهما فقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا مخافة ان لا يقمن بها المعصية ومخالفة وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما والا لم يابين من حملها وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات الخمس وايتاء الزكوة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذه كلها الودايع وقال زيد بن اسلم الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرايع وقال مجاهد الفرايض وحدود الدين وقال الضحاك عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء بالعهود والجمهور على ان العرض على اعيان السموات والارض والجبال وقيل على اهلها كقوله واسال القرية ومن كلام الحكماء ان المراد بالامانة العقل والتكليف ومعرفة الاشياء كما هي عليه والعمل بالامور على ما ينبغي وتعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابايهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم القابلية والاستعداد والحصول بالفعل للسموات وعدم القابلية للجمادات وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها مع عدم الحصول بالفعل و

المراد بالطاعة الانقياد يناسب قول الاطوع بالجمادات والاليق بالعقلاء الاتيان الحقيقي فيكون بما لا يناسب بحصول العقل الحقيقي

وبكونه ظلوما جهولا غلبة القوة الغضبية والشهوية عليه ومعنى التعليل بذلك انه حمل العقل
وقبله ليكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما من التعدى والافراط والمراد بالانسان
الجنس بدليل التعليل الاتى وقيل آدم وعن مجاهد ما كان بين ان حملها وبين ان اخرج من الجنة
الا مقدار ما بين الظهر والعصر وعن ابن مسعود مثلت الامانة كصخرة ملقاة ودعيت
السموات والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطيق حملها وجاء آدم من غير ان
دعى وحرك الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن له احمل فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال لو اردت
ان ازداد لزدت فقلن له احمله فحملها الى حقوه ثم وضعها وقال والله لو اردت ان ازداد لزدت
فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد ان يضعها فقال الله تع مكانك فانها فى عنقك
وعنق ذريتك الى يوم القيمة وهو يعضد الوجه الاول وكذا قول الزجاج ان الله تع ايتمن آدم واولاده
على شىء وايتمن السموات والارض والجبال على شىء فالامانة فى حق بنى آدم ما ذكرنا من الطاعة
والقيام بالفرايض والامانة فى حق هذه الاجرام العظام هى الخضوع والطاعة لما خلقن وقوله
فابين ان يحملنها اى ادين الامانة من قولك فلان لم يحتمل الامانة اذا لم يخن فيها وعن الحسن
وحملها الانسان يعنى وحملها الكافر والمنافق اى خاناها وقوله ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما
لنفسه حين عصى ربه جهولا بامر الله وما احتمل من الامانة وقال الكلبى جهولا لا يدرى ما العقاب
فى ترك الامانة وقال مقاتل جهولا لعاقبة ما يحمل وعليك بتامل قوى فيما ذكرنا من الوجوه فى هذه الاية
وترك الاستعجال فيه ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على
المؤمنين والمؤمنات اللام فى ليعذب علة للحمل من حيث انه نتيجته كما ان التاديب علة للضرب
فى ضربته تاديبا له ويجوز ان يكون علة لعرضنا اى عرضنا ليظهر نفاق المنافق واشراك المشرك فيعذبهما
الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه اى يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان صدر منه تقصير
فى بعض الطاعات وذكر التوبة فى الوعد اشعار بان كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم
عن فرطات وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدى ويتوب الله
ومعنى قراة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا اثبت على اللوح كان
ذلك نوعا من عذاب القادر وقال مقاتل ليعذبهم بخيانة الامانة ونقض الميثاق ويهدى المؤمنين
والمؤمنات ويرحمهم باداء الامانة وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز
على طاعتهم عن رسول الله صلعم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من
عذاب القبر سورة سبا اربع وخمسون اية مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض اى لله الذى يختص به جميع ما فى العالم خلقا
ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال ذاته وانعامه بجميع النعم الدنيوية وله الحمد فى الاخرة لان جميع ما فى الاخرة ايضا
مختص به فالحمد بالله حقيق فى الدنيا والاخرة لا بغيره فان من اختص به خلق جميع النعم فى الدارين والانعام به لم يصح
ولم يستقم ان يرجع الحمد الا اليه ولم يكن احد احق منه باختصاص وقصر الثنا عليه وذلك ان قوله الحمد لله وقوله له الحمد
دلالة فى كل منهما على اختصاص الحمد بالله اى قصره عليه بدلالة لام الجنس عليه كما فى قولهم التفويض الى الله والكرم فى



العرب سيما مع لام الاختصاص وسيما مع تقديمها لان اصول النعم وفروعها منه واذا اختص
جنس الحمد به كان كل حمد راجعا اليه فالله هو المحمود على نعم الدنيا وهو المحمود على نعم الاخرة لانه
هو المنعم فيهما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق كما قال ان الله هو الرزاق ذو
القوة المتين والحمد اى نعم الدنيا المدلول عليها بقوله له ما فى السموات وما فى الارض تشمل
نعمة الوجود ونعمة البقاء اولا ونعم الاخرة المشار اليها بقوله وله الحمد فى الاخرة تتناول نعمة الوجود
والبقاء ثانيا ففى هذه الاية اشارة الى الايجاد والابقاء اولا والى الايجاد والابقاء ثانيا لان الوجود
والبقاء لا بد لهما من موجد ومبق وذلك هو الله وحده والايجاد والابقاء صفتان من صفاته
القديمة فقوله الحمد لله فيه فوايد منها ما ذكر ومنها تعليم للعباد كيف يحمدونه ومنها تنبيه لهم على ان
الله تع مستحق الحمد اولا لكمال ذاته وعظم صفاته لان الله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع
لجميع صفات الكمال على وجه الكمال وثانيا لجزيل نعمايه وجزيل الايه الواصلتان الى العباد الان وما
يصل اليهم غدا مما لا يعلم جزالته وعظمته الا الله وحده على ما ينبى عنه سياق الاية ومنها الانباء
عن كمال الوجود والتفضل والاحسان فان الوهبية هى التى تقتضى ذلك ومنها ان يتم الحامد على حمد ذاته
ويتوجه بشر اشره فى ثنايه دايما الى الجناب قدسه مشتغلا به سره عن غيره وفى قوله الذى له ما فى السموات
وما فى الارض تنبيه من حيث المقابلة على ان من لا يتصف بهذه الصفة لا يستحق ان يحمد فضلا ان يكون
الها ويعبد وقوله وله الحمد فى الاخرة اما عطف على قوله الحمد لله على معنى انه المستحق للحمد فى الدنيا لا الا الله
ولا مستحق الحمد فى الاخرة الا الله واما عطف على له ما فى السموات الاية اى الصفة قولك الحمد لله الذى
له الحمد فى الاخرة اى للذات الواجب الوجود الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال الذى يختص به الحمد فى الاخرة
ويقصر عليه ولا يتجاوز منه الى غيره وهو على كلا التقديرين من عطف المقيد على المقيد اما الثانى فظاهر
واما الاول فلان الوصف يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية وهى تحصيل بالعمل وبغيره بخلاف النعم الاخروية
فانها لا تحصل لاحد ولا تصل اليه الا بالعمل الصالح قال الله تع بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره
عند ربه وقال انما تجزون ما كنتم تعملون ثم الحمد فى الدنيا مما وجب على العباد واما فى الاخرة فليس بواجب
لسقوط التكليف به كما سقط ساير التكاليف لانه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها كما زعم اهل الاعتزال
اعتزال لعدم وجوب شىء على الله بل انما يوصلها الى مستحقها بناء على وعده المحتوم فان خلف الوعد
منه محال لكونه نقصا منافيا للالوهية وكمال الغنى وهو الحكيم باهر الحكمة فى كل شىء او الذى احكم
امور الدارين ودبرها على مقتضى الحكمة والصواب الخبير بليغ الخبرة والعلم بكل ما كان وما يكون
وقد احاط بكل شىء علما يعلم ما يلج فى الارض ما يدخل فى الارض كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى اخر
قال الله تع فسلكه ينابيع فى الارض وكالكنوز والدفاين والاموات وغير ذلك مما هى له كفات
وهذه الجملة يجوز ان يكون جملة برأسها لا محل لها وان يكون فى محل الرفع على انها خبر ثالث لهو او خبر مبتداء
محذوف وهذا ابلغ من الاول واحسن لافادتها الحصر دونه وفى محل النصب على الحال من الضمير فى الحكيم وهى حال
موكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان الحكيم لا يكون الا عالما وما يخرج منها من الحيوان والنبات والفلزات
ومواد العيون وغيرها وما ينزل من السماء كالملايكة والكتب والمقادير والامطار والثلوج والبرود

هى اسم جامع للجواهر يخ ما فى المعادن كلها

والصواعق والارزاق كما قال وفي السماء رزقكم وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد والا
بخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور البليغ الرحمة والمغفرة للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها او في الآخرة
مع ما لهم من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقرأ علي رضي ننزل بالنون مشددة وهي قراءة
حسنة بليغة لما فيه من الالتفات المبني عن التعظيم وقرأ الخليل وما يعرج بكسر الراء وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة واستبطاء لها على سبيل التهكم والسخرية كقولهم
متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وانكروه وربي لتأتينكم عالم الغيب اعادة
للايجاب مؤكدا بالقسم الذي هو الغاية في التوكيد والتشديد مقرر الوصف المقسم به بصفات تقرر
امكانه وتنفي استبعاده وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر ورويس عالم بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب وحمزة والكسائي علام بصيغة المبالغة وبالجر صفة لربي او بدلا منه
والباقون عالم بالجر وقرأ اليماني والخليل ليأتينكم بالياء لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في
الارض لا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه مقدار نملة صغيرة او هباءة وقرأ الكسائي لا يعزب بكسر الزاي
وكلاهما من العزوب وهو البعد ومنه الروض العازب والعزب اي البعيد من الناس ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه منقطع عما قبله مقرر له واجمع القراء على رفع اصغر في هذه السورة
على انه مبتدأ خبره في كتاب وقرئ في الشاذ بالنصب على انه اسم لا لنفي الجنس وهو في هذه القراءة ايضا
كلام مستقل بنفسه ونظيره لا حول ولا قوة بالرفع والنصب ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال ذرة
والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف بكونه صفة ووزن الفعل لان حرف الاستثناء يمنعه
الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل الغيب اسما للخفيات قبل ان يكتب في اللوح لظهوره بعده على الطالعين
لم فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطورا في اللوح هكذا قيل واعلم انه يجوز ذلك
ايضا اذا جعل الضمير فيه لله لان قوله الا في كتاب استثناء منقطع جاء بعد تمام الكلام والتقدير لكن كل في كتاب
مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها وقرئ ليأتينكم
بالياء على ان الساعة بمعنى اليوم او الفعل مسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان
تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك اولئك لهم مغفرة ستره ومحو لما فرط منهم ورزق كريم حسن
مرضي اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امره والذين سعوا في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين
مسابقين ظانين في زعمهم وتقديرهم انهم يفوتوننا وان كيدهم للاسلام يتم لهم وقرأ ابن كثير
وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان بها من اراده وهو حال مقدرة اولئك لهم عذاب من رجز
من اشد العذاب اليم رفعه ابن كثير وحفص ويعقوب صفة لعذاب وجره الباقون صفة لرجز وفيه
مبالغة من وجوه ثلث ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق هو فصل يفيد ان ما
بعده خبر للصفة والتوكيد واجاب ان فائدة الفصل ثابتة للمسند اليه ومن قرأ الحق بالرفع جعل هو ضميرا
مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو في محل الرفع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة
الساعين في الآيات وقيل في محل النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة
انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا والمراد بالذين اوتوا العلم الصحابة وسائر المؤمنين من هذه
الامة

الامة او مسلموا علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار او كفارهم اي وليعلم الذين لم يؤمنوا
من الاحبار انه هو الحق فيزداد واحسرة وغما ويهدي الى صراط العزيز الحميد الى صراط الله الغالب
على كل شيء الحقيق بالحمد كله في الدارين وهو دين الاسلام الذي يتوصل به الى العزة وحسن الحال في الدنيا
والآخرة كما ان الكفر هو الوسيلة الى الذلة والمذمة وسوء الحال فيهما وقال الذين كفروا هم قريش اي قال
بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلعم ينبئكم يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وقرأ
زيد بن علي والخليل ينبيكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تبعثون وتنشأون
خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم تمزيقا وتفرق تفريقا بحيث تصير ترابا او بعد ان يكونوا ترابا وتمزق
اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة
فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده لان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينهما
بان وممزق مصدر كما بيناه او مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتم
كل مطرح وقيل معناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول
فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح وجديد فعيل بمعنى فاعل عند البصريين
من جد وبمعنى مفعول عند الكوفيين من جد النساج الثوب اذا قطعه ومنه قولهم ملحفة جديد وعند البصريين
هو فعيل بمعنى فاعل شبه بفعيل بمعنى مفعول في استواء التذكير والتأنيث في الوصف به كقوله ان رحمة
الله قريب من المحسنين افترى على الله كذبا ام به جنة اهو مفتر على الله كذبا بما ينسب اليه من ذلك ام به جنون
يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه وحذفت همزة الوصل تخفيفا مع عدم اللبس ولم تحذف في السحر لئلا يلتبس
الاستفهام بالخبر لفتحها فيه واستدل به الجاحظ على ثبوت الواسطة بين الصدق والكذب فان قريشا حصروا
اخبار النبي عم بالحشر والنشر في الافتراء والاخبار حال الجنون على وجه امتناع الخلو وهو اي الاخبار
حال الجنة غير الكذب لانه قسيمه اذا المعنى اكذب ام اخبر حال الجنة وغير الصدق لانهم اعتقدوا عدم صدقه
فثبت ان من اخبر ما ليس بصادق ولا كاذب ورد هذا الاستدلال بان معناه ام به جنة ام لم يفتر فعبر
عن عدم الافتراء بالجنة لان المجنون لا افتراء له لان الكذب عن عمد ولا عمد للمجنون فالاخبار حال الجنة
قسيم للافتراء لا للكذب فيكون هذا حصرا للخبر الكاذب بزعمهم في نوعيه وهما الكذب عن عمد والكذب
لا عن عمد ثم رد الله عليهم ترديدهم بقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد اي
ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالحشر والنشر واقعون في العذاب
عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا
على عقولهم وجعل العذاب والضلال محيطين بهم احاطة الظرف بالمظروف فان اسباب العذاب معهم
فكانهم في وسطه وقيل جعل وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كاينان في وقت
واحد لان الضلال لما كان العذاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان ووصف الضلال
بالبعد مجازا لان البعد في الحقيقة صفة للضال لانه هو الذي يتباعد عن المنهاج المستقيم فكلما ازداد عنه
بعدا كان اضل ووصف به فعله كقولك جد جده ويجوز ان يريد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل
عن الطريق مكانا قريبا او بعيدا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم

الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه ويشاهدونه ويقرّونه حجةً عليهم
فانهم لما كفروا بالآخرة باصرارهم على انكار البعث وهو اصل مجادلتهم ومدارها جُوابها
احاط بهم من السماء والارض لانهم كانوا مُقرّين بان الله خالقهما وبانهما خلق عظيم لا يقادر
قدره وخلق الناس بالقياس اليه مهين قليل فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على خلق الانسان
مع مهانته اقدر وهمزة الاستفهام للانكار والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل أعَمُوا
فلم ينظروا الى ما احاط بامامهم وخلفهم من السماء والارض ولم يتفكروا انهما اعظم واشدّ خلقا
ام هم او لم يخافوا ان يخسف الله بهم الارض او يسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم الآيات
وكفرهم بالرسول ويعاجله به كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرأ حمزة والكسائي وخلف يشأ
يخسف يسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا والباقون بالنون وحفص كِسَفًا بفتح السين وهو
كقِطَع لفظا ومعنى والباقون بسكونها على انه مخفف من المفتوح كسِدْر تخفيف سِدِر او فعل
بمعنى مفعول كالطِحن وقرأ الخليل بفتح الكاف [مخفف] ان في ذلك النظر من السماء والارض والتفكر فيما يدلّان عليه
من قدرة الله لآية لدلالة واضحة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له في كل شيء فانه يكون كثير
النظر والتفكر في آياته وأموره ولقد آتينا داود منا فضلا يعني الزبور الذي فضله الله به وخصّصه
ونكّره قصدا الى تفخيمه وتعظيمه وانه فضل لا يوازيه فضل الفضلاء او على كثير من المؤمنين
كما قال وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقيل اي على سائر الانبياء وهو
ما ذكر بعدُ او على سائر الناس فيندرج فيه النبوّة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوّبي
معه رجّعي معه التسبيح وذلك اما بخلق الله التسبيح فيها كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها
ما يسمع من المسبّح معجزة له او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمّل ما فيها او سيري معه حيث سار وكان
وهب نوحي معه وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها
والطير باصواتها وقرئ أُوبي من الأوب وهو الرجوع اي ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه وقوله يا جبال
بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا يا جبال او قلنا يا جبال والطيرَ عطف على محل الجبال ويؤيده
القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا بمعنى وسخّرنا له
الطير او مفعول معه لأوّبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود
منا فضلا تأويب الجبال معه والطيور المنقادين لمشيئته غير ممتنعين عن امره لكنه عدل عنه الى ذلك دلالة
على عزّة ربوبيته وكبرياء الهيته وسلطانه وانه ما من شيء من الجماد والحيوان الا وهو تحت تصرّفه
ولا يخرج عن امره وقضائه وألنّا له الحديد اي جعلنا الحديد في يده لينا كالطين والشمع يصرفه كيف
يشاء من غير نار ولا ضرب بطرقة وقيل لان الحديد في يده لِما أوتي من شدّة القوّة ان اعمل
امرناه ان اعمل وان مفسّرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات
بالصاد وهو اول من اتخذها وقيل كانت قبله صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف درهم
وقيل كان يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة آلاف درهم فينفق منها الفين على نفسه وعياله ويتصدّق
باربعة آلاف على الفقراء وقيل كان يخرج حين ملك بني اسرائيل متنكّرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول

لهم

لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيّض الله له ملكا في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم
الرجل داود لولا خصلة فيه فربع داود فسأله فقال ما هي يا عبد الله فقال انه يأكل ويطعم عياله
من بيت المال فسأل عن ذلك ربه ان يسبّب له ما يستغني به عن بيت المال فعلّمه صنعة الدروع وقدّر في السرد
وقدّر في نسجها عند ذلك [illegible] بحيث يتناسب خلقها وقيل قدّر مساميرها فلا تجعلها دقاقا
فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وردّ بان دروعه لم تكن مسمّرة ويؤيده قوله وألنّا له الحديد والسرد نسج
الدروع ويقال لصانعها السرّاد والزرّاد واعملوا صالحا الضمير لداود واهله انّي بما تعملون بصير
عليه لا اضيع عمل عامل منكم ومن غيركم ولسليمان الريح اي وسخّرنا لسليمان الريح وقرئ الريحُ
بالرفع اي ولسليمان الريح مسخّرة وهي قراءة ابي بكر وقرأ ابو جعفر الرياح بالجمع والنصب غدوّها شهر
اي جريها بالغداة مسيرة شهر ورواحها شهر وجريها بالعشي مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت
ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل كان يتغدّى بالري ويتعشّى بسمرقند واسلنا له عين
القطر النحاس المذاب واراد بعين القطر معدن النحاس اسالَه له كما الان الحديد لابيه فنبع
منه كما ينبع الماء من العين ولذلك سمّاه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام ومن
الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من مبتداء وخبرها باذن
ربه بامره قال ابن عباس سخّر الله الجنّ لسليمان وامرهم بطاعته فيما يأمرهم به ومن يزغ منهم عن
امرنا ومن يعدل منهم عمّا امرناهم به من طاعة سليمان وقرئ يُزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير
النار المسعورة الشديدة الايقاد في الآخرة او في الدنيا او فيهما جميعا وقرأ ابن يعمر اذيقه بالالف والرفع وعن
ابن عباس والسدّي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه ضربة من حيث لا يراه الجني
روايته فمن زاغ منهم عن امر سليمان ضربه ضربة احرقته يعملون له ما يشاء من محاريب من قصور حصينة
ومساكن شريفة سمّيت محاريب لانها يذبّ عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد والابنية المرتفعة ومنها
بيت المقدس بناها باللآلئ واليواقيت وسائر الجواهر الثمينة وعن عبد الله بن عمر وقال رسول الله صلعم
لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلثا فاعطاه اثنين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالث سأل
حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأل ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ان لا يأتي هذا
البيت احد يصلّي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وانا ارجو ان يكون قد اعطاه ذلك ومنها
الحصون باليمن من الصخر وتماثيل قيل هي صورة الملائكة والانبياء والصالحين كانت تعمل في المساجد
من نحاس وصفر ورخام وزجاج ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم ولعلها كانت مباحة في شرعهم
كما ان عيسى كان يعمل صورا من الطين فينفخ فيها فتكون طيرا باذن الله وقيل كانوا يصوّرون السباع
والطيور وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرّما ويجوز ان يكون صورا غير صور الحيوان كصور
الاشجار وغيرها لان التماثيل كل ما صُوّر على صورة غيره من حيوان وغير حيوان وصورا محذوفة الرؤوس
وروي انهم عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان
له ذراعيهما واذا قعد اظلّه النسران باجنحتهما وجفان وصحاف جمع جفنة كالجواب اي كالحياض الكبار
الجوابي فيها الماء اي تجبى جمع جابية من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقيل كان يقعد على الجفنة

الواحدة الف رجل يأكلون منها وقرأ ابو عمرو وورش كالجوابي باثبات الياء وصلاً وابن كثير ويعقوب وصلاً ووقفاً والباقون بحذف الياء اكتفاءً بالكسرة كقوله يوم يدع الداع **وقدور راسيات**
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها **اعملوا ال داود شكرا** حكاية ما قيل لهم وشكرا مفعول له
اى اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه والائه او حال اى شاكرين او مصدر من غير لفظ
فعله لان العمل له شكر او وصف له او مفعول به يعنى انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا
انتم شكرا على طريق المشاكلة وال منصوب بتقدير حرف النداء والمراد به سليمان لان هذا الكلام
قد ورد فى خلال قصته وخطاب الجمع للتعظيم او اولاده او كل من ينفق عليه او كل من يأتى منه الشكر
من امته **وقليل من عبادى الشكور** اى المبالغ فى الشكر على النعماء والالاء وقيل المتوفر على اداء
الشكر الباذل وسعه فيه بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته
وعن ابن عباس من يشكر على احواله كلها وعن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى
عجزه عن الشكر وعن جعفر بن سليمان سمعت ثابتا يقول ان داود جزّأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تكن تاتى ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان من ال داود قائم يصلى
وعن النبى صلعم اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ان داود من اشكر العابدين وايوب صابر الدنيا
والاخرة وعنه عم ان فى كلمة ال داود وعبرة ينبغى للعاقل اللبيب ان لا يشغل نفسه الا فى اربع ساعات
ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يلقى فيها اخوانه الذين ينصحونه فى
نفسه ويخبرونه بعيوبه وساعة يخلو بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان هذه الساعات
واستجمام القلوب بفضل بلغة وينبغى للعاقل اللبيب ان يكون مالكا للسانه عارفا بزمانه مقبلا
على شانه مستوحشا من اوثق اخوانه **فلما قضينا عليه الموت** اى على سليمان وقرئ قُضى **ما دلهم على موته**
اى ما دل الجن وقيل ال داود **الا دابة الارض** اى الارضة او صيغت الى فعلها وهو الارض من أرضت الخشبة ارضا
اذا اكلتها الارضة وقرئ الارَض بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها من ارضت الخشبة ارضا فأرضت نحو
اكلت القوادح الاسنان اكلا فأكلت فهو من باب فعلته ففعل قال مدين بن شعيب سمعت عبد
الله بن بحر يقول قرات على يعقوب بن اسحق الحضرمى الدابة ارضة **منساته** اى عصاه من نسأت البعير
اذا طردته لانها يطرد بها وقرا الكوفيون وهشام ويعقوب منساَته بفتح الهمزة وابن ذكوان منسأْته
بسكونها والباقون منساته بالالف وهو لغة اهل الحجاز والهمزة تميمية وقرئ مَنساته بفتح الميم ومنسة
بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس ومنساءته على مفعالة كما يقال الميضادة فى الميضاة ومن سأته اى
من فرط عصاه سميت بساءة القوس على الاستعارة وفيها لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته
**فلما خر تبينت الجن** علمت الجن علما بينا مكشوفا ينتفى عنده الشكوك وينزاح الشبه **ان لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين** انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا موته حيث ما وقع فلم يلبثوا بعده حولا
فى تسخيره الى ان خر وظهر الجن وان مع صلتها بدل منه بدل الاشتمال نحو تبين زيد جهله اى ظهر ان الجن لو كانوا
يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وقرا رويس تُبُيِّنت الجن مبنيا للمفعول على ان المتبين فى المعنى هو ان مع ما
فى صلتها لانه بدل وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس لو كان الجن يعلمون الغيب وعن الضحاك

تباينت

تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت ويعضد هاتين القراءتين قول النبى صلعم ان نبى الله سليمان قال اللهم عمّ
على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتوا عصا فقام فتوكأ عليها فمات والجن لا يعلمون
بموته حتى خر فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين فقدروا قدرها
فاذا هى سنة فاكلتها الارضة فشكرت الجن الارضة فكانت تاتيها بالماء رواه ابن عباس وذكره الطبرانى فى معجمه
وروى انه كان من عادة سليمان ان يعتكف فى مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين
واقل من ذلك واكثر فلما دنا اجله لم يصبح الا راى فى محرابه شجرة نابتة فيسالها لاى شئ انت فتقول لكذا
حتى اصبح ذات يوم فراى الخروبة فسالها فقالت نبتت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى
انت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عمّ على الجن
موتى حتى يعلم الناس انهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بى فاعلمنى فقال قد امرت بك
وقد بقى من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا
على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن
شيطان ينظر اليه فى صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا
سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا
يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فعلم الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى ان داود اسس
بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فمات قبل اتمامه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما
بقى من عمره سنة سال ان يعمى عليهم موته ليتموه ويفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروى ان افريدون
جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه والجمهور على ان عمر سليمان
كان ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقى فى ملكه اربعين سنة وابتداء عمارة بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه واما قول من خالفهم فقد ذكرته فى سورة النمل **لقد كان لسبا** لاولاد سبا بن يشجب
بن يعرب بن قحطان وقرا ابو عمرو والبزى لسبأَ بفتح الهمزة من غير تنوين على انه غير منصرف للتعريف
والتانيث بجعله اسما للقبيلة او المدينة وقنبل لسبأْ بسكون الهمزة بنية الوقف والوصل والباقون لسبإٍ
بالجر والتنوين على انه اسم للحى او الاب الاكبر او الموضع بتاويل اهل سبا او ولد سبا وعن فروة بن مسيك القطيعى
قال رجل يا رسول الله اخبرنى عن سبإ اكان رجلا او امراة او ارضا قال عم كان رجلا من العرب ولد له
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج
وانمار وحمير فقال رجل ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم
وغسان وسبا هو ابن يشجب **فى مسكنهم** فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مارب بينها وبين
صنعاء مسيرة ثلاث وقرا الكسائى وخلف مسكِنهم بالقصر وكسر الكاف مثل المسجد والمطلع وحفص وحمزة
مسكَنهم بفتح الكاف والباقون مساكنهم بالجمع لما كان لكل واحد منهم مسكن **آية** عبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا
فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم او علامة دالة على الصانع المختار واحسانه ووجوب شكره
وقدرته على جزاء المحسن والمسئ معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان **جنتان** بدل من آية

او خبر مبتداء محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراة من قرا جنتين بالنصب على المدح ومعنى كونهما آية ان جعل من من قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهما منهما الخمط والاثل اية للان جعلهما في انفسهما اية والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة اخرى عن شماله كل واحدة منهما في تقاربهما وتضامهما كانها جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او بستانان لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة على انهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلى المكتل مما يتساقط فيه من الثمر وقوله طيبة قيل ليست بسبخة وقال ابن زيد لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الرجل يمر ببلدهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها من طيب الهوا وقال مقاتل وربكم ان شكرتم فيما رزقكم غفور للذنوب وقرى بلدة وربا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اشكروه واعبده فاعرضوا عن شكر الله على تلك النعم وعن وهب بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمة الله عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة علينا فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع فذلك قوله فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او للجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس يسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه نقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدوها سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة ويقال للمكدس من الطعام عرمة وقيل اسم الوادى الذى جاء السيل من قبله وقيل المطر الشديد وقيل ما احمر ارسله الله عليهم من حيث شاء وقرى العرم بسكون الراء وكان ذلك في الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط الاكل هو الثمر والخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة اى ثمر مر بشيع وقيل شجر الاراك وعن ابى عبيدة كل شجر ذى شوك وقرا نافع وابن كثير اكل بسكون الكاف منونا والكوفيون وابن عامر وابو جعفر اكل بضم الكاف منونا والباقون بضم الكاف وبالاضافة الى الخمط ووجه من نون ولم يضف ان اصله ذواتى اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان او انه وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتى اكل بشيع واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا اكل له وقرى واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة او التهكم والسدر ورق شجر النبق ووصف السدر بالقلة لان ثمره وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وعن الحسن قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقيل ذلك السدر لم يكن مما ينتفع به بل كان سدرا بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشئ ذلك جزيناهم بما كفروا اى ذلك الذى فعلنا بهم من ارسال السيل وتبديل جنتيهم وتخريبهما جزيناهم بكفرانهم النعمة وبكفرهم بالانبياء وفي هذه الاية دليل على بعث الانبياء بين عيسى ومحمد عم وما قيل من انه لم يكن بينهما نبى يعنى به نبى ذو كتاب والله اعلم وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام او للتعظيم او للاهانة لانه عذاب ذهب به عزتهم وكبرهم

وهل

وهل يجازى الا الكفور قرا حمزة والكسائى وابو بكر وخلف ويعقوب نجازى بالنون والكفور بالنصب والباقون يجازى على البناء للمفعول والكفور بالرفع اى ولا يجازى ذلك الجزاء المخصوص الا البليغ في الكفران والكفر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله وقال مجاهد وهل يعاقب الا الكفور فعلى هذا يستقل بافادة المراد على الاول لا بل توقف على ما قبله فهو على الوجهين تذييل ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى وفيه نظر لقوله كذلك يجزى كل كفور بعد قوله والذين كفروا لهم نار جهنم وقال مقاتل وهل يكافا بعمله السئ الا الكفور لله في نعمه وقال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى اى جيوة يجزى الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها بكثرة الماء والشجر والسعة في العيش للفقير والغنى وهى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها من بعض لتقاربها او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل فلم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقيل كانت قراهم اربعة الاف قرية وسبعماية قرية متصلة من سبا الى الشام وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادى في قرية ويبيت الرايح في قرية الى ان يبلغ الشام ولا يحتاج الى حمل زاد من سبا الى الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال فانهم لما مكنوا من السير وسويت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن لهم فيه ليالى واياما متى شئتم من ليل ونهار امنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين للخاوف وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت اياما وليالى او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسالوا ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وعجل لهم في الاجابة وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا باعد برفع ربنا على الابتداء خبره باعد وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله من قرا ربنا بعد ما بين اسفارنا وبوعد بين اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما تقول سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرا الزهرى بعد بين اسفارنا بضم النون وظلموا انفسهم ببطر النعمة والطغيان وعدم الاعتداد بها فجعلناهم احاديث اخبارا يسمعها الناس ويتحدثون بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايادى سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما قصصنا عليكم من قصصهم لايات لعبرا وحججا واضحة وبراهين قاطعة لكل صبار على البلايا والمشاق او عن معاصى الله شكور لنعمائه والائه او لكل مؤمن كامل لان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فهو الذى يكل همته ويحبس نفسه على النظر في ايات الله ويتبعها بالتامل في نعم المنبثة في الافاق والانفس وقال مطرف هو المؤمن اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرا الكوفيون صدق بتشديد الدال بمعنى وجد ظنه صادقا او حقق ظنه عليهم والباقون بتخفيفها اى صدق في ظنه او صدق عليهم بظن ظنه نحو فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وقرى صدق بالتخفيف ونصب ابليس ورفع الظن بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيل له اغواءهم

الطغيان بيان

يقولون صدقك ظنك وبالتشديد مع نصب ابليس ورفع الظن بمعنى وجده ظنه صادقا وبالتخفيف
مع رفعهما بمعنى صدق عليهم ظن ابليس فيكون ظنه بدل الاشتمال من ابليس وذلك اما ظنه باهل سبا حين
راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم النبي ضعيف العزم او ما ركب فيه من الشهوات و
الغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من
المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وقال ابن عباس والسدي يعني المؤمنين كلهم لان المؤمنين
لم يتبعوه في اصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين
او الا فريقا من المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان من تسلط و
استيلاء بالوسوسة والاغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك العلم ههنا ليس بمحمول على حقيقته
لان علم الله وشموله واحاطته بكل شيء من الموجود والمعدوم في الدنيا والآخرة بل هو مجاز عن التمييز اي لنميز
المؤمن بالآخرة من الشاك فيها او عن الجلاء والايضاح اي لنجلي المؤمن بالآخرة من الشاك فيها قال رسول الله
صلعم ان الله قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيمة كما انظر الى كفي هذه جليا جلاها
الله لنبيه كما جلاها للنبيين قبلي رواه ابن عمر رضي الله عنهما او علل التسلط بالعلم والمراد ما يلزمه وقيل
ما تعلق به العلم مبالغة اي الا ليتحقق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك
او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله وفي نظم الصلتين بالفعل المضارع وبالاسمية نكتة لا تخفى
وقرأ الزهري الا ليعلم بالياء والبناء للمفعول وربك على كل شيء حفيظ محافظ عليه وفعيل
ومفاعل متآخيان قل للمشركي قومك ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف
الاول وهو الضمير الراجع الى الموصول لطول الموصول بصلته والثاني وهو آلهة لقيام صفته من دون الله مقامه
ولا يصح ان يكون هو مفعوله الثاني لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا لا يملكون لانهم ما كانوا
يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد من دون الله والمعنى
ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح
دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من
خير او شر او نفع او ضر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية
كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والنفع والشر والضر سماوية وارضية
والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم فيهما في هذين الجنسين من شرك من شركة في الخلق والملك والحكم
وما له منهم من ظهير من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من كمال العجز والبعد عن
صفات الالهية واحوال الربوبية فكيف يصح ان يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ولا تنفع الشفاعة عنده ولا تنفعهم
شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا ينفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له وفيه تكذيب
لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله واللام على الاول كاللام في اكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ نافع و
ابن عامر وعاصم وابن كثير وابو جعفر ويعقوب اذن مبنيا للفاعل والباقون اذن على البناء للمفعول
حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظارا للاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من
الشافعين والمشفوع لهم هل يؤذن لهم اولا وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص

كما يدل

كما يدل عليه قوله رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا الى قوله الا من اذن له الرحمن
كانه قيل ينتظرون ويتوقفون مليا فزعين وهلعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع واخرج عن قلوب
الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن ولما تباشروا بذلك قالوا اي سال بعضهم بعضا
ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق اي قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقيل الضمير في قلوبهم للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وهو الله
وحده والباقون فزع على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع بالتخفيف بمعنى فزع بالتشديد وقرئ فرغ عن قلوبهم
اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع
الى زيد اذا علم ما المدفوع وقرئ افرنقع عن قلوبهم اي انكشف عنها وعن عيسى بن عمر النحوي انه سقط
عن الحمار واجتمع الناس عليه فقال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني وكذا عن ابي علقمة
حين هاج به المرار واجتمع الناس عليه والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقمطر من
حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقوله الحق وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
المشركين عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا
به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء شانا وسلطانا ذاتا وصفاتا قولا وفعلا فلا
يتكلم احد الا باذنه وتيسيره وعن مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة
وخمسين سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلعم كلم جبرئيل بالرسالة الى محمد فلما سمعت الملائكة
ظنوا انها الساعة لان محمدا عند اهل السموات من اشراط الساعة فصعقوا بما سمعوا خوفا من قيام الساعة
فلما انحدر جبرئيل جعل يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال
ربكم قالوا الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقال النواس بن سمعان قال رسول الله صلعم اذا اراد الله ان
يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تع فاذا سمع بذلك
اهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبرئيل فيكلمه الله من وحيه بما اراد ثم
يمر جبرئيل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها قالوا ماذا قال ربنا يا جبرئيل فيقول جبرئيل قال الحق
وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرئيل فينتهي جبرئيل بالوحي حيث امره الله وعن ابي هريرة
قال النبي عم اذا قضى الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض
يريد به تقديره قوله لا يملكون والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات وهو كل ما ينبت
ويخرج من الارض قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم مقرون به بقلوبهم وان ابوا
ان يتكلموا به وتلعثموا عنادا وحذرا من الزام الحجة وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي
وان احد الفريقين من الموحدين والمشركين لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وقيل اي وان احد
احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في
ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على
من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونحوه قول
الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا

كاذب ومنه قول حسان اتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء وقيل انه على اللف وفيه نظر واو
ههنا لمجرد ابهام واظهار نصفة لا للشك ولا للتشكيك الى غير ذلك فانه لم يذكر قوله اواياكم في معرض التورية
والتشكيك بل فيه اضمار اصل اخر وهو انا لسنا على ضلال في قولنا الله يرزقكم من في السموات والارض فانه
الذي يرزق من السماء بانزال الماء ومن الارض باخراج النبات فاذا انتم ضالون بانكار ذلك وتحقق
هذه الصورة انا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهذا اصل ومعلوم انا لسنا في ضلال وهو
اصل اخر فيلزم من اجتماعهما نتيجة ضرورية وهو انكم في ضلال مبين وذهب الظاهريون الى انها بمعنى
الواو واهل التحقيق لا يرضون به واختلاف الحرفين الداخلين على الحق والضلال لان الهادي الذي هو صاحب
الحق كانه استعلى على مكان عال مرتفع ينظر الاشياء ويتطلع عليها او على فرس جواد يركضه كيف يشاء
والضلال كانه منغمس في ظلام مرتبك لا يرى شيئا ولا يدري اين يتوجه او متردي في بير عميق او محبوس
في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها وفي حرف ابي وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون
عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى
انفسهم والعمل الى المخاطبين سواء اراد بالاجرام مطلق الذنوب على ما يدل عليه كلمة ما او الصغاير التي
لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي وما في الطرفين مصدرية وان احتملت غيرها قل يجمع
بيننا ربنا يوم الجمع ذلك يوم التغابن ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحق الجنة والمبطل
النار وهو الفتاح الحاكم الفصل في القضايا كلها العليم بما ينبغي ان يقضى به وبمن يقضى له وعليه لا يخفى
عليه شيء من ذلك كما لا يخفى عليه ما عداه ذلك قل اروني الذين الحقتم به شركاء لاريكم بانه صفة الحقتموهم
بالله في استحقاق العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وهل يجمعون بيننا وهو بيان للحالة القياسية اليه
واستفسار عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم وقرا طلحة اروني بسكون الياء كلا
ردع لهم عن مذهبهم من اعتقاد المشاركة والحاق الشركاء بالله في التسمية واستحقاق العبادة
بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم
وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله بل هو الله العزيز الحكيم اي
الموصوف بكمال الغلبة والقدرة والحكمة واين هؤلاء الملحقون من هذه الصفات لاتسامها بكمال الذلة
والنبوعن قبول العلم والقدرة بالكلية وهو راجع الى الله وحده او ضمير الشان كقوله هو الله احد
وما ارسلناك الا كافة للناس انتصبت كافة على انها صفة لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة
عامة للناس محيطة بهم من الكف لانها اذا عمتهم وشملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم
او حال من الكاف اي ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية
والعلامة ولا يجوز ان يكون حالا من الناس لامتناع تقدم حال المجرور عليه كما امتنع تقدم المجرور على
الجار بشيرا ونذيرا مبشرا للمؤمنين بان لهم الجنات ومنذرا للكافرين بان لهم عذاب مقيم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولذلك خالفوك ولم يطيعوك وكرر ذكر الناس تخصيصا للجهل بنعمتي البشارة
والنذارة ونعمة الرسالة بهم وانهم هم الذين لا يعلمون فضل الله بذلك عليهم ولا يشكرونه ويقولون من
فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين

الخطاب



الخطاب لرسول الله والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد على ان الميعاد مصدر او اسم زمان
واضافته الى اليوم للتبيين كقولك سحق ثوب والدليل على الاخير قراءة من قرا ميعاد يوم بابدال اليوم منه وجوز
ان يكون الرفع على التعظيم وقرئ يوما بالنصب على المدح اي اعني يوما لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
لا يتاخرون عنه ولا يتقدمون اذا فاجاكم سالوا عن ذلك انكارا وتعنتا فاجيبوا على طريق التهديد
بجواب مطابق لما قصدوه بسؤالهم من الانكار والتعنت وانهم متعينون ليوم يفاجيهم لا يقدرون
تاخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما نزل قبله من
الكتب الدالة على صحة ما بشر به محمد وانذرهم من الجنة والنار والحشر والنشر وصدقه وقيل ان كفار
مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول فاخبروهم انهم يجدون صفته في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن
جميع كتب الله المتقدمة في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون
القرآن من عند الله وان يكون لما نطق به من البعث للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومالهم في الاخرة مخاطبا
لرسوله او لكل من يليق بذلك الخطاب بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم في موضع المحاسبة
اي محبوسون عنده على اطراف انامله للحساب والجواب وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا شنيعا
وانما حذف ليذهب نفس السامع كل مذهب ممكن فلا يتصور مكروها الا ويجوز ان يكون الامر اعظم منه ولو
تعين شيء اقتصر عليه وربما خف امره عنده وانما دخلت لو على المضارع لتنزيله منزلة الماضي لان المترقب في اخبار
الله كالماضي المقطوع به في تحقق وقوعه او لاستحضار صورة رؤية الظالمين موقوفين عند ربهم متقاولين
بتلك المقالات لان المضارع يدل على الحال الحاضر الذي من شانه ان يشاهد فكانه يستحضر بلفظ المضارع
تلك الصورة ليشاهدها المخاطب يرجع بعضهم الى بعض القول يتراجعون القول ويتجاذبون اطراف المحاورة
والمجادلة يقول الذين استضعفوا اي يقول الاتباع الذين عدوا ضعفاء للذين استكبروا اي للرؤساء الذين
تبالغوا في التكبر والتعظم عن عبادة الله وقبول قول المنزل على انبيائه لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا
عن الهدى والايمان لكنا مؤمنين مصدقين مذعنين لما وجب اذعانه وقبوله قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى ادخلوا همزة الانكار على الضمير ليفيد نفي الفعل عنهم وثبوته
لغيرهم كقولك ما انا قلت هذا تريد لم اقله مع انه مقول لغيري اي لم نصدكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين بل انتم صددتم انفسكم عن الايمان به حيث تبالغتم في الاجرام والاثام باعراضكم
عن الهدى وايثاركم التقليد عليه وفي هذا الاضراب دليل على ان الاستفهام المذكور بمعنى الانكار المراد به النفي
وقيل اذ صممتم على الدخول في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال
على الهدى والطعم امر الشهوة دون امر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد
بل مكركم لنا دائما ليلا ونهارا وحملكم ايانا على الشرك واتباع الضلال والاهواء ومعنى مكر الليل والنهار
مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او جعل ليلهم
ونهارهم ماكرين مجازا وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة والامل فيهما وقرئ مكر الليل والنهار بالتنوين
ونصب الظرفين ومكر الليل بالنصب على المصدر اي تمكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي مكرا دائبا لا تفترون
عنه وقرا سعيد بن جبير بل

قال قتادة بل مكركم في الليل
والنهار نصب اي لكم مكر فينا ليلا
ونهارا عن سعيد بن جبير بل مكر
الليل والنهار يريد الكرور اي اختلافهما
صح

مكر الليل والنهار بفتح الكاف وتشديد الراء اى بل صدنا كرور الليل والنهار واما الرفع كما في العامة فعلى الابتداء
او الخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم سبب ذلك اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا منصوب
على الظرف او العلة كقولك اهنته اذ شتمني واكرمته اذ نصحني وانما قال قال الذين استكبروا للذين استضعفوا بغير
عاطف لانه استيناف كان قائلا قال لهم كبراؤهم الذين هم قادتهم ورؤساهم في الكفر واتخاذ الانداد
فقيل قال الذين استكبروا وجاء بالعطف في كلام المستضعفين ليعطفه على كلامهم الاول واسروا الندامة لما راوا
العذاب اى واخفاه المستكبرون الندامة على ضلالهم واضلالهم والمستضعفين على اتباعهم وضلالهم
عن غيرهم مخافة التعيير او اظهروها فكانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته
وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل يتذمون على ذلك وجعلنا الاغلال في اعناق الذين
كفروا اى في اعناقهم فوضع المظهر موضع المضمر تنويها بذمهم ودلالة على موجب اغلالهم هل يجزون
الا ما كانوا يعملون اى لا يفعل بهم ما يفعل الجزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع
الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها اكابرها ورؤساؤها واغنياؤها وفي هذا
سلوان وثلج لصدر رسول الله عم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة
بالدنيا وزينتها والمفاخرة والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين
خير مقاما واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له ما قال لرسول الله اهل
مكة وقيل تخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا
الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا
انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا ولو لم يرض الله بما نحن
فيه من الدين والعمل لما خولنا ما خولنا مما ترون من التكاثر في الاموال والاولاد فنحن اولى بما تدعونه ان امكن
فقال سوى امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امر الدنيا واعتقدوا اعتقادا جزما
انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم
ذلك قالوا وما نحن بمعذبين لعدم تحقق العذاب رأسا على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل
او كونهم مكرمين بذلك فلا يهانون بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و
ويقدر اى ربي وحده هو يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء دون غيره فربما وسع على
العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما فلا يدل البسط على رضى الله
واكرامه ولا التضييق على سخطه واهانته ولا يقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الايمان والعمل
الصالح وقدر الرزق تضييقه قال الله ومن قدر عليه رزقه وقرئ ويقدر مثقلا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ذلك فيحسبون على مقتضى جهلهم ان كثرة الاموال والاولاد للرضا والشرف والكرامة وكثيرا ما
يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال بالتي اما لان المعنى وما جماعة
اموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي تقربكم فان الجمع المكسر عقلاء وغيره سواء في حكم التانيث او لانها
صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرأ الحسن باللاتي لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اى بالشيء الذي يقربكم
والزلفى والزلفة والقربى والقربة بمعنى واحد ومنه ازلفهم اى قربهم وازدلف اليه اى اقترب وقال الاخفش قربى

اسم مصدر

اسم مصدر كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول يقربكم اى الاموال
والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله ويعلم اولاده الخير ويربيهم على
الصلاح والطاعة او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف وقال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني فاولئك
لهم جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول والمعنى ان يجازيهم الله الضعف العشر فما فوقه وعن رويس
عن يعقوب قرأ جزاء الضعف بنصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه ورفع الضعف على انه
فاعل الظرف او مبتدأ قدم عليه خبره والجملة خبر اولئك وقرئ جزاء الضعف مرفوعان على ابدال الضعف
من جزاء وقرأ الخليل الضعف بفتح الضاد بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من كل مكروه وقرئ في الغرفات
بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في الغرفة على ارادة الجنس وروى الاعمش عن يحيى في الغرفة بضمتين والذين يسعون
في آياتنا بالابطال والطعن وتزهيد الناس فيها معاجزين سابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ومعجزين اى مثبطين عن الايمان بها من اراده وقرأ الحسن معجزين من الاعجاز اولئك في العذاب محضرون
مدخلون لا يغيبون عنه قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه
اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه يعوضه
ويعطيه خلفه عاجلا او آجلا او فيهما جميعا ولما كان اقامة مصالح العباد من اجل الطاعات واشرف العبادات لانها
من وظيفة الانبياء والصالحين دلهم الله تع في الآية على طرف منها حثا عليها كما قال النبي صلعم بعثا للامة عليها
قال الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله وعن ابي هريرة قال النبي صلعم ان لله تع ملكا بباب من
ابواب السماء يقول من يقرض اليوم يجازى غدا وملكا بباب اخر يقول اللهم اعط المنفق خلفا و
عجل للممسك تلفا وعنه قال عم ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعن ابن عباس قال النبي صلعم ان الله لما خلقهم
كيف شاء وصورهم على ما شاء تحت عرشه الهمهم ان ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم
مرتين الا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله عليه في الدنيا والآخرة الا من ضيق ضيق الله عليه الا ان
الله تع قد اعطاكم لنفقة درهم على عيالكم سبعين قنطارا والقنطار كجبل احد وزنا انفقوا ولا تحبسوا ولا تضيقوا
ولا تقتروا وليكن اكثر نفقتكم يوم الجمعة وقال عم ان الله قال انفق انفق عليك رواه ابو هريرة وقال جابر
قال رسول الله عم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه
كتب له بها صدقة قال عبد الحميد قلت لمحمد بن المنكدر ما يعني ما وقى به عرضه قال ما اعطى للشاعر وذو
وذو اللسان المتقي وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة في بنيان او في معصية
الله تع وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد ولا يتأول هذه الآية وما انفقتم من شيء فهو
يخلفه فهو في الآخرة وان الرزق مقسوم ولعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده
ثم يبقى طول عمره في فقر ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وهذا القول مع ما فيه من التقييد المخالف للظاهر
ضعيف لانه يخالف بعض ما ذكرنا من الاحاديث وقوله عم ان لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة
مع الخلق قال الله تع وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فاذا انت لم تنفق كيف يخلف الله تع فالصواب ان يقال ان هذا
في الدنيا والآخرة لا في الآخرة كما قال مجاهد رحمه وهو خير الرازقين لان غيره وسط في ايصال رزقه ولا حقيقة
لرازقيته

بيان فضيلة الصدقات

اقناطا

ويوم نحشرهم جميعا هؤلاء الكفار من المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون
تقريعا للمشركين وتبكيت لهم واقناط لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله وقرأ حفص ويعقوب يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما حملا
على ما قبلهما من الغيبة والباقون بالنون نقلا من الغيبة الى التكلم وهو ابلغ قالوا سبحانك تنزيها لك انت ولينا من
دونهم اولى خلاف العدو اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله
ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون
الجن اكثرهم بهم مؤمنون اي يعبدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين
صور قوم من الجن وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوهم وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام اذ اعبدت
فيعبدون بعبادتها والضمير في اكثرهم للانس او المشركين وعلى هذا الاكثر بمعنى الكل والضمير في بهم للجن فاليوم لا يملك
بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا لان الامر يومئذ لله اذ الدار دار الجزاء ولا مجازي للخلق احد غير الله ونقول
للذين ظلموا انفسهم بالكفر والتكذيب وهو عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون تخرفون على التكذيب بها واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الاعجاز او حججا وبراهين
تدل على صدق محمد وحقية رسالته وهي حال موكدة قالوا ما هذا يعنون محمدا صلعم الا رجل يريد ان يصدكم يمنعكم
عما كان يعبد اباؤكم عما كانوا في الزمان الماضي المتطاول على عبادته مصرين عليها وانما قالوا رجل بالتنكير مع
ان رسول الله عم كان علما مشهورا فيما بينهم ليقصدوا بتنكيره الطنز والتهكم والتلهي متجاهلين به و
وبامره وليصفوه بما وصفوه من ارادة ما هو من اعجب العجاب عندهم من نفي الاشراك المستلزم للاثبات
التوحيد كما قال الله تع مخبرا عنهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقالوا ما هذا اشارة الى القران
الا افك كذب لعدم مطابقة ما فيه من الحق ما هو الواقع الثابت عندهم من الباطل الذي هو الكذب الكذب
وقراءة الخليل افك مفترى يختلقه لم يفعل قبل مثله او يفتريه على الله او موصوف بالافتراء وهو الكذب
عن محمد وليس بمعجزة من عند الله ولقد كذبوا وسجلوا على انفسهم بالافتراء والعناد والمكابرة لعلمهم قطعا ويقينا
بان القران العظيم هو ام الايات واصلها واساسها واعظمها في باب الاعجاز ولذلك قال كبيرهم عتبة بن ربيعة والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اي وقال اولئك الكفرة المتوغلون في الكفر المتمردون
بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل العلم به ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته لا شبهة فيه
ومعنى التوقع في قوله لما جاءهم انهم بادهوه بالتكذيب والجحود اي كذبوا به وجحدوه على البديهة ساعة اتاهم
واول ما سمعوه قبل التدبر ومن غير اجالة فكر ولا اعادة نظر تقليدا لابائهم الجهلة الضلال وكذبوه بعد
التدبر تمردا وعنادا ومكابرة ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا وجاء بكلمة التوقع ليشعر انهم
هلموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي فلم يتبقنوا عجزهم عن اخرهم فكذبوه وجحدوا به بغيا
وحسدا ووضع المظهر موضع المضمر اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان هذا القول لا يجترئ عليه الا المتمادون في الكفر
الضمير بها
المنهمكون في الباطل والغي الذين قال فيهم اولئك هم الكافرون حقا وقيل للحق لامر النبوة او الاسلام وفيه نظر لانه عدول عن
الظاهر ولذلك لم يقل به القدماء وايضا اللام للعهد اشارة الى القران السابق ذكره ولم يطابق ذلك قوله ان هذا الا سحر مبين
بل يأباه وينعى الاجمع وقيل في تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما

في لما

وما في لما من المصادمة بالكفر والمبادهة الى البت تمهيدا للقول دليل على صدور الكلام من انكار عظيم وغضب
شديد وتعجب من امرهم بليغ وقراءة الخليل ساحر مبين بالالف وما اتيناهم من كتب يدرسونها
اي وما اتيناكم كتبا يدرسون فيها برهانا على صحة الاشراك فدخلت من الاستغراقية على المفعول تاكيدا للنفي والدرس
قراءة الكتاب باعمال النظر فيه طلبا لادراك معناه وقرأ ابو البرهسم تدرسونها وقرأ ابو حيوة يدرسونها و
وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم اميون اهل جاهلية لا ملة لهم ولم ينزل الله عليهم كتابا
ولا بعث اليهم رسولا فليس لتكذيبهم وجحودهم وجه تشبث اهل الكتاب بكتاب من كتب الله وتعلقوا بشريعة
من شرايعهم واستندوا الى رسول من رسله فان زاغوا ازاغ الله قلوبهم ثم توعدهم على تكذيبهم وهددهم
بقوله وكذب الذين من قبلهم وكذب الذين تقدموهم من القرون الخالية والامم الماضية كما كذب قريش واهل مكة
وما بلغوا معشار ما اتيناهم المعشار بمعنى العشر كالمرباع بمعنى الربع اي وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك
امم الماضية
من طول الاعمار وقوة الاجسام وكثرة الاموال وما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء قريش من البينات والهدى
فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي فحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال فليحذر هؤلاء من مثل
هلاكهم
ولا تكرير في كذب لان الاول للتكثير والثاني للتكذيب والاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء وقرئ يدرسونها
من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس
قل انما اعظكم اوصيكم وامركم او ارشدكم وانصح لكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا لله
لانه عطف بيان لها وهو القيام عن مجلس رسول الله صلعم وتفرقهم عن مجمعهم عنده او الانتصاب في الامر والنهوض
فيه خالصا لله معرضا عن كل كدر من المراء والتقليد والرياء مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا
لان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ويقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور
عجاج الغضب ولا يسمع الا نصرة المذهب ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به لتطلعوا على حقيقته فان الاثنين يتفكران
ويعرض كل منهما محصول فكره على الاخر وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما
عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يتفكر في نفسه بعدل ونصفة
من غير ان يكابرها ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم وقيل محله
الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هي او اعني ما بصاحبكم من جنة يجوز ان يكون المعنى ثم تتفكروا
فتعلموا ما بصاحبكم من جنون يحمله على ذلك ويجوز ان يكون هذا كلاما مستانفا تنبيها من الله على ان علمهم بانه ارجح
قريش عقلا وارزنهم ظاهرا وباطنا واوزنهم قولا واجمعهم فضل محمد عليه ويمدح به كاف في ترجيح صدقه فان مثله
لا يدعو ان يتصدى لادعاء امر خطير عظيم وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس
الاشهاد ويلقي نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة ويجوز ان يكون ما استفهامية اي ثم تتفكروا اي
شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه لانه مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم
من اجر ما شرطية مفعول تقديره اي شيء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم جزاء الشرط والمراد نفي سؤال الاجر راسا
كما نفى عنه الجنة بالكلية كانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون
لغرض او غيره واياما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما على ابلغ وجه او موصولة اراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه

نسم الريح اوله حين تقبل بلين قبل ان تشتد ومنه الحديث بعثت في نسم الساعة اي حين ابتدأت واقبلت اوايلها صحاح

من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد اى مطلع لا يخفى عليه اى ما لى الا على الله وهو على كل شىء حفيظ مهيمن يعلم صدقى وخلوص نيتى والا لا اسأل الا عن نصيحتكم ودعائكم الى الاسلام ولا الطمع منكم فى شىء وابن كثير وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب وخلف اجرى بسكون الياء على الاصل والباقون بفتحها وما للتخفيف والمعنى اجرى مقصور على الاتصاف بعلى الله لا يتجاوزه الى الاتصاف بعليكم فهو من قصر الموصوف على الصفة دون العكس كما يسبق الى بعض الاوهام قل ان ربى يقذف بالحق القذف الرمى بوجه الشهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتها بمعنى الالقاء ومنه وقذف فى قلوبهم الرعب ان اقذفيه فى التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزل الى انبيائه او يرمى به الباطل فيدمغه ويذهقه او يرمى به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب خبر بعد خبر لان او خبر مبتدا محذوف او بدل من المستكن فى يقذف او صفة محمولة على محل ان واسمها وقرئ بالنصب صفة لربى او على المدح وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث وقع وضمها وقرئ بفتحها كالصبور على انه مبالغة غائب وقرأه الاعمش وهو علام قل جاء الحق اراد به القرآن او الاسلام وقيل ارادهما جميعا وقيل السيف وما يبدئ الباطل وما يعيد يعنى وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحى لانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك قال افقر من اهله عبيد فاليوم لا يبدئ ولا يعيد وقيل الباطل الاصنام وعن ابن مسعود دخل النبى عم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل الاية وقال قتادة والكلبى وهو ابليس والمعنى ما ينشئ خلقا ولا يعيده انما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اى لا ينفعهم فى الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون ما استفهامية منتصبة بما بعده والمعنى اى شىء ينشئ ابليس ويعيده وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قل ان ضللت فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الحاملة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحى الى ربى لان اهتداءها فى كل ما ينفعها بهدايته وتوفيقه وهذا حكم يعم كل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به وقيل ان كفار مكة قالوا له انك ضللت حين تركت دين ابائك فامره الله تعالى بان هذا انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه شىء منها وقرأ ابو حيوة ضللت بكسر اللام اضل بفتح اللام والضاد وعن ابن وثاب يضل بكسر الالف على لغة تميم ولو ترى اذ فزعوا الخطاب لرسول الله عم او لكل من يتأتى منه الرؤية ودخول لو على الماضى لصدوره منزلة الماضى لانه كلام من لا خلاف فى اخباره والمستقبل عنده بمنزلة الماضى فى تحقق الوقوع وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا عظيما وحالا هائلة ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة او وقت الموت او يوم بدر وعن ابن عباس نزلت فى خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او بحصن واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم وهو عطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على فلا فوت بمعنى اذا فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وبنصره

اسم بئر يلقى فيه موتى الكفار

انه قريب

الله قربى واخذ عطفا على محل لا فوت اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا امنا به بمحمد وقد سبق ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة وذلك حين عاينوا العذاب وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشىء قريب وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم مثلت حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشىء من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وحفص وابو جعفر ويعقوب التناوش بالواو والباقون بهمز الواو المضمومة كما همز نعت واواد ادؤر ووقتت ونحوهما وعن ابى عمرو التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى اى اخيرا وقيل من نأشت الشىء اذا طلبته قال رؤبة اقحمنى جار ابى الجاموش اليك ناش القدر النؤوش وقيل اى كيف لهم تناول ما بعد وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا فى الدنيا فضيعوه وعن ابن عباس انه قال يسألون الرد الى الدنيا فقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان بعيد اى من الاخرة الى الدنيا وقيل فان تناول الايمان فى حين التكليف وقد بعد عنهم وقد كفروا به بالقرآن او بمحمد او بالعذاب او بالبعث او قيام الساعة من قبل ان عاينوا العذاب واهوال القيامة فى دار التكليف ويقذفون بالغيب عطف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية اى وكانوا يتكلمون بالغيب اى بما غاب علمه عنهم وهو قولهم فى رسول الله شاعر ساحر كذاب وفى القرآن سحر وشعر وافك وفى الاخرة لا بعث ولا جنة ولا نار وتكلمهم بالامر الذى لم يظهر لهم بالمشاهدة ولا بالعقل ولا بالوحى بل بالظن والتخمين وقد تكلموا بهذا الغيب من مكان بعيد من جهة بعيدة عن علمه وقيل من جانب بعيد من امره وهو الشبهة التى يحملوها فى امر الرسول او حال الاخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه وقرئ ويقذفون مبنيا للمفعول على معنى ان شياطينهم يلقون اليهم ذلك وقيل ويقذفون عطف على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل وقيل من نعيم الدنيا وزهرتها وقرأ ابن عامر والكسائى ورويس باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم انهم كانوا فى شك من ما وجب به الايمان واليقين مريب موقع فى الريبة والتهمة او ذى ريبة منقول من المشكك او الشاك وصف به الشك كما تقول شعر شاعر للمبالغة عن رسول الله عم من قرأه سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبى الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة مكية خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله اى كل المحامد مختصة بالله لا تتجاوز منه الى من سواه فى الدنيا والاخرة والارض والسموات اذ لا خالق لهما ولا منعم بنعمة فيهما سواه كما اشار اليه بقوله فاطر السموات والارض مبدعهما ومبتدئهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه واضافته غير لفظية لانه بمعنى الماضى وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت ادرى ما فاطر السموات حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما فطرتها اى ابتدأتها وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة جاعل الملائكة اضافته محضة مثل فاطر او غير محضة على حكاية الحال رسلا مفعول ثان او حال مقدرة ان كان جاعل بمعنى خالق اى وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يتوصلون اليهم آثار صنعه وقرئ جاعل بالرفع على المدح رسلا بسكون السين

قال النبى عم من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيمة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى الابواب شئت

او اجنحة بدل من رسلا او نعت له اى اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في التمكنة الخاص والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة ومنعت الصرف للعدل والصفة لانها معدولة لا تكون الا صفة او لتكرير العدل فيها فانها معدولة باعتبار صيغتها وتكريرها والاول جمهور النحاة والثاني ما ذهب اليه ابن السراج وقد تبعه الزمخشري حيث لم يعتبر الوصفية فيها لعدم اعتبارها في المعدول عنه بدليل انهم ان قالوا مررت بنسوة اربع ورجال ثلثة وهو يؤول الى ما قال ابن السراج من ان فيها عدلين لفظيا ومعنويا لانه مثنى معدول عن لفظ اثنين وعن معناه وهو الاثنين مرة واحدة الى معنى اثنين اثنين والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اى لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربع اربع وكانه لم يرد حصر هذه الاعداد ونفي ما زاد عليها ويؤيده الروايات الاتية في قوله يزيد في الخلق ما يشاء يجوز ان يكون مرفوعا على هو يزيد ومنصوبا حالا من الجرور في لله والجار عاملا فيها وان يكون جملة براسها لا محل لها كقوله الحمد لله ونظيره في احتمال هذه الوجوه كلها يحيي في قوله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والوجه الاول احسن لافادته الحصر والاختصاص وانه هو وحده يزيد دون غيره ولا دلالة عليه في الاخيرين واللام في الخلق للجنس وهو بمعنى المخلوق والمعنى يزيد في الخلق كله بدنا كان او اجزاءه كالراس والوجه والفم واللسان والجناح الى غير ذلك ما يقتضيه مشيته وتوجبه حكمته الربانية قال انس قال رسول الله صلعم ان لله تع ملكا له الف راس في كل راس الف وجه في كل وجه الف فم في كل فم الف لسان يسبح الله بكل لسان بالف لغة فقال يا رب هل خلقت خلقا هو اعبد مني قال نعم رجل من بني آدم الحديث وقال علي وابن عباس ان للروح سبعين الف وجه وفي كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تع بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفا ونحن نقول ان الله تع صانع العالم والعالم بما فيه من العجايب الفائتة للحصر صنع الله وتاليفه وابداعه والنفس جزء من اجزاء العالم مملو بالعجايب فيرى الباحث فيه عجايب صنعه وبدايع خلقه فلا يزال مستفيدا بالبحث زيادة اعتقاد وتاكد ايمان فان البحث عن صنع الله يزداد في قلب الباحث عظمة الله وجلاله ويزداد بسببه يقينه وايمانه ويزداد نفسه له تعظيما واجلالا وتوقيرا واعتقادا ولذلك حث الله تع على التفكر في الافاق والانفس وملكوت السموات والارض او للعهد اشارة الى الملائكة روي ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن ابن مسعود انه قال في تفسير قوله تع لقد راى من آيات ربه الكبرى راى جبرئيل في صورته ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي انه سال جبرئيل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله في ليلة مقمرة فاتاه جبرئيل في صورته فغشي على رسول الله ثم افاق وجبرئيل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين يديه فقال سبحان الله ما كنت ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل فلو رايت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير وروي ان رسول صلعم في قوله يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط وقال قتادة الملاحة في العينين وقيل العقل والتميز وكل هذه الاقوال مندرج تحت الوجه الاول الذي ذكرته اندراج الاخص تحت الاعم وقيل الجملة استيناف للدلالة على ان تفاوت الملائكة في ذلك مقتضى مشيته ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم في لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات الصور والمعاني

كملاحة

وتمام العقل

كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير بليغ القدرة على كل شيء ممكن وتفاوت الخلق من الممكنات وتخصيص بعضها بالتحصيل دون بعض انما هو من جهة مشيته وارادته ما يفتح الله للناس ما شرطية في محل النصب بيفتح والفتح في الحقيقة الظفر بالشيء ومنه انا فتحنا لك فتحا مبينا واستعير ههنا للاطلاق والارسال لانه مسبب عن الظفر كما ان العرفان مسبب عن البلاء في قوله ونبلو اخباركم والدليل على هذا التجوز قوله فلا مرسل له مكان فلا فاتح له والمعنى اى شيء يطلق الله لهم من رحمته من بيان لما اى من نعمة وامن وعلم ونبوة وغير ذلك ونكرها للاشاعة والابهام اى من اى رحمة كانت سماوية او ارضية فلا ممسك لها فلا احد يقدر على امساكها وحبسها لان هذه الرحمة مبذولة عليهم بحكم الجود والكرم الالهي غير مصنون على احد ولكن لا يعرف عاقل ما انفتح على انبياء الله واوليائه من مزايا رحمته وبدايع لطفه وكرمه اذ لا يعرف حقيقة النبوة الا النبي كما لا يعرف الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما انفتح له من العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر واكثر الناس اطفال وصبيان اذ كانوا ابناء السنين لانه من ههنا يبتني تفاوت الناس في الفضل والترقي ودرجات الترقي خارجة عن الحصر اذ لا نهاية لمعلومات الله التي هي محض الرحمة وبها يقرب العبد من الله تع قربا بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ومن رحمة الله ايضا على الناس ان خلق الانسان بنفسه على كبيره في المعنى صغيرا في الجثة فجمع في شخصه مع صغر حجمه عجايب توازي عجايب كل العالم حتى كانه نسخة مختصرة من هيئة العالم ليتوصل بالتفكر فيها الى اشراف انواع العلم واجلها وهو العلم بالله وصفاته وافعاله اذ فيه كمال الانسان وفيه كمال سعادته وصلاحه وقربه من حضرة الكمال والجلال وهو المقصود من فطرتهم اعني ان المقصود من فطرة الناس ادراكهم من القرب من الحضرة الالهية وما يمسك واى شيء يمسكه ويحبسه فلا مرسل له فلا احد يقدر على ارساله واطلاقه واختلاف الضميرين بالتانيث والتذكير مع رجوعهما في الحالين الى ما المتضمن معنى الشرط حملا على المعنى في الاول وعلى اللفظ في الثاني فانث على معنى الرحمة وذكر على لفظ ما ولا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير ثم تفسير الثاني اما مثل تفسير الاول فترك لدلالة المذكور عليه او مطلق في كل ما يمسكه من رحمة وغضبه وفي تفسير الاول وتقييده بالرحمة دون الثاني ايذانا بان رحمته سبقت غضبه ويجوز ان يكون ما موصولة فيهما والمعنى لا مانع لما يعطيه الله للناس ولا معطي لما يمنع عنهم وعن مغيرة بن شعبة كان رسول الله صلعم يقول في دبر الصلوة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم الجد في هذا الحديث بمعنى الحظ والاقبال على الدنيا اى لا ينفع المحظوظ حظه بذلك اى بدل طاعتك وقرى فلا مرسل لها حملا على الاول من بعده من بعد امساكه ومنعه كقوله فمن يهديه من بعد الله اى من بعد هداية الله على تقدير المضاف وهو العزيز الغالب القادر على ما يشاء من الارسال والامساك وغيرهما فلا احد ينازعه فيه الحكيم الباهر العلم الذي لا يفعل كل ما يفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب فلا يرسل ولا يمسك الا بمحض حكمة واتقان لما ذكر انه الصانع للعالم والمتصرف على الاطلاق والمنعم بالنعم كلها ارضية وسماوية جليلة ودقيقة امر الناس بشكرها جواب لما فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم وهي النعم التي ذكرها بقوله من رحمة او نعمة التوحيد والاسلام ونبوة محمد صلعم وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها ولا يقوم احد منهم بحقها الا بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله وطاعة رسوله بترك مخالفته فيما امر به ونهى عنه وهي ايضا من اجل نعم الله واشرفها واللام في الناس للجنس اشارة الى جميع الناس لان جميعهم مغمورون في نعم الله او للعهد اشارة الى اهل مكة

يعني يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث بعث اليكم محمدا رسولا نبيا وانزل عليكم كتابا عزيزا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واسكنكم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء ويتخطف الناس من حولكم وعن ابن عباس في رواية نعمة الله العافية ثم انه نفى ان يكون لغيره في انعامه عليهم بها مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض بالمطر والنبات وهل ههنا بسيطة فان المطلوب بها نفي وجود خالق غير الله وكانه وهل البسيطة هي التي يطلب بها وجود الشيء اولا وجوده والشق الاخير هو المراد ههنا بدليل ما يقرره بعده من الكلمة الطيبة الدالة على نفي الوجود عن الالهة سوى الله والالهية والخالقية شيئان متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر وجودا وعدما وليست بمركبة كما يسبق الى الوهم وذلك ان الها غير الله ليس بموجود فاذا لم يوجد استحال ان يطلب وجود الخالقية له اولا وجودها له اذ لا صفة للمعدوم وقرأ حمزة والكسائي وخلف وابو جعفر غير الله بالجر صفة لخالق على اللفظ والباقون بالرفع صفة له على المحل لان محله الرفع بالابتداء وخبره محذوف تقديره موجد لكم او للاشياء ومن مزيدة لتأكيد النفي وعمومه او بدلا منه فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وقرئ بالنصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استيناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله لا اله الا هو كلام مبتدأ مثل يرزقكم في الوجه الاخير لكنه مفصول اذ لو كان موصولا كما هو لزم للتناقض بالنفي بعد الاثبات لله من الجملة السابقة فليتأمل فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به وعن عبادته الى عبادة الاوثان وان يكذبوك فلا تحزن واصبر وهو جزاء الشرط واما قوله فقد كذبت رسل من قبلك فهو سبب لمضمون الجواب المحذوف اقيم مقامه وليس بجزاء الشرط لتقدم تكذيب الرسل على تكذيبهم وقد نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله عن تكذيبهم اياه بان له في الانبياء قبله اسوة وتنكير الرسل للتكثير والتعظيم اي رسل اي رسل ذوو اعداد كثيرة واولو آيات عظام واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم والى الله ترجع الامور فيجازي كل صابر وكل مكذب على الصبر والتكذيب وقرأ حمزة والكسائي وابن عباس وخلف ويعقوب ترجع الامور بفتح التاء اي تصير والباقون بضمها اي ترد وهو على القراءتين وعد ووعيد يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه لكونه نقصا منافيا للالهية وكمال الغنى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فلا تخدعنكم الدنيا فيذهلكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يخدعنكم بالله الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقيل ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبير ويعفو عن كل خطيئة والغرور فعول صيغة مبالغة كالشكور والصبور وسمي به الشيطان لانه لا نهاية لغروره وخداعه قال النبي عم اربع لا يدرك غايتها شرور النفس وخداع ابليس الحديث وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كراقد ورقود وقاعد وقعود وبهذا ظهر خطاء ما قال شارح الكشاف قطب الدين في قوله تع وهم رقود من انه ليس بجمع راقد لان جمع فاعل على فعول لم يثبت ومنشأ هذا الخطاء الظاهر الغفلة او قلة التصفح لكتب ائمة العربية وخلافهم الادبية وها هو جار الله العلامة في تفسيره كم يجد هذا ويكرره ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة بينة اذ اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على مجاهدته ومناصبته في سركم وجهركم انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع خطواته واشارة الى الكافرين ثم بين حال حزبه الذين يتولونه ويتبعونه وحال الذين يعادونه ويخالفونه فقال الذين كفروا ثبتوا

على الكفر

على الكفر بما اوجب الايمان به واصروا عليه وهو صفة لحزبه او بدل منه او صفة لاصحاب السعير او بدل منه او نصب على الذم اي اذم او اعني او مبتدأ خبره ما بعده لهم عذاب شديد نوع من العذاب متفاقم وارتفع عذاب بانه مبتدأ قدم عليه خبره او فاعل للظرف والجملة في محل الرفع على الخبرية والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة تجاوز لسيئاتهم ولا يحولها واجر كبير وثواب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره فكشف الغطاء وفسر الحال بالوعيد والوعد وقطع الاماني الفارغة وبنى الامر كله على الايمان والعمل الصالح وتركهما وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير لذلك اي افمن زين له سوء عمله بان غلب اتباع الهوى على عقله حتى سلب تمييزه فرأى القبيح حسنا والباطل حقا كمن لم يزين له سوء عمله وقيل افمن زين له سوء فرآه حسنا من الفريقين الذين تقدم ذكرهما الذين كفروا والذين امنوا كمن لم يزين له سوء عمله ثم كان رسول الله صلعم لما قيل له ذلك قال لا فقيل ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك حسرات وقوله فرآه حسنا عطف على زين وليس جزاء للشرط اما لفظا فلوجود الفاء في الماضي بدون قد واما معنى فلانه لا وجه للاستفهام الانكاري لان رؤية سوء العمل حسنا على تقدير تزيينه متحقق ثابت فوجب تقدير جزاء او خبر لمن شرطية او موصولة فيقدر ذهبت نفسك عليهم حسرة بقرينة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات او كمن هداه الله بقرينة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمحذوف على هذا خبر وعلى الاول عمل الجزاء وقرأ طلحة امن زين له بغير الفاء وعبيد بن عمير افمن زين له اسوأ عمله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليهم متعلق بتذهب كقولك هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او بحسرات وجاز ذلك في الظرف وشبهه بدليل قوله تع ولا تأخذكم بهما رأفة وقوله فلما بلغ معه السعي او بيان للمتحسر عليه وحسرات مفعول له جمع ليضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوي احوالهم افعالهم اي فلا تهلك نفسك للحسرات على غيهم واصرارهم على الكفر والتكذيب او حال كان كلها صارت حسرات لفرط الحسرة والتحسر كقول جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يعني رجعن كلاكلا وصدورا لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام والفاء للسببية فانه يطلق سبب للنهي عن التحسر وقيل جواب للشرط والمعنى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات اي لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا وقرأ ابو جعفر فلا تذهب نفسك بضم التاء وكسر الهاء ونصب النفس ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقال ابن عباس نزلت الآية في ابي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير في اصحاب الاهواء والبدع قال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واموالهم واما اهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر والله الذي ارسل الرياح اراد بها الجنوب والشمال والصبا فانها رياح الرحمة لا الدبور لكونها معدة للعذاب وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي الريح على ارادة الجنس فتثير سحابا فتهيجه وتنشره بين السماء والارض فانه من ثار الغبار اذا هاج وانتشر وانما قال فتثير بلفظ المضارع بعد قوله ارسل الرياح حكاية للحال التي يقع فيها اثارة الرياح والسحاب واستحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من اثارة السحاب مسخرا بين السماء والارض تبدو في الاول كانها قطع قطن مندوف ثم تتضام متقلبة بين اطوار حتى يصرن ركاما وذلك لان المضارع مما يدل على الحال الحاضر الذي من شانه ان يشاهد فكانه يستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة ليشاهدها السامعون قالوا ولا يفعل ذلك الا في امر يهتم بمشاهدته لغرابته او فظاعته او جسارة او مثل ذلك كقوله تع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

ثم قال له كن فيكون اذ قال فيكون دون فكان وقوله ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي
به الريح في مكان سحيق اذ قال فتخطفه او تهوي ليصور للسامعين حال المشرك بصورة حال من اهلك
نفسه اهلاكا ليس بعده وفيه من التهويل والتفظيع ما لا يخفى وكقول تابط شرا الا من مبلغ فتيان فهم بما لاقيت
عند رحا بطان باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فقلت لها كلانا نضو ارض اخو سفر
فخلي لي مكاني فشدت شدة نحوي فاهوت لها كفي بمصقول يماني فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران
وكان مقتضى الظاهر ان يقول فضربتها بلفظ الماضي عطفا على شدت واهوت لكنه قال فاضربها بلفظ المضارع
ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول كانه يبصرهم ويطلب منهم مشاهدتها تعجيبا من جراته
على كل هول وثباته عند كل شدة فسقناه الى بلد ميت مقتضى الظاهر فساقه اي ساق الله ذلك السحاب واجراه
الى الارض تحتاج الى الماء وقال فسقناه التفاتا من الغيبة الى التكلم دلالة على زيادة الاختصاص وان الكل منه والوسايط
اسباب الهالة وقال الى بلد بالتنكير قصدا به الى بعض البلاد الميتة وهي البلاد الذين تبعدوا عن مظان الماء فا
فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصاير مطرا بعد
موتها بعد يبسها والافعال الثلث للسببية فان ما قبل كل واحدة منها سبب لمدخولها غير ان الاول دخلت على السبب
بخلاف الاخيرين فانهما دخلتا على المسبب كذلك النشور الكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة
المقدورية روي انه قيل لرسول الله كيف يحيي الموتى وما اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد اهلك محلا ثم
مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال كذلك يحيي الله الموتى وتلك ايته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء
يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا
لا يملك غيره شيئا منها اي فليطلبها من عند الله بطاعته فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول ونظيره قولك من
اراد العلم فهو عند العلماء اي فليطلبه من عندهم لان الشيء لا يطلب الا من عند صاحبه فقد اقيم الدليل مقام المدلول
ومعناه ان عزة الدنيا والاخرة كلها مختصة بالله مقصورة عليه لا تتجاوز منه الى غيره فهو من قصر المسند اليه على
المسند دون العكس ثم اخبر ان ما يطلب به العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه الصعود الحركة الى العالي مكانا وجهة والتعبير هاهنا عن توجههما الى الله العالي قدرا ومرتبة وقال قتادة
اي يقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح فجعل صعودهما اليه مجازا عن قبوله اياهما وقيل صعود الكتبة بصحيفتهما و
واختلف في الكلم فقيل جمع كلمة وبه قال المطرزي وكثير من النحاة وهو غلط لا شبهة فيه لان فعل ليس من ابنية الجمع باجماع
المحققين وقيل جمع جنسي كتمر ونخل ونحوهما من الجنس الذي يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد وتسميته
جمعا ليس الا باعتبار المعنى الجنسي ومن ثم يجوز في وصفه التذكير والتانيث اعتبارا لجانبي اللفظ والمعنى نحو نخل
خاوية ونخل منقعر ولغلبة الكلم على الكثير لا يستعمل في الواحد البتة ووصفه بالطيب مذكرا يدل على انه ليس
جمعا من حيث اللفظ مثل ركب ونسب وغيرهما مما يدل على كونه جمعا بصيغته وعن ابن عباس الكلم الطيب
لا اله الا الله وعن النبي صلعم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك
الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل وقيل كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء
واستغفار وغير ذلك وضمير اليه عائد الى الله وهو الظاهر وقيل الى السماء والى محل جاء الله حيث قال بعض ان هذه
الكلمة لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا



هو مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره

اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها وقد صرح به ان الضمير المستتر في يرفعه للعمل
الصالح وقيل للكلم فيكون الرافع الكلم والمرفوع العمل الصالح فان العمل لا يقبل الا من موحد وقيل لله اي يرفع العمل الصالح
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يُصعَد الكلم على البناء للمفعول ويُصعِد على البناء للفاعل من
اصعد والمصعد هو الله او الملك او الرجل المتكلم به يصعد الى الله الكلم الطيب والكلام الطيب وقرأ الخليل
يصّعّد ويصّاعد وقرئ والعمل الصالح بنصب العمل والرافع الكلم او الله او الملك او الرجل من قولك رفعت
القضية الى السلطان والذين يمكرون السيئات اي يعملون السيئات قاله الكلبي وقال مقاتل اراد بالسيئات
الشرك وقيل نصب السيئات على انها صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين مكروا
المكرات السيئات او اضاف المكر الى السيئات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وداروا الراي في احدى
ثلث مكرات يمكرونها برسول الله اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية
وهو ما قال به ابو العالية وقال مجاهد وشهر بن حوشب هم اصحاب الرياء لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه عنده
لما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور اي ومكر اولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلث هو خاصة يفسد ولا ينفذ
دون مكر الله بهم حين اخرجهم من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق
فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله ولا يحيق المكر السيء الا باهله على ان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله
خلقكم من تراب بخلق آدم منه او من تراب يقبرون وبه فنون فيه عن ابن عباس قال النبي عم ان الله جعل الارض
ذلولا تمشون في مناكبها وخلق بني آدم من التراب ليذلهم بذلك فابوا الا نخوة واستكبارا ولن يدخل الجنة من في قلبه
مثقال حبة من خردل من كبر ثم من نطفة بخلق ذريته منها والنطفة هي الماء الصافي الخارج بين الصلب والترائب قل
او كثر ثم جعلكم ازواجا اصنافا او ذكرانا او اناثا لقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه من مزيدة لاستغراق النفي وتاكيده وبعلمه في موضع الحال والمعنى ما يحدث شيء
من حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم مكان الحمل ووضعه وايامه وساعاته واحواله من الخداج والتمام
والذكورة والانوثة وغير ذلك وما يعمر من معمر وما يطول في عمر من هو صاير الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر
المعمر لغيره بان يعطي له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص من عمره بجعله ناقصا والضمير وان لم يذكر
للدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق وفيه تاويل
اخر وهو ان الطول والقصر في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة كتبت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج فلان فعمره
ستون سنة والا فاربعون وان تصدق او وصل الرحم فعمره ثمانون والا فخمسون ويؤيد هذا التاويل الاخبار والاثار
قال علي وابن عمر رضي الله عنهم قال النبي عم ان المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره الا ثلثة ايام فينسئه الله ثلثين
سنة وانه ليقطع الرحم وقد بقي من عمره ثلثون سنة فيبتره الله الى ثلثة ايام وقال جابر قال رسول الله صلعم ان الله
تعالى يزيد في عمر الرجل ببره والديه وعنه عم البر والصلة وحسن الجوار عمارة للديار وزيادة في الاعمار رواه ابو سعيد
وعن ابن عباس قال النبي عم البر والصلة يطيلان الاعمار ويعمران الديار ويثريان الاموال وان كان القوم فجارا
وان البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيمة وعن كعب الاحبار انه قال حين طعن عمر لو ان عمر دعا الله لاخر
اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال هذا اذا حضر الاجل
واما قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص وقرا هذه الآية ويعضد قول كعب قوله عم بر الوالدين يزيد في العمر والكذب

يرد القضاء ولله تع قضا آن قضاء نافذ وقضاء محدث وللانبياء على الشهداء الفضل درجتان وللعلماء على الشهداء افضل درجة رواه ابو هريرة وعنه عم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر ذكره الترمذي في سننه وعن سعيد بن جبير يكتب عمره في الصحيفة كذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلثة ايام حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ذلك وعن يعقوب ولا ينقص على تسمية الفاعل وعن قتادة ولا ينقص مجهولا مشددا وقراء ابن جبير من عمره بغير الهاء الا في كتاب هو اللوح او علم الله او صحيفة الانسان ان ذلك اشارة الى الزيادة والنقص على الله يسير لا منعه مانع ولا يحتاج فيه الى احد وقيل ان كتابة الاجال والاعمار على الله هين وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه والفرات البليغ العذوبة الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الشديد الملوحة الذي يحرق بملوحته وهو نقيض الفرات وضده كما ان الكافر نقيض المؤمن وضد له وقال الضحاك هو المر وقرئ سيغ بتشديد الياء بوزن سيد وسيغ بتخفيفها على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفتهما او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالطه احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن الكافر وان اشتركا في كثير من الامور الذاتية والعرضية لتغير احدهما عن فطرتها الاصلية وتفضيل البحر الاجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع التي هي السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من المنافع فهو في طريقة قوله ثم قست قلوبكم الآية ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار الآية والحلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم وليس تزينهن بها الا لاجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وترى الفلك السفن فيه اي في كل مواخر اي جواري تشق الماء بجريها جمع ماخرة من مخرت السفينة مخرا ومخورا اذا جرت تشق الماء مع صوت والخطاب في ترى لرسول الله عم او لكل من يتاتى منه الرؤية وعليه يدل جمع الخطاب في السباق والسياق لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها وابتغاء الفضل التجارة وهي اعظم اسباب سعة الرزق وزيادته قال النبي عم تسعة اعشار رزق امتي في البيع والشراء ذكره صاحب الفردوس الكبير في باب التاء واللام متعلق بمواخر وبما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون وكي تعرفوا نعم الله فتقوموا بحقها بهما اذا جعل الهالك سببا لوجود المنافع وحصول المعايش وقيل حرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يوجد كل واحد من الليل والنهار عقيب الاخر او يزيد في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات ولم يقل اولج ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان الايلاج احد الملوين في الاخر عادته وسخر الشمس والقمر اي دام على تسخيرهما واستمر عليه او دوام تسخيرهما واستمر منه ومعنى تسخير الشمس والقمر تصييرهما نافعين للناس حيث يعلمون بسيرهما عدد السنين والحساب كل اي واحد من الشمس والقمر يجري لاجل مسمى يجري في فلكه وينقطع لوقت معلوم جري الشمس مختص باخر السنة وجري القمر باخر الشهر ويجوز ان يراد باجل مسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والمعنى في التحقيق يجري للادراك اجل على ان الجري مختص بادراك اجل وقد استدل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجري النيرين في فلكهما على وحدته وعظم قدرته وانعامه على خلقه وعباده ذلكم الله ربكم له الملك اشارة الى المعلوم المتفرد

بتلك



بتلك الافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد وفي لفظ ذلك وتعريف الطرفين ايذان بالتعظيم والتخصيص اي ذلك العظيم الموصوف بما وصفه به هو الله ربكم له الملك اخبار مترادفة اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية والمالكية ويجوز ان يكون له الملك كلاما مبتدأ واقعا في القرآن قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بتلك الاوصاف والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها وقراءة طلحة وابن وثاب يدعون بالياء والباقي بضم الياء في جميع القرآن ان تدعوهم اي ان تدعوا الاصنام لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الاجابة احد منكم ما دامت الدنيا او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم من الالهية ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يجحدون بعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون وانما قيل هم بضمير العقلاء لان عبدتهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ولانه اسند اليهم ما يسند الى اولي العلم من الاستجابة والسمع ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاصنام فغلب غير الاصنام عليها ولا ينبئك مثل خبير اي ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تع لانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان الذي اخبركم به من حال الاصنام ونفي ما تدعون لهم من الحق لانه خبير بما اخبرت به وقراءة الخليل ولا ينبيكم من الانباء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في ذواتكم واعراضكم ودنياكم ودينكم واخرتكم واللام في الفقراء مبالغة كما لهم في الفقر اي انتم الكاملون في الفقر الى الله لكمال ضعفكم قال الله تع وخلق الانسان ضعيفا وهو الذي خلقكم من ضعف او يجعل الناس هم الفقراء على الحقيقة حتى كان من عداهم من الخلايق المفتقرين اليه لم يعتد بفقرهم والله هو الغني الحميد اي والذات الواجب الوجود الذي يكون وجوده من ذاته ولا يفتقر الى شيء اصلا هو الغني عن العالمين كلهم المنعم عليهم حتى استحق عليه الحمد كله لاستحقاق الثنا كله ان يشاء يذهبكم يفنيكم ويعدمكم كما قدر على ايجادكم وانشائكم ويأت بخلق جديد ويخلق مكانكم خلقا اخر بدلا من جنسكم او من غير جنسكم اعلاما منه بكمال قدرته على اعدام الموجود وايجاد المعدوم او غضبا عليهم وتخويفا لاتخاذهم له اندادا وكفرهم باياته ومعاصيهم وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر بل هو هين عليه يسير لشمول قدرته على كل مقدور ولذلك يقدر على الشيء وضده فاذا قال لشيء كن فكان من غير ريث ولا امتناع وهذه الاية بيان لانهماك كفار مكة في الغي وعظيم خطاياهم في الاشراك بالله لوضوح اياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويحترز له على شيء مما يخالف رضاه ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس المحذوفة وكذا اخرى والمعنى ان كل نفس يوم القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اكتسبته لا تؤخذ نفس بذنب نفس اخرى كما تاخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال الناس مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين وانما لم يقل ولا تزر نفس وزر اخرى بدل وازرة لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها وان تدع مثقلة اي ولو دعت نفس اثقلتها الاوزار غيرها الى حملها الى حمل ما عليها من الذنوب لا يحمل منه شيء لم تجب بحمل شيء منه فنفى بهذا ان تحمل عنها ذنبها كما نفى بما قبله ان تحمل عنها ذنب غيرها وقراءة طلحة لا تحمل بفتح التاء وكسر الميم ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها من اب او ولد او اخ فاضمر المدعو المفهوم من قوله وان تدع وانما ترك ذكره ليشمل كل مدعو وهو من العموم الكاين على طريق البدل وجوز ان يكون حالا وكان تامة وقرئ ذو قربى

المتعلقة بيان

على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان التامة فانها لا تلايم نظم الكلام ملايمة الناقصة لان المعنى على ان المتعلقة ان دعت
احدا الحمل الحمل منه شئ ولو كان المدعو بها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج عن
اتساقه والتيامه على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل بخلاف ما اوردته وعن ابن عباس يلقى الاب
والام ابنه فيقول يا بنى احمل عنى بعض ذنوبى فيقول لا استطيع حسبى ما على **انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب** الجار
والمجرور في موقع الحال من الفاعل او المفعول اى يخشون ربهم غايبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه
غايبا عنهم والانذار الابلاغ مع التخويف وقال الجوهرى الانذار تخويف مع دعوة والخشية الخوف كما قال يخافون ربهم ويخافون
عذابه وقوله انما تنذر الذين من قصر الصفة على الموصوف افراد كانه عم اعتقد شركة غيره في الانذار فقيل له
انما تنذر انت وحدك من غير اشتراك احدا وقلبا وهو اذا اعتقد عدم انذاره للذين يخشون ربهم للانذار غيره لهم
كما قالوا انما يقوم زيد مثلا ان المخاطب به من اعتقد ان القايم عمرو لا زيد لعلمه قطعا بانه ممن يتولى الانذار
وذكر عبد القاهر في دلايل الاعجاز ان انما ولا العاطفة انما يستعملان في الكلام المفيد به لقصر القلب دون الافراد **واقاموا**
**الصلوة** الجمع بين الصفتين الخشية من الله واقام الصلوة من وظيفة المؤمنين المخلصين وهم المتقون بالانذار للغير
يعنى انما ينفع انذارك هولاء الذين جمعوا بين هذين الوصفين اللذين هما اصل الاعمال الحسنة الظاهرية والباطنية
اما الصلوة فانها عماد الدين واما الخشية فان من خشى ربه دله على كل خير قال الله تعالى ذلك لمن خشى ربه وقيل يعنى
انما تقدر على انذار هولاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل معرفة الانذار فيهم دون متمرديهم واهل عنادهم
واختلاف الفعلين لما مر **ومن تزكى** تطهر بفعل الطاعات عن دنس المعاصى **فانما يتزكى لنفسه** لان نفعه انما يعود
اليها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض موكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانها من جملة التزكى **والى الله المصير**
اى لا يصيرون الا اليه فيجازيهم على تزكيهم احسن الجزاء وقيل وجه الاتصال انما تنذر بما قبله انه لما غضب عليهم في قوله
ان يشا يذهبكم اتبع الانذار بيوم القيمة وذكر اهوالها ثم قال انما تنذر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك فلم ينفع فنزل
انما تنذر او آخبر الله تعالى بحاله فيهم **وما يستوى الاعمى والبصير** مثل للمومن والكافر كما ضرب البحرين مثلا لهما
وقيل مثلان للصنم ولله تعالى **ولا الظلمات ولا النور** ولا الباطل ولا الحق **ولا الظل ولا الحرور** ولا الجنة ولا النار
وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور والسموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور
بالليل والنهار فعول كالشكور والصبور من ابنية المبالغة مشتق من الحر ولا لتاكيد نفى الاستواء وتكريرها للتاكيد
لزيادة التاكيد **وما يستوى الاحياء ولا الاموات** تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك
كرر الفعل وقيل للعلماء والجهال **ان الله يسمع من يشاء** هدايته فيوفقه لهم اياته والاتعاظ بعظاته
والاجابة لربه في دعوته اى لا يسمعهم الا الله وحده **وما انت بمسمع من في القبور** ترشيح لتمثيل
المصرين على الكفرة بالاموات ومبالغة في اقناطه عنهم وقراءة الحسن والجحدرى بمسمع من بالاضافة
**ان انت الا نذير** فما عليك الا ان تبلغ وتنذر واما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم
الذين هم بمنزلة الموتى **انا ارسلناك** الى الناس جميعا **بالحق** حال من المرسل او المرسل يعنى محقين او محقا
او صفة لمصدر محذوف اى ارسالا مصحوبا بالحق اوصلة لقوله **بشيرا ونذيرا** بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق **وان من امة الا خلا فيها** وما من اهل عصر الا مضى فيهم **نذير** من نبى ينذر عنه والاكتفاء بذكر
النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما للعلم بان النذارة قرينة البشارة فدل بذكرها عليهما وقد قرن به

من قبل

من قبل ولان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة ولان ذكره هو الملايم بقوله **وان يكذبوك فقد كذب**
**الذين من قبلهم جاءتهم** حال بتقدير قد جاءتهم **رسلهم بالبينات** بالمعجزات الشاهدة على صحة
رسالتهم وصدق نبوتهم ودعواهم **وبالزبر** وبالصحف **وبالكتاب المنير** كالتورية والانجيل على
ارادة التفصيل دون الجمع ولما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان
بعضها في جميعهم وهى البينات وبعضها في بعضهم وهى الزبر والكتاب ويجوز ان يراد بها واحد و
والعطف لتغاير الوصفين وفيه مسلاة لرسول الله عم **ثم اخذت الذين كفروا** ثبتوا على الكفر بها وداموا عليه
**فكيف كان نكير** انكارى بالعقوبة وتغييرى عليهم يحذر كفار هذه الامة عذاب الامم المكذبة **الم تر ان الله**
**انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها** اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب
وغيرها او هيئاتها من الصفرة والحمرة والخضرة ونحوها **ومن الجبال جدد** جمع جدة كمدة ومدد اى ذو جدد
اى خطط وطرايق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون
للظبى جدتان مسكيتان تفصلان بين لونى ظهره وبطنه وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة يقال
جديدة وجدد وجدايد كسفينة وسفن وسفاين وبها فسر قول ابى ذويب جون السراة له جدايد اربع
وروى عنه جدد بفتح الجيم والدال الاولى وهو الطريق الواضح المفسر وضعه موضع الطرايق والخطوط
الواضحة المنفصل بعضها من بعض **بيض وحمر مختلف الوانها** بالشدة والضعف **وغرابيب سود**
عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وعن
عكرمة هى الجبال السود الطوال والغربيب تاكيد الاسود يقال اسود غربيب اى شديد السواد واذا قلت
غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب لان تواكيد الالوان لا تتقدم او نضمر الموكد قبله وتجعل الذى
بعده تفسيرا له لان حق التاكيد ان يتبع الموكد نحو اصفر فاقع ابيض يقق مثلا ونظير ذلك في الصفة قول النابغة
اى اسود
والمؤمن العايذات الطير وفي مثله زيادة تاكيد لما فيه من التكرير من طريقى الاضمار والاظهار جميعا
وقيل اى طرايق سود وهذا بالنظر الى عطفه على بيض **ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه**
**كذلك** اى كاختلاف الثمرات والجبال والكاف في موقع النصب اى اختلافا مثل ذلك وقرى والدواب
مخففا فرارا عن التقاء الساكنين كما قرا الحسن عنه في قراته ولا جان وان كانا على حده وذكر الضمير
لاجل من وقيل الضمير عايد الى الموصول المضمر والمعنى ومن الناس والدواب والانعام ما هو
مختلف الوانه وقراءة زيد بن على الوانها كالاول وقد تم الكلام في قوله كذلك ولذا استحسن الوقف فيه
ثم ابتداء فقال **انما يخشى الله من عباده العلماء** تقديم المخشى للاختصاص اى لا يخشى الله
الا العلماء دون غيرهم لانهم اعلم العباد به وبصفاته وافعاله ومن كان اعلم به كان اخشى منه
ومن ثم قال عم انا اعلمكم بالله واشدكم خشية وعن مسروق كفى بخشية الله علما وكفى
بالاعتزاز بالله جهلا وعنه كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى به جهلا ان يعجب بعمله وقال رجل
للشعبى افتنى ايها العالم فقال انما العالم من خشى الله وقيل نزلت في ابى بكر الصديق رضى
وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه ولو اخر لانقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله
كقوله ولا يخشون احدا الا الله وهو خلاف معنى الاول وقوله انما يخشى الله من قصر الصفة على الموصوف

افرادا وقلبا كقولك انما يعرف زيدا عمرو ولمن اعتقد العارف بزيد عمروا وبكرا او اعتقد ان العارف به بكر لا عمرو ونفطعت شركتها في المعرفة التي اعتقدها المخاطب في الاول وقلبت حكمه في الثاني وفي كون الآية من قبيل الثاني ضرب من الاشكال ولو قرر وسلم لضعف مذهب عبد القاهر في انما وقراه عمر بن عبد العزيز برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية استعارة للتعظيم اي انما يعظمهم الله كما يعظم المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ويحكى هذه القراة عن ابي حنيفة ودكي عن ابن الدينار المغزي انما اختار الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة المصر على طغيانه واثابة التايب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه ان يخشى ان الذين يتلون كتاب الله يداومون تلاوته وهي اية قراه الذين شانهم وهجيراهم التلاوة اناء الليل واطراف النهار وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم الصحابة رضي الله عنهم وعن عطاء هم المؤمنون والمراد بكتاب الله القرآن العظيم وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اي في السر والعلانية او انفاق سر وانفاق علانية او ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين وفيه ارشاد للمنفق وبعث له على ان يعم اوقاته واحواله بالتصدق في سبيل الله وحرص على الانفاق مطلقا وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة يأملون طلب ثواب وعده الله بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم علة للمدلول لن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من امتثالهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق لله ليوفيهم اجورهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم من فضله من جوده وتفضله اي ويزيدهم على اجورهم تفضلا ومثله معنى قوله للحسنى وزيادة عليها من التفضل الذي لا يعلم عظمته الا الله عالم الغيب والشهادة وقال ابن عباس يعني سوى الثواب مما لم ترعين ولم تسمع اذن انه غفور ستار لكل ما صدر عنهم مما من شانه ان يستر متجاوز له عن قلوبهم وعن ديوان الحفظة شكور بليغ الاثابة لهم على طاعاتهم والجملة علة للتوفية والزيادة او خبرات ويرجون حال من فاعل الانفاق بمعنى وانفقوا راجين ليوفيهم والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او للجنس ومن للتبعيض هو الحق هو الثابت الذي لا يسوغ الكار منه بوجه من الوجوه من حق الامر اذا ثبت ووجب مصدقا لما بين يديه لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء عليهم السلام لانه يشهد لها بالصحة والثبات لافتقارها الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وذلك لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات والعقايد واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير بليغ

العلم

العلم بباطن كل شيء وظاهره فلو علم فيك ما ينافي الرسالة والنبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على ساير الكتب وتقديم الصلة لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف الراء وقيل تقديم الخبير للدلالة على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب اي انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او ثم نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه وقيل ثم ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا هم علماء امته من الصحابة ومن بعدهم الى يوم القيمة او الامة باسرهم لان الله اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتبه ثم قسمهم الى ثلثة اقسام فقال فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات بضم التعليم والارشاد الى العمل وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد من استوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم اصحاب الكباير والمقتصد اصحاب الصغاير والسابق من لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة فهذه القايل انما حمل الامر على الشدة وقيل الظالم التالي للقرآن والمقتصد القاري له العامل به والسابق من قراه وعلمه وعمل بما فيه وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد من خلط الصالح بالسيء والسابق من ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وقيل عقبة بن صهبان سالت عايشة رضي الله عنها عن قوله ثم اورثنا الكتاب الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله عم شهد له رسول الله بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه واما الظالم فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وينصر قولها ما روى ابو الدرداء انه سمع رسول الله عم قرا هذه الاية فقال عم اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخله الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الاية وما رواه عمر عن رسول الله صلعم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعن ابن عباس انه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المراي والظالم الكافر نعمة الله غير جاحد لها لانه حكم للثلثة بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها وعن جعفر الصادق بدا بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا ياحد مكره وكلهم في الجنة لما روى ابو سعيد ان النبي صلعم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقال ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب



على مقامات الناس لان احوال العبد ثلث معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا
عصى دخل في حيز الظالمين واذا تاب دخل في جملة المقتصدين واذا
صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل الظالم
المنافق وقال الكلبي هو الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين
ولان الظلم بمعنى الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والتسبق عارضان
وقراء الخليل وابو عمرو ومنهم سبّاق باذن الله بامره وارادته ذلك
هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث او الاصطفاء او السبق بالخيرات و
والاعمال الصالحة جنات عدن يدخلونها مبتداء وخبر والجملة خبر مبتدء محذوف
او خبر ثان لذلك او مبتداء خبره يدخلونها او بدل من الفضل الكبير والضمير
للثلثة او للذين او للمقتصد والسابق اذا المراد بهما الجنس وقرا جنة عدن
بالافراد قيل كانها جنة مختصة بالسابقين وهو بعيد وجنات
عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اى يدخلون جنات عدن
يدخلونها وقراء ابو عمرو يُدخلونها على البناء للمفعول يحلّون فيها خبر ثان
او حال مقدرة من حَلِيَتْ المراة اذا البست الحلى وقرا ابن عباس يَحْلَوْنَ
مِنْ حَلِيَ يَحْلَى وقرئ يُحْلَوْنَ بالتخفيف من قولك اَحْلَى اُلْبِسَ الحلى والمعنى
واحد من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين اى بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لساير الابعاض كما
سبق المسورون به غيرهم ونكرها لتعظيمها وابهام امرها في الحسن وجمع اسورة
واسوار في جمع سوار ولؤلؤ عطف على ذهب كانهم يسورون بالجنسين
اساور من ذهب ومن لؤلؤ ان ذلك على الله يسير وكم من امر من امور
في الاخرة يخالف امور الدنيا وهذا منها وقيل اى من ذهب باللؤلؤ او من
ذهب في صفاء اللؤلؤ وقرا نافع وعاصم وابو جعفر ولؤلؤا بالنصب عطفا
على محل من اساور او اضمار الناصب نحو ويؤتون ولباسهم فيها حرير
اورده بالاسمية لا بالفعلية كالمتقدم عليه للدلالة على الاستمرار والثبوت او لمراعات
الفاصلة وارتفع حرير على انه فاعل الظرف او مبتداء فتم عليه خبره والجملة خبر
لباسهم وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن اى كل حزن من احزان الدين
والدنيا قال رسول الله صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم
ولا في مسيرهم وكان باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب
عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن والحزن واحد كالبخل
والبخل والدليل عليه قوله تع وحَزَنا وحُزْنا في سورة القصص وقال ابن عباس
حزن النار وحزن الموت وحزن الاعراض والافات وقال عكرمة حزن السيئات

ورد الطاعات

ورد الطاعات وقال الكلبي حزن امر يوم القيمة وعنه حزن ابليس
ووسوسته وقال سعيد بن جبير هم الخبز في الدنيا وقال مقاتل هم
انهم لا يدرون ما يفعل الله بهم وقيل هم المعاش وقيل هم العاقبة وقيل
هم زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة وقيل حزن اهوال القيمة وقرئ
الحُزن ان ربنا لغفور للمذنبين فيبالغ في ستر ذنوبهم الغاية للحصر شكور
لطاعات المطيعين فيبالغ في اثابتهم وقيل ذكر الشكور دليل على ان القوم كثروا
الحسنات الذى احلنا دار المقامة دار الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة
وهو مفعول احلنا لا الظرف لانها محدودة من فضله من تفضله وانعامه اذ لا واجب
عليه وبهذا تبين ضعف ما قيل من ان معنى من فضله من عطاياه وافضاله من قولهم
فلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذى هو التفضل لان الثواب
بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع لا يمسنا فيها نصب تعب ومشقة ولا يمسنا
فيها لغوب كلال وفتور اذ لا تكليف فيها ولا كد واما اتبع نفى النصب نفى ما هو نتيجة
وبعدت منه مبالغة وقرئ لغوب بفتح اللام وهو اسم ما يلغب به اى لا نتكلف عملا
يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه قيل لغوب لغوب كموت مايت
والذين كفروا لهم نار جهنم لهم نار ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام
بعيدة القعر لان الكفر اكبر الكباير واقبحها فيجازون على حسب جنايتهم وبما يناسبها
ويحتمل انهم يعذبون بها جميع دركاتها لان جهنم اسم لدار العذاب المعد لاهل
الكفر والجحود قال الله تع فاتقوا النار التى اعدت للكافرين لا يقضى عليهم اى لا
يهلكون فيستريحون كقوله فوكزه موسى فقضى عليه اى فقتله او لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا فيستريحوا وهو جواب النفى ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى
وادخالا له في حكم النفى اى لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها عنهم نايب مناب الفاعل ومن عذا
بها في موقع النصب او بالعكس وان كانت من زايدة تعين له الرفع وقرا الخليل ولا يخفف
ولا يخفف معلوما كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور بليغ الكفر او الكفران وقراء
ابو عمرو ويُجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها
يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى
واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا منها ومن عذابها
نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل هو حال بتقدير القول اى يقولون ربنا اخرجنا نعمل
صالحا وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير العمل الصالح
مع الاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه العمل
الصالح والان تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر محمول على اضمار القول

اى نقول لهم جوابا وتوبيخا لهم وتعنيفا به اولم نعمركم والواو ليست بواو
العطف بل واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام ظاهرا وعلى حرف النفى حقيقة
معناه نقول لهم قد عمرناكم ما يتذكر فيه وهو متناول لكل عمر تمكن فيه
المكلف من تذكر شانه واصلاح حاله وان قصر الا ان التوبيخ فى التطاول
اعظم فما موصوفة اى عمرا يتذكر فيه او تعميرا او مصدر يراد به الزمان
كقولك غروب الشمس اى زمن ما يتذكر وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال
النبى عم ان لله عز وجل ملكا ينادى كل يوم و ليلة ابناء الاربعين زرع قددنا
حصاده ابناء الستين هلموا الى الحساب ماذا قدمتم وما عملتم ابناء السبعين
هلموا الى الخلايق ليت الخلايق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا
فتجالسوا بينهم فتذكروا الا ان اتتكم الساعة فخذوا حذركم وعن النبى عم
العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وبه قال على وابن عباس رضى
الله عنهم وعن مجاهد ثمانون سنة وقيل ما بين العشرين الى الستين
وقال الحسن اربعون سنة وقال قتادة وعطاء والكلبى ثمانى عشرة سنة
وقيل سبع عشرة وقيل البلوغ وقرئ يذكر فيه من اذكر بادغام التاء فى الذال
وجاءكم النذير لما ادخلت همزة الانكار على حرف النفى اولم نعمركم فافيد
معنى اثبات التعمير وتقديره عطف عليه قوله وجاءكم النذير اعتبارا
للمعنى والنذير رسول الله عليه السلام وعليه الجمهور وقيل القران
وقال عكرمة وابن عيينة ووكيع هو الشيب ويقال الشيب نذير الموت
وما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت وقيل
العقل والشيب او موت الاقارب فذوقوا عذاب جهنم فما للظالمين
فما للكافرين من نصير من احد ينصرهم بدفع العذاب عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض اى يختص بالله على كل شئ غاب
فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه فكيف يخفى عليه احوالهم انه عليم
بذات الصدور علة له فانه اذا علم مضمرات الصدور وهى اخفى ما يكون
كان اعلم بغيره هو الذى جعلكم خلائف فى الارض اى جعلكم خلفاءه فى
ارضه وملككم عليها واقدركم على التصرف فيها بامره ونهيه وجعلكم خلائف
ممن كانوا قبلكم من القرون الناجية بسبب ايمانهم والمهلكة بسبب كفرهم
جمع خليفة والخلفاء جمع خليف كلاهما بمعنى المستخلف فمن كفر فعليه كفره
فلا يرجع وبال كفره وجزاؤه الا عليه وهو مقت الله وخسار الاخرة ولا يزيد
الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان
لوبال كفره والتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء

حكم



حكمة بقبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت اشد البغض ومنه قيل لمن
ينكح امراة ابيه مقتى لكونه ممقوتا فى كل قلب وبالخسارة خسار الاخرة كانه
قيل لمن كفر ممن كان قبلكم وامنكم فعليه جزاء كفره من مقت وخسار الاخرة
قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اى جعلتموهم شركاءكم
فيما تملكونه او شركاء لله نع بزعمكم يعنى الاصنام واضافهم اليهم على زعمهم وبيانه
فى قوله اين شركاءى الذين زعمتم وقوله اين شركاءكم الذين كنتم تزعمون
اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لان معنى ارايتم
اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة
اروني اى جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم شرك فى السموات
ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات ام اتيناهم كتابا ينطق بان اتخذناهم شركاء
فهم على بينة منه على حجة وبرهان من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون
الضمير فى آتيناهم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وبه قال مقاتل حيث
قال هل اعطيناك كفار مكة كتابا وقرا نافع وابن عامر والكسائى وابو بكر ويعقوب
على بينات بالجمع دلالة على ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان
يعد الظالمون بعضهم هم الرؤساء او الاسلاف بعضا هذه الاتباع او الاخلاف الا
غرورا هو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يشفعون لنا بالتقرب اليهم وعن
مقاتل ما يعد الشيطان كفار بنى آدم من شفاعة الآلهة لهم فى الاخرة الا غرورا
باطلا لا اصل له ان الله يمسك السموات والارض يحبسهما ويحفظهما ان تزولا
اى كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما من ان
تزولا لان الامساك منع فعلى الاول مفعول له وعلى الثانى مفعول به ولئن زالتا
ان امسكهما ما يمسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال ومن الاولى مزيدة
لتاكيد نفى الامساك عن كل احد سوى الله والثانية للبيان او الابتداء والجملة سادة مسد
الجوابين اعنى جوابى القسم والشرط وقرئ ولو زالتا انه كان حليما غفورا والحليم
اى يفعل بعباده ما يفعل من يحلم عن المسئ ولا يعاجلهم بالعقاب مع تكاثر ذنوبهم
مفرط الكثرة اى بليغ الحلم والعفو عن عباده حيث لم يعاجل بعقوبتهم و
امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض الاية واقسموا بالله جهد ايمانهم انكارا للامتناع عن الايمان
ويستعار من جهد انفسهم اذا بلغت اقصى وسعها واصله اقسم يجهد اليمين جهدا
فحذف الفعل ثم وضع المصدر موضع مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب
وحكمه حكم الحال كانه قيل جاهدين ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى
الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على
غيرها فى الهدى والاستقامة

فما جاءهم نذير محمد صلعم ما زادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض بدل من نفورا او مفعول له على معنى ما زادهم الآن نفورا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى مستكبرين
والاستكبار التكبر كالاستعظام والتعظيم لفظا ومعنى و ومكر السيئ عطف على استكبارا او على نفورا قالوا واصله وان
مكروا المكر السيئ وقراه حمزة ومكر السيئ بسكون الهمزة ووجهه انه استثقل اجتماع الحركات فخفف باسكان الهمزة
وقيل انه سكن بنية الوقف وضعف هذا الوجه بانه لو نوى الوقف لخفف الهمزة على اصله بان يبدله ياء ساكنة
او يسهلها بين الهمزة والياء اي وقف بالروم وقراه ابن عبلة والبيانى ومكرا سيئا بالتنوين فيهما اعتبارا لحرف
ابن مسعود رضى ولا يحيق المكر السيئ ولا يحيط او ولا ينزل الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر والمعنى
الا حيقا ملصقا باهله وهو استثناء مفرغ يجب ان يقدر له مستثنى منه عام مناسب له في جنسه فيكون
التقدير ولا يحيق المكر السيئ حيقا الا حيقا باهله وعن النبى صلعم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تع يقول ولا يحيق
المكر السيئ الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا فان الله تع يقول انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال
لابن عباس قرات في التورية من حفر مغواة وقع فيها فقال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقراه الآية وفي
امثالهم من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقال الكلبى المكر السيئ هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبى صلعم وقال
ابن عباس لا تحل عاقبة الشرك الا بمن اشرك بمعنى ان وبال مكرهم راجع اليهم وقرئ ولا يحيق المكر السيئ
اى ولا يحيق الله وقراه ابن مسعود ومكرا سيئا فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله في الامم
قبلهم بانزال العذاب على مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها بجعله غير
التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم استشهاد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام واليمن والعراق من
آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم وكانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واضرابهما وما كان الله ليعجزه
من شيء ليسبقه ويفوته وكان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفى وكذا من والمعنى واستحال من كل الوجوه
ان يعجز الله شيء ما في السموات والارض لا تاكيد آخر لما النافية ففي هذا الكلام ثلث تاكيدات انه كان عليما
بليغ العلم بكل شيء في العالم ما وجد ويوجد قديرا بليغ القدرة على كل ممكن ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من المعاصى ما ترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم معاصيهم وعن ابن مسعود
كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب
ابن آدم وقيل بحبس المطر فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله
كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم فهو وعيد على الجزاء عن رسول الله صلعم من قرا سورة الملائكة
دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اى باب شئت سورة يس مكية ثلث وثمانون آية عن رسول
الله صلعم اقرؤا على موتاكم سورة يس ونزل مع كل آية ثمانون ملكا وعنه صلعم اقرؤا يس فان فيه عشر
بركات ما قراها جايع الا شبع وما قراها عار الا اكتسى وما قراها اعزب الا تزوج وما قراها خايف
الا امن وما قراها مسجون الا فرج وما قراها مسافر الا اعين على سفره وما قراها رجل ضلت له ضالة
الا وجدها وما قرئت عند ميت الا خفف عنه وما قراها عطشان الا روى وما قراها مريض الا برئ
رواه على رضى وعنه صلعم سورة يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه
كل

كل سوء وتقضى له كل حاجة سورة يس مكية ثلث وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
يس اسم السورة او القرآن او الله او رسوله او تعديد للحروف على وجه التحدى وقراه حمزة والكسائى وابو بكر وخلف وروح
يس بامالة الياء وادغم نون يس في واو والقرآن ابن عباس والكسائى وابو بكر وورش والدورى وخلف ويعقوب كما ادغمت
ن والقلم ون واق وكلهم ذلك والباقون بالاظهار وقرئ ياسين بفتح النون على البناء كاين وكيف او الاعراب على اتل ياسين او باضمار
حرف القسم كقوله الله لافعلن وبكسره على الاصل كجير وبضمها بناء كحيث او اعرابا على هذه ياسين وعن ابن عباس رضى معناه يا انسان
بلغة طى على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قالوا في القسم من الله في ايمن الله وعن عنه ايضا انه قال هو قسم وعن ابى العالية
معناه يا رجل وعن ابى بكر الوراق يا سيد البشر والقرآن الحكيم وصف القرآن بالحكيم لانه كلام حكيم او محكم اياته لا يتغير بها خلل من
جهة اللفظ والمعنى ولا ينسخ شيء منها او لاشتمالها على الحكم ونطقه بها او لواو واو القسم ان جعلت يس تعديدا للحروف او اسما للسورة او القرآن
مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف او لو العطف ان كانت يس مقسما بها وقوله انك لمن المرسلين جواب القسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب
بين المرسل به والمرسل اليه الذين احدهما القسم المنزل والآخر المقسم عليه المنزل اليه على صراط مستقيم خبر بعد خبر لان او صلة للمرسلين
اى الذين ارسلهم الله على صراط مستقيم وهو ملة التوحيد والاستقامة في الامور او حال من المستكن في الجار والمجرور وفايدته وصفه ووصف
ما جاء به من الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما للجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين
على طريق ثابت الاستقامة وقد نكره ليدل على انه ارسل من بين الطرق على صراط مستقيم لا يوازيه صراط ولا يكتنه وصفه في الاستقامة
تنزيل العزيز الرحيم قراه ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص وخلف تنزيل بالنصب على اضمار اعنى او فعله تقديره تنزل تنزيلا ثم
اضيف وقيل على المصدر من معنى المرسلين لان الارسال بمعنى التنزيل والباقون بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف والمصدر بمعنى
المفعول وقرئ بالجر على انه صفة بعد الصفة للقرآن او بدل منه لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم
ما نافية صفة لقوله قوما اى قوما غير منذر اباؤهم يعنى اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فتكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارسالك ويجوز
ان يكون ما مصدرية بمعنى انذار اباءهم وان تكون موصولة او موصوفة منصوبة على المفعول الثانى لتنذر اى الذى انذر به اباؤهم
من العذاب كقوله تع انا انذرناكم عذابا قريبا فهم غافلون هو على الاول متعلق بالنفى اى لم ينذر وا فهم غافلون يعنى ان عدم انذارهم هو
سبب غفلتهم وعلى الوجه الاخير بقوله انك لمن المرسلين اى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم هو قوله تع لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين بمعنى وجب عليهم هذا القول وثبت فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون ويموتون على الكفر انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهى الى الاذقان اى فالاغلال واصلة
الى اذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطاطئون اى يخفضون رؤسهم له وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم بانهم
محبوسون في مطمورة الجهل ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل ومن جعل الضمير للايدى وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق
وبذلك سمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على الايدى فقد تعسف وكذا قرئ في ايديهم او في ايمانهم وهما قراة ابن عباس وابن مسعود لا تمنع
ايضا ان يكون الضمير للايدى او للايمان وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا جعل بمعنى خلق او صير فيهما وقراه حمزة والكسائى وحفص
وخلف سدا بفتح السين وهو لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس بالفتح وما كان من خلق الله بالضم وهو قراة الباقين فاغشيناهم فغطيناهم
وعن مجاهد فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى فهم لا يبصرون لا يرون ابصارهم روى انها نزلت في بنى
مخزوم وحلف ابو جهل ان رسول الله صلعم يصلى ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق
الحجر بيده

العشى داء في العين كوانه ... بالنهار واعشاه الله فعشى

حتى فكوه عنه بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال له الجزومى اخرانا افتل بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم جملة مركبة
من المبتداء والخبر والمعنى انذارك وعدمه سواء عليهم لان قوله ءانذرتهم ام لم تنذرهم وان كان جملة فعلية استفهامية لكنه فى المعنى مصدر مضاف الى الفاعل
فيصح الاخبار عنه فقد هجر فيه جانب اللفظ الى المعنى ومنه تسمع بالمعيدى خير من ان تريه وهمزة الاستفهام وام لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فان
معنى الاستفهام منسلخ عنهما راسا بتجريدهما عنه لمجرد الاستواء كما جرد حرف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها
العصابة فكما ان هذا جرى على صورة النداء وليس بنداء كذلك ءانذرتهم ام لم تنذرهم على صورة الاستفهام وليس باستفهام ويجوز ان يكون
الهمزة بمعنى ان الشرطية كما هى الا فيما لم يتيقن حصوله وام بمعنى او لاشتراكهما فى افادة احد الامرين والمعنى ان انذرت هؤلاء الكفرة او لم تنذرهم
فهما سواء عليهم لا يؤمنون استيناف يقرر ما قبله قوله سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم من ترك اجابتهم الانذار المفضى الى الايمان
لان المقصود بالتخويف ترك الاجابة فقوله لا يؤمنون كالتاكيد لما قبله او حال مؤكدة لان من استوى عنده انذار رسول الله وعدمه فهو مستمر على
كفره غير منفك عن عدم الايمان انما تنذر انما ينفع انذارك او انما تنذر انذارا يحصل به البغية المرومة وهى الايمان من اتبع الذكر اى الوعظ
والقران بالتدبر فيه والعمل به وخشى الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومشاهدة اهواله او فى سريرته ولا يغتر بكمال رحمته فانه كما يبالغ فى الرحمة
يبالغ فى القهر والسخط فكما يرجو رحمته وانعامه يخاف سخطه وعذابه ولا يأمن وكيف يأمن بعد ان قال تع ان عذاب ربهم غير مامون فبشره فاخبره بمغفرة
بعفوه وتجاوزه لما فرط منه واجر كريم وثواب حسن مرضى لا ينقطع ولا ينتهى وهو الجنة وما فيها مما اعده الله لعباده الجامعين بين اتباع ذكره
وخشيته انا نحن نحيى الموتى جمع الميت وهو من اخرج عنه روحه وقد يطلق على الجاهل مجازا وكلاهما محتمل ههنا والاحياء على الاول للبعث
الانبعاث الحقيقى وهو جعل الشئ حيا ذا حس وحركة اى نجعل الاموات احياء والثانى مستعار للهداية التى هى الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب وعن
الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان وقد اطلق النبى عم لفظ الموتى على كل غنى مترف وسلطان جائر وذلك فى قوله عم اربع يمتن القلب
الذنب على الذنب وكثرة مناقشة النساء وحديثهن وملاحاة الاحمق تقول له ويقول لك ومجالسة الموتى قيل يا رسول الله وما مجالسة الموتى قال
كل غنى مترف وسلطان جائر رواه ابو هريرة وكرر الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيدا على تاكيد لمعنى اختصاص الله تع بالاحياء كانه قيل ما يحيى
الموتى الا انا لا غيرى ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة واثارهم الحسنة كعلم علموه وكتاب صنفوه وحبس وقفوه
وبناء بنوه من مسجد ورباط وقنطرة ونحو ذلك والسيئة كوظيفة وظفها بعض الظلمة على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشئ احدث
فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله تع ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر اى بما قدم من اعماله واخر
من اثاره وقيل نكتب اثارهم اى خطاهم الى المسجد وعن ابى سعيد الخدرى شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله ونكتب ما قدموا
واثارهم وعن انس ارادت بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله ان تعرى المدينة فقال يا بنى سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا وعنه عم
اعظم الناس اجرا فى الصلوة ابعدهم فابعدهم ممشى والذى ينتظر الصلوة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذى يصلى ثم ينام رواه ابو موسى
الاشعرى وكل شئ احصيناه كل منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل المظهر ولولا ذلك لكان الاولى رفعه اى ضبطنا كل شئ وبيناه فى امام مبين
فى لوح ابين واظهر فيه كل ما كان وما يكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ ويكتب ما قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل شئ بالرفع واضرب لهم
مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندى من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد اى مثال واحد اصحاب القرية اى مثل
اصحاب القرية على تقدير المضاف كقوله تع واسأل القرية وهذا المقدر بدل من الملفوظ او بيان له والمعنى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية
وهى انطاكية التى من مداين النار بشهادة النبى عم فان عتبة بن عبد قال رسول الله عم اربع مداين من مداين الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن
واربع مداين من مداين النار انطاكية وعمورية وقسطنطنية وظفار اليمن وقد اثبته الفردوس الكبير وقيل اضرب يتعدى الى مفعولين
لتضمنه معنى الجعل اى اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا اذ جاءها المرسلون اذ منصوب بانه بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى عم
الى اهلها اذ ارسلنا اليهم اثنين قال وهب هما يحيى ويونس وقيل يونس ويحيى وقيل يونس وبولس وقيل شمعون ويحيى وقال كعب

صادق

صادق وصدوق فهذه خمسة اقوال واضاف الله الارسال الى نفسه لان عيسى عم انما ارسلهم بامره تع فكذبوهما فعززنا بثالث قراه ابو بكر فعززنا
بالتخفيف اى فغلبنا وقهرنا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والباقون فعززنا بالتشديد اى فقوينا من عزز المطر الارض
اذا لبدها وشددها بثالث هو شمعون فى الاقوال الثلثة الاول وبولس او حبيب النجار فى القول الرابع وشلوم فى القول الخامس وهو قول كعب
فعليك بمراعات هذه الاقوال الخمسة ومحافظتها واياك وتخليطها والالتفات الى غيرها فانه تبلبل فذلك بعد ثبوتها فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك
ان اهل انطاكية كانوا عبدة اوثان فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب
يس فسلما عليه فقال من انتما فاخبراه بانهما من رسل عيسى عم يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما اية قالا نعم نحن نشفى المرضى
فقال لهم
ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فبرئ وقام فى الوقت باذن الله فامن حبيب وفشى الخبر فى المدينة وشفى
على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما الكما اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر فى امركما فتبعهما الناس وضربوهما
وقيل غضب الملك وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا بعث عيسى عم شمعون الصفا راس الحواريين فدخل متنكرا وعاشر
اصحاب الملك حتى استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به الملك واكرمه فقال له ذات يوم سمعت انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه
قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما اياتكما قالا ما يتمنى الملك فدعى بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له موضع البصر واخذا
بندقتين من طين فوضعا فى حدقتيه فصارا مقلتين ينظر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ارايت لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا
فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر مكتوم ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى
ويتضرع حتى حسبوا انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به وبكما فدعوا بغلام مات سبعة ايام فقام وقال انى دخلت فى سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلثة قال الملك ومن الثلثة
قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه اخبره بالحال ونصحه فامن الملك وامن قومه ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبرئيل فهلكوا وعن كعب ووهب وابن اسحاق بل كفر الملك واجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء
يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين قالوا ما انتم الا بشر مثلنا هذا من قبيل قصر القلب وبيانه ان المرسلين لم يكونوا جاهلين
بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك لكنهم نزلوا منزلة المنكرين لان الكفار القائلين لهذا القول يعتقدون التنافى بين الرسالة والبشرية فنزلوهم منزلة
المنكرين لها فقلبوا هذا الحكم وعكسوه وقالوا ما انتم الا بشر مثلنا اى انتم مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدعونها فلا فضل
لكم علينا يقتضى اختصاصكم بما تدعونه ولا فضل بيننا وبينكم فلم تختصون بالرسالة دوننا ولو ارسل الرحمن الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل
منهم وهم الملائكة على زعمهم وانما رفع بشر ونصب فى قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفى فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه فلا يبقى له عمل وما انزل الرحمن
من شئ وحى اليكم ورسالة ان انتم الا تكذبون فى دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون قالوا اولا انا اليكم مرسلون بان واسمية الجملة حين كذبوا
وثانيا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون مؤكدة بالقسم وان واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين فى تكذيبهم وانكارهم ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الرد على صاحب
الكشاف حيث قال انما قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون اخرا لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار وهو بعيد عن السداد
وقد اتبعه القاضى البيضاوى فيه والعجب منه فانه لو امعن النظر لاباه لا سيما اذا توغل فى كلام السكاكى وصاحب الايضاح وما علينا الا البلاغ المبين
اى الظاهر المكشوف بالايات الشاهدة لصحة رسالتنا وقال لصحة اشارة الى الجواب وهو الحسن لكل ذى رشاد فانه لا يحسن الا بينة قالوا انا تطيرنا بكم
تشاءمنا بكم وذلك انهم استغربوا ما ادعوه واستكرهوه وتنفرت عنه نفوسهم وعادة الجهال ان يتيمنوا بكل شئ مالوا اليه واشتهوه وقبلته طباعهم
ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان اصابهم نعمة قالوا ببركة هذا وان اصابهم نقمة وبلاء قالوا بشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة
يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركى مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك وقيل ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم وعن قتادة

ان اصابنا شيء كان من اجلكم لئن لم تنتهوا عن دعواكم ومقالتكم لنرجمنكم لنطردنكم او لنرجمنكم بالحجارة او لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب اليم وليصيبنكم منا نوع شديد الالم من العذاب قالوا اى قال المرسلون لاهل انطاكية طائركم معكم اى سبب شؤمكم معكم وهو كفركم او اسباب شؤمكم معكم وهى كفرهم ومعاصيهم وقرئ طيركم وقرا الحسن اطيركم اى تطيركم أئن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم بنا او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرا ابو عمرو وقالون وهشام آئن بهمزة الاستفهام وحرف الشرط والف بينهما والباقون بدون الف بهمزة الاستفهام وحرف الشرط بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرئ بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وقرئ أن وإن بغير استفهام بمعنى الاخبار اى تطيرتم لان وان ذكرتم تطيرتم وقرئ اين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتوعدون وتتشاءمون بمن يجب ان يكرم ويتبرك به من رسل الله وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن بنبينا محمد عم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل ولم يؤمن بنبى احد الا بعد ظهوره وقال السدى كان قصارا وقال وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان مؤمنا مصدقا يجمع كسبه اذا امسى فيقسم نصفين فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصف وقال قتادة كان حبيب فى غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لما انتهى حبيب الى الرسل قال لهم اتسألون على هذا اجرا قالوا لا فاقبل على قومه ثم قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا جعلا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين ومن قال الايغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها يكون الاية عنده مثالا له لان قوله وهم مهتدون مما يتم المعنى بدونه لان الرسول مهتد لا محالة الا ان فيه زيادة حث على اتباع الرسل وترغيب فيهم ولما قال ذلك قالوا او انت مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم قال ومالى لا اعبد الذى فطرنى قرا حمزة وخلف ويعقوب ومالى باسكان الياء فى الوصل والباقون بالفتح اولا الخفة ولقد تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث لم يرد لهم الا ما اراده لها وتنبيههم بقوله فطرنى على رشاده وغيهم حيث اثر عبادة خالقه على عبادة الاوثان وهم عكسوه فقد ضلوا عما خلقوا له واليه ترجعون غير اسلوب الكلام حيث لم يجر اللاحق على سنن السابق التفاتا من التكلم الى الخطاب قصدا به ما ذكر من امحاض النصح والتلطف لهم ولذلك لم يقل ارجع على ما يقتضيه الظاهر والتحقيق ان المراد بقوله ومالى لا اعبد المخاطبون بمعنى ومالكم لا تعبدون الذى فطركم لكن عبر عنهم بقوله ومالى لا اعبد ليصور امر العبادة فى نفسه تعريضا لهم فانه احسن من التصريح وانفع فى النصح من حيث اسمعهم بذلك الحق على وجه لا يغيظهم وهو ترك التصريح بنسبتهم الى الباطل واراهم انما نصيحة نصح بها نفسه اولا ليتلطفوا فيقولوا ما نصحنا حبيب الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون اعون لهم وادعى على قبول الحق وابعث على استماعه منه لكونه ادخل فى امحاض النصح ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار العبادة الاصنام وتقريرا لعدم استحقاقهم لها وانتفاء قدرتهم راسا والمعنى ءأوثر على عبادة الله عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال العبادة من دفع ضر وجلب نفع ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا انتصب شيئا على انه فى موضع المصدر اى شيئا من الاغناء او على المفعول به من قولهم اغن عنى وجهك اى لا تنفعنى شفاعتهم راسا ولا ينقذون ولا يخرجونى منه بوجه من الوجوه والتناصر لكل سوء ومكروه يتضرر به وهو تعميم بعد تخصيص مبالغة فى عجزهم وانتفاء قدرتهم انى اذا لفى ضلال مبين اى فلو اتخذت آلهة من دون الله الذى فطرنى انى اذا لفى ضلال ظاهر لا شبهة فيه لكل ذى عقل وتمييز فان ايثار صور وتماثيل لا تنفع ولا تضر بوجه ما على الخالق المقتدر على كل شيء ضلال بين لا يخفى على احد ممن له ادنى تمييز وبصيرة وقرا ورش ينقذون باثبات الياء وصلا ويعقوب وصلا وقطعا انى آمنت بربكم الذى خلقكم وقرا الكوفيون وابن عامر انى اذا انى آمنت باسكان الياء فيهما والباقون بفتحها فاسمعون فاسمعوا نصحى وايمانى وقيل الخطاب للرسل اى فاسمعوا ايمانى تشهدوا لى به فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتل وقيل لما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود توطؤه بارجلهم حتى خرج قصبته من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة

وهو يقول

وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه من سور المدينة وقبره فى سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكهم بصيحة جبرئيل وعن رسول الله صلعم سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون قيل ادخل الجنة اى لما قتل قيل له ادخل الجنة بشارة له واكراما واذانا او لما هموا بقتله قيل له ذلك فرفعه الله الى الجنة على ما قال الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق ولعله اراد قوله تعالى احياء عند ربهم يرزقون وانما لم يقل قيل له ادخل الجنة لان الغرض بيان المقول دون المقول له للعلم به ويجوز ان يكون هذا الكلام استينافا مبنيا على قول سائل قال كيف كان حاله عند لقاء ربه وما قيل له بعد تصلبه فى نصر دينه وسخيه لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين انما تمنى علم قومه بان الله قد غفر له واكرمه بانتظامه فى سلك المكرمين ليرغبوا فى اكتساب مثل حاله بالتوبة عن الكفر والدخول فى زمرة اهل الايمان على دأب الانبياء والاولياء فى الحلم عن الجهال والترحم على الاعداء الاشرار وليعلموا انهم كانوا على خطاء عظيم فى امره وباطل وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة وفى ذلك زيادة غبطة وتضاعف لذة وسرور وقرئ المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية والباء صلة غفر اى باى شيء غفر لى ربى يريد به الايمان والمصابرة على اذيتهم لاعزاز الدين حتى قتل وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه وما نافية اى ولم انزل عليهم من بعده من جند من السماء لاهلاكهم كما انزلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول صلعم وما كنا منزلين اى وما صح فى حكمتنا ان ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء لانا قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا وقد نبه بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين على ان انزال الجنود من عظائم الامور التى لا يؤهل لها الا مثل رسول الله صلعم وما كان يفعل بغيره وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وطوفان ونار ثم بين ما اهلكهم به فقال ان كانت اى ما كانت النازلة او الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبرئيل وانما وصف الصيحة بالوحدة بيانا لما مر من ان النكرة تحتمل الجنسية والوحدة فاذا اريدت الدلالة على ان الغرض الذى يساق له الكلام هو الوحدة شفعت بما يبينها دلالة به على ما هو الاصل فى الغرض ولما كان وصفها بالوحدة لبيان ان القصد الى معنى احدى اسم الجنس الذى هو الاصل فى الغرض ويجوز ان يكون للتاكيد وقرا ابو جعفر صيحة واحدة بالرفع على كان التامة اى ما وقعت الا صيحة واحدة والقياس والاستعمال تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه انث نظرا الى ظاهر اللفظ وان الصيحة فى حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن لا ترى الا مساكنهم وبيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا عبد الله الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقى اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقى فاذا هم خامدون فاجأهم الخمود والموت يعنى خمدوا وماتوا كما تخمد النار وخمدت وفى تشبيههم بالنار اشارة الى ان الحى كالنار الساطعة والميت كرمادها كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * قال المفسرون ان جبرئيل اخذ بعضادتى باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم يا حسرة على العباد قال ابو العالية لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة اى ندامة على العباد اى على الرسل الثلثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم وقال عكرمة يا حسرتهم على انفسهم والحسرة شدة الندامة وقال الازهرى الحسرة لا تدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل نداء للحسرة كانما قيل لها تعالى يا حسرة فهذه من احوالك التى حقك ان تحضرى فيها ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوا به ويعضده قراءة من قرا يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول لاختصاصها بهم باعتبار انها موجهة اليهم وقرئ يا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف وقرا ابى وابن عباس يا حسرة العباد بالاضافة وقوله ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون حكاية حال ماضية مستمرة اى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلعم عن استهزاء قومه الم يروا اى الم يعلم اهل مكة وهو معلق عن العمل فى قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه وقوله انهم اليهم لا يرجعون بدل

من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ اى الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وقراة الحسن بالكسر على الاستيناف وقراة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراة بدل الاشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وان كل لما جميع لدينا محضرون قرا ابن عامر وعاصم وحمزة وابو جعفر لما بالتشديد بمعنى الا وان في هذه القراة نافية والباقون لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والتنوين في كل عوض من المضاف اليه والمعنى ان كلهم محشورون مجموعون محضرون للجزاء يوم القيمة وقيل محضرون معذبون ومعنى الكل والجميع ليس بواحد لان معنى الكل الاحاطة والشمول وانه لا ينفلت منهم احد ومعنى الجميع الاجتماع وان المحشر يجمعهم وهو فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاؤا جميعا ولما نظر فيه او لمحضرون ثم استدل لهم على بعثهم وحشرهم ونشرهم وانهم يحيون باحياء الله اياهم وايجاده الحيوة فيهم يوم القيمة كما يحيي الارض الميتة ايام حيوتهم في الدنيا فقال واية لهم الارض الميتة ودلالة واضحة لهم الارض اليابسة وقرا ابو جعفر الميتة بتشديد الياء وهي لغة لكن التخفيف اشيع واحسن لسلسها على اللسان وقراءة الخليل المايتة وقوله احييناها خبر للارض والجملة خبر اية او كتبيينا في لبيان كون الارض الميتة اية وكذلك نسلخ ويجوز ان يكونا صفتين للارض والليل لانه اريد بها الجنسان مطلقين لا ارض ولا ليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني ومن هذا الاسلوب قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا على ان يحمل صفة للحمار وقوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون على ان لا يستطيعون صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان لما ذكرنا من ان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فلم يرد به معين واخرجنا منها حبا جنس الحب وهو كل ما يقتات به من نحو الذرة والحنطة والشعير وغيرها مما يحتاج النفس ويميل اليه فمنه ياكلون قدم الظرف للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ومنه صلاح الانفس حتى اذا قل قل الصلاح وكثر القحط والصياح واذا فقد فقد النجاح باختلال الاشباح والارواح ولذلك قال رسول الله عم اكرموا الخبز فان الله اكرم فمن اكرم الخبز اكرم الله رواه الطبراني وصاحب الفردوس عن ام سكينة وقال عم اكرموا الخبز فان الله تعالى سخر له بركات السموات والارض والحديد والبقر وابن ادم ولا تسندوا القصعة بالخبز فانه ما اهانه قوم الا ابتلاهم الله بالجوع رواه ابو هريرة وابو موسى وعبد الله بن حرام كذا في معجم الطبراني والفردوس وقد قال عم اللهم متعنا بالاسلام وبالخبز فلولا الخبز ما صمنا ولا صلينا ولا حججنا ولا غزونا وارزقنا الخبز والحنطة وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وخلقنا في الارض بساتين من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف دون الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها قرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة عند الاخفش لياكلوا من ثمره اى من ثمر ما ذكر من الجنات كما قال روبة فيها خطوط من بياض وبلق كانه في الجلد توليع البهق يريد كان ذلك ويجوز ان يكون الضمير لله على طريق الالتفات والاضافة اليه لاختصاصه به لانه لم يوجد الا بخلقه وايجاده والمعنى لياكلوا مما خلقه الله من الثمر وقرا حمزة والكسائي وخلف ثمره بضم الثاء والميم وهو لغة فيه او جمع ثمار والباقون بفتحها وقرئ بضمة وسكون من ثمره اى من ثمر الحاصل بالماء وما عملته ايديهم عطف على الثمر اى وما عملته ايديهم من الغرس والسقي والابار وغير ذلك من الاعمال والى ادرك ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما فيكون ما موصولة ويجوز ان يكون نافية على ان الثمر بخلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه ويعضد الاول قراة من قرا وما عملت ايديهم بغير هاء وهم حمزة والكسائي وابو بكر وخلف وان حذفه من الصلة احسن من غيرها وقيل اراد العيون والانهار التي لم يعملها يد مخلوق مثل دجلة والفرات والنيل وغيرها افلا يشكرون همزة الاستفهام للانكار دخلت على حرف العطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اتذكرون تلك النعم فلا يشكرونها ومقدمة شكرها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له ندوشريك وانه مقدس عن كل سوء وعن صفات الاجسام كلها ازلا وابدا وقيل امر بالشكر من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي اى اسبح تسبيحا وانزه تنزيها الذي خلق الازواج كلها اوجد الانواع والاصناف واخرجها من العدم الى الوجود مما تنبت الارض مما تخرج الارض من الثمار والحبوب والنبات وقراءة الخليل مما تنبت بتشديد الباء ومن انفسهم

مثل مخلوق

من الذكور

من الذكور والاناث ومما لا يعلمون وازواجا مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته ولا يبعد ان يخلق الله نوعا من الخلائق الحيوان والجان ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به كما قال ويخلق ما لا تعلمون ويجوز ان يكون المعنى مما لا يدركون كنهه مما خلق من اشياء منه الثواب والعقاب كما قال النبي عم ابرع للكتب كغايتها شرور النفس وخداع ابليس وثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار ومنه الروح فانه مما بلغنا ان الله اطلع احدا على حقيقة الروح وعن ابن عباس لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل اطلعهم عليه فاعلمناه بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته وكمال علمه واتساع ملكه واية لهم الليل نسلخ منه النهار هو من قبيل الاستعارة محسوس بمحسوس بوجه عقلي وتقريره على ما ذهب اليه القوم ان السلخ كشط الجلد وازالته عن نحو الشاة ثم استعير لكشف الضوء وازالته عن مكان الليل وموضع القاء ظله فالمستعار منه المسمى بالمشبه به معنى السلخ وكشط الجلد عن الشاة مثلا والمستعار له المسمى بالمشبه كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع لهما ترتب امر على امر اى حصوله عقيبه وهو معنى عقلي وتوضيح ذلك ان الظلمة هي الاصل والنور طارئ عليها يستر بضوئه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل اى كشف كما يكشف عن الشيء الشيء الطاري عليه الساتر له فجعل ظهور الظلمة بعد ذهاب ضوء النهار كظهور المسلوخ بعد سلخ اهابه عنه وح صح قوله فاذا هم مظلمون لان الحاصل عقيب اذهاب الضوء عن مكان الليل هو الاظلام ووقع في عبارة عبد القاهر والسكاكي ان المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل واعترض بانه لو اريد ظهور النهار لكان المناسب فاذا هم مبصرون دون مظلمون لان الواقع بعد ظهور النهار هو الابصار دون الاظلام واجيب بحمل عبارتهما على القلب اى ظهور ظلمة الليل من النهار او بان المراد من ظهور النهار تميزه وانكشافه عن ظلمة الليل او زواله كما في قول الحماسي وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر اى زائل ففي الجملة يكون عبارة عن انقضاء النهار وابتداء الليل والدخول في الظلام والاوجه ان مرادهما انقضاء الليل وابتداء النهار من سلخت الشاة من الاهاب اذا اخرجتها لا من سلخت الاهاب عن الشاة بمعنى نزعته على ما ذهب غيرهما ويصح الفاء لان التراخي وعدمه مما يختلف باختلاف الامور والعادات وزمان النهار وان توسط بين اخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام لكن لعظم دخول الظلام بعد اضاءة النهار وكونه مما ينبغي ان لا يحصل الا في اضعاف ذلك الزمان عد الزمان قريبا وجعل الليل كانه يفاجيهم عقيب اخراج النهار من الليل بلا مهلة وقد رجح هذا بعضهم بان اذا المفاجاة انما يحسن على تقدير جعل السلخ بمعنى الاخراج كما يقال اخرج النهار من الليل ففاجاه دخول الليل بخلاف ما اذا جعلت السلخ بمعنى النزع نزع ضوء الشمس عند الهواء ففاجاه الظلام فانه لم يستقم ولم يحسن كما لا يستقيم قولك كسرت الكوز ففاجاه الانكسار لان دخولهم في الظلام عين حصول الظلام فيكون نسبة دخولهم في الظلام الى نزع ضوء النهار كنسبة الانكسار الى الكسر فلهذا جعل السلخ بمعنى الاخراج دون النزع وبعضهم بان المعنى انما يكون اية اذا اشتمل على نوع استغراب واستعجاب ينتقل الى زيادة اقتدار وذلك في مفاجاة الظلام عقيب ظهور النهار لا عقيب انقضاء ضوء النهار وزواله وبان ظهور النهار المضيء انسب بظهور المسلوخ الابيض من الجلد الساتر الذي ربما يكون اسود مظلم من ظهور الليل وبان التحقيق وان كان يقتضي طريان صورة الضوء على الظلام بمنزلة الساتر لكن المتعارف المتبادر الى فهم العامة عكس ذلك حتى كانهم يعتقدون ويعدون من جملة الضرورات ان الظلام هو الذي يطرء على الضوء فيستره بمنزلة اللباس وينكشف عنه فيظهر وجعلنا الليل لباسا وقال الامام السهيلي معناه نذهب بالنهار ونجيء بالليل وذلك لان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها لحد لها معلوم ينتهي اليه دورها في اخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع سيره او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب لان لها في دورها ثلثمائة وستين شرقا وغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لحد لها من سيرها كل يوم في مراى عيوننا وهو المغرب او لاجلها الذي اقر الله عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو اخر السنة او لوقتها الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيمة او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص وقد صح عن النبي عم انه قال مستقرها تحت العرش عن ابي ذر قال سالت النبي عم عن قوله تع والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وعن ابي هريرة

بخفي

قال نسخه

قال النبي عم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري اين تذهب قال الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تع والشمس تجري لمستقر لها الاية وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها وهي قراءة ابن مسعود اي لا تزال تجري لا تستقر ولا تسكن ابدا وقرئ لا مستقر على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه وعن احصاء الحكم فيه تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه منازل اي قدرنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلة او ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة فاذا كان في اخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج وهو عنقود النخل فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبريون عن سليمان التيمي وفي حرف الحلوا كالعرجون صوبون فرعون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقرأ الكوفيون وابن عامر وجعفر ورويس والقمر بنصب الراء باضمار فعل يفسره الظاهر اي وقدرنا القمر قدرناه والباقون بالرفع على انه مبتدا خبره قدرناه او عطف على الليل والشمس وعلى القراءتين لا بد في الكلام من تقدير مضاف كما ذكرنا لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل وقيل معناه قدرناه ذا منازل على ان ذا منازل حال او مفعول ثان على تضمين التقدير معنى التصيير وقيل المعنى قدرنا له منازل لا الشمس ينبغي لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا الليل سابق النهار فتتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل او ولا يسبق اية الليل اية النهار وهما النيران ولا يزال الامر كذلك الى ان جمع الله الشمس والقمر واطلع الشمس من مغربها وتبديل الادراك بالسبق لانه الملايم بسرعة سيره وفي انسحاب النفي فيهما دلالة على انهما من مدبرات استحال منهما تجاوز حدهما وتخطي طورهما واما ولا يستهل لهما الا ما اريد بهما فيهما في قبضة التسخير والتذليل وتحت التصرف والتقدير كساير المسخرات التي لا تقدر ان تخرج من حكم الله وسلطانه وقدره وقيل لا يصح للشمس ان تدرك القمر في سرعة سيره لان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في اثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وقرأ الخليل سابق النهار بالنصب على الاصل وكل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وكلهم على ان الضمير للشموس والاقمار نظرا الى المطالع فان اختلاف الاحوال توجد تعددا اما في الذات او الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك اراد بالفلك الجنس اي في جنس الفلك كقولهم كساهم الامير حلة يريدون كساهم هذا الجنس يسبحون يسيرون سير السابح في سطح الماء وهو خبر كل واية لهم تدل على قدرتنا انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم وقيل اباءهم واجدادهم فان اسم الذرية كما تقع على الاولاد تقع على الاباء وفيه اشكال اللهم الا ان يراد ذرية ابيهم وهو ادم عم والا لم تقع الذرية في اللغة الا على الاولاد وعلى النساء كما في حديث عمر رضه حجوا بالذرية يعني بالنساء وهذا صحح قوله من قال ذرياتهم صبيانهم ونساؤهم الذين يستصحبونهم لان النساء من ازرع الذرية وفي النهاية الحديث نهى عن قتل الذراري يعني النساء وتخصيصهم لان استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب ذرياتهم بالجمع والباقون بالافراد في الفلك المشحون اي المملوء والمراد بالفلك جنسه وقيل سفينة نوح عم وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجب من قدرته مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق او من الابل فانها سفاين البر قال ابن عباس وقرأه اليماني مثله بنجح

اليم

بيان منازل القمر
وبيان نقص الشهر من نجوم الخلق

اليم والتاء وان نشا نغرقهم محمول على الفرض والتقدير بدليل قوله ولا هم ينقذون الا رحمة منا الاية فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحميهم من الغرق او فلا اغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ اي الاغاثة ولا هم ينقذون ينجون من الموت بالغرق الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة منا ولتمتيع بالحيوة الى حين الى وقت يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من الغرق وفي ملح بعضهم ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرأ الحسن نغرقهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم اي اتقوا الوقايع التي خلت والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوايب الارض كقوله تع اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقايع الخالية التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لان دابهم الاعراض عند كل اية وموعظة واذا قيل لهم انفقوا على الفقراء مما رزقكم الله اعطاكم قال الذين كفروا تو غلوا في الكفر بالصانع وتمردوا عليه يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم من ايمانهم واقرارهم وتعليقهم الامور بمشيته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم والهمزة للانكار يعني لا نطعم المقول فيه هذا القول بينكم دعاني بهم كون الفقر والغنى من الله وعن ابن عباس رضه كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين قال لهم فقراء المؤمنين اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرا الاية ايهاما بان الله تع لما كان قادرا على اطعامهم ولم يشا اطعامهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهلهم بان الله يريد ان يبلو الغني بالفقير فيما فرض له لله في مال الغني ويطيع بالاسباب على ما قضى وقدر في اللوح والاعتراض لاحد على ارادة الله ومشيته وحكمه في خلقه ان انتم الا في ضلال مبين خطاء ظاهر حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ويقولون ايضا من فرط جهلهم متى هذا الموعود من البعث والقيمة والجزاء ان كنتم صادقين في وعدكم يخاطبون به رسول الله والمؤمنين او المؤمنين وحدهم ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى قال ابن عباس تاخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء اتباعا للصاد وهي قراءة عاصم والكسائي وابن ذكوان وخلف ويعقوب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام يخصمون بفتح الخاء على نقل حركة التاء اليها وابو عمرو وقالون وابو جعفر باخفاء فتحها واختلاسها وهو اصعبها اداء وحمزة يخصمون من خصمه اذا جادله اي يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة فانهم لا يبعثون وقرأ الحسن يخصمون بكسر الياء والخاء اتباعا وفي حرف ابي يختصمون على الاصل فلا يستطيعون توصية فلا يقدرون ان يوصوا في شيء من امورهم وقال مقاتل عجلوا عن الوصية فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون على الرجوع الى اهاليهم ومنازلهم بل يموتون حيث تبغتهم وتفجاهم الصيحة فلا تمهلهم الساعة بشيء ونفخ في الصور هي النفخة الثانية والصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بضم السين قالوا يا ويلنا نادوا هلاكهم وقرئ يا ويلتنا يعني نادوا هلكتهم التي هلكوا بها خاصة من بين الهلكات من بعثنا من مرقدنا قال ابي وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخرة وعاينوا القيمة دعوا بالويل وقال اهل التحقيق ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا ويعضد القول الاول قول النبي عم بين النفختين اربعون وليس بينهما قضاء ولا رحمة ولا عذاب الا ما شاء ربك رواه ابو هريرة وقرأ ابن مسعود رضه من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرأ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهو من قبيل الاستعارة معقول لمعقول فان المستعار منه الرقاد اي النوم والمستعار له الموت والجامع لهما عدم ظهور الافعال والكل عقلي وقرينة الاستعارة كون هذا الكلام كلام الموتى هكذا قرره الاكثرون من علماء البيان واعلم ان في جعلهم الجامع عدم ظهور الافعال نظرا لانه في المستعار له اعني الموت اقوى ومن شرط الجامع ان يكون في المستعار منه اقوى فالحق

ان الجامع هو البعث الذي هو في النوم اظهر وكانه اقوى لكونه مما لاشبهة فيه لاحد وبالجملة فالاستعارة تبعية اصلية ان جعل المرقد
مصدرا بمعنى الرقاد وتبعية ان جعل اسم مكان فيعتبر التشبيه في المصدر لانه بالنظر في اسم المكان وساير المشتقات انما هو المعنى القايم
بالذات وهو الرقاد ههنا لا نفس الذات وهي القبر الذي ينام فيه واعتبار التشبيه في المقصود الاهم اولى ومن جعل الجامع عدم ظهور
الافعال من زعم ان القرينة هو ذكر البعث وفيه نظر لان البعث لا تخص الموت يقال بعثه من نومه ايقظه وبعث الموتى حشرهم والقرينة
يجب ان يكون له اختصاص بالمستعار له هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوف العايد تقديره
هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون بمعنى صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره وهذا صفة
لمرقدنا وما وعد خبر مبتدا محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وهو من كلام الكافرين يتذكرون
ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا او كلام الملائكة او كلام المؤمنين واليه ذهب الحسن ومجاهد وعلى الاخرين هذا
جواب عن سؤالهم من بعثنا معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتوبيخا لهم عليه واعلاما بان الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث
كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل به الرسل فصدقوكم وليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النايم من مرقده حتى يهمكم
السؤال عن الباعث وانما هذا البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع ان كانت الا صيحة واحدة قرئوا الايمة السبعة صيحة واحدة بالنصب على كان
الناقصة اي ما كانت الفعلة الصيحة واحدة وخالفهم ابو جعفر وهو عاشرهم بان قراها بالرفع على كانت التامة اي ما وقعت الا صيحة واحدة
وهي النفخة الاخيرة نفخة البعث فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغنائهما عن
الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم ذلك اليوم وفي مثلها زيادة تصوير
للموعود وفضل تمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة
من الفكاهة وهي المزاح ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به ويتنعم ونكر الشغل قصدا بتنكيره الى التعظيم وابهام امره وانه شغل لا يكتنه النعت
ولا يحيط به الوصف وما ظنك بشغل من سعد بالنظر الى وجه الله في دار السلام قال النبي عم اذا نظر والى الله نسوا نعيم الجنة وعن ابن عباس
في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار وعن وكيع في السماع وعن ابن كيسان في زيارة بعضهم بعضا وعن الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه
اهل النار من العذاب وعن الكلبي في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقيل في
ضيافة الله وقراءة الكوفيين وابن عامر وابو جعفر ويعقوب شغل بضم الغين والباقون بالسكون وقرئ بفتحتين وبفتح الشين وسكون الغين
والكل لغات وابو جعفر فكهين بكسر الكاف حيث وقع وافقه حفص في المطففين وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بضم الكاف وهو لغة كقولهم رجل حدث وحدث ونطش ونطش وقرئ فاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وهو مستقر
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او جمع ظلة كحلة وخلال وقبة وقباب وقرا حمزة والكسائي وخلف في ظلل جمع ظلة الاخير على الارائك
جمع الاريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها اي على السرر المزينة او على الفرش المزينة متكئون جمع تاكيد هم مبتداه خبره في ظلال او
على الارائك جملة مستانفة او خبر ثان او متكئون والجاران صلتان له او تاكيد للضمير في شغل وفاكهون وعلى الارائك خبر آخر لان وازواجهم عطف
على هم لمشاركتهم في الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وفي ظلل حال من المعطوف والمعطوف عليه وقراءة ابو جعفر متكون وابن مسعود
متكئين لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعاء اي ما يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واحتمل اذا شوى وحمل لنفسه او ما يتداعونه
كقولك ارتموه بمعنى تراموه او ما يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمن علي او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة
مرفوعة بالابتداء خبرها لهم وقوله سلام بدل مما يدعون او صفة اخرى او خبر لمحذوف او مبتداه محذوف الخبر اي ولهم سلام وقرا ابن
مسعود سلاما بالنصب على المصدر او على الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اي يقول الله او يقال لهم قولا كائنا من جهة رب
رحيم بمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويؤيده قوله عم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع

لهم



لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تع قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه
فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم رواه جابر وعن مقاتل تدخل الملائكة على اهل الجنة
من كل باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم ما يدعون
سلام اي عدة من رب رحيم ويجوز ان يكون منصوبا على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة
وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة كقوله تع ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون الاية يقال مازه فانماز وامتاز وقال مقاتل اعتزلوا اليوم
من الصالحين وقال قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك تفرقوا في النار لكل كافر بيت من النار ينفرد به لا يرى ولا يرى فيمتاز بعضهم من بعض
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان على ارادة القول اي يقول الله للمجرمين من بني آدم هذا الكلام توبيخا لهم وقطعا لمعذرتهم والزام الحجة
عليهم والعهد الوصية وعهد اليه وصاه وعهد الله اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته الناهية عن عبادة غيره وجعل
عبادة غيره عبادة الشيطان لانه الامر بها والمسول لها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في الياء
واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وقرئ احهد بالحاء واحد على لغة تميم ومنه قولهم دحا محا ومعنى
الكل الم آمركم يا بني آدم ان لا تطيعوا الشيطان فيما يامركم به ويزينه لكم من عبادة غير الله انه لكم عدو مبين تعليل للنهي عن عبادته وان
اعبدوني وحدوني بالعبادة ولا تشركوا بي احدا وهو عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية
الشيطان وطاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه او الى عبادة الله فالجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بشقه الاخر والتنكير
للمبالغة والكمال كانه قيل صراط بليغ كامل في بابه بليغ كامل في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ومنه قول كثير لئن كان يهدى برد
انيابها العلى لافقر مني انني لفقير يريد انني بليغ الفقر كامل فيه لكمال شرايطه فيه والام يستقم معنى البيت او للتبعيض لان التوحيد بعض
الطريق المستقيم وفيه توبيخ لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كقول الرجل لولده بعد ان بالغ في نصحه هذا فيما اظن نافع غير ضار
توبيخا له على الاعراض عن نصايحه ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون تقرير لبيان معاداة الشيطان على ابلغ وجه مع ظهور عداوته
ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل وقراءة نافع وعاصم وابو جعفر جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف ورش
ورويس جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو جبلا بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام وروح جبلا بضمتها وتشديد
اللام وقراءة الخليل جبلا بفتح الجيم وضم الباء والاعرج وعيسى جبلا بكسر الجيم واسكان الباء وقرئ جبالا بوزن رجالا وجبلا بوزن
ابل وجبلا كعنب وقراءة علي جيلا كعسل فهذه عشر لغات في معنى الخلق ويقال الجماعة وقيل التي بوزن عنب هي جمع جبلة وهي
الخلقة وقيل التي بوزن عسل هي واحد الاجيال وقال ابو حاتم رايت رجلا خراسانيا يروي الحروف يذكر يعقوب فذكر عن بعضهم
جيلا بالياء ولا احفظه والهمزة للانكار دخلت على فاء العطف والمعطوف عليه مذكور وهو قوله الم اعهد عطفا للجملة المنفية على
المنفية ظاهرا والمثبتة على المثبتة تحقيقا لان المعنى عهدت اليكم فكنتم تعقلون عهدي مع عداوة الشيطان واضلاله فلم لم تعملوا على
مقتضى عقلكم وموجب علمكم وهذا توبيخ عقيب توبيخ والانكار بعد انكار او محذوف كانه قيل اعبدتم الشيطان فلم تكونوا تعقلون عداوته
واضلاله خلقا كثيرا منكم مع انها كانا اظهر من الشمس واسناد الاضلال الى الشيطان مجاز لا حقيقة بدليل قوله تع وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة
شيء هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا في ازمنتها المتطاولة اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ادخلوها اليوم بسبب كفركم وتكذيبكم بها وهذه
الخطابات كلها للمجرمين كما قال هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اليوم نختم على افواههم الختم الطبع في الاصل ثم استعير للمنع اي نمنع
افواههم من النطق وتكلمنا ايديهم بانطاقنا اياها وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون فتنطق قواهم الاربع بما كسبوه من
السيئات روي في الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين
فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وعن انس كنا عند رسول الله عم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال

قال ابو سعيد يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك
فيقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين
فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس

اول الحديث بعثت داعيا ومبلغا وليس الي من الهدى
شي

من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم يقول بلى فيقول انى لا اجيز على نفسى الا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
فيكون تكلم الايدى وشهادة ارجلهم بانطاق الله اياها وقيل بظهور اثار المعاصى عليها ودلالتها على افعالها وقرئ تختم وتتكلم ايديهم
وقرئ لتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك تختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم
على ان الله يامر الاعضاء بالكلام والشهادة وبالجملة فيه اعلام بسوء الحساب لهم لسوء مكسوباتهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمحنا
اعينهم حتى تصير ممسوحة وقيل لاذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق كما قال ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم يعنى كما اعمينا قلوبهم لو نشاء لاعمينا ابصارهم الظاهرة فاستبقوا الصراط محمول على حذف الجار اى فاستبقوا الى الطريق
المهيع الذى اعتادوا سلوكه ويجوز ان ينتصب الصراط بتضمين الاستباق معنى الابتدار اى فابتدروه وتسابقوا نحوه او بالظرف او
بجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فانى يبصرون فكيف يبصرون الصراط يعنى لم يقدروا ان يبصروا ويعلموا الطريق وجهة السلوك
فضلا عن غيره ويجوز ان يكون المعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين فى الطريق المالوف كما كان ذلك عادتهم لم
يستطيعوا وان يكون المعنى ولو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذى اعتادوا المشى فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقا
يعنى انهم لا يقدرون الا على الطريق المعتاد دون ما وراءه من ساير الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضربوا به من
المقاصد وغيرها وقال الحسن والسدى لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ
وقال ابن عباس ومقاتل وعطا وقتادة لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى
الهدى فابصروا وارشدهم فانى يبصرون فلم افعل ذلك بهم ولو نشاء لمسخناهم لغيرناهم بان جعلناهم قردة وخنازير او حجارة
ومدرة وهذا اشد واقبح من الاول على مكانتهم فى مكانهم ومنزلهم فما استطاعوا مضيا فلم يقدروا ان يبرحوه باقبال ولا ادبار
ولا ذهاب ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه لرعاية الفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وعن قتادة لمسخناهم
اى لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتى والعتى والجثى والجثى والصلى
والصلى ومضيا بفتح الميم بوزن الصبى والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهدنا اليهم احقاء بان نفعل بهم ذلك الطمس والمسخ لكنا نفعل
لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره اى ومن نطول عمره ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فنضعف اعضاءه وجوارحه
بعد قوتها ونقصها بعد كمالها وزيادتها حتى يرجع فى ضعفه ونقصانه شبيها بالصبية فى ضعف جسده وقلة عقله ونقصان علمه
وقرأ عاصم وحمزة ننكسه بتشديد الكاف اى ننقله من الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم الذى هو ارذل العمر والباقون ننكسه بتخفيفها
اى نرده لهرمه الى حال الصغر والطفولة وقيل معناهما واحد وهو ان المعمر ينكسه الله فى الخلق فيرده الى ارذل العمر ويجعل حاله
حال الصبى كما ينكس المترهم فيجعل اعلاه اسفله كما قال تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا وقرئ ننكسه بكسر الكاف
وننكسه من الانكاس افلا يعقلون عطف على محذوف كانه قيل ايغفلون عن هذا فلا يعقلون وقرأ نافع وابن ذكوان وابو جعفر
ويعقوب افلا تعقلون بالتاء نظرا الى الخطابات المتقدمة اى افلا تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على هذا التغيير والنقل من حال
الى حال قدر على ذلك التغيير من هيئة الى هيئة لعدم الاختصاص حتى لا ينكروا الطمس والمسخ وغيرهما من العذاب والبعث فانه
وان لم نفعلها بكم فى الدنيا نفعلها بكم فى الاخرة ان لم تتوبوا عن الكفر والمعاصى ومما هو دال دليل على هذا المعنى قول النبى عم يحشر عشرة
اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم
عميا وبعضهم صما وبكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة
ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون مصلبون على جذوع من نار الحديث ويدل عليه الايات من كتاب الله وما علمناه الشعر رد لقولهم

ان محمدا

ان محمدا شاعر وروى ان القايل عقبة بن ابى معيط اى وما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه غير مقفى ولا موزون ولا معنى مخيل وما ينبغى له
وما يصح له الشعر وما يتطلب لو طلبه وانما لم يعلمه الشعر ولم يتأت له لان الشعر قرآن ابليس وكلامه قال النبى عم فى حديث عظيم
ذكره فى سورة بنى اسرائيل قال ابليس رب اجعل لى قرآنا قال الشعر الحديث اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه
اميا لا يهتدى للخط ولا يحسنه ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له
وقوله انا النبى لا كذب وانا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت مما صدر منه اتفاقا بحسب السليقة من
من غير صنعة فيه ولا تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يصدر مثله كثيرا فى تضاعيف المنثورات من الخطب والرسايل والمحاورات على ان الخليل
ما عد المشطور من الرجز شعرا وعن الحسن كان النبى عم يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر رضى يا نبى الله انما قال الشاعر
كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر او عمر اشهد انك رسول الله يقول الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وعن عايشة رضى
كان النبى عم يتمثل بيت اخى بنى قيس طرفة ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم
تزود بالاخبار فقال ابو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست بشاعر وما ينبغى لى وقيل الضمير للقرآن اى وما يصح للقرآن ان يكون
شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد يوعظ ويرشد به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وقرآن مبين وكتاب سماوى
يقرأ فى المحاريب والمعابد ظاهر امره فى اعجاز العرب كلهم وتبكيتهم او واضح للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم فلا تشتبه عليهم
معانيه او موضح لمن تدبره انه من عند الله لا من عند البشر او مظهر طرق الهدى من طرق الضلالة وكل ما تفتقر اليه الامة فى ابواب الديانات
لينذر قرأ نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب لتنذر بالتاء خطابا لرسول الله عم والباقون بالغيبة على ان الضمير له
او للقرآن وقرأ اليمانى لينذر مبنيا للمفعول وقرئ لينذر من نذر به اذا علم من كان حيا مؤمنا فى علم الله لان الكافر كالميت
لا ينتفع بالانذار ولا ينتفع به ولا يتأثر فيه وقيل عاقلا فهما فان الغافل كالميت ويحق القول على الكافرين المصرين على الكفر
وجعلهم فى مقابلة من كان حيا اشعار بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات فى الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا لما فيه من بدايع الفطرة والحكمة التى لا يصح ان يقدر عليها الا الله خالق كل شىء وذكر الايدى
واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة فى الاختصاص والتفرد بالاحداث والهمزة عن انتفاء الرؤية على وجه الانكار فافادت اثبات الرؤية وايجابها
فكانه قيل قد راوا انا خلقنا لهم وعلموه بدليل العقل والنقل لايمانهم واقرارهم بان الله خالقهم وخالق السموات والارض والشمس والقمر
فيعتقدون ان العالم بجميع اجزائه مخلوق الله تعالى لا خالق له سواه ولكنهم كانوا يشركون فى العبادة جهلا وضلالا وتقليدا لابائهم
الجهلة الضلال واتباعا لخطوات الشيطان انعاما هى الازواج الثمانية من الابل والبقر والضان والمعز فهم لها مالكون بتمليكنا
اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون بتسخيرنا اياها لهم
من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اى ولا اضبط وذللناها لهم وصيرناها ذليلة منقادة لهم ولولا
تذليله اياها لهم لم يقدروا عليها فهو نعمة من النعم الظاهرة ولهذا الزم الله الراكب ان يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى
سخر لنا هذا الاية فمنها ركوبهم اى مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم
او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اى يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها ونسلها وغير
ذلك مما ينتفع به ومشارب من البانها جمع مشرب بمعنى الموضع وهو الظاهر وقيل بمعنى المصدر افلا يشكرون رب هذه النعم
او نعم الله فى ذلك والفاء حرف عطف دخلت عليه همزة الانكار والمعطوف عليه اولم يروا انا خلقنا لهم وانما عطف بالفاء لان المعنى
راوا انا خلقنا الانعام لهم فخصصناهم بملكها وذللناها لهم فخصصناهم بركوبها واكلها وما فيها من المنافع والمشارب ابعد ذلك لا يشكرون
نعمنا فى ذلك يعنى كان الواجب عليهم بعد علمهم بانعام الله عليهم بتلك النعم ان يشكروه عليها بان يعبدوه وحده ولا يشركوه بعبادته احدا

فاذا اشركوا كفروا تلك النعم ولم يشكروا ربها على شيء منها فما اعظم كفر من لم يشكر ربه الذى انعم عليهم بتلك النعم وما اجهل من يتخذ من دونه الها
وما اظلم وما اطغاه فان الشرك اعظم الطغيان والكفران من العباد بربهم واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها في العبادة بعدما راوا منه تلك
القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلموا انه المتفرد بالانعام لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر على عكس
ما قدروا وتوهموا لانه لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لالهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم ذب الجنود
عن الملوك ومحضرون اثرهم في النار لانهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك فلا يحزنك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم في الله بالالحاد
والشرك او بالتكذيب والتهجين او باللعن انا نعلم ما يسرون وما يعلنون من اقوالهم وافعالهم فنجازيهم على ذلك وكفى ذلك ان يتسلى به
وهو تعليل للنهي على الاستيناف وكذلك لو قرئ انا بفتح الهمزة على حذف لام التعليل جاز وعليه ليهبه رسول الله صلعم والنعمة لك لبيك اوحنيفة
وفتح انشا فى وكلاهما تعليل ويجوز على الفتح ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم وهذا المعنى قايم مع المكسورة اذا جعلت مفعولة
للقول وقراد الخليل ما يسرون وما تعلنون بالتاء فيهما اولم يرى الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعنى قد علم الانسان
انا اوجدناه من اخس شيء وامهنه من نطفة جماد لا حس به ولا حركة يخرج من الاحليل الذى هو قناة البول دلالة على قدرتنا الباهرة
فاذا هو خصيم بليغ الخصومة لربه والانكار لخالقه الرم وصف له والتصنع قايل من يحيى العظام وهى رميم وصفنا الانسان بالانهماك
فى كفران النعم وعقوق الايادى وبالا فرط فى الوقاحة والجهل مع توغله فى الخسة وتخلفه فى التمحيق مبين ظاهر بين فى خصومته او مظهر للحجة
ومجادلة جبار السموات والارض تقريرا لوقاحته وجهله ومكابرته التى لا مطمع وراءها روى ان ابى بن خلف خاصم النبى صلعم فى انكار البعث واخذ
عظما باليا ففتته بيده وقال يا محمد اترى الله يحيى هذا بعد ما رم فقال صلعم نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى واذا هو خصيم مبين
فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام معرب عما فى نفسه فصيح كما قال تعالى او من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام
غير مبين وقيل المعنى انه مخلوق من نطفة ثم يخاصم فكيف لا يتفكر فى بدء خلقه حتى يدع الخصومة والعامل فى اذا المفاجاة معنى المفاجاة
وهو عامل لا يظهر استغنى عن اظهاره بقوة ما فيها من الدلالة عليه ولا يقع بعدها الا الجملة المركبة من المبتداء والخبر وهى فى المعنى فاعل لان معنى
فاذا هو خصيم مبين فاجاه خصومة مبينة كما ان معنى قوله اذا هم يقنطون فاجاءهم قنوطهم او مفعول اى فاجاء الخصومة
وفاجاهم القنوط يعنى خاصم خالقه مخاصمة ظاهرة وقنطوا من الرحمة وضرب لنا مثلا وقص لنا قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهى
انكار قدرة الله على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسى خلقه خلقنا اياه وقيل بدء امره يعنى ان الله
انشاه من تراب وهو الانشاء الاول وانشاه من موات وهو الثانى وهذا الكافر نسى الانشاء الاول وانكر الثانى ولو كان
ينسه لقاس الثانى على الاول لانه اصعب واحدة لا انه واحد تتعدد وتتكثر باختلاف التعلقات والاضافات والتاويل على ما ذكرته من
الاستدلال وترك قياس الثانى على الاول قوله تعالى لكفار مكة وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون قال المفسرون
فى هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشاة الاخرى على الاولى قال من يحيى العظام وهى رميم انكار لاحياء العظام
واستبعاد له وهذه الجملة اعنى قال مع مفعوله استيناف بتقدير قوله مثلا وتبيينه والرميم ما بلى من العظام وكذا الرمة بالكسر ومنها الحديث
نهى عن الاستنجاء بالروث والرمة وهو فعيل بمعنى فاعل من رم العظام اذا بلى من باب ضرب ثم صار اسما له بالغلبة ولذلك لم يؤنث
او بمعنى مفعول من رممته وقد استدل بهذه الاية على ان العظم ذو حيوة وان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها كساير الاعضاء من
قبل ان الحيوة تحلها خلافا لابى حنيفة فانها عندهم طاهرة وكذا الشعر والعصب ويقولون ان الحيوة لا يحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون
ان المراد باحياء العظام فى الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى بدن حى حساس قل يحييها الذى انشاها اول مرة فان من قدر على
احيائها مرة قدر على احيائها مرة اخرى لا محالة التعجيز قصده الباهرة الكاملة على ان القياس الصحيح شاهد صدق بان من قدر على انشائها
اولا من غير سبق مثال كان على اعادتها اقدر فانها اقل علاجا وصنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وهو من النصوص القاطعة

الناطقة



الناطقة بحشر الاجساد ونبه لا بالابتداء على الاعادة وفيه رد على من لم يقل به ويكذب له وهو بكل خلق عليم بليغ العلم بكل شيء من المخلوق الجمع
عليه شيء من الاجزاء المفتتة واصولها وفروعها فاذا اراد ان يحيى الموتى يجمع اجزاءهم الاصلية ويعيد الارواح اليها فيحيون كما كانوا احياء وهو حشر
الاجساد والارواح وبعث الموتى وقيل يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق النشاة والمعادات ومن اجناسها وانواعها وجلايلها ودقايقها
الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى انثى وهما خضراوان يقطر منهما الماء
فتنقدح النار باذن الله تعالى وعن ابن عباس رضى ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين والاقال
الاخضر حملا على لفظ الشجر وقرئ الخضراء حملا على المعنى كقوله من شجر من زقوم فمالئون منها البطون حيث قال منها دون منه وقال بعض الافاضل
ذكر الله تعالى مبداء خلقة الانسان واشار الى شبهة المنكرين للاعادة وهى كون العظام رميمة مفتتة فكيف يمكن ان تحيى ثم احتج على صحة الاعادة
بقوله قل يحييها الذى انشاها اول مرة وهذا هو الذى عول عليه المتكلمون فى صحة الاعادة حيث قالوا ان الاعادة مثل الايجاد اول مرة وحكم
الشيء حكم مثله فاذا كان قادرا على الايجاد كان قادرا على الاعادة ثم نفى شبهتهم التى حكاها عنهم وكان تمسكهم بكون العظام رميمة من وجهين
احدهما اختلاط اجزاء الابدان والاعضاء بعضها ببعض فكيف يميز اجزاء بدن عن اجزاء بدن آخر واجزاء عضو عن اجزاء ساير الاعضاء
حتى يتصور الاعادة والثانى ان الاجزاء الرميمة يابسة جدا مع ان الحيوة تستدعى رطوبة البدن اشار الجواب الاول بانه عليم بكل خلق
فيمكنه تمييز اجزاء الابدان والاعضاء والجواب الثانى بانه جعل النار فى الشجر الاخضر مع ما بينهما من المضادة الظاهرة فلان يقدر على ايجاد
الحيوة فى العظام الرميمة اليابسة اولى لان المضادة ههنا اقل فاذا انتم منه توقدون تشعلون النار من ذلك الشجر لا تشكون فى انها نار تخرج منه كذلك
لا تشكوا فى ان الله يحيى الموتى ويخرجهم من القبور للسؤال والجزاء من الثواب والعقاب فان من قدر على اخراج النار من الشجر الاخضر مع تضادهما
كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم حجة ثانية وذلك انهم لما جادلوا
فى صفتنا الفهم وانكروا البعث حجوا بخلق النار من الشجر الاخضر وبخلق السموات والارض وقيل لهم الم يقدر من اضيف اليه البعث وخلق هذه
الخلايق العجيبة الدالة على كمال القدرة على ان يخلق مثلهم فاوجه الكلام قدرته على البعث وما هو الا انشاء كهذه الانشاءات واختراع كهذه الاختراعات
والهمزة للانكار وان دخلت على حرف العطف ظاهرا لكنها فى التحقيق داخلة على كلمة النفى قصدا لاثبات القدرة له وتقريرها لان المعنى ان الذى
خلق السموات والارض مع عظم شانها لقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر والمهانة بالقياس اليها او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو
المعاد والجملة عطف على قوله وهو بكل خلق عليم وقوله بقادر فى محل النصب لانه خبر ليس وقراء يعقوب فى رواية رويس يقدر بلى جواب
من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بان الجواب سواء اى بلى قادر على ذلك وهو الخلاق البليغ الخلق والايجاد لجميع المخلوقات العليم البليغ
العلم بكل المعلومات وقرئ الخالق والمشهورة ابلغ انما امره انما شانه اذا اراد شيئا وجود شيء من المعدومات والارادة المشيئة
وقيل اذا دعاه داعى حكمة الى تكوينه ولا صارف ان يقول له كن احدث فيكون فهو يحدث من غير توقف والمعنى انه تعالى اذا اراد تكوين
شيء وايجاده فهو لم يمتنع عليه ووجد كما اراده وكان فى ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فهو من المجاز الذى يسمى التمثيل
وقايل ان يقول لهم لم لا يجوز ان يكون تخيلا ويبنى الامر فيه على ان الله تعالى كلم ذلك الشيء وقال له كن فكان والغرض تصوير تاثير قدرته فى المعدومات
وتاثرها بالذات عنها والمعنى ان يحقق شيء من القول والمقول له لان المقول له قبل ان يحدث معدوم عدما محضا فكيف يتوجه اليه القول ويجيبه على القول
من غير ريث كما قيل تبت العرش ثم انقش ونحوه قوله اذا قلت الانسان للبطن الحق يقول سنى للقواة ظنى لا ينطق لهو حتى ينطق العود
وشكى الى بعبرة وتحمحم قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد اسال من يدقنى ومنه قوله تعالى والقينا فيها رواسى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة
وغير ذلك من آيات هى تصويرات وتخيلات لعظمة الله وعلو شانه وتمثيلا لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو يتنزل على ارادته وينقاد
بالذات لمشيئته ويتصغر لجنب قدرته وقراه ابن عامر والكسائى فيكون بالنصب عطفا على يقول والباقون بالرفع على انه خبر مبتدا
محذوف اى فهو يكون والجملة معطوفة على مثلهم وهى امره ان يقول له كن فيكون سبحان الذى بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما ضرب له المشركون

ووصفوه به وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالك الملك كله والمتصرف فيه بمواجب ارادته و قضايا حكمته وقال عطا معنى ملكوت كل شيء ملك كل شيء
والكلبي خزائن كل شيء ومقاتل خلق كل شيء والزجاج اي القدرة على كل شيء وقرا طلحة ملكة كل شيء بالياء وعكرمة والاعمش ملكوت بالتاء وابرهيم
التيمي وطلحة ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد وبعده مالك كل شيء واليه ترجعون واليه تردون لا الى غيره وقرا يعقوب بفتح
التاء اي تصيرون وهو على القراءتين وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وعن ابن عباس رضي كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقرائتها كيف
خصت به فاذا انه لهذه الاية وعن النبي عم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قراه يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القرآن
اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه
ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك
الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء عم حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عم في القرآن سورة تشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس
وعن معقل بن يسار قال النبي عم اقرؤا على موتاكم يس سورة والصفت مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم والصفت صفا اقسم
سبحانه بالملائكة الذين يصفون للعبادة في السماء ويتراصون في الصف عن جابر بن سمرة قال النبي عم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا
وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف وعن ابن عباس يريد الملائكة صفوفا صفوفا لا يعرف كل ملك
منهم من الى جانبه منذ خلقه الله وقيل والصافين وما بعدها بالتذكير لم يحتمل الجماعات اي يلتصقون وقيل بطوايف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها
في الصلوة من قولهم وانا لنحن الصافون او اجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لامر الله تع وقيل بصفوف جماعات المؤمنين في الصلوة وقيل
بالمتهجدين الذين يصفون اقدامهم في تهجدهم فالزاجرات زجرا فالسايقات السحاب سوقا فالتاليات ذكرا فالقاريات كلام الله من الكتب
المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تع والطير صافات والزاجرات كل ما زجر وينهى عن معاصي الله والتاليات كل من تلا كتابا
وعن قتادة الزاجرات هي زواجر القرآن تزجر وتنهى عن القبيح وقيل التاليات جلعة قراء القرآن ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافين في العبادات
الزاجرين عن الكفر والمعاصي بالدلايل والنصايح التالين ايات الله والدارسين شرايعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل
والعدو التالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مشاغل كما يحكى عن علي رضي ثم العطف لاختلاف الذوات او الصفات والفاء للدلالة على ترتب معانيها
في الوجود كقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال الذي صبح فغنم فآب او على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه
كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل احسن فالاجمل او على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله عم رحم الله المحلقين والمقصرين غير انه لفضل المتقدم على
المتأخر وهذا للعكس فعلى هذه القوانين الثلثة ينساق امر الفاء العاطفة في الصفات ثم ان كان الموصوف بها واحدا كما اذا اريد به الملائكة والعلماء والغزاة
كانت الفاء للدلالة على ترتب الصفات في التفاضل بان يكون الفضل للصفات ثم للزجر ثم للتلاوة او بالعكس وان كان مختلفا بان اريد
الصفات الاول على طوايف والثانية والثالثة على اخر كانت للدلالة على ترتب الموصوفات في التفاضل بمعنى ان الطوايف الصافات ذوات فضل
والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او بالعكس وكذلك اذا اريد بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية وبالتاليات كل نفس
تتلو الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرا ابو عمرو وحمزة والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا بادغام التاء في الصاد والزاء والذال
لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا والباقون بالاظهار على الاصل ان الهكم لواحد جواب القسم بتاكيدات ثلث كانها ناظرة الى الصفات
الثلث ولعل الفايدة فيه تعظيم المقسم به مع تاكيد المقسم عليه على ما هو المالوف من كلامهم وقد حققه واوضحه بقوله رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق فان وجودهما وانتظامهما على الوجه الاكمل مع امكان غيره دليل وجود الصانع الحكيم ووحدته ورب بدل من واحد او
خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف وما بينهما يعم افعال العباد ايضا فيدل على انها من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق
الشمس وهي ثلثماية وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين

وما قيل

وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم يختلف اوقات الانتقال واما قوله رب المشرقين ورب المغربين فمعناه رب مشرقي الصيف والشتاء
ورب مغربيهما ولعله اقتصر على ذكر المشارق عن المغارب لتلازمهما وتقابلهما على ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة انا زينا السماء الدنيا
اي القربى منكم بزينة الكواكب قراه حمزة وعاصم بتنوين زينة وجر الكواكب على ان الزينة اسم لما يتزين به كالليقة اسم لما تلاق به الدواة والكواكب
بدل منه او عطف بيان له لان الزينة مبهم في الكواكب وغيرها مما يزان به وابو بكر بتنوين زينة ونصب الكواكب على ان الزينة مصدر نصب الكواكب
وذكر الفاعل متروك للعلم به اي بان زان الله الكواكب وحسنها لانها انما زينت السماء لحسنها في انفسها او اسم لما ذكر والكواكب منصوبة باضمار اعني او بدلا
من محل بزينة والباقون باضافة الزينة الى الكواكب على ان الزينة مصدر مضاف الى الفاعل اي بان زانتها الكواكب او المفعول وهو كالوجه الاول من قراءة ابي بكر او لام
فتكون الاضافة بيانية اي بزينة هي الكواكب او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها وعن ابن عباس رضي بزينة الكواكب بضوء الكواكب وقيل المراد اشكالها المختلفة كشكل
الثريا وبنات نعش والجوزاء وغيرها ومطالعها ومساقطها قالوا وكون الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء
الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وقرا زيد بن علي واليماني بزينة الكواكب
بتنوين زينة ورفع الكواكب على هو الكواكب وحفظا منصوب باضمار فعله اي حفظناها حفظا او بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب كما قال بمصابيح وجعلناها رجوما ويجوز ان يقدر الفعل المعلل كانه
قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب لا يسمعون الى الملأ الاعلى يحتمل ان يكون في محل الرفع بانه خبر مبتدا محذوف وان لا يكون له محل بان يكون
كلاما مبتدا لبيان حالهم بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز ان يكون صفة لكل شيطان اذ لا معنى للحفظ من شياطين لا يسمعون [illegible] ولا علة
للحفظ على حذف اللام كما حذفت في جئتك ان تكرمني ثم حذف ان واهدر عملها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع الحذفين
منكر يجب صون القرآن العظيم عن مثله والضمير لكل شيطان لانه في معنى الشياطين اي ابطل وقرا حمزة والكسائي وحفص وخلف لا يسمعون بالتشديد
على ان اصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع والباقون بالتخفيف من السماع وتعديته بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه
وتهويلا لما يمنعهم عنه واذا عدي بنفسه اريد به الادراك والملأ الاعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات وعن ابن عباس هم الكتبة من الملائكة
وعنه اشراف الملائكة ويقذفون ويرمون من كل جانب من جميع جوانب السماء من اي جهة قصدوا صعوده لاستراق دحورا
مفعول له اي للدحور وهو الطرد او مصدر من غير لفظ فعله لان القذف والطرد متقاربا المعنى فكانه قيل يدحرون او قذفا او حال بمعنى
مدحورين او منزوع عنه الباء جمع داحر وهو ما يطرد به ويعضده قراءة السلمي دحورا بفتح الدال وهو ايضا يجوز ان يكون مصدرا كالقبول
والولوع او صفة له على قذفا دحورا طرودا ولهم عذاب واصب دايم من وصب الامر وصوبا اذا دام وقال مقاتل دايم الى النفخة الاولى
لانهم يخرجون ويحبلون وقيل يعني انهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد اعد لهم في الاخرة نوع من العذاب دايم غير منقطع الا من
خطف الخطفة استثناء من واو لا يسمعون ومن بدل منها اي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من
كلام الملائكة مسارقة وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف فاتبعه
فلحقه وقرئ فاتبعه موصولا شهاب كوكب ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه وقال عطا سمي النجم الذي يرمى به الشياطين
ثاقبا لانه يثقبهم وقال قتادة جعل الله النجوم ثلث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف
ما لا علم له به وقيل الشهاب ما يرى كان كوكبا انقض وما قيل انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه
ما يدل على انه ينقض من الفلك ولا في قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو
مصباح لاهل الارض وزينة لاهل السماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشياطين يتصعد
الى قرب الفلك للتسمع وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي عم فلعل المراد كثرته ووقوعه او مصيره دحورا واختلف المرجوم يتاذى فيرجع او يحترق به
لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار
الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا

اذا استولت على الضعيفة اهلكتها فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يريد بمن خلقنا من ذكره من خلائقه
من الملائكة والسموات والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وقال من دون ما لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل
عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة وقوله ام من خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان اكتفاء ببيان ما تقدم كانه قال
خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فاستفتهم اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع عليه قراءة من قرأ ام من عددنا بالتخفيف والتشديد واشد خلقا اي اقوى
خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة او اصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق
العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه اهون وقوله انا خلقناهم من طين لازب شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يخلق من الطين
غير موصوف بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا ءاذا كنا ترابا
وهذا يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وهذا لا يلائم قوله انا خلقناهم من طين لازب لانه لا فارق بينهم وبين
تلك الاشياء لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود وقريش لازم والمعنى واحد وهو اللاصق يعلق باليد بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة
وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقال قتادة عجب نبي الله من هذا القرآن حين انزل وضلال بني آدم وذلك ان
النبي عم كان يظن ان كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن فسخروا منه ولم يؤمنوا عجب من ذلك النبي عم فقال الله بل عجبت ويسخرون
وقرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء اي بلغ عظم اياتي وكثرة خلائقي الى ان تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم وعنادهم يسخرون
منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه ويصف الله بالقدرة عليه والعجب من الله محمول على التخييل
او على معنى الاستعظام اللازم له لانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله تعالى لا يجوز عليه الروعة وفي الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم
وسرعة اجابته وكان شريح يقرؤه بالفتح ويقول ان الله تعالى لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال ابراهيم النخعي ان شريحا يعجب علمه وعبد الله
اعلم يريد عبد الله بن مسعود وكان يقرؤه بالضم وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون ودابهم انهم اذا وعظوا بشيء
لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صدق البعث وصحته لا ينتفعون به لفرط بلادتهم وقلة رويتهم واذا راوا اية معجزة تدل على صدق القائل وحقيته
كانشقاق القمر ونحوه يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا اشارة الى ما يرونه من الآية
الا سحر مبين ظاهر امره في البطلان ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون العامل في اذا فعل مضمر يدل عليه لمبعوثون تقديره انبعث
اذا متنا والهمزة للانكار الذي يراد به النفي وتكريرها بادخالها على اذا وان مبالغة في الانكار والجحود ودليل على كفر مؤكد مبالغ فيه ولا يصح ان يكون اذا معمولا
لمبعوثون لان بين يدي عمله عقابا وهي الهمزة وان واللام وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت الثلثة وقيل اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية
بالاسمية وقدموا الظرفية وكرروا الهمزة مبالغة في الانكار كانما بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة اشد انكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة
الاولى وقراءة نافع والكسائي ويعقوب في رواية روح عنه بطرح الثانية وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف متنا بكسر الميم والباقون بضمها اوآباؤنا
الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير في مبعوثون وانما حسن العطف عليه للفاصل الذي هو همزة الاستفهام كما حسن العطف على المضمر
في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفي والمعنى ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرأ نافع
برواية قالون وابن عامر وابو جعفر او بسكون الواو على معنى الترديد والباقون بفتحها ادخالا لهمزة الاستفهام على حرف العطف وهو ابلغ لافادته
زيادة الانكار والاستبعاد قل نعم قراءة الكسائي بكسر العين والباقون بفتحها وهما لغتان وقرئ قال اي الله او الرسول والمعنى نعم تبعثون
وانتم داخرون صاغرون وقيل انما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه فانما هي زجرة واحدة
جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه او ابله اذا صاح عليها فريعت لصوته
ويجوز ان يكون هي ضميرا مبهما لا يرجع الى شيء وزجرة واحدة تفسيره فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون
ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا يا هلاكنا تعال فهذا اوانك ثم اشاروا الى وقت هلاكهم بقولهم هذا يوم الدين اليوم الذي يجازى بالاعمال وقيل تم به كلامهم

وقوله

وقوله هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم او هو ايضا من كلام بعضهم لبعض ويوم الفصل يوم القضاء والفرق بين الصديقين
والمكذبين احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظالمين اي المشركين من مقامهم الى الموقف ثم الى الجحيم والحشر بمعنى البعث
وبمعنى الجمع والسوق وهو المراد به هنا دون الاول كما لا يخفى وازواجهم اي واشباههم من اهل الشرك والكفر والنفاق والعصيان عابدوا
الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدة الكواكب واليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمجوس مع المجوس حتى اهل الخمر مع اهل
الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا او نساءهم اللاتي على دينهم قاله الحسن او قرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة قاله الضحاك ومقاتل
وما كانوا يعبدون من دون الله من الاوثان وغيرها زيادة في تحييرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الآية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون وما موصولة او موصوفة بمعنى والهة كانوا يعبدونها وقيل يجوز ان يكون استفهامية بمعنى واي
شيء كان معبودهم تحقيرا لمعبودهم من الاصنام التي هي احقر الاشياء واذلها واصغرها ففيه تامل فاهدوهم الى صراط الجحيم اي دلوهم الى طريق النار
قاله ابن عباس رضه او قدموهم الى النار كما قال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا او قال كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا وقيل عرفوهم
طريق النار ليسلكوها وقفوهم واحبسوهم عند الصراط فان المفسرين قالوا سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط فقيل
وقفوهم انهم مسؤلون عن جميع اقوالهم وافعالهم قال ابن عباس وعنه هي لا اله الا الله وقال النبي عم لا تزول قدما ابن آدم يوم القيمة حتى يسأل
عن اربع عن شبابه فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماذا عمل به وقيل احبسوهم في الموقف ولعله اراد
موقف الصراط حتى لا يكون مخالفا لما اجمع عليه المفسرون من اهل الحق والآية نص قاطع ينطق بحقية الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم
ادق من الشعر واحد من السيف يعبره اهل الجنة وتزل به اقدام اهل النار وعن جابر عن النبي عم اذا كان يوم القيمة نصب الصراط على ظهر
جهنم فلا يعبر الا من كان معه براءة بحب الشيخين والختنين والا يكب على منخره في النار وعنه عم اذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد
ادخل الجنة وتنعم بعبادتك وقيل للعالم قف هنا فاشفع لمن احببت فانك لا تشفع لاحد الا شفعت فقام مقام الانبياء رواه ابن عباس وقرأ
انهم بالفتح اي لانهم وانكره بعض المعتزلة لانه لا يمكن العبور عليه وان امكن فهو تعذيب للمؤمنين واجيب بان الله قادر يمكن من العبور عليه ويسهله
على المؤمنين حتى ان منهم من يجوزه كالبرق الخاطف ومنهم كالريح الهابة ومنهم كالجواد الى غير ذلك مما ورد في الحديث ما لكم لا تناصرون على ارادة
القول اي يقال لهم توبيخا وتقريعا ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وقوله لا تناصرون حال من معنى الفعل في ما لكم كقولهم ما لك قائما بمعنى
ما تصنع قائما اي ما تصنعون حال كونكم غير متناصرين وحقيقته ما سبب عدم تناصركم وان لا ينصر بعضكم بعضا في هذا الموقف العظيم
يقول الله او غيره باذنه توبيخا لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين بل هم اليوم مستسلمون
خاضعون او منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا ويخذله عن عجز
وكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون على الاصل وقرأ البزي لا تناصرون بادغام التاء الاولى في الثانية واقبل بعضهم على بعض
يعني الرؤساء والاتباع والكفرة والقرناء يتساءلون يرجع بعضهم الى بعض السؤال والقول للتوبيخ اي يتخاصمون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن
اليمين عن اقوى الجهات او عن الدين اي من قبل الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان
التي هي اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال وتقسروننا عليه او عن الحلف
فان الرؤساء كانوا يحلفون لهم ان ما يدعونهم اليه هو الحق اي من ناحية اليمين التي كنتم تحلفونها ومعنى تأتوننا تقصدوننا وتضلوننا عن
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين اي اغوينا اضللناكم وحملناكم على الضلال والكفر بل كنتم ضالين كافرين في انفسكم لاختياركم لا ليمينا وتسويلنا
وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين وما نحن اجبرناكم وما قلنا بينكم وبين كونكم مختارين اذ لم يكن لنا عليكم من سلطان اي قوة وقدرة
نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما مختارين للطغيان فاجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم وثانيا بمنع اجبارهم على الطغيان والكفر فحق علينا
فوجب علينا جميعا قول ربنا وهو كلمة العذاب للوعود بقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعنون لزمنا هذا القول وتحقق بنا وثبت
علينا

انا لذائقون عذاب الحالة لعلم بحالنا واستحقاقنا بالعقوبة ثم بينوا ان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا ان يغووهم ليكونوا امثالهم فيه فقالوا فاغويناكم اى فدعوناكم الى الغي الذى كنا عليه انا كنا غاوين ثابتين على الغواية مصممين عليها فانهم فان الاتباع والمتبوعين جميعا يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالكاملين في الاجرام المتناهين فيه وهم المشركون لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه والاستكبار الكبر ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا همزة الاستفهام للانكار اى ما نحن بتاركى آلهتنا لشاعر مجنون لاجل شاعر مجنون يعنون النبي صلعم ولقد ولقد كذبوا في ذلك حيث جننوه وشعروه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واحسنهم رايا واسدهم قولا واعلاهم كعبا في المآثر والفضايل كلها واطولهم باعا في العلوم والمعارف سرا ويشهد بذلك خطبة ابى طالب في تزويج خديجة في محضر بنى هاشم ورؤساء مضر بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وشهادة من الله له بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون فانه ما اتى الا بما اتى به المرسلون قبل من الحق الذى لم يكن حواليه باطل وبل للاضراب عن الاول والاثبات للثانى اى ليس محمد بشاعر ولا مجنون اى ما شعر ولا جن بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم بسبب الاشراك وتكذيب الرسول صلعم وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المعرف باللام وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم اسوء الجزاء بعمل هو اسوء الاعمال واشنعها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع بمعنى لكن او متصل ان كان الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فان جزاء المخلصين مضاعف ابدى لا نهاية له فكيف يعتبر فيه المماثلة والمنقطع ايضا بهذا المعنى اولئك لهم رزق معلوم بمعنى بكرة وعشيا كما صرح به في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا او معلوم خصايصه من الدوام ومحض اللذة والجملة استيناف فكان سائلا سال ما لهؤلاء المخلصين من الجزاء والثواب فقيل اولئك لهم رزق معلوم الى قوله يتساءلون ونكر الرزق قصدا بتنكيره الى الفضل وتفخيم شانه وانه رزق لا يدانيه ولا يحيط به وصف لانه موصوف لا يدرك غايته كما نطق به حديث سيد المخلصين فواكه جمع فاكهة وهي كل ما يتفكه به اى يتنعم بأكله ومنها الفاكهة المزاح ورجل فكه طيب النفس مزاح ضحوك وهي تفسير لرزق معلوم يعنى ان رزقهم كله فواكه لعدم احتياجهم الى الاقوات لانهم اعيدوا على اجسام محكمة مخلوقة للابد مصونة عن الفساد والخلل فكل ما ياكلونه يأكلونه على سبيل التنعم والتلذذ وهم مكرمون بثواب الله واكرامه فيكرمهم بذلك الرزق وبجيئه من غير تعب ولا سؤال دونهم كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف يتعلق بمحل الرزق والاكرام او حال من الضمير في مكرمون او خبر بعد خبر لهم لا اولئك لقربه وبعد ذاك على انه هو على سرر حال مترادف او خبر ثالث فيكون متقابلين حالا من الضمير فيه او في مكرمون او في الظرف او متعلق متقابلين والتقابل اتم للسرور وآنس وقيل لا يرى بعضهم قفا بعض يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او بخمر كقول الاعشى وكاس شربت على لذة وعن الاخفش والضحاك والسدى كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس من معين من شراب معين او من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى فيها كما يجرى الماء قال الله تعالى وانهار من خمر او الاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة وهما ايضا صفتان للكاس والخمر البيضاء تمامها كما ولا ترى في الدنيا وهذه من جملة ما لا عين رأت وقال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن ووصفها باللذة بيانا لمخالفتها خمور الدنيا بصفة اخرى لانقطاع اللذة عن خمور الدنيا كلها راسا ولكنها اذا كان مصدرا كقول الخنساء انما هي اقبال وادبار كانها نفس اللذة وعينها او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد به النوم للشاربين لكل من يشرب منها لا فيها غول غائلة كما في خمور الدنيا كالصداع قاله الحسن او ذهاب العقل قاله الشعبى او وجع البطن قاله قتادة او الاثم قاله الكلبى من غاله يغوله غولا اذا اهلكه وافسده ومنه الغول الذى يراه بعض الناس في البوادى ولا يكذبه ولا ينكره الا المعتزلة من جميع اصناف الناس حتى جعلوه من كذبات

العرب

العرب مع انه يشهد بصحته قوله سيد المرسلين صلعم واذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالاذان الحديث وبالجملة ففى خمر الدنيا انواع من الفساد من السكر وذهاب العقل ووقوع العداوة والبغضاء والصداع والخسارة في الدين والدنيا حتى شاربها كعابد الوثن ومن القئ والبول وكثيرا ما يكون سببا للقتال والضراب والزنا والمشاجرة وقتل النفس بغير الحق كما شوهد من اهلها ولا شئ من ذلك كله في خمر الجنة وهو من قبيل قصر المسند اليه على المسند دون العكس كما زعم بعضهم لان المعنى ان عدم الغول مقصور على الحصول في خمور الجنة او الغول مقصور على عدم الحصول فيها على اعتبار النفى في جانب المسند اليه او المسند ولا هم عنها ينزفون قرأ حمزة والكسائى وخلف ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل اذا سكر وذهب عقله او شرابه ومنه قول الحطيئة لعمرى لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى انتم آل ابجرا ووافقهم الكوفيون في الواقعة والباقون بفتحها في السورتين من نزف الشارب اذا سكر وذهب عقله فهو نزيف ومنزوف ويقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وقرأ طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف اى سكارى لا فيها فساد قط ولا هم يسكرون والسكر داخل في الفساد لكنه ذكره بعده تخصيصا بعد التعميم اشعارا بمزيته على غيره من مفاسدها وانه اعظمها حتى انه من عظم فساده كانه جنس آخر مغاير ولذلك افرده وافرده بالذكر مع حرف العطف المنبئ عن المغايرة وقرأ ابن ابى اسحاق وابن يعمر ينزفون بفتح الياء وكسر الزاء وعندهم قاصرات الطرف قصرت اعينهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله عربا عين حسان العيون جمع عيناء يقال رجل اعين وامراة عيناء ونساء عين وهي صفة بعد صفة لموصوف ترك ذكره للعلم به كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحى وقال الحسن شبههن ببيض النعام تكنها بالريش من الريح والغبار فلونها ابيض في صفرة وقالوا هذا احسن الوان النساء ان تكون المراة بيضاء بادية صفرة فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون عطف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب لعادة الشرب وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام وقال يوسف الحنفى يقول الله لاوليائه يوم القيمة طال ما لحظكم في الدنيا وقد غارت اعينكم وقلصت شفاهكم واصفرت الوانكم تعاطوا الكاس فيما بينكم وكلوا واشربوا بما اسلفتم في الايام الخالية وسال بعضهم بعضا عما جرى لهم وعليهم في الدنيا وقد جاء في الحديث تحت شجرة طوبى مستراح العابدين الزاحم هنالك ذكر التعب هنا قال قائل منهم في محادثته ومكالمته انى كان لى قرين جليس في الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقيل انسيا وقال مقاتل كانا اخوين وقال الاكثرون كانا شريكين احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن من اهل الجنة اسمه يهوذا وهما المذكوران في الكهف بقوله واضرب لهم مثلا رجلين يقول ائنك لمن المصدقين يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ولاجله قال بعضهم انها نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال واين مالك فقال تصدقت به ليعوضنى الله في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيتك شيئا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو الجزاء او لمسوسون مربوبون من دانه اذا ساسه من السياسة ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ومن الاول قوله عم البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت فكما تدين تدان رواه ابن عمر يقال دنته بما صنع جزيته قال اى ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وعن ابن عباس رضى ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل هو الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من آداب المجالسة ان يمنع الاستبداد به او خاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كانه قال يطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر وقرأ الخليل لا تطلعون فاطلع اليهم فراه فراى قرينه في سواء الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سواى وعن ابى عبيدة قال قال لى عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سواى قال تالله ان كدت لتردين والله لقد كدت ان تهلكنى وقال مقاتل والله لقد كدت ان تغوينى ومن اغوى انسانا فقد اهلكه وان هي المخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ومثله ان كاد ليضلنا واللام هى الفارقة وقرأ ابن مسعود لتغوين وقرأ ورش

لتردين باثبات الياء في حال الوصل دون الوقف ويعقوب في الحالين ولولا نعمة ربي ولولا رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين
من الذين احضروهم معك في الجحيم افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اي بمن شانه
الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال وانتصابها على المصدر
من اسم الفاعل او على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار فانهم في عذاب يتمنون فيه الموت كل ساعة وعن ابي بكر الصديق رضي
انه قال الموت اشد مما قبله واهون مما بعده وذلك تمام قول المؤمن لقرينه تقريعا له او معاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة
الله واغتباطا بحاله وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ على ان في حكاية الله اياه لنا لطفا عظيما وزجرا بليغا ويجوز ان يكون
قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الذي نحن فيه من النعمة والخلود والامن من العذاب لهو السعادات
والظفر بكل المراد اذ الدنيا وما فيها تحتقر دونه كما يحتقر القطرة من البحر المحيط وان يكون هذا من قول الله تقريرا لقولهم وتصديقا له
وقرئ لهو الرزق العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون لمثل هذا الذي رزقوه من السعادات العظمى يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ
الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال اذلك خير نزلا اي خير طعاما
او حاصلا ام شجرة الزقوم ام شجرة ثمرها نزل اهل النار والنزل طعام النزيل وهو الضيف وطعام كثير النزل والنزل هو الزيادة
والفضل ومنه قولهم العسل ليس من انزال الارض اي من ريعها وما يحصل منها فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم هو اللذة
والسرور وحاصل الشجرة الزقوم الالم والغم وانتصابه على التمييز او الحال كقولك اتمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني كان الرزق المعلوم
نزل اهل الجنة كذلك شجرة الزقوم نزل اهل النار فايهما خير في كونه نزلا وفي ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل
ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة
وقيل الزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناوله فهم يتزقمونه اشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام اذا تناوله على كره
ومشقة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء لهم في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف يكون في النار شجرة
والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها فهو اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها
شجرة تخرج في اصل الجحيم منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اي ما يطلع منها من حملها وثمرها مستعار من طلع النخلة لمشابهته اياه
في الشكل او الطلوع من الشجر ولعله رد على ابن الزبعرى وصناديد قريش وتجهيل لهم حيث قال ابن الزبعرى لهم ان محمدا يخوفنا بالزقوم
والزقوم بلسان البربر الزبد والتمر فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا ما توعدكم
به محمد فقال الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم فليس الزقوم ما فهم هؤلاء الجهلة الضلال ثم قررها بقوله طلعها وزاد في التقريب بقوله كانه
رؤس الشياطين في تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان صورة الشيطان اقبح الصور واكرهها في طباع الناس وعقايدهم ومن ثم اذا
وصفوا شيئا بغاية القبح والكراهة قالوا كانه شيطان وان لم يروه فتشبيه الطلع برؤس الشياطين تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك
قال تعالى حكاية ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا في البادية الاستن
خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤس الشياطين قصدا الى احد التشبيهين لفظيا
او معنويا ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا ثابتا يشبه به فانهم لآكلون منها من الشجرة او من طلعها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع
الشديد او الجبر على اكلها وان كرهوها ليكون نوعا اخر من العذاب اسم فاعل من ملأ الاناء ما يملؤه فهو مالئ او مملوء والملء حشو الاناء
بما لا يحتمل الزيادة عليه ثم ان لهم عليها اي بعدما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة على كراهة طعامهم وبشاعته فيكونون جامعين بين اكل الطعام الكريه البشيع وشرب الشراب الكريه الابشع لشوبا من حميم
لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم والحميم الماء الحار الذي قد انتهى حره ومنه

الحمة

الحمة في قولهم مثل العالم كمثل الحمة وهي العين الحارة الماء وقرأ شيبان النحوي لشوبا بضم الشين ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم
لالى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون
يطوفون بينها وبين حميم آن اي يوردون اليه كما تورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده قراءة ابن مسعود ثم ان منقلبهم
وقرأ ابو البرهسم وهو حرف الي ثم ان مصيرهم وفي تكرير ثم دلالة على انه يعاقب عليهم بين اكل الزقوم وبين شرب الحميم وبين
التصلية بالنار والرجوع الى دركاتها ويجوز ان يكون اذا استغاثوا من الجحيم العطش الذي كاد ان يقطع رقابهم جعل الحميم غياثهم واذا استغاثوا
من الحميم جعل النار غياثهم اللهم من الالام الا هو نسألك بوجهك الكريم ان لا تعذبنا بشيء من عذابك في الدنيا والاخرة وما بينهما وان تدخلنا الجنة بغير
حساب ولا عذاب ولا عتاب ولا توقف في مواقف القيمة وان تستجيب دعاءنا هذا وساير دعواتنا وان تصلي على نبينا محمد واله وصحبه
اجمعين وسلم تسليما عدد ما في علمك في كل حين ابد الابدين انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدايد
كلها بتقليد اباءهم في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا ويزعجون على الاسراع على اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى
ذلك من غير تامل وبحث ولقد ضل قبلهم قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم الخالية ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من
العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي من الذين انذروا من العواقب وحذروها فتوصلوا جميعا بشوم ضلالهم عن الهدى
الا عباد الله المخلصين الا الذين انتبهوا بانذارهم واخلصوا دينهم لله وقرأ الكوفيون ونافع وابو جعفر بفتح اللام اي الذين اخلصهم
الله لدينه والخطاب مع الرسول والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا اثارهم ولما ذكر ارسال المنذرين في الامم الماضية
وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك قصة نوح وغيره ليكون تفصيل القصص بعد اجمالها فقال ولقد نادانا نوح اي دعانا حين ايس
من قومه فلنعم المجيبون اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فوالله لنعم المجيبون نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء
والمعنى انا اجبنا دعاءه احسن الاجابة حيث اوصلناه الى مراده من نصرته على اعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون وقرأ جعفر بن محمد ولقد نادينا
نوحا اذ ناديناه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق واذية قومه دهرا طويلا وجعلنا ذريته هم الباقين فانه تعالى جعل الناس
كلهم من نسل نوح على ما روى الضحاك عن ابن عباس انه قال لما خرج نوح من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الا ولده و
ونساءهم وهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة وقال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وقال سعيد بن المسيب وغيره كان ولد
نوح ثلثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك والخزر ويأجوج
ومأجوج ومن هنالك وتركنا عليه في الاخرين من الامم هذه الكلمة وهي سلام على نوح اي يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من قبيل
الكلام المحكي كقولك قرأت الحمد لله رب العالمين وسورة انزلناها وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف اي ابقينا له ثناء
حسنا وذكرا جميلا في الاخرين فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيمة في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء لثبوت
هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن اخرهم
ثم علل مجازاة نوح بابقاء ذكره وتسليم العالمين عليه بقوله انا كذلك نجزي المحسنين كانه قيل جازيناه بتلك الكرامة السنية الى اخر
الدهر بسبب انه كان محسنا كاملا في الاحسان انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدر الايمان واصالة
امره وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم وترغيبا في تحصيله والثبات عليه ثم اغرقنا الاخرين من كفار قومه وهو عطف
على نجيناه وثم لما بين الانجاء والاغراق من التفاوت وكذا اذا كان عطفا على تركنا وليس للتراخي لان كلا من الانجاء والابقاء لما
هو بعد الاغراق دون العكس كما يقتضيه التراخي وان من شيعته ممن شايعه في الايمان وساير اصول الدين وان اختلفت شرايعهما
او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وعن ابن عباس واهل دينه
وسنته لابرهيم ما كان بينهما الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه متعلق بما
في الشيعة

بيان مقدار سنين بين نوح وابرهيم

من معنى المشايعة يعني وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم او بمحذوف وهو اذكر بقلب سليم من جميع
آفات القلوب او من جميع العلائق خالصا لله او مخلص له او صالح لان القلب على نوعين قلب صالح وقلب فاسد كما نص عليه الحديث
وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ وقيل من الشرك ولا معنى للعدول عن الظاهر من غير ضرورة فليس بعض الفاسد اولى من بعض فتناولها
كلها ومعنى المجيء بقلبه ربه انه اخلص قلبه لله وعرف الله ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه بدل من الاول او ظرف لجاء
او سليم ماذا تعبدون استفهام انكار وتوبيخ اي اي شيء تعبدون او اي شيء الذي تعبدونه أئفكا آلهة دون الله تريدون اي أتريدون
آلهة دون الله افكا فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم عنده ان يقرر انهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به والمراد بدلا منه ويجوز انها افك في انفسها للمبالغة والمراد بها عبادتها بحذف المضاف او حالا بمعنى أتريدون آلهة من دون الله آفكين
والافك هو الكذب او الصرف عن عبادة الحق الى عبادة الباطل وبه فسر قوله فانى يؤفكون فما ظنكم برب العالمين بمن هو الحقيق بالعبادة
لان له الربوبية المطلقة حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ان يظن ما يصد عن عبادته ويجوز ان اشرك به
ونقض العهد من عذابه فضلا ان يقطع وكل والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد عن عبادته او فما ظنكم اي شيء هو من حتى
جعلتم الاصنام له اندادا وفما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره فنظر نظرة في النجوم فرأى في علم النجوم او في كتابها او في احكامها
ومواقعها واتصالاتها كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على
انه سقيم فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون لئلا يخرجوه الى عيدهم وكان اغلب اسقامهم وكانوا يخافون العدوى او اراد
اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل ما يخلو عنه او بصدد الموت فان من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا بالسلامة داء وقد فوجئ رجل فالتف عليه الناس وقالوا وهو صحيح فقال اعرابي
اصحيح من الموت في عنقه فتولوا عنه مدبرين فاعرضوا وتفرقوا عنه هاربين منه مخافة العدوى وتركوه في بيت الاصنام فريدا
ليس معه احد فراغ الى آلهتهم فذهب في خفية الى اصنامهم التي زعموا انها آلهتهم من روغة الثعلب واصل الميل بحيلة فقال للاصنام
استهزاء بها وبالخطاب عن حال عبدتها الا تاكلون يعني الطعام الذي كان عندهم ما لكم لا تنطقون اي ما تصنعون غير ناطقين بجواب
كقولكم لا تقوم فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل لكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى
ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا باليمين اي ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وهذا ما قيل من
ان تقييد الضرب باليمين للدلالة على قوته فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم وقراءة
الحسن سفقا والضحاك صفعا ومعناهما الضرب فاقبلوا اليه فتوجهوا الى ابراهيم بعد ما رجعوا فراوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن
كسرها فظنوا انه هو كما شرح في قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقراءة حمزة يزفون بضم الياء وكسر
الزاء من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا وقرئ يزفون على البناء للمفعول اي يحملون على
الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لتسارعهم اليه قال أتعبدون ما تنحتون الهمزة
للاستفهام للانكار وما موصولة اي لا تعبدوا الذي تنحتونه من الاصنام او موصوفة بمعنى صورا وتماثيل تنحتونها والله خلقكم وما تعملون
والخالق هو الحقيق بالعبادة دون المخلوق وما موصولة اي وما تعملون من الاصنام وغيرها فان جوهرها بخلق الله وشكلها وان كان بفعلهم
ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد او مصدرية اي وعملكم بمعنى معمولكم ليوافق
ما تنحتون او بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك ويشهد لهذا المعنى قول النبي عم ان الله تع
خلق كل صانع وصنعته رواه حذيفة وبهذا المعنى تمسك به اهل الحق على ان افعال العباد مخلوقة لله تع وقد رجح هذا المعنى الاخير على الاولين
لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة الوقود من الجحمة وهي شدة التاجج وقد قيل نار جاحمة

شديدة الحر

شديدة الحر مضطرمة وقيل كل نار على نار وجمر على جمر فهي جحيم واللام عوض عن المضاف اليه اي جحيم البنيان الذي بنوه له ونظيره
اللام في قوله وعلم آدم الاسماء وقوله واشتعل الراس شيبا وقيل الجحيم معظم النار وقال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلثون
ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه من الحطب واوقدوا فيه النار وطرحوه فيها فارادوا به كيدا شرا وهو ان يحرقوه بالنار فانه لما قهرهم
وغلبهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعلنا برهانا نيرا على علو شأنه
حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر اي حيث امرني ربي وهو الشام كما قال اني مهاجر الى ربي
او ذاهب الى حيث اتجرد فيه لعبادته ولعله امره الله بان يهجر دار الكفر ويذهب الى موضع يقدر على زيارة الصخرة التي هي قبلته
وعلى عمارة المسجد الحرام وهو القرية التي دفن فيها كما امر نبينا بالهجرة من مكة الى المدينة سيهدين سيدلني على ما فيه صلاح ديني او على
مقصدي وقراءة يعقوب سيهديني بالياء واثبات القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى
حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع ولما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد ليعينه على الدعوة والطاعة
ويؤنسه في الغربة فقال رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يريد به الولد لان لفظ الهبة غالب في الولد وان جاء في الاخ في قوله
اخاه هرون نبيا ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بان الولد الموهوب له غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم وانه
يكون حليما واي حلم اعظم منه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله
نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه ولم يوصف به في القرآن العظيم غيرهما من الانبياء والحليم تشهد بكمالهما فيه فلما بلغ معه السعي
فلما ان يسعى مع ابيه في اموره الدينية والدنيوية ومعه متعلق بالسعي وجاز لانه ظرف فيكفيه رائحة الفعل ونظيره في تقديم الظرف الواقع معمولا
للمصدر عليه قوله تع ولا تأخذكم بهما رأفة وقوله اكان للناس عجبا وغير ذلك مما ورد في التنزيل وغيره لا يبلغ للفصاحة بلوغهما معا حد السعي
ولا لم يكن معا ولا يتعلق كما زعم الزمخشري والبيضاوي لانه عدول عن الظاهر ومحض تكلف لا شبهة فيه حيث قال كانه لما قال فلما بلغ السعي
قيل مع من قيل مع ابيه واعلم ان هذا التقرير من العلامة خطأ ينبغي ان لا يجترئ عليه المفسر لكتاب الله الذي لا يغير ولا يبدل لان
الله تع لم يقل فلما بلغ السعي معه حتى يصح كلامهما بعض الصحة بل قال فلما بلغ معه السعي فقولهما كانه قال فلما بلغ السعي ضرب من التغيير
للمنزل ولا يجوز مثله عند اهل الحق كما لا يخفى على المتأمل المنصف ولا يغرنك لفظ كانه في عبارتهما لانه ترويج لتكلفهما مع الغنية عنه بالحق
الذي قررناه سمعك فكن معناه وقد ان الحق جواز ذلك في الظرف وشبهه كما ذهب اليه اهل التحقيق وتخصيص الاب لانه اكمل في الرفق
والعطف عليه والاصطلاح له فلا يعنف به ولا يستسعيه قبل اوانه وان استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة او سبع سنين على اختلاف
القولين فقال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل انه في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء حق كالوحي في اليقظة ولهذا قال اني ارى في المنام
اني اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل يحتمل انه راى ذلك وانه راى
ما هو تعبيره وقيل راى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك
فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة لما بشرته بغلام
حليم قال هو اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك واختلف في هذا الغلام الذي امر ابرهيم بذبحه فقال عمر وعلي وابن مسعود
والعباس وابنه برواية عكرمة وابن جبير عنه هو اسحق وبه قال كعب الاحبار وقتادة ومسروق وعطاء ومقاتل والزهري والسدي وقالوا
هذه القصة كانت بالشام حتى قال سعيد بن جبير لما اري ابرهيم ذبح اسحق في المنام سار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى
فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال وينصر قولهم قول النبي عم ان الله تع لما
كشف عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال اما والله لاتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة رواه ابو هريرة وقال ابن عمر وابن عباس برواية عطاء ويوسف بن ماهك هو اسمعيل وبه قال ابن المسيب والحسن والشعبي و

والكلبي والقرظي ومجاهد والربيع بن انس واحتجوا بان البشارة باسحاق معطوف على البشارة بهذا الغلام وبان اسمعيل هو الذي و
وهب له اثر الهجرة وعن الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحق كان ام اسمعيل قال اصيمع اين ذهب عقلك متى كان
اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه ويقوله عم انا ابن الذبيحين فهما جده اسمعيل وابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان تذبح
احد ولده ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرا فلما سهل الله فخرج السهم على عبد الله فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل
ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة وبان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة الى ان احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن
اسحق ثم وعن ابن عباس قال والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش يعني يبس
وبان الله تع وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بالصدق
في الوعد في قوله صادق الوعد ووعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به وبان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه في قوله
فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا فلو كان الذبيح اسحق كان خلفا للوعد في يعقوب وعن محمد بن
كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شيء ما كنت انظر فيه ولا اراه كما قلت ثم سال رجلا كان من علماء اليهود فاسلم
وحسن اسلامه فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي امر الله بذبحه وقرا حفص يا بني
بفتح الياء المشددة والباقون بكسرها وقرا الكوفيون وابن عامر ويعقوب اني ارى اني اذبحك بسكون الياء فيهما على الاصل والباقون
بفتحها فيهما طلبا للخفة فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وانما شاوره فيه وهو حتم من الله ليعلم ما عنده فيما نزل به
من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم ليوطن نفسه عليه فيهون عليها ويلقى البلاء وهو
كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله ولان المفاجأة بالذبح مما يستسمج وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور
آدم عم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك وقرا حمزة والكسائي وخلف ماذا تري بضم التاء وكسر الراء من الراي الا انه عدي
بالهمزة الى مفعولين احدهما ماذا وثانيهما المحذوف اي ماذا تريني اي تبصرونه والباقون بفتحها وهو معدى الى مفعول واحد وهو
ماذا اي اي شيء ترى او اي شيء الذي تريه ماذكر سيبويه في ماذا صنعت من الوجهين احدهما ان يكون بالمعنى اي شيء الذي صنعته والثاني
ان يكون ماذا كلاهما بمنزلة اسم واحد كانه قيل اي شيء صنعت وقرئ ماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي قال يا ابت
قرا ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اي تؤمر به فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية اي امرك
بمعنى مامورك على اضافة المصدر من المبني للمفعول الى المفعول ولعله فهم من كلامه انه راى انه يذبحه مامورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل
ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ
المضارع ليقع التكليف بفعل ظاهر في الاستمرار ولتكرر الرؤيا قال مقاتل وغيره راى ذلك ثلث ليال متتابعات فلما تيقن ذلك اخبره به ابنه
وقال ذلك ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله وقرا نافع وابو جعفر ستجدني بفتح الياء فلما اسلما استسلما لامر الله
وسلما له وقد قرئ بهما ونظيرهما بمعنى واحد وهو الانقياد له والخضوع واصلهما من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم
سلم لامر الله واسلم منقولان منه بالتضعيف والهمزة وحقيقة معناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه
لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين اي وصرعه على شقه فوقع جبينه على الارض تواضعا لمباشرة الامر وذلك بصبر
وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وقال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض والجبين ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وعن شمالها
وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك المكان الذي عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف
على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات لقوله عم ان جبريل ذهب
بابراهيم الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ثم اتى به الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ

فلما اراد ابرهيم عم ان يذبح اسحق قال يا ابت اوثقني لا اضطرب فينتضح عليك دمي اذا ذبحتني فشده فلما اخذ الشفرة واراد ذبحه نودي من خلفه
يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وروي ان ابرهيم كان قد راى الذبح ولم يذبح وقيل كان قد راى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقة الدم
وقد فعل في اليقظة ما راى في النوم فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا وقد روى المفسرون انه لما اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية
وانطلق بنا نحتطب فلما توسطا شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها من دمي
فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع امرارها على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي
وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون انت يا بني على امر الله ثم اقبل عليه يقبله
وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فلم يعمل شيئا لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك
اذا نظرت الى وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا ونظر فاذا جبريل معه كبش اقرن املح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه واتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل
موضع السجود الى الارض جاء الفرج وجواب لما محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان
مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما
اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الانفس من الفضل على العالمين والثواب العظيم والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقرا
زيد بن علي وناديناه يا ابرهيم بحذف ان وقرا الخليل قد صدقت بالتخفيف انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما
واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه حيث امره بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل وتحقيق ذلك ان العلماء اختلفوا في ذبح ابرهيم عليه
فذهب بعضهم الى انه امر بذبح الولد ثم نسخ بورود الفداء بذبح الشاة لولا كونه مامورا بذبحه فلقوله تع حكاية افعل ما تؤمر فانه يدل على ان الذبح
كان مامورا به ولقوله وفديناه بذبح عظيم والفداء انما يكون بدلا عن المامور به ولو كان المامور به مقدمات الذبح لما احتيج الى الفداء لانه قد
اتى وايضا لو لم يكن الذبح مامورا به لا يمنع شرعا وعادة اشتغاله بذلك واقدامه على الترويع وامرار المدية على حلق الولد وتله للجبين
واما كونه منسوخا فلانه لو لم ينسخ لكان تركه معصية فان قيل قد وجد الذبح بما روي انه ذبح وكان كلما قطع شيئا يلتحم عقيب القطع
اجيب بانه خلاف العادة والظاهر ولم ينقل نقلا يعتد به ولو كان لما احتيج الى الفداء ثم هذا النسخ ليس من قبيل النسخ قبل التمكن من الفعل
كما في نسخ الصلوات ليلة المعراج للقطع بانه تمكن من الذبح وانما امتنع بمانع من الخارج فاما كونه قبل الفعل فالنسخ لا يكون الا كذلك اذ لا يتصور
نسخ ما مضى ولذا قال بعض الائمة كل نسخ واقع فهو متعلق بما كان تحقق وقوعه في المستقبل فان النسخ لا ينعطف على مقدم سابق بل الغرض
انه اذا فرض ورود الامر بشيء فهل يجوز ان ينسخ قبل ان يمضي من وقت اتصال الامر به ما يتسع لفعل المامور به والحاصل انه اذا وقع التكليف بفعل
ظاهره في الاستمرار فهل يجوز ان ينسخ قبل ان يؤتى بشيء من جزئياته كما لو قال حجوا هذه السنة وصوموا غدا ثم قال قبل مجيء وقت الحج والغد
لا تحجوا ولا تصوموا وذهب بعضهم الى انه اي ذبح ابراهيم ليس بنسخ اذ لا رفع ههنا ولا بيان لانتهاء وانما هو استخلاف وجعل لذبح الشاة
بدلا عن الولد اذ الفداء اسم لما يقوم مقام الشيء في قبول ما يتوجه اليه من المكروه يقال فدتك نفسي اي قبلت ما يتوجه عليك من المكروه ولو كان
ذبح الولد منسوخا لم يحتج الى اقامة شيء مقامه وحيث قام الخلف مقام الاصل لم يتحقق ترك المامور به حتى يلزم الاثم وانما امر بذبح الولد
ابتلاء على المذهبين واعترض على الاخير بان الامر بالفداء حرم الاصل يعني ذبح الولد وتحريم الشيء بعد وجوبه نسخ لا محالة واجيب بانه
لما قام الغير مقامه عادت الحرمة الاصلية يعني ان حرمة ذبح الولد ثابتة في الاصل فزالت بالوجوب ثم عادت لقيام الشاة مقام الولد فلا يكون حكما
شرعيا حتى يكون ثبوتها نسخا للوجوب ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة
البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها وفديناه بذبح الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس برواية سعيد بن جبير هو الكبش الذي قربه
هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وقال اكثر المفسرين كان
ذلك كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا

وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عم
عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقال مجاهد سماه عظيما لانه متقبل وقيل انه كان من عند الله وقيل لانه وقع فداء عن
ولد ابراهيم وقيل لانه رتع في الجنة ثلثة آلاف وثلثمائة وسبعين سنة وقيل عظيم في الثواب وروي انه هرب من ابراهيم عند
الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وعن ابن عباس لما امر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا
المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة
حتى ذهب ثم مضى ابراهيم لامر الله تع وروي انه لما ذبحه قال جبرئيل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال
ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقيت سنة والفادي على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه الواهب له والامر به على التجوز
في الفداء والاسناد وقد استشهد ابو حنيفة رحمه الله بهذه الاية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة وكان مسروق يفتي بوجوب
ذبح شاة في النذر بذبح الولد وابن عباس بوجوب مائة من الابل ادعى الدية ثم رجع الى فتوى مسروق وتركنا عليه في الاخرين
تركنا بمعنى ابقينا ومفعوله اما محذوف يدل عليه التسليم اي ابقينا له ذكرا جميلا وثناء حسنا في الاخرين من الانبياء والامم على
ما دعا بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين او مذكور وهو قوله سلام على ابراهيم اي هذا الكلام وجئ به مرفوعا على
الحكاية كقولك قرات بالحمد لله وقراءة سورة انزلناها او من قوله وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار والمعنى يسلمون
عليه تسليما او هو سلام من الله عليه كذلك نجزي المحسنين مثل ذلك الجزاء نجزي كل من احسن في العمل فنبقي له ذكرا جميلا وثناء
حسنا في اهل الارض واهل السماء كما فيه كونه بالخير ويثنون عليه بالجميل ويدعون له ويترحمون عليه ويستغفرون له احيا
وميتا ولم يذكر انا كذلك في هذه القصة مع حذف انا ههنا وما لحقه واكتفى بذلك عن ذكره ثانية انه من عبادنا المؤمنين تعليل
لكونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا ليريك جلالة قدر الايمان ورفعة محله واصالة امره ويرغبك في تحصيله والثبات عليه وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين البشارة الاخبار بما يظهر سرورا في البشرة ومنه تباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه ومن جعل
الذبيح اسمعيل قال بشر ابراهيم بعد ذلك باسحق نبيا جزاء لطاعته ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر بنبوة اسحق رواه عكرمة عن ابن
عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ والمعنى على هذا الوجه الاخير وبشرناه بعد نجاة اسحق من الذبح بكون اسحق نبيا من الصالحين
فيكون نبيا منصوبا على انه خبر كان المحذوف ومن الصالحين صفة له او خبر ثان وهذا معنى لا غبار فيه ولا كلام عليه وكذا على الوجه
الاول ان كان اسحق موجودا حين نجى اسمعيل من الذبح وقيل المعنى وبشرناه بوجود اسحق نبيا على ان نبيا حال مقدرة كقوله فادخلوها
خالدين على التقدير الوجود داخل البشارة ومن الصالحين حال ثانية وردت على سبيل الثناء والتعظيم لان كل نبي لابد ان يكون من
الصالحين وقيل مقتضى النبوة مقدر كونه [illegible] وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال
[illegible] مقارنة [illegible] فيجعل عاملا فيها [illegible] وبشرناه بوجود اسحق
نبيا [illegible] اسحق نبيا من الصالحين [illegible] خالدين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق
لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحه [illegible] فيها ان يكون المبشر به موجودا مقدرا
النبوة والصلاح [illegible]
[illegible] نبوة وصلاحه [illegible] النبوة والصلاح [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اى وافضنا عليهما بركات الدين والدنيا او وبركنا على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم
كايوب وشعيب وقرئ وبركنا بالتشديد للمبالغة ومن ذريتهما محسن في العمل او على نفسه بالايمان والعمل الصالح وعلى غيره بان يامرهما
بها وينهيهم عن ضدها وقرا سعيد بن جبير وابو البرهسم ومن ذريتهما بضم الهاء وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه
تنبيه على ان الظلم في اولادهما او ذريتهما لا يعود عليهما بعيب ولا نقيصة وان المرء انما يجازى بما صدر من نفسه طاعة او معصية لا بما صدر
من اصله وفرعه كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وان النسب ليس له زيادة اثر في الصلاح والفساد والطاعة والعصيان فقد
يلد الصالح العاصي والمؤمن الكافر وبالعكس ولو كان ذلك بحسب الطبيعة لم يتغير ولم يتخلف ولقد مننا على موسى وهرون
اى انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة وساير النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من الغم العظيم الذي كانوا فيه
من الغرق وتغلب فرعون واستعباده ونصرناهم الضمير لهما ولقومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون وقومه واتيناهما الكتاب المستبين
البليغ في بيانه وهو التورية كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور وقال من جوز ان يكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة
منه على ان التاء مبدلة من الواو وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام من الطريق الموصل الى الحق والصواب كاستعير الصراط
المستقيم من معناه الحقيقي وهو الطريق المستوي للدين الحق وهو ملة الاسلام وهذا امر متحقق عقلا فقد نقل اللفظ الى امر معلوم من شانه ان ينص
عليه ويشار اليه اشارة عقلية ولاجل تحققه سميت هذه استعارة بالتحقيقية وتركنا عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون وابقينا لهما
في الاخرين هذا الكلام او ذكرا حسنا انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين مر تقريره وتفسيره من غير مرة وان الياس لمن المرسلين
هو الياس بن ياسين من اولاد هرون اخي موسى بعث بعده وقال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال ابن اسحق هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار
بن هرون بن عمران وقيل هو ادريس كانه استدل عليه بقراءة ابن مسعود وان ادريس في مكان الياس وقرئ ادراس وفي حرف أبي وان ايليس وقراء
ابن ذكوان مع خلاف عنه وان الياس بالوصل وحذف حركة الهمزة منه والباقون بانباتها وقراءة الحسن وان اليأس بوصل الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون
متعلق بمحذوف هو اذكر او بالمرسلين يعني وان الياس لمن الذين ارسلوا بالنبوة والرسالة حين قال لقومه الا تتقون اى الا تخافون الله ان يزيل
عنكم نعمه وينزل عليكم نقمه بشومكم وكفركم وعبادتكم غيره او الا تتقون الله في حفظ حقوقه فتتركوا عبادة غيره والمعنى اتقوا الله لا تدعوا بعلا
لان الهمزة في الا تتقون للانكار والتوبيخ ينكر عليهم عدم تقواهم ويوبخهم عليه كما تقول لجارك الفاسق الا تتقي الله الا تستحي من الناس انكارا عليه
عدم اتقائه وترك استحيائه وتوبيخا عليه وكذا في قوله اتدعون بعلا اى اتعبدونه وتعبدوه وتطلبوا الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك
من الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذا الدار اى ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتذرون
احسن الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى الموجب للانكار المراد بالهمزة ثم صرح بقوله الله ربكم ورب ابائكم الاولين قراه حمزة والكسائي
وحفص وخلف ويعقوب بالنصب على البدل من احسن الخالقين او عطف بيان له والباقون بالرفع على الابتداء وروى عن حمزة انه كان اذا وصل
نصب واذا وقف رفع روى ان يوشع بن نون لما فتح الشام قسمها بين بني اسرائيل فاحل سبطا منهم ببعلبك وهم السبط الذين كان منهم الياس
ولما قبضه الله بعث حزقيل اليهم ولما قبض عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون
الله فبعث الله اليهم الياس نبيا وكان الانبياء من بني اسرائيل يبعثون من بعد موسى بتجديد ما نسوا من التورية وكان على سبط منهم الياس
ملك اسمه لاجب قد اضل قومه واجبرهم على عبادة الاصنام وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان من ذهب وكان طوله عشرين
ذراعا وله اربعة اوجه ففتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة
الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون منه شيئا الا ما كان من امر الملك فانه صدقه
وآمن به فكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده وكان لهذا الملك امرأة يقال لها ازبيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم وكانت تبرز
للناس وتقضي بينهم وكانت قتالة للانبياء يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا وكان لها كاتب مؤمن حكيم يكتم ايمانه وقد خلص من يدها ثلثمائة
نبي كانت

أجب

شيئا الا ما كان من امر الملك

تريد قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة وقد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم غيلة وكانت معمرة يقال انها ولدت سبعين
ولدًا وكان لزوجها لاجب جار صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها في جنب قصرهما يشرفان عليها وكانا يتنزهان فيها ويقيلان
ويأكلان ويشربان منها وكان الملك يحسن جوار مزدكي ويحسن اليه وامراته تحسده لاجل الجنينة وتحتال ان تغصبها لما تسمع الناس يكثرون
ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال ان تقتله والملك ينهاها عن ذلك فلم تجد عليه سبيلا حتى خرج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت
فيه امراته ذلك فامرت جمعا من الناس ان يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها لاجب فاطاعوها فيه وكان في حكم ذلك الزمان يحل القتل
على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فاحضرته وقالت له بلغني انك شتمت الملك فانكر فاحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور
فامرت بقتله واخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره اخبرته الخبر فقال لها ما اصبت ولا ارانا نفلح بعده قد
جاورنا منذ زمان فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت امره باسوء الجوار فقالت قد كان ما كان فبعث الياس (اللهم صح)
الى ذلك الملك وقومه وامره ان يخبرهم بان الله قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردا الجنينة على
ورثة مزدكي ان يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما فجاء الياس واخبره بما اوحى الله اليه
في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال يا الياس والله ما ارى ما تدعو اليه الا باطلا وما ارى فلانا وفلانا من الملوك
قد عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه من الاكل والتمتع والملك فما ينقص من دنياهم وامرهم الذي تزعم انه باطل فهم
بتعذيب الياس وقتله فلما احس بالشر رفضه ولحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل وارتقى الياس الى اصعب جبل وارفعه
فدخل مغارة فيه ويقال انه بقي سبع سنين شريدا خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا
العيون عليه والله يستره فلما مضى سبع سنين اذن الله في اظهاره عليهم وشفا غيظه منهم فامرض الله ابن الملك وكان احب ولده اليه واشبههم
به فادنف حتى قاسى منه مقاساة شديدة فدعا صنمه بعلا فلم يجب واشتد مرض ابنه فطلب من السدنة ان يتشفعوا الى بعل ويطلبوا لابنه
من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم يجتهدون في التضرع اليه فلما طال عليهم ذلك قالوا للملك
ان في الشام آلهة اخرى فابعث اليها انبياءك فلعلها تشفع لك الى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لقد اجابك قال ومن اجل
ماذا غضب علي وانا اطيعه قالوا من اجل انك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجى سليما وهو كافر بالهك قال الملك وكيف لي بان اقتله وانا مشغول
عن طلبه لوجع ابني وليس له مطلب ولا موضع معروف فيقصد فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى اخذه فاقتله فارضي الهي ثم بعث
انبياءه الاربعمائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها ان تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس اوحى
الله اليه ان يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال له لا تخف فاني ساصرف عنك شرهم والقي الرعب في قلوبهم فنزل من الجبل واستوقفهم
فلما وقفوا قال ان الله بعثني اليكم والى من وراءكم فاسمعوا ايها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له ان الله يقول
الست تعلم يا لاجب اني انا الله لا اله الا انا اله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم واحياهم واماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على ان تشرك بي
وتطلب الشفاء لابنك من غيري فمن لا يملكون لانفسهم شيئا الا ما شئت اني حلفت باسمي لاغيظنك في ابنك ولاميتنه في فوره هذا حتى
تعلم ان احدا لا يملك له شيئا دوني فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما صاروا الى الملك اخبروه بان الياس قد انحط عليهم وهو رجل
نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له
في قلوبنا الهيبة والرعب وانقطعت السنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على ان نكلمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام
الياس فقال لاجب لا ننتفع بالحياة ما كان الياس حيا ولا يطاق الا بالمكر والحيلة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة و
البأس وعهد اليهم عهده وامرهم بالاحتيال له والاغتيال به وان يطمعوه بانهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليسكن اليهم ويغتر بهم
فيأتوه به الملك فارتقوا الجبل الذي فيه الياس ثم نادوه باعلى اصواتهم ان يا نبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا وملكنا وجميع

قومنا

قومنا قد آمنا بك وصدقناك وانت آمن على نفسك وكل بني اسرائيل يقرأون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت فآمنا بك
واجبناك فيما دعوتنا اليه فهلم الينا فاقم بين اظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما امرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك ان تتخلف عنا
مع ايماننا وطاعتنا فارجع الينا وكل هذا منهم مكر وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم طمع في ايمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله
التوقف والدعاء فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما استتم قوله
حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا اجمعين كما بلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في امر الياس وقيض له فئة اخرى
مثل عدد اولئك اقوى منهم وامكن في الحيلة والرأي فارتقوا قلل الجبال ينادون ان يا نبي الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته
فانا لسنا كالذين اتوك قبلنا فانهم قد نافقوا وصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم وكفيناك مؤنتهم
فالآن قد كفاك الله ربك امرهم واهلكهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع مقالتهم دعا بدعوته الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم
وكان ابن الملك في كل ذلك في البلاء الشديد من وجعه فلما سمع بهلاك اصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب واراد ان يخرج في طلب الياس بنفسه
ولكن شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحوه المؤمن الذي كان كاتب امرأته رجاء ان يأنس به الياس فينزل معه واظهر للكاتب انه لا يريد
بالياس سوءا وانما اظهر له ذلك لما اطلع عليه من ايمانه وكان مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما فيه من الكفاية والامانة وسداد الرأي فلما وجهه
نحوه ارسل معه جماعة من اصحابه وامرهم دون الكاتب ان يوثقوا الياس ويأتوه به ان اراد التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب واثقا به لم يروعوه
ثم اظهر مع الكاتب الانابة وقال له انه قد آن لي ان اتوب وقد اصابتنا بلايا من حريق اصحابنا ومرض ابني وقد عرفت ان ذلك بدعوة الياس
ولست آمن ان يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته فانطلق اليه واخبره انا قد تبنا وانبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريده من رضا ربنا
وخلع اصنامنا الا ان يكون الياس بين اظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا وامر قومه فاعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس انا قد
خلعنا آلهتنا التي كنا نعبدها وارجأنا امرها حتى ينزل الياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب
والجماعة الى الجبل ثم ناداه فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وكان مشتاقا الى لقائه فاوحى الله اليه ان ابرز الى اخيك الصالح فالقه
وجدد العهد به فبرز اليه فسلم عليه وصافحه فقال له ما الخبر فقال المؤمن انه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغية وقومه ثم قص عليه ما قالوا وقال اني
لخائف ان رجعت اليه ولست معي ان يقتلني فمرني بما شئت افعل ان شئت انقطعت اليك فكنت معك وتركته وان شئت جاهدته
معك وان شئت ترسلني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت الله ربك ان يجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا فاوحى
الله الى الياس ان كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان لاجب ان اخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت به
اتهمه وعرف انه قد داهن في امرك فلم يأمن ان يقتله فانطلق معه فاني ساشغله عنكما واضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم
اميته على شر حال فاذا مات فارجع عنه فانطلق معهم حتى قدموا على لاجب فشدد الله على ابنه الوجع واخذ الموت يكظمه فشغلهم الله
بذلك عن الياس فرجع سالما الى مكانه فلما مات ابنه وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب فقال ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك
والجزع عليه ولم اكن احسبك الا وقد استوثقت منه فاضرب عنه وتركه لما فيه من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس ومل الكمون في
الجبال نزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بني اسرائيل وهي ام يونس بن متى ذي النون فاختفى عندها ستة اشهر ويونس يومئذ
مولود يرضع فكانت ام يونس تخدم الياس بنفسها وتواسيه ثم ان الياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال فاحب
اللحوق بها فعاد الى مكانه فجزعت ام يونس لفراقه واوحشها فقده ولم تلبث الا يسيرا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها
فخرجت في طلب الياس فوجدته وقالت له اني قد فجعت بعدك بموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره
فارحمني وادع ربك فيحيي لي ابني واني قد تركته مسجى لم ادفنه وقد اخفيت مكانه فقال لها الياس ليس هذا مما امرت به وانما انا عبد
مأمور اعمل بما يأمرني ربي فجزعت المرأة وتضرعت فاعطف الله قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك قالت منذ سبعة ايام

ثم انطلق الياس معها وسار سبعة ايام اخرى حتى انتهى الى منزلها فوجد ابنها ميتا له اربعة عشر يوما فتوضأ وصلى ودعا فاحيى الله يونس
بن متى فلما عاش وجلس وثب الياس وعاد الى موضعه فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا فاوحى الله اليه بعد سبع سنين
وهو خائف مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى انت فيه الست امينى على وحيى وحجتى فى ارضى وصفوتى من خلقى فسلنى اعطك
فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى فاوحى اليه يا الياس ما هذا باليوم
اعرى منك الارض واهلها وانما قوامها وصلاحها بك واشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلنى فاعطك قال ان لم تمتنى فاعطنى ثارى
من بنى اسرائيل قال الله تع اى شىء تريد ان اعطيك قال تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم
سبع سنين قطرة الا بشفاعتى انه لا يذلهم الا ذلك قال الله تع يا الياس انا ارحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال تع
انا ارحم بخلقى من ذلك قال فخمس سنين قال انا ارحم بخلقى من ذلك ولكنى اعطيك ثارك ثلث سنين اجعل خزائن المطر بيدك قال فبأى شىء
اعيش قال اسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال رضيت فامسك الله المطر عنهم حتى
هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيثما كان
وقد عرف ذلك قوم وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقى منهم اهل ذلك المكان شرا وعن
ابن عباس اصاب بنى اسرائيل ثلث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام قالت نعم شىء من دقيق وزيت قليل
فدعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله
كذا وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم اوى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يقال
له اليسع بن اخطوب به ضر فآوته واخفت امره فدعا له فعوفى من الضر الذى كان به واتبع الياس فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب
حيث ما ذهب وكان الياس قد اسن وكبر واليسع غلام شاب فاوحى الله الى الياس انك قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص
من البهائم وغيرها بحبس المطر قالوا فقال يا رب دعنى اكن انا الذى ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم يرجعون من عبادة
غيرك وينزعون عنه فقيل له نعم فجاء الى بنى اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر
بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم
انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم فدعوها فلم تجب ولم تفرج عنهم البلاء
ثم قالوا للياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون
فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل الله عليهم المطر فاغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا
عن كفرهم وتكذيبهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه من الكفر والتكذيب كما قال تع اخبارا عنهم بقوله فكذبوه اى فتمادوا على تكذيبهم اياه و
داموا عليه ولما راى ذلك منهم الياس دعا الله تع ان يريحه منهم فقيل له انظر يوم كذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاءك من شىء فاركبه
ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذى امر اقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فركبه الياس فانطلق
به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل فكان ذلك اخر العهد
به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنهم لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال ابن قتيبة وذكر ان الله
قال لالياس سلنى اعطك قال ترفعنى اليك وتؤخر عنى مذاقة الموت فصار يطير مع الملائكة وقال بعضهم كان قد مرض واحس الموت
فاوحى الله اليه لم تبكى احرصا على الدنيا او جزعا من الموت او خوفا من النار قال لا ولا شىء من هذه وعزتك وجلالك انما جزعى كيف يحمدك
الحامدون بعدى ولا احمدك ولا يذكرك الذاكرون بعدى ولا اذكرك ويصوم الصائمون بعدى ولا اصوم ويصلى المصلون ولا اصلى فقيل له
يا الياس لاؤخرنك الا وقت لا يذكرنى فيه ذاكر يعنى يوم القيمة وسلط الله على لاجب وقوم عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به

حتى دمرتهم

حتى دمرتهم فقتل لاجب وامرأته ازبيل فى جنينة من ذكى فلم تزل جيفتاهما ملقاتين فيها حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله اليسع وبعثه
رسولا الى بنى اسرائيل واوحى الله اليه وايده فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع عم وقال السدى بن يحيى كان
الياس والخضر عم يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوفيان الموسم كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافى والخضر موكل بالبحار وقال مكحول قال
انس غزونا مع النبى عم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلنى من امة محمد عم المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب
لها فقال رسول الله عم يا انس ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض اللحية والرأس عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلثمائة ذراع قال
انت رسول النبى قلت نعم قال ارجع اليه واقرئه منى السلام وقل له هذا اخوك الياس يريد لقاءك فجاء النبى عم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم
النبى عم وتأخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شىء شبه السفرة فدعوانى فاكلت معهما فاذا فيها كمأة ورمان وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت
جاءت سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوى به فقلت للنبى عم بابى وامى هذا الطعام الذى اكلنا من السماء نزل عليه فقال النبى عم سألته
عنه فقال يأتينى جبريل فى كل اربعين يوما اكلة وفى كل حول شربة من ماء زمزم وربما رايته على الجب يملأ بالدلو فيشرب وربما سقانى فعلى هذا يكون
قوله تع وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد من العام المخصوص فانهم لمحضرون لمدخلون فى العذاب لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم
بخارجين واطلق اكتفاء بالقرينة اولان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرون لفساد
المعنى ومنه الاستثناء يحتمل الاتصال والانقطاع وتركنا عليه فى الاخرين سلام على الياسين قرأ الكوفيون وابن كثير وابو عمرو الياسين بكسر الهمزة وسكون
اللام على انه لغة فى الياس كادراسين وادريس وسيناء وسينين وقيل هو جمع لالياس يراد به هو واتباعه كالمهلبين ورد بان العلم اذا جمع يجب
تعريفه بالالف واللام ونافع وابن عامر ويعقوب آل ياسين على اضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون المراد بياسين ابا الياس
وقيل محمدا عم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا ما يجيئ بعده من التعليلين وقرئ على الياسين بالوصل
على انه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون وقرئ على ادراسين وادريسين وادرسين على انها لغات فى ادريس والحسن
وابو رجاء سلم على الياسين موصولا انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين من الظاهر الذى لا شبهة فيه الا ان الضمير لالياس
وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين فى الباقين فى العذاب والهلاك وهو صفة لها يعنى الا عجوزا مقدرا غبورها
لان الغبور لم يكن صفتها وقت تنجيتهم فلم يكن بد من تقدير مقدرا ثم دمرنا الاخرين اراد بتدميرهم الايتفاك بهم وامطار الحجارة عليهم فانه تع
لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على اثارهم وديارهم ومنازلهم فى متاجركم الى الشام فان سدوم فى طريقه
مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل اى ومساء او نهارا وليلا وقيل لعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء
افلا تعقلون افليس لكم عقل تعتبرون به او افلا تعقلون على قضية العقل وان من قدر على تدمير سدوم واستيصالهم بسبب كفرهم وتكذيبهم
كان قادرا على تدمير كفار مكة واستيصالهم لاتحاد السبب ووجه انه لانهم اكفر من هؤلاء واكذب واشر كما يشهد به قوله اكفاركم خير من اولئكم وكان
النبى عم يقول لابى جهل ان هذا اعتى على الله من فرعون وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون من يونس وهو نبى من انبياء بنى اسرائيل اذ ابق
هرب وحقيقة الاباق الهرب من السيد ولما كان هرب يونس من قومه بغير اذن ربه اطلق عليه الاباق على التجوز الى الفلك المشحون المملوء
بالناس والمتاع فساهم فقارع اهله والقوا السهام على جهة القرعة فكان من المدحضين من جملة المقروعين المغلوبين بالقرعة وحقيقة المدحض
المزلق عن مقام الظفر والغلبة وعن ابن عباس ووهب وعد يونس قومه العذاب فلما تأخر عنهم خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب
السفينة فاحتبست فقال الملاحون هاهنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلثا فوقعت عليه فقال
انا الابق وزج نفسه فى الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل فى الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بفتح الميم مبنيا
من ليم فهو مليم كما جاء مشيب فى مشوب مبنيا على شيب ومدعى بناء على دعى فلولا انه كان من المسبحين من الذاكرين الله كثيرا
بالتسبيح قبل ذلك او مدة عمره او فى بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وعن ابن عباس من المصلين وقال كل تسبيح

في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وعن الضحاك اشكر
الله لطاعته القديمة وعن الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وعن وهب من العابدين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا او ميتا
كما قال قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وفيه بعث
لغيره على الاكثار ذكر الله واعلام بان من اقبل على ذكره وطاعته في اوقات الرخاء نجاه من الشدائد ومضايق البلاء فنبذناه نطرحناه بان حملنا
الحوت على طرحه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس ويونس يسبح فلم يفارقهم حتى
انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت فقال الشعبي التقم
ضحى ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلثة ايام وقال عطاء سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال الاكثرون عشر اربعين يوما وهو سقيم
عليل كالفرخ الممعط وقيل بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة وقيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي له وقيل فوقه مظلة عليه شجرة
من يقطين يعني الدباء على قول الجمهور غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يجتمع عنده ولا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب الدباء
قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل الموز يغطي بورقها ويستظل باغصانها ويفطر على ثمارها وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض
ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين وقيل هو يفعيل من قطن بالمكان اذا قام به وقال مقاتل بن حيان كان يونس يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا
شديدا واصابه اذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله جبريل اليه فقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون من امتك وقد اسلموا
وتابوا وفي رواية انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله تعالى اليه بكيت على شجرة ولم تبك على مائة الف في يد الكفار وعن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يونس قال يا رب كيف تبعثني الى قوم جحدوا كتابك وكذبوا رسلك قال يا يونس كانك تحسد اهل توبتي ان اتوب عليهم اما علمت
اني اهدي القلوب واتوب عليها واضل القلوب واختم عليها وارسلناه الى مائة الف ارسله الله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه
ما اصابه وقيل بعد خروجه من بطن الحوت وقيل الى قوم غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم الناظر قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة والاكثرون منهم ابن عباس على ان او بمعنى الواو وقد قرئ به وعندنا او ههنا ليست للعطف بل هو حرف الاستيناف لمجرد الاضراب
بمعنى بل كما في قوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب اي بل هو اقرب وعليه المحققون من علماء البيان وبه قال مقاتل والكلبي ثم اختلفوا في مبلغ تلك
الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلثين الفا وقال سعيد بن جبير
سبعين الفا فامنوا فصدقوه او فجددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين فمتعناهم بالسلامة من العذاب وطول الاعمار الى اجلهم المسمى بسبب
المراد الارسال الى غير قوم
ايمانهم الصادر عن خلوص الاعتقاد وصميم القلب ولعله الى حين وقيل ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به ساير القصص تفرقة
بينهما وبين ارباب الشرايع الكبرى واولي العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون عطف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر الله تعالى رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق
اي فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا
الكلام في تقريره الى ما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الجائرة التي قسموها حيث جعلوا لله البنات
ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله مع انهم افرخلق الله عندهن واقتهم لهن واكرههم منهن ولقد بلغ بهم المقت والانفة الى ان وادوهن
وهو لكد زادوا على الشرك انواعا اخر من الكفر التشبيه لان الولد لا يكون الا شبيها بالوالد ومن جنسه والتجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام الكائنة
الفاسدة وكفران النعمة لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله وتفضيل انفسهم على ربهم حيث جعلوا اوضع الجنسين له واعلاهما لهم
كانهم انهم بحيث جعلوه من جنس المخلوقات وما ثلاثها وبالملائكة حيث انثوهم وجعلوهم انقص الخلق رأيا واخسهم نوعا مع انهم اكمل
العباد واكرمهم على الله ولو قيل لاحدهم قد ولدت لك بنت لاغتم وتملأ غيظا وحنقا وتلهفا وكربا عظيما ولو قيل للاقلهم وادناهم فيك
انوثة او شكلك شكل النساء لغضب على قائله اشد الغضب والاغتاظ غاية الاغتياظ ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه الكريم
غيبا اظ بيان

سه ارا



ما اكد وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه تنشق الارض وتخر الجبال هدا والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يقنعوا بان
جعلوا لله ولدا حتى جعلوا له من خلقه احسن النوعين وابغضهما اليهم واحقرهما لديهم وقيل الانكار ههنا مقصود على الاخرين لاختصاص هذه الطائفة
بهما ولان فساد هما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ام معادلة
للهمزة في الربك البنات اي متصلة بها بمعنى اي الامرين يفترون بان لله البنات ام بخلقه الملائكة اناثا وهم حاضرون والمراد بالاستفهام عنها الانكار لها
معا او منقطعة بمعنى بل اخلقنا الملائكة اناثا والهمزة للانكار ايضا وانما خص علم المشاهدة لان مثل ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من
لوازم ذاتهم ليعلم بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء بهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم ونظيره قوله
اشهدوا خلقهم وقرأ الخليل ام خلقنا الملائكة انثى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه والا فك الكذب البحت
وقد وصف افكهم وذكره بغاية الفصاحة ونهاية البلاغة حيث استانف الجملة وصدرها بحرف التنبيه واكدها بان واللام واسمية الجملة وكرر الخبر
مع المضارع المنبي عن الاستمرار وقرأ الخليل افكهم بفتح الالف وكسر الفاء وانهم لكاذبون لمتمادون في الكذب على الله والافتراء عليه وليس
قولهم ولد الله باول كذبهم عليه فانهم يكذبون في جميع ما يتدينون به من الاشراك وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرم وانكار الحشر والنشر والثواب
والعقاب وغير ذلك وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يطلق على الذكر والانثى والواحد والجمع تقول هذا ولدي وهذه ولدي
وهؤلاء ولدي اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد وقرأ حمزة وابو جعفر والاعمش اصطفى بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
لدلالة ام بعدها عليه او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى البنات او ابداله من ولد الله والاصطفاء الاختيار
وقيل اخذ صفوة الشيء ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج المبني على الشطط في القسمة وانه اثر كم على نفسه بصفوة النوعين وخيرهما
وارفعهما كان امر الاصطفاء موكول اليكم حتى تحكموا فيه بمشيتكم وعليك بزيادة التأمل في هذا البيان وفيه تجهيل لهم في حكمهم وانكار له وتعجيب
منه وايذان بانه صادر من محض جهل واختلال فكر واعوجاج رأي والمعنى اي غرض لكم في حكمكم بما لا يقبله عقل ولا يرتضيه رأي افلا
تذكرون افلا تتفكرون في قولكم الاحمق وحكمكم الاعوج او فيما انزل اليكم من الايات ونصب لكم من البينات فتعلموا انه متعال عن الشبه
والمجانسة حتى يكون له من شبهه وجنسه صاحبة فيتوالد اذ ان الواجب بالذات لو ولد لكان له كفاء كثير من الممكنات وذلك ان من له ادنى عقل
كفاءة
وفكر اذا نظر في المخلوقات النظر الصحيح يعلم قطعا ويقينا ان شيئا منها لا يماثل خالقها في شيء من اوصافه وافعاله وانه تعالى اجل واعلى من جميع
ما فيها بحيث لا مناسبة بينها وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف تذكرون بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرأ طلحة تذكرون بسكون
الذال ام لكم سلطان مبين اي حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم فاحضروا كتابكم الذي انزل عليكم
في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا الاية ان كنتم صادقين في دعواكم وام يحتمل ان تكون معادلة وان تكون منقطعة فلتتم في بيانها ما ذكر
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اراد بالجنة الملائكة وسموا جنة لاجتنابهم واستتارهم عن الابصار وبالنسب زعمهم انه بناته والمعنى وجعلوا
بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة وقال ابن عباس الجنة حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس
قبيلة
قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا ان الله تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك وقد كان يزعم بعض قريش ان الملائكة بنات الله
فقال ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن معنى النسب انهم اشركوا
الشرف
الشيطان في عبادة الله ولقد علمت الجنة انهم اي ان الكفرة او الانس او الشياطين لمحضرون في العذاب ولو كانوا مناسبين له او شركاء
في وجوب العبادة لما احضرهم النار ولما عذبهم بها سبحان الله عما يصفون تنزيه له من الولد والنسب او تعجب من كلمهم الحمقاء
وجعلتهم العوجاء كانه قيل ما ابعده وما انزهه من هؤلاء خلقه وعبيده عما يضاف اليه من الولد والنسب والشركاء الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع من المحضرين اي ولكن المخلصين ناجون ولا يحضرون او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض يفيد تنزيه
الله تعالى وتقديسه عما ينسبون اليه او من الواو في يصفون اي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون

في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وعن الضحاك اشكر
الله لطاعته القديمة وعن الحسن ما كانت له صلوة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا وعن وهب من العابدين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا او ميتا
كما قال قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروى انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وفيه بعث
لغيره على اكثار ذكر الله واعلام بان من اقبل على ذكره وطاعته في اوقات الرخاء نجاه من الشدايد ومضايق البلاء فنبذناه نطرحناه بان حملنا
الحوت على طرحه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس ويونس يسبح فلم يفارقهم حتى
انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت فقال الشعبي التقم
ضحى ولفظه عشية وقال مقاتل بن حيان ثلثة ايام وقال عطا سبعة ايام وقال الضحاك عشرين يوما وقال الاكثرون عشر اربعين يوما وهو سقيم
عليل كالفرخ الممعط وقيل بلى لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة وقيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اى له وقيل فوقه مظلة عليه شجرة
من يقطين يعني الدبا على قول الجمهور غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يجتمع عنده ولا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب الدباءة
قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل الموز يغطي بورقها ويستظل باغصانها ويفطر على ثمارها وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض
ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين وقيل هو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقال مقاتل بن حيان كان يونس يستظل
بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وروى فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا
شديدا واصابه اذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله جبريل اليه فقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون من امتك وقد اسلموا
وتابوا وفي رواية انه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فاوحى الله تعالى اليه بكيت على شجرة ولم تبك على مائة الف في يد الكفار وعن انس
قال رسول الله صلعم ان يونس قال يا رب كيف تبعثني الى قوم جحدوا كتابك وكذبوا رسلك قال يا يونس كانك تحسد اهل توبتي ان اتوب عليهم اما علمت
اني اهدي القلوب واتوب عليها واضل القلوب واختم عليها وارسلناه الى مائة الف ارسله الله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان يصيبه
ما اصابه وقيل بعد خروجه من بطن الحوت وقيل الى قوم غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اى اذا نظر اليهم الناظر قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة والاكثرون منهم ابن عباس على ان او بمعنى الواو وقد قرئ به وعندنا او ههنا ليست للعطف بل هو حرف الاستيناف لمجرد الاضراب
بمعنى بل كما في قوله تعالى كلمح البصر او هو اقرب اى بل هو اقرب وعليه المحققون من علماء البيان وبه قال مقاتل والكلبي ثم اختلفوا في مبلغ تلك
الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين الفا ورواه ابي بن كعب عن رسول الله صلعم وقال الحسن بضعا وثلثين الفا وقال سعيد بن جبير
سبعين الفا فامنوا فصدقوه او فجددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين فمتعناهم بالسلامة من العذاب وطول الاعمار الى اجلهم المسمى بسبب
ايمانهم الصادر عن خلوص الاعتقاد وصميم القلب وقرئ حتى حين وقيل ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به ساير القصص تفرقة
بينهما وبين ارباب الشرايع الكبر واولي العزم من الرسل او كتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في اخر السورة فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون عطف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة امر الله تعالى رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق
الكلام في تقريره الى ما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الجائرة التي قسموها حيث جعلوا لله البنات
ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله مع انهم افرخلق الله عندهم واستنكافهم لهن وكراهتهم منهن ولقد بلغ بهم المقت والانفة الى ان وادوهن
وهؤلاء زادوا على الشرك انواعا اخر من الكفر التشبيه لان الولد لا يكون الا شبيها بالوالد ومن جنسه والتجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام الكاينة
الفاسدة وكفران النعمة لا نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله وتفضيل انفسهم على ربهم حيث جعلوا ادنى الجنسين له واعلاهما لهم
كانها نهم بحيث جعلوه من جنس المخلوقات وما ثلاثها وبالملائكة حيث انثوهم وجعلوهم انقص الخلق رأيا واخسهم نوعا مع انهم اكمل
العباد واكرمهم على الله ولو قيل لاحدهم قد ولدت لك بنت لاغتم وملأه غيظا وحنقا وتلهفا وكربا عظيما او لو قيل لا قلهم وادناهم فيك
انوثة او شكلك شكل النساء لغضب على قائله اشد الغضب والاغتاظ غاية الاغتياظ ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه الكريم

ما لكم وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يقنعوا بان
جعلوا لله ولدا حتى جعلوا له من خلقه احسن النوعين وابغضهما اليهم واحقرهما لديهم وقيل الانكار ههنا مقصور على الاخير للاختصاص من هذه الطائفة
بها والافساد بما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ام معادلة
للهمزة في الربك البنات اى متصلة بها بمعنى اى الامرين يقولون بان لله البنات ام خلقنا الملائكة اناثا وهم حاضرون والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما
معا ومنقطعة بمعنى بل اخلقنا الملائكة اناثا والهمزة للانكار ايضا وانما خص علم المشاهدة لان مثل ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من
لوازم ذاتهم ليعلم بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء بهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم ونظيره قوله
اشهدوا خلقهم وقرأ الخليل ام خلقنا الملائكة انثى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه والا فك الكذب البحت
ولقد وصف افكهم بذكره بغاية الفصاحة ونهاية البلاغة حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه واكدها بان واللام واسمية الجملة وتكرير الضمير
مع المضارع المنبئ عن الاستمرار وقرأ الخليل افكهم بفتح الالف وكسر الفاء وانهم لكاذبون لتمادون في الكذب على الله والافتراء عليه وليس
قولهم ولد الله باول كذبهم عليه فانهم يكذبون في جميع ما يتدينون به من الاشراك وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرم وانكار الحشر والنشر والثواب
والعقاب وغير ذلك وقرئ ولد الله اى الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يطلق على الذكر والانثى والواحد والجمع تقول هذا ولدي وهذه ولدي
وهؤلاء ولدي اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد وقرأ حمزة وابو جعفر والاعمش اصطفى بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
لدلالة ام بعدها عليه او على الاثبات باضمار القول اى لكاذبون في قولهم اصطفى البنات او ابدال من ولد الله والاصطفاء الاختيار
وقيل اخذ صفوة الشيء ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج المبني على الشطط في القسمة وانه اثركم على نفسه بصفوة النوعين وخيرهما
وارفعهما كان امر الاصطفاء موكول اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم وعليك بزيادة التأمل في هذا البيان وفيه تجهيل لهم في حكمهم وانكار له وتعجيب
منه وايذان بانه صادر من محض جهل واختلال فكر واعوجاج رأي والمعنى اي غرض لكم في حكمكم بالا يقبله عقل ولا يرتضيه رأي افلا
تذكرون افلا تتفكرون في قولكم الاحمق وحكمكم الاعوج او فيما انزل اليكم من الايات ونصب لكم من البينات فتعلموا انه متعال عن الشبه
والمجانسة حتى يكون له من شبيه وجنس صاحبة فيتوالد وان الواجب بالذات لو ولد لكان فاه كثير من الممكنات وذلك ان من له ادنى عقل
وفكر اذا نظر في المخلوقات النظر الصحيح يعلم قطعا ويقينا ان شيئا منها لا يماثل خالقها في شيء من اوصافه وافعاله وانه تعالى اجل واعلى من جميع
ما فيها بحيث لا مناسبة بينها وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف تذكرون بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرأ طلحة تذكرون كان
الذال ام لكم سلطان مبين اى حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم فاحضروا كتابكم الذي انزل عليكم
في ذلك كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا الاية ان كنتم صادقين في دعواكم وام يحتمل ان تكون معادلة وان تكون منقطعة فلتهم فيها نحو ذلك
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اراد بالجنة الملائكة وسموا جنة لاجتنانهم واستتارهم عن الابصار وبالنسب زعمهم انه بناته والمعنى وجعلوا
بما قالوا نسبة بين الله وبينهم واثبتوا بذلك جنسية جامعة له وللملائكة وقال ابن عباس الجنة حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس
قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا ان الله تزوج من الجن فخرج منها الملائكة تعالى الله عن ذلك وقد كان يزعم بعض قريش ان الملائكة بنات الله
فقال ابو بكر الصديق فمن امهاتهم قالوا سروات الجن وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن معنى النسب انهم اشركوا
الشيطان في عبادة الله ولقد علمت الجنة انهم اى ان الكفرة او الانس او الشياطين لمحضرون في العذاب ولو كانوا مناسبين له او شركاء
في وجوب العبادة لما احضرهم النار ولما عذبهم بها سبحان الله عما يصفون تنزيه له من الولد والنسب او تعجب من كلمهم الحمقاء
وجعلتهم العوجاء كانه قيل ما ابعده وما انزهه من هؤلاء خلقه وعبيده عما يضاف اليه من الولد والنسب والشركاء الا عباد الله المخلصين
استثناء منقطع من المحضرين اى ولكن المخلصين ناجون ولا يحضرون او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض يفيد تنزيه
الله تعالى وتقديسه عما ينسبون اليه او من الواو في يصفون اى يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء من ان يصفونه به فانكم وما تعبدون

سورة الصافات سورة الاحزاب
سورة سبا سورة الملائكة
سورة يس

عود لاخطابهم وما موصولة او موصوفة بمعنى والهة تعبدونها ما انتم عليه على الله بفاتنين بمفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم
الا من سبق في علمه انه داخل في النار ولصحابها للحالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم تغليبا للمخاطب على الغايب او وما تعبدون بمعنى المقارنة فيه سادّ مسدّ
الخبر اي انكم والهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا ضالا مستوجبا
للنار وجوّز ان يكون في اسلوب قوله فانك والكتاب الي على كرابغ وقد كم اللئيم ديم وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام على انه جمع سقطت واوه لالتقاء
الساكنين او تخفيف صايل على القلب كشاك في شايك او مفرد حذف لامه تخفيفا واجري الاعراب على عينه كما في قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية
كعافية كقراءة من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على العين وجعل اللام المحذوف كالمنسي وما منا الا له مقام معلوم
على حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا يكم كان من ارمى البشر وهو حكاية اقرار الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم
اي ما منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي ما في السماء موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح
وعن ابي ذر قال النبي عم اطّت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تع وقال السدي الا
له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد
علمت الملائكة ان المشركين معذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك
للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها لا يتجاوزونها وقال ابو بكر الوراق الا له مقام معلوم يعبد الله عليه كالخوف والرجاء
والمحبة والرضاء وانا لنحن الصافون صفوا اقدامهم في الصلوة او اجنحتهم في الهواء منتظرين ما يؤمرون به وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء
للعبادة كصفوف الناس في الارض وقيل صفوا اجنحتهم حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه
الاية وليس يصف احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين وانا لنحن المسبحون المصلون او المنزهون لله عما لا يليق به وهذا تخصيص بعد التعميم
لان المقام المعلوم يعم مقام الصف في الصلوة والهواء ومقام التسبيح ومقام الخدمة وغير ذلك من مقام الدعاء والسؤال وفي اللام وتكرير الضمير بعد ايقاعه
اسما لان تاكيد على تاكيد لحق اختصاصهم بالصف والتسبيح دايما كانهم قالوا انا لنصف في الصلوة وفي الهواء وحول العرش صفا دايما ولا نسبح
تسبيحا دايما الا نحن معاشر الملائكة لا غيرنا كما قال تع يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقال ويسبحونه وله يسجدون وقيل هو طوايف من قول النبي عم
والمؤمنين يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله تع في القيمة ذكرا عمالهم وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله
عن السوء كفرا وان كانوا ليقولون اي مشركوا قريش وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية لو ان عندنا ذكرا من الاولين
اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية والانجيل لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا ولما خالفنا كما خالفوا هم
الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز بين الكتب مهيمن عليها فكفروا به اي فلما جاءهم الذكر كفروا به فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وما يحيق
بهم من العذاب العظيم وهو وعيد لهم وتهديد ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اي ولقد وعدناهم بالنصر والغلبة وهو قوله انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة
وانما سماه كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة وقرئ كلماتنا وقرأ ابن مسعود على عبادنا بتضمين سبقت
معنى حقت ووجبت كما قال النبي عم المتحقق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الاداء والناكح الذي يريد به العفاف والمجاهد في سبيل الله رواه ابو هريرة
فتول عنهم فاعرض عنهم واغض على اذاهم حتى حين الى وقت يسير وهو وقت قبل نزول العذاب اليهم وعن ابن عباس الى الموت وعن مجاهد
الى يوم بدر وعن السدي حتى نأمرك بالقتال وقيل الى يوم القيمة وقال مقاتل بن حيان نسختها اية القتال وابصرهم وما يقضي عليهم من
القتل والاسر في الدنيا والعذاب في الاخرة والمراد بالامر بابصارهم على الحال الموعودة الدلالة على ان ذلك كائن قريب كانه قدام ناظريه
وفي ذلك تسلية له وتسرية عنه فسوف يبصرون ما قضينا لك من النصرة والتأييد والثواب في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا
يستعجلون ابعد هذا التكرير بالوعيد يستعجلون بعذابنا والهمزة للانكار والتعجب كانه قيل ابعد هذا التكرير اسمع وابصر استعجالهم المستنكر



للقص منه العجب روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا العذاب فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب بفنائهم شبه العذاب
النازل بهم بعد ما اوعدوا به وانكروه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول ويعضده ما روى انس ان رسول الله حين خرج الى خيبر
اتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغر حتى يصبح فلما اصبح خرجت يهود بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد عم والخميس فقال رسول الله عم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقرئ نُزّل على اسناده الى الجار والمجرور ونُزل اي ذهب بزيد ونزل العذاب
فساء صباح المنذرين ساء بمعنى بئس واللام في المنذرين للجنس لان فاعل بئس ونعم اسم معرّف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص
بالذم محذوف تقديره فبئس صباح المنذرين صباحهم وكانت عادة مغاويرهم ان يغيروا صباحا فسموا الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر
وقرأ ابن مسعود رضي فبئس صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية على تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد الى تاكيد
وفيه نكتة جليلة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول مختص بعذاب
الدنيا والثاني بعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لما اضاف اليه المشركون من الشركة والولادة والنسبة او تعجب من وصفهم
اياه بما لا يليق به كانه قيل ما ابعد من اختص به الربوبية وما اعلاه عما يصفونه او عن وصفهم اياه بصفات الاجسام على ان ما موصولة او مصدرية
واضاف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كقولك صاحب صدق لاختصاصه بالصدق على انه ما من عزة لاحد من الانبياء وغيرهم



الا وهو ربها ومالكها كقوله تعز من تشاء وفيه اشعار بالسلوب والاضافات كما في قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذلك ان قوله سبحان
اشارة الى السلوب كالجلال فان كلا منهما يفيد ما افاده الاخر في قولنا سبحان ربنا عن الشريك والشبيه وجل ربنا عنهما وقوله ربك رب العزة
اشارة الى الاضافات كالاكرام وانما قدم السلب على الاضافة لان السلوب كافية في ذاته من حيث هو هو بخلاف الاضافات فانه لا بد في تحققها
من غيره لان الاضافة لا توجد الا عند المضافين وقيل قد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين
والتسليم على الرسل الذين ارسلهم الله الى اقوامهم وامرهم ليبلغوهم رسالاته ويبينوا لهم ما يحتاجون اليه من امور الدينية اولهم آدم واخرهم
محمد عم والحمد لله رب العالمين على افاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العواقب ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه العظيم وعن علي رضي من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من
الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وقرأ طلحة برواية عيسى بن عمر فسوف يُبصرون لا
وآذنتكم بآية المرسلين ويسألون عن هذا النبأ العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن ثابت
قرأ علي وابن مسعود آذنتكم بآية المرسلين ليسألن عن النبأ العظيم كذا في غرايب القرآن للامام ابي بكر النيسابوري وعن رسول الله
من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك
وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وهي ست وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص قراءة العامة صاد بسكون الدال على الوقف وقرأ ابي والحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم بكسر الدال لالتقاء الساكنين او لانه امر من المصاداة
وهي المعارضة والمقاولة ومنها الصدا وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة اي عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه وقرأ عيسى بن عمر بفتح الدال لذلك او لحذف حرف القسم وايصال الفعل اليه كقولهم الله لافعلن بالنصب او اضماره والفتح في موضع الجر
فانها لم تنصرف للتعريف والتانيث لانه علم للسورة وقيل نصب على الاغراء وقيل باضمار فعل مثل اتل او اقرأ تقديره اتل صاد او اقرأ صاد
وقرأ ابن ابي اسحق ايضا صادٍ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب وقرأ هرون الاعور وابن السميفع صُ وقُ ونُ بضم آخرهن لان الحروف
بالبناء في غالب الحال مثل منذ وقط وقبل وعن عكرمة سأل نافع ابن عباس عن ص فقال ص كان بحرا بمكة وكان عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا
نهار وقال ابن جبير ص بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال الضحاك معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله به وهو اسم
من اسمائه وروي عن ابن عباس صدق محمد عم وقال القرطبي ص مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد وقال قتادة هو اسم من اسماء الرحمن وعنه
انه اسم من اسماء القرآن وقيل هو سر من اسرار الله تعالى بعلمه

والقرآن ذي الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدي او الرمز بكلام مثل صدق الله او السورة خبر المبتدا المحذوف او لفظ
الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من التحدي او الامر بالمعارضة تقديره والقرآن ذي الذكر انه لكلام معجز او اقسمت
بصاد والقرآن ذي الذكر انه لمعجز او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي ما كفر به من كفر لخلل وجد فيه بل الذين كفروا به
في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق اي خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث
اشعاره بذلك والذكر الموعظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين من العقائد والشرائع والاقاصيص والمواعيد وقرئ في غرة
بالغين المعجمة اي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع
الحق والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به تكبرا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين حين
مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين
قال ابو زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء وقال غيره تذكر حب ليلى لات حينا واضحى الشيب قد قطع القرينا
وعن الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بالاحيان وحين مناص منصوب بها كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه ان ما
ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص ويرتفع بالابتداء اي ولا حين مناص كائن لهم وعند غيره ان النصب على ولات حين
مناص اي وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بكسر النون كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان
لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ في قوله وانت اذ صحيح في انه مقطوع عن الاضافة
اذ اصله ولات اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لكونه مضافا الى غير
متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير بكسر الراء وقد تضم ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء المؤنثة والبصريون بالتاء كالافعال المتصلة
بها تاء التانيث وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل
اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقولهم العاطفونه كحين ما من عاطف والمطعمونه زمان ما من مطعم والمناص المنجا والفوت من ناصه ينوصه اذا فاته وعن ابن عباس
كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله ولات
حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم رسول من انفسهم او بشر من جنسهم او امي من عدادهم وقال الكافرون اقام الظاهر مقام المضمر اظهارا
للغضب عليهم ودلالة على ان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره من معجزة كذاب فيما يقول على الله اجعل الالهة الها واحدا بان جعل
الالوهية التي كانت لهم لواحد ومعنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كما في قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كانه قال
اجعل الجماعة واحدا في قوله لان ذلك في الفعل محال فالهمزة للانكار والاستبعاد ان هذا لشيء عجاب اي بليغ في العجب لانه خلاف ما تعودوا وتواطئوا عليه ولم
يجدوا عليه اباءهم الضالين وقرئ عجاب بالتشديد كقولهم مكر كبار وهو ابلغ من الخفيف وما اعجب شان الكفرة الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر
وللتوحيد الذي هو احق الحق فتعجبوا منها فقد رضوا الالهية لحجر ولم يتعجبوا من هذا الشرك وهو باطل الذي لا وجه لصحته ولا اقبح منه روي
ان عمر رضي الله عنه لما اسلم فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم ومشوا الى ابي
طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر ابو طالب رسول الله
فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلعم ماذا يسالونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال صلعم
ارايتم ان اعطيتكم ما سالتم اعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا اي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال
قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملا منهم وانطلق اشراف قريش وصناديدهم عن مجلس ابي
طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلعم بالجواب العتيد ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا حيلة لكم
في دفع امر محمد صلعم وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول فانهم قالوا امشوا اي اكثروا

واجتمعوا من مشت المراة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال النبي صلعم ضموا فواشيكم وقرا ابن ابي عبلة منهم امشوا بغير ان
على اضمار القول وقرا ابن مسعود وانطلق الملا منهم يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر يريده الله ويحكم بامضائه وما اراد كونه فلا مرد له
ولا ينفع فيه الا الصبر او ان هذا الامر لشيء من نوائب الزمان يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم ويغلبوا عليه وقيل
او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرئاسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد ما سمعنا بهذا اي بالذي يقوله محمد
من التوحيد في الملة الاخرة في ملة قريش التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عم التي هي اخر الملل فان النصارى مثلثة غير موحدة وهو في الوجهين
متعلق باسمعنا ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال منه والمعنى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا
الا اختلاق كذب اختلقه وافتعله اانزل عليه الذكر من بيننا انكار منهم لاختصاصه بالشرف من بين اشرافهم وان ينزل عليه الكتاب من بينهم
كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار دليل على ان مناط تكذيبهم الا الحسد على ما اوتي رسول الله من شرف
النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم
هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد واذا ذاقوه زال عنهم شكهم يعني انهم لا يصدقون به حتى يمسهم
العذاب فيلجئهم الى تصديقهم ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام منقطعة بمعنى بل والهمزة وهي للانكار يعني ما هم بمالكي خزائن
الرحمة حتى يصيبوا بها من شاءوا وخزائن الرحمة العزيز الوهاب الغالب الذي لا يغلب الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح هذا المعنى
فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما بل الهم ملك العالم والتصرف فيه حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب
العزة والكبرياء فلما لم يكن لهم التصرف في هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه فلان لم يتصرفوا في خزائن رحمته التي لا غاية لها بطريق
الاولى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا الى من يختارون ويستصوبون وهو غاية التهكم
بهم والسبب في الاصل هو الوصلة والمراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية او ابوابها وطرقها من سماء الى سماء وقرا الخليل
فليرتقوا بكسر اللام جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي ما هم الا جند جند من الكفار المتحزبين على رسول الله مهزوم مكسور عما قريب
فمن اين لهم التصرف في الامور الربانية فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما يهذون والجند جمع معد للحرب وما مزيدة للتقليل كقولك
اكلت شيئا ما او للتعظيم كما في قول امرئ القيس وحديث ما على قصره والاية على سبيل الهزء والاول اوجه لزيادة ملاءمته ما بعده وهنالك
اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول وهي مركبة من ثلث كلمات احدها هنا وهو اشارة المكان قريب والثانية
اللام وهي للتاكيد والثالثة الكاف وهي للخطاب فالواو واللام فيها كاللام في ذلك في الدلالة على بعد المشار اليه وقوله من الاحزاب اي من جملة الاحزاب
وهم القرون الماضية الذين تحزبوا اي تجمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا واهلكوا وقيل هنالك اشارة الى بدر ومصارعهم ثم قال
تسلية للنبي عم كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد واصله من ثبات البيت المطنب باوتاده
ثم استعير لثبات الملك والعز واستقامة الامر كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد او ذو القوة والبطش قاله الضحاك او ذو الجنود والجموع
الكثيرة لانهم يشدون الملك والبلاد كما تشد الاوتاد البناء وقيل سميت الجنود والجموع الكثيرة بالاوتاد لان بعضهم يشد بعضا كالوتد
يشد البناء او ذو البناء المحكم قاله ابن عباس وعن الضحاك ايضا كان كثير البنيان والبنيان يسمى اوتادا وقيل كان يشبح المعذب
بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقال الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد
واذا غضب على احد مده مستلقيا بين اربعة اوتاد في الارض فيرسل عليه العقارب والحيات وقال قتادة وعطا كانت له اوتاد وجبال
وملاعب يلعب بها بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اي اصحاب الغيضة وهم قوم شعيب وقرا نافع وابن عامر وابن كثير
وابو جعفر ليكة بفتح اللام والتاء من غير همزة والباقون بالهمزة وسكون اللام وكسر التاء اولئك الاحزاب دل به على ان الاحزاب
الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب ان كل الا كذب الرسل ايضاح لما اسند اليهم من تكذيبهم المعبر عنه بالجملة الخبرية
على وجه الابهام

وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية والانشائية مؤكدة ومخصصة انواع من المبالغة والتاكيد ليكونه تسجيلا على استحقاقهم
للعذاب ولذكر ما رتب عليه فحق عقاب فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم
وقرأ يعقوب عقابي بالياء حال الوصل وما ينظر هؤلاء وما ينظر اهل مكة او جميع الاحزاب من قريش وغيرهم لاستحضارهم بالذكر او لانهم
كالحضور عند الله اي وما ينتظرون الا صيحة واحدة من نفخة الصور ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب من الوقت
لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يعني اذا جاء وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة وعن ابن عباس وقتادة ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع اللبن الى ضرعها
يعني انها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد وقرأ حمزة والكسائي وخلف فواق بضم الفاء وهما لغتان بمعنى واحد كقصاص الشعر وقصاصه وجمام المكوك
وجمامه وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به او الجنة التي وعدتها المؤمنين من قطه اذا قطعه كما يقال القسمة الجائزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك بطريق الهزؤ والسخرية اصبر على ما يقولون
احبس نفسك على احتمال ما يقول المشركون فيك واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
باعظم النعم من النبوة والرسالة والحكمة والملك لما زل زلة بعث الله اليه الملائكة ووبخه عليها بالتمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر
ربه واناب وبكى بكاء البقاء فقد يرفع ما الظن بالكفرة واهل الطغيان الذين هم من اعداء الله او تذكر قصته ومن نفسك وحافظ عليها
ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم فيلقاك ما لقيه من توبيخ الله ومعاتبته على زلته اليسيرة ذا الايد اي ذا القوة في الدين
المضطلع بمشاقه وتكاليفه انه اواب رجاع الى مرضات الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين كان على نهوض باعباء النبوة
قايم
والملك يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وقيل كان مثلا قبل الخطيئة واما بعدها فقد صام الدهر كله وقام الليل كله وقيل قال اواب لانه كلما
ذكر ذنبه او خطر بباله استغفر منه كما قال النبي عم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مضى تفسيره مستوفيا
في سورة الانبياء لكن قدم ههنا الجبال ههنا على معه على الاصل واللام يحتمل الجنس والعهد ويسبحن حال منها واختير على مسبحات لاستحضار
الحال الماضية والدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال او استيناف كان سائلا سأل كيف سخرهن فقال يسبحن
بالعشي من حين نزول الشمس الى ان تغيب والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت
الضحى وعن ام هانئ دخل علينا رسول الله عم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق
وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلوة الضحى في القرآن فقالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق
وقال كانت صلوة يصليها داود عم وعنه ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها فوجدتها
في هذه الاية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتب الله
صلوة بعد طلوع الشمس قال انا اوجدك ذلك في القرآن في قصة داود يسبحن بالعشي والاشراق وصلوة الضحى نافلة مستحبة وهي في الغداة
بازاء العصر في العشي واقلها ركعتان واكثرها ثنتي عشرة ركعة قال ابن عمر قال رسول الله عم اذا كانت الشمس من مطلعها كهيئتها لصلوة العصر
من مغربها فقام العبد فصلى ركعتين واربع سجدات كتب له اجر ذلك اليوم حسنة وكفر عنه خطيئته واثمه وفي سنن الترمذي قال ابو هريرة
قال رسول الله عم من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عم ان للجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم
القيمة نادى مناد اين الذين كانوا يديمون على صلوة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال
اوصاني خليلي بثلث لا ادعهن حتى اموت صوم ثلثة ايام من كل شهر وصلوة الضحى ونوم على وتر لفظ البخاري وقال مسلم ركعتي
الضحى وخرجه من حديث ابي الدرداء كما خرجه البخاري من ابي هريرة وروى الترمذي من حديث انس قال قال رسول الله عم من صلى
الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى له قصرا من ذهب في الجنة وقيل يحتمل ان يكون الاشراق من اشراق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قولهم

فاخذتهم

فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير ويراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق وقرأه الخليل والاشراق
بفتح الهمزة والطير محشورة اليه من كل جانب واعالم براعة المطابقة بين الحالين لان حشرها جملة واحدة ادل على القدرة من تسخيرها
وعن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وهو عطف على الجبال والمعنى وسخرنا
الطير مجموعة اليه تسبح لله معه وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبر كل له اواب اي كل واحد من الجبال والطير لاجل
داود اي لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح لانها كانت تسبح بتسبيحه والفرق بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا يدل
على المداومة عليه او كل من داود والجبال والطير رجاع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود والقاء الرعب
منه في قلوب قوم وذلك ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام
فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال صدقت وان الله لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بانى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فقتله
حيلة
فقال الناس ان اذنب احدنا اظهره الله عليه فهابوه وعظمت هيبته وقيل كانت يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه
وروى الحلوانى عن الحسن وشددنا شددا وعن ابن الاعبلة مثله واتيناه الحكمة يعني الزبور وعلم الشرايع وقيل النبوة وكمال العلم واتقان
العمل وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة وقال مجاهد العدل وقتادة السنة وشريح العلم والفقه وابو العالية العلم بكتاب الله وفصل الخطاب
من عطف الخاص على العام تنبيها على جلالة امره وفخامة قدره لان فصل الخطاب نوع من الحكمة ما اضافة الفصل الى الخطاب من اضافة الصفة
الى الموصوف سواء كان الفصل بمعنى الفاعل او المفعول الذي المعنى واتيناه الخطاب الفاصل المميز بين الحق والباطل او الخطاب المفصول
الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه والفصل التميز بين الشيئين وقال ابن مسعود والحسن فصل الخطاب الفصل في القضاء
واليه ذهب مقاتل والكلبي والسلمي وقال ابن عباس هو بيان الكلام وقال علي رض هو قوله البينة على المدعي واليمين على من انكر ويروى
واليمين على المدعى عليه وبه قال قتادة وشريح وقال ابو موسى الاشعري والشعبي هو قوله اما بعد وهو اول من تكلم به فانه يفتتح اذا
تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد وقيل
هو البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه وقيل فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص
الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس تراعى فيه مضان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها ويجوز ان يراد بفصل الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله عم
فصل لا نزر ولا هذر وعن ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وبه قال مجاهد وعطاء بن ابي رباح وما ذكرته اولا يشمل كل هذه
قليل
الاقوال وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه لانه من الانباء التي حقها ان يتعجب منها كل من يسمعها ويتشوق وفيه
تفخيم لشان النباء وتنبيه على انه ليس من علم النبي عم وانما عرفه بالوحي والخصم في الاصل مصدر ولذلك يقع على الواحد والجمع كالضيف والزور
والصوم اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور وهو الحائط المرتفع ونظيره تسنمه من السنام اذا علا سنامه
واذ منصوب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد الاتيان اليه على حذف
مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه رسول الله لم يكن حين تسوروا المحراب وانما كان في عهده
واذ في قوله اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا روى ان الله بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا عليه
فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه
من فوقه وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عم جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤا في يوم خلوة غير يوم القضاء ففزع منهم وقال ما اد
على قالوا لا تخف منا خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان اي فريقان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما

بعضهم بيانه

بدليل قوله وقرأه من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض وقيل فاعل فعل محذوف اى نحن خصمان وقيل ما تقول ان اتاك خصمان قالوا
بغى بعضنا على بعض على سبيل الفرض وقصد التعريض لانهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين ولا يليق منهما كذب وقيل هما
كانا انسيين جبرئيل وميكائيل قد نبها داود بذلك على ما فعل وقيل كانا اخوين من بنى اسرائيل لاب وام فلما قضى داود بينهما بقضية
قالا ملك من الملائكة فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود وقيل اتيا ليلا فى غير وقت دخول الخصوم فاحكم بيننا بالحق بالعدل ولا تشطط
ولا تجر فى الحكومة وهو تأكيد للامر بالحكم بالحق وقرئ ولا تشطط اى ولا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل بمعنى الشطط وهو
مجاوزة الحد وتخطى الحق واهدنا الى سواء الصراط وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين او بالصحبة او بهما بالنسبة على القول الثانى
واخى بدل من هذا او خبر له له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق
للتعريض ابلغ فى المقصود واوقع فى النفس واقر فى القلب والسمع وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات
نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة وقرأ ابن مسعود ونعجة انثى وقرأ حفص ولى نعجة بفتح الياء وروح بالخفة والباقون بسكونها على الاصل
فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى واجعلنى كافلها اى يكفل الرجل ملكه وذلك بالتمليك وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى
وقال مسروق قال ابن مسعود ما زاد داود على قوله اكفلنيها اى انزل لى عنها وقال سعيد بن جبير اى تحول لى عنها وعزنى فى الخطاب وغلبنى فى
مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر ان ارده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا اى فغلبنى فى الخطبة
فغلبنى حيث تزوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وقرأه ابو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكانه قاسه على
نحو ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه والسؤال
مصدر مضاف الى المفعول وتعديته الى مفعول آخر لتضمنه معنى الضم او الاضافة كانه قيل بضم نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب
ولعله قال ذلك على تقدير صدق المدعى او بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجى
مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هذا وهذا
وانت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وقيل قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فيه الفتوى بعد النازلة
من احد الخصمين وقبل ان يسمع من الآخر وهذا مما لا يجوز عند احد فلعل تقدير الكلام ان احد الخصمين ادعى والآخر سلم فالدعوى فوقعت بعد
ذكر الفتوى وقد قال النبى عم اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض لاحدهما حتى تسمع من الآخر وان كثيرا من الخلطاء من الشركاء الذين خلطوا اموالهم
جمع خليط وهى الخلطة اى الشركة وقد غلبت فى الماشية والشافعى يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة او لكل واحد منهما ماشية
على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد فان كان لهما اربعون شاة فعليهما شاة فان كانوا ثلثة
ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند ابى حنيفة رح لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد
ففى اربعين بين خليطين لا شئ عنده وفى مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه وانما ذكر حال الخلطاء فى ذكر القام قصدا به الى الموعظة والترغيب
فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وان يكره اليهم الظلم الذى عليه اكثرهم مع التأسف على حالهم وان يسلى المظلوم عما
جرى عليه من خليطه وان له فى اكثر الخلطاء اسوة ليبغى ليتعدى وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك
الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وقد رواه صاحب الغرائب عن اهل الشام حيث قال عن اهل
الشام من رواية هشام من الخلطاء ساكنة اللام ليبغ بحذف الياء بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم يعنى ان من
يؤمن ويعمل صالحا قليل جدا فهم مبتدأ خبره قليل وانما افرد تشبيها بفعيل بمعنى مفعول وما مزيدة لتأكيد القلة وقيل للابهام والتعجب من قلتهم
وان اردت ان تحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط وظن داود انما فتناه اى وعلم
داود وايقن انما ابتليناه الذى جاء بامرأة اورياء هل ثبت ام يزل وقيل انما ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها وانما اجرى الظن مجرى

العلم واليقين

بيان السجدة وبيان استغفار داود عم من ذنبه

العلم واليقين لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام وقرئ فتناه بتشديد التاء للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتنى
لهى بالامس افتنت وفتناه وفتناه على ان الالف ضمير الملكين فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لان الراكع
ينحنى ويخضع كالساجد وبه استشهد ابو حنيفة واصحابه فى سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود او خر للركوع ساجدا للسجود راكعا
ساجدا بيانه
اى مصليا اطلاقا للجزء وارادة الكل كانه احرم بركعتى الاستغفار والدليل ان الركوع ههنا بمعنى السجود ما رواه ابن عباس ان النبى عم كان يقول
فى سجدة ص وسجدة الشكر اللهم اكتب لى عندك بها اجرا واجعلها لى عندك ذخرا وضع عنى بها وزرا واقبلها منى كما قبلت من عبدك داود
النبى عم حين نظر الى المرأة فهم ما هم قطع على بنى اسرائيل بعثا فاوص صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدى التابوت
وكان التابوت فى ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدى التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان
عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه واكلت الارض جبينه وهو يقول فى سجوده
رب زل داود زلة ابعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا فى الخلوق من بعده فجاء جبرئيل
من بعد اربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذى هممت به فقال داود ان الرب قادر على ان يغفر لى الهم الذى هممت به وقد عرفت
ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيمة فقال رب دمى الذى عند داود فقال جبرئيل ما سألت ربك عن ذلك وان شئت لافعلن
فقال نعم فعرج جبرئيل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال سألت الله يا داود عن الذى ارسلتنى فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما
يوم القيمة فيقول هب لى دمك الذى عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول ان لك فى الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا وعن ابن عباس
وكعب ووهب لما دخل على داود الملكان فقضى على نفسه تحولا فى صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عنى به فخر
ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه لاكل ولا يشرب ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه
ولم يشرب بماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله فى التوبة والعفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له
ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه اهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وعن وهب ان داود اتاه نداء انى قد غفرت لك قال
يا رب كيف وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا وانا اسمعه نداءك فتحلل منه فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم
نادى اوريا فقال لبيك من هذا الذى قطع على لذتى وايقظنى قال انا داود قال ما جاء بك يا نبى الله قال اسألك ان تجعلنى فى حل فاوحى الله
اليه يا داود الم تعلم انى حكم عدل لا اقضى بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امرأته فرجع اليه فناداه فاجابه فقال من هذا الذى قطع
على لذتى قال انا داود قال يا نبى الله اليس قد عفوت عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وتزوجها فسكت ولم يجبه ودعاه
فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل له سبحان خالق النور الويل
اذا نصب الميزان بالقسط سبحان الخالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم سبحان خالق النور
ميزان بيانه
الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور فنودى من السماء يا داود قد غفرت
لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبى لم يعف عنى قال يا داود اعطيه يوم القيمة من الثواب
ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رض عبدى فيقول يا رب من اين لى هذا ولم يبلغه عملى فاقول هذا عوض من عبدى داود
فاستوهبك منه فيهبك لى قال يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لى واناب ورجع الى الله بالتوبة قال بعضهم واقصى ما فى هذه الى
بانعم وود ان يكون ما لغيره كان له امثاله فنبهه الله بهذه القضية فاستغفر واناب عنه وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوج
وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكانت لاهل زمان داود عادة فى المواساة بذلك قد اعتادوه وقد كان الانصار
كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك وما قيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامر ان يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء وقال الزمخشرى
وقيل خطبها اوريا ثم خطبها داود فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه واما ما يذكر ان داود تمنى

منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يارب ان آبائي قد ذهبوا بالخير كله فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها قد ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح
ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فاوحى الله اليه انك لمبتلى في يوم كذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم
دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير وقيل من ذهب
فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فذهب ليأخذها ويريها بني اسرائيل
فينظروا الى قدرة الله فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة
اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب صوريا ابن اخت داود وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت
وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه
خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من ابناء المسلمين فضلا
عن بعض اعلام الانبياء هذا كلامه وقد علمت ما فيه من الانكار والمخالفة لحديث رواه انس بن مالك صاحب رسول الله صلعم ولقول كثير من علماء
السلف ثم قال وعن سعيد بن المسيب والحارث الاعور ان علي بن ابي طالب قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى انه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت
القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي ان يلتمس خلافها واعظم بان يقال غير ذلك وان كان على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغي اظهارها
عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام احب الي مما طلعت عليه الشمس والذي عليه المثل الذي ضربه الله بقصته عم ليس الا طلبه الى زوج المرأة
ان ينزل له عنها فحسب وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم
وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اي ما استغفر عنه وذكر في شهر ذي الحجة نقول
ابن مسعود رض عن النبي صلعم انه قال بعث الله نوحا في ثلث ليال بقين من رجب فصوم ذلك اليوم كصوم مائة سنة وانزل الرحمة واللعنة
لخمس ليال بقين من ذي القعدة فصوم ذلك اليوم كصوم سبعين سنة وانزلت توبة داود لسبع ليال مضين من ذي الحجة فمن صام ذلك اليوم
غفر الله له ذنوبه كما غفر ذنب داود وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع في الجنة وعن وهب ان داود لما تاب
الله عليه بكى على خطيئته ثلثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة
ايام يوم للقضاء ويوم لنسائه ويوم يسيح في الفيافي والجبال والسواحل ويوم يخلو في دار له اربعة آلاف محراب فتجتمع اليه الرهبان فينوح معهم
على نفسه فيساعدونه على ذلك ويرفعون اصواتهم معه بالبكاء والنوح فلا يزال يبكي حتى تغرق الفرش التي تحته من دموعه ويقع فيها مثل
الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ويقول يارب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود
ببكاء اهل الدنيا لعدله وذكر الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلعم ان مثل عيني داود كالقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد
الماء في الارض وقال وهب لما تاب الله عليه قال يارب غفرت لي فكيف لي ان لا انسى خطيئتي فاستغفر لها وللخاطئين الى يوم القيمة فوسم الله خطيئته
في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا بين الناس الا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته وكان اذا
دعا استغفر للخاطئين قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع
عينيه وكان يوضع عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا اكل الخاطئين وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته
ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله وقيل كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يشدها الا الاسر واذا ذكر رحمة الله تراجعت وعن علي رض
قال رسول الله صلعم اوحى الله تعالى الى داود قل للعاصين ان يسمعوني ضجيج اصواتهم فاني احب ان اسمع ضجيج العاصين اذا تابوا الي يا داود لم
يتضرع المتضرعون الى من هو اكرم مني ولا يسأل السائلون اعظم مني جودا وان العبد لحدا ليعصيني كانه لا يعرفني ثم يقبل علي فاقبله على ما كان
منه وانا ارحم الراحمين وعن كعب بن مالك قال انه صلعم اوحى الله تعالى الى داود يا داود وعزتي ما من عبد يعتصم بي دون خلقي اعرف ذلك من نيته

فيكيدوه

فيكيدوه السموات السبع ومن فيهن والارض بمن فيها الا جعلت له من ذلك مخرجا وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني اعرف ذلك من نيته
الا قطعت اسباب السموات من بين يديه وارسخت الهواء من تحت قدميه وما من عبد يطيعني الا وانا معطيه قبل ان يسألني ومستجيب له
قبل ان يسألني وغافر له قبل ان يستغفرني يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك في الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين
على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله في ارضه او جعلناك خليفة عمن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق قيل وفيه دليل على ان
حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله اذ كنت خليفته ولا تتبع الهوى ما تهويه النفس
في القضاء وغيره مما يتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا وهو يؤيد ما قيل من ان ذنبه الهم الذي هم به حين نظر الى المرأة كما صرح به رسول الله صلعم
في الحديث الذي رواه انس او المبادرة الى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته لان كلا منها مما تهواه النفس فيضلك الضمير للهوى او لاتباع الهوى
اي فيكون سببا لضلالك عن سبيل الله عن دلائله التي نصبها على الحق او عن طريق الله الذي هو الاسلام هذا وامثاله يدل على ان اتباع الهوى
موقع عن دين الاسلام بمراحل فيهلك به كما قال سيد الانبياء ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقد قال صلعم ما عبد اله
تحت السماء ابغض الى الله من الهوى رواه ابو امامة وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار وقال ابن عباس ما ذكر الله هوى في القرآن
الا ذمه ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد نوع من العذاب شديد وهو النار وعن النبي صلعم انه قال لعلي يا علي احكم بالحق فان لكل حكم جائر
سبعين ذراعا من النار لو ان ذراعا واحدا منها وضع على رأس جبل شاهق لصبح الجبل رمادا بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله
فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى او بنسيانهم يوم الحساب وعن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا
قال وما هو قال بلغنا ان الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وعن ابن
عباس انه قال في تفسير قوله فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان ارتفع لك الخصمان فكان لك في احدهما هوى ولا تشته في نفسك الحق له
ليفلج على صاحبه فان فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهل كرامتي وفي الآية دليل بين على وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الحاكم الى احد الخصمين
بشيء من الاشياء وقال ليث تقدم الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما ثم عادا فاقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما الي فوجدت لا
لاحدهما ما لم اجد لصاحبه فكرهت ان افصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي
كان بين عمر وابي خصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه اشار لعمر الى وسادته فقال عمر هذا اول جورك اجلسني واياه مجلسا واحدا
فجلسا بين يديه وقرأ ابو البرهسم وابو حيوة يضلون بضم الياء وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف
اي خلقا باطلا لا حكمة فيه او على الحال تقديره ذوي باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق
او على المفعول له اي للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من الدليل والتشريع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
على وضع الصفة موضع المصدر مثل هنيئا او على الميل الى جانب المعنى وهو باب واسع في علم الكتاب فكانه قيل ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب
ومتابعة الهوى بل للحق المبين وهو ان خلقنا اجساما عظاما يدل بها على وجودنا ووحدتنا وباهر قدرتنا وبالغ حكمتنا ويذكر بها الآخرة وثوابها
وعقابها بالانطباق على اسباب الانس واللذة والفرح والراحة واسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والاجناس والسموم
والمخاوف وقيل وهو ان خلقنا نفوسا واودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها
عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم ذلك اي خلقها باطلا ظن الذين كفروا الظن بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة مظنون الذين كفروا فانهم وان
كانوا مقرين بان الله خالقهما لما اعتقدوا ان الجزاء الذي هو علة خلق العالم كما صرح به القرآن باطل لزمهم ان يظنوا ان المعلول باطل ويعتقدوا هذا ذكر
وقيل لما كان انكارهم للبعث والثواب والعقاب مؤديا الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنونه ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذي سيقت
اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره
فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار وقرأ الخليل ذلك ظن بفتح النون على الماضي فويل للذين كفروا من النار فالهلاك كل الهلاك لهؤلاء الكافرين بسبب هذا
الباطل والاعتقاد الفاسد

ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض هي ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة فاشعرت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها
والمنكر كون المؤمن الصالح والكافر سواء في الجزاء عند الله كانه قال دع ظنهم الباطل واسمع التسوية المنكرة بين الفريقين التي هي من لوازم خلقها باطلا
روي ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من الخير ما تعطون فنزلت الاية وكذا ام التي في قوله ام نجعل المتقين كالفجار كام الكر التسوية اولا بين
المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والفاجرين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار للاول باعتبار وصفين اخرين يمنعان التسوية من
الحكيم الحكيم والاية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بين الفريقين انما يحصل بدخول دار المتقين وذلك بعد ان يبعث الله الموتى ويحشرهم
كتاب انزلناه اليك مبارك كثير المنافع والفوايد وقرئ مباركا بالنصب على الحال ليدبروا اياته ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة
والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طايل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن
قد قرا هذا القران عبيد وصبيان لا علم لهم بتاويل حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرات القران فما اسقطت
منه حرفا وقد والله اسقطه كله ما يرى القران عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هو لاء بالحكماء ولا الورعة
لا كثر الله في الناس مثل هو لاء اللهم اجعلنا من العلماء المتفكرين في اياتك وارزقنا العمل بها خالصا لوجهك الكريم ولا تجعلنا من جبابرة العلماء والقراء
المتكبرين برحمتك يا ارحم الراحمين قال انس قال رسول الله عم تعوذوا بالله من الصلف فخر القراء فانهم اشد تغيرا من الجبابرة ولا اكفر الله من قارئ
متكبر وعن علي رضي قال رسول الله عم تعوذوا بالله من وادي الجزن فانه انافقت الجبارت منه جهنم سبعين مرة اعدها الله تع للقراء المرائين باعمالهم
وان شر القراء لمن يزور الامراء وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك وهي شواذ عاصم والسلمي وقرئ لتدبروا
وقرا ابو جعفر والعرج وعاصم ليدبروا بالياء وتخفيف الدال وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذوو العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز
في عقولهم من تمكنهم من معرفته بما نصب عليهم من الدلايل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للعلم الاول
والتذكر للثاني وعن الحسن تدبر اياته اتباعه ووهبنا لداود سليمان لما فرغ من قصة داود وبيان احواله شرع في ابنه سليمان وما جرى عليه بسبب المراة
وغيرها روي ان داود عم على مائة سنة ومات يوم السبت فجاة اتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه وينزل فقال جئت لاقبض روحك فقال دعني حتى
انزل او ارتقي فقال ما لي الى ذلك سبيل نفدت الايام والشهور والسنون والاثار والارزاق فما انت بمؤثر بعدها فسجد داود على مرقاة من الدرج
فقبض نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين موسى عم خمسمائة وتسع وتسعون سنة او تسع وسبعون على اختلاف القولين واوصى الى ابنه سليمان بالخلافة
نعم العبد المخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم العبد سليمان وقيل داود وقرئ نعم العبد على الاصل ثم علل كونه ممدوحا بقوله انه اواب رجاع الى الله تع
بالتوبة او الى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشي بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على
طرف سنبك يد او رجل وهو من الصافنات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب الخلص وقيل الذي في قوله الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلث
كسيرا واما الصافن فالذي يجمع يديه وعن القتيبي والفراء الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل وغيرها ومنه قول النبي عم من سره ان يقوم الناس له صفوفا
فليتبوا مقعده من النار واقفين كما خدم الجبابرة الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود في الركض وقيل جمع جيد قال الكلبي غزا
سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف فرس وقال مقاتل ورثها من ابيه واصابها ابوه من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا
خرجت من البحر لها اجنحة وقال الضحاك كانت منقوشة ذات جناح اخرجت لسليمان من البحر فصلى سليمان الصلوة الاولى فقعد على كرسيه
واستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له وقت العشي فاغتم لما فاته فقال ردوها علي فردوها عليه
فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا الى الله وطلبا لمرضاته وبقي منها مائة فرس فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقال الحسن
لما عقرها ابدله الله خيرا منها واسرع وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقيل كانت عشرين فرسا وقيل مائة وقال عكرمة عشرين الف فرس لها اجنحة
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما ضمن معنى انبت عدي تعديته وقيل قعدت عن ذكر ربي
على ان حب الخير مفعول له وقيل لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اي برك وعلى هذا ايضا يكون مفعولا له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي

شغلته

شغلته او سمى الخيل خيرا كانها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله عم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد واسلم
ما وصف لي رجل فرايته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسال رجل بلالا عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله عم فقال
الرجل اردت الخيل فقال بلال وانا اردت الخير وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو اني بفتح الياء والباقون باسكانها حتى توارت بالحجاب اي حتى غربت الشمس
شبه غروبها بتواري الملك او المخباة بحجابها وذكر العشي دليل على ان الضمير للشمس وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل وقيل الحجاب
جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورايه ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا بالسوق والاعناق فاخذ يمسح السيف مسحا
بسوقها واعناقها يعني يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وكون المسح بمعنى القطع قول الجمهور وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب اعناقها
اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقال الزهري وابن كيسان مسح سوقها واعناقها
بيده حبا لها وشفقة عليها وقوله ردوها على مقول قول المحذوف تقديره قال ردوها علي والجملة جواب لسؤال مضمر كانه سايل سال فما ذا قال سليمان
لانه موضع مقتضي للسؤال ظاهرا وهو اشتغال نبي الله بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة عن وقتها وعن علي رضي ان معناه قوله ردها على محمول على انه قول
سليمان بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوا الشمس عليه حتى صلى العصر في وقتها وذلك انه كان تعرض عليه الخيل للجهاد
عدوه حتى توارت بالحجاب قال سالت عليا عن هذه الاية فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبا يقول ان سليمان لما اشتغل بعرض الافراس حتى توارت
الشمس بالحجاب وفاتته الصلوة قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي اثرت حب الخير عن ذكر ربي ردوها علي يعني الافراس وكانت اربع
عشرة فضرب سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربع عشرة يوما لانه ظلم الخيل فقال علي بن ابي طالب كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض
الافراس للجهاد حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس فقال لامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس فردوها حتى صلى العصر
في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون لانهم معصومون ومن قال ان الضمير في ردوها عايد الى الشمس فذلك من معجزات سليمان وقد اتفق مثل ذلك
لنبينا عم خرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي عم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر
حتى غربت الشمس فقال رسول الله اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله عم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك قال اردد عليه الشمس
قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها بعد ما غربت طلعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما
ثقات وعن ابن كثير بالسؤق على همزة الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس
ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روى الاعرج عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله عم قال سليمان لاطوفن
الليلة على تسعين امراة كل منهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن
الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وعن طاوس عن ابي هريرة
لاطوفن بمائة امراة فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي والحديث في صحيح البخاري ومسلم وقيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وكان من
فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم تنفك مما نحن فيه من السخرة فسبيلنا ان نقتله او نخبله فعلم ذلك وكان يغذوه في السحابة
فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتا فتنبه على خطايه بان لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه وتاب اليه وقيل انه غزا صيدون وهي مدينة في بعض الجزاير
وكان بها ملك عظيم الشان لا يقوى لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ بها بجنوده من الانس والجن فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة
من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكان لا يرقا دمعها حزنا على ابيها فامر الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولايدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبر اصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج الى الفلاة
وفرش له الرماد فجلس عليه تايبا الى الله متضرعا وكانت ام ولد اسمها امينة اذا دخل للطهارة او للاصابة امراة اعطاها الخاتم وكان ملكه فيه فاعطاها
يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان وغير سليمان عن هيئته
فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه

ثم عند التماكين ينقل لهم السمك فيعطون كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين يوما عدد ما عُبدت الصورة في بيته فانكر آصف وعظماء
بني اسرائيل حكم الشيطان وسال آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابته وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ثم
دبر قال الحسن حيث قال ما كان الله يسلط الشيطان على نسائه ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان
فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص
وقذفه في البحر فعلى هذا الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل
كان جائزا حينئذ والسجود للصورة بغير علم لا يضره على ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبياء عم وقال سعيد بن المسيب احتجب سليمان عن الناس ثلثة ايام
فاوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلثة فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله تعالى فذكر حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه كما ذكرنا وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم
من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون لذنبك فالخاتم لا يبقى في يدك اربعة عشر يوما ففر الى الله تعالى فانا اقوم مقامك واسير بسيرتك الى ان يتوب الله
عليك واخذ آصف الخاتم فوضعه في اصبعه فثبت فهو الجسد المذكور في الآية فاقام آصف في ملكه يسير بسيرته اربعة عشر يوما ثم رد الله الى سليمان ملكه
فجلس على كرسيه واعاد الخاتم في يده فثبت وعن جابر قال النبي عم كان نقش خاتم سليمان لا اله الا الله محمد رسول الله وعن يحيى بن عمرو الشيباني
ان سليمان وجد خاتمه بعسقلان فمشى منها الى بيت المقدس تواضعا لله تع قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له
ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عم قد نشأ في بيت الملك والنبوة وكان اهل زمانه يتفاخرون بالملك والجاه فسال من ربه ملكا
خارقا للعادة بالغا حد الاعجاز ليكون ذلك معجزا له يدل على صحة نبوته ويقهر به كل من بعث اليهم فان غالب معجزات الانبياء من جنس ما يفتخر
به اهل زمانهم وبما هو به على ما حققناه في خطبة الكتاب وحكيتها او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او ملكا عظيما لا ينبغي لاحد من
بعدي لعظمته كانه خاف ان يعطي مثله احد فلا يحافظ حدود الله فيه وقال مقاتل بن حيان كان سليمان ملكا عظيما ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد
من بعدي تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده وعن ابي هريرة قال النبي عم ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلوتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرددته خاسئا وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة
والقبول وقرا نافع وابو عمرو من بعدي بفتح الياء والباقون بسكونها انك انت الوهاب بليغ الهبة تبالغ فيها لمن تشاء فتعطيه ما لا يقادر قدره
وللمحيط به النعت فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته وجعلناها مطيعة له لا تخالف فيما امرها به اجابة لدعوته وقال ابو عمرو وانه ريح الصبا
وقرا ابو جعفر الرياح بالجمع تجري بامره رخاء لينة طيبة لا تزعزع او طيعة لا تمتنع عليه ولا تخالف ارادته كالمامور المطواع والجملة استيناف
يقرر التسخير او حال من الريح حيث اصاب حيث قصد واراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين من
اهل اللغة قصداه يسالانه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين
عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين كانوا يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وغير ذلك ويستخرجون له الدر واللآلي
من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانهم
فرقت مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل كي يؤمنوا فاذا آمنوا اطلقهم وليكفوا عن الشر والفساد وعن السدي
كان يجمع ايديهم الى اعناقهم مسلسلين في الجوامع وقيل وعلى اجسامهم شغافة صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل
كفهم عن الشرور بالقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه ومنه قول علي من برك فقد اسرك ومن جفاك
فقد اطلقك واصله قولهم الانسان عبيد الاحسان وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده هذا عطاؤنا
اي هذا الذي اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه ما شئت
من شئت او امسك او امنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منته وامساكه لتفويض التصرف

فيه

فيه اليك او من قوله عطاؤنا او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره ويجوز ان يكون هذا اشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن اطلاقهم وبالامساك ابقاؤهم في القيد بغير حساب اي لا حساب عليك في ذلك وقرا ابن مسعود هذا فامنن او امسك عطاؤنا بغير
حساب وقال قتادة هذا اشارة الى ما اعطيه من القوة على الجماع وكان له ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وكان في ظهره ماء مائة رجل رواه عكرمة
عن ابن عباس وعلى هذا فامنن من المني يقال امنى يمني ومنى يمني لغتان والامر من امنى امن ومن منى امن فاذا جيئت بنون الفعل نون الخفيفة
قلت امنن هكذا قال القرطبي في تفسيره وفيه من الخطاء ما لا يخفى ثم قال المعنى على ما روى عكرمة عن ابن عباس رض فجامع من شئت من نسائك
واترك جماع من شئت منهن لا حساب عليك هذا كلامه وان له عندنا لزلفى لقربة في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب
مرجع وهو الجنة وعن رسول الله عم ارايتم ما اعطي سليمان بن داود من ملكه فان ذلك لم يزده الا تخشعا ما كان يرفع بصره الى السماء
تخشعا لربه واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق وامراته ماخير بنت ميشا بن يوسف الصديق او رحمة
بنت افرايم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق وهما اعني يعقوب وعيص اخوان وايوب عطف بيان للعبد اذ نادى ربه بدل من عبدنا
اي حين دعا ربه اني مسني باني مسني وقرا حمزة مسني بسكون الياء وسقوطها من الوصل وقرا عيسى بن عمر اني بكسر الهمزة على اضمار القول
او لتضمن النداء معنى القول الشيطان بنصب وعذاب النصب التعب والمشقة وكذا النصب بفتح النون والصاد وهو قراءة يعقوب وبضمها
وهو في حرف ابي جعفر وقرا ابو البرهسم وابو حيوة واليماني بنصب بفتح النون واسكان الصاد والعذاب الالم يريد مرضه وما قاسى فيه من انواع
الوصب وقيل النصب في الجسد والعذاب في ذهاب الاهل والمال وهو حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولولا هي لقال بانه مسه لانه غايب واسناده
الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم على ظالم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب او لمراعاة الادب حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا
يقدر عليه الا هو او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم وروي انه كان يعوده ثلثة من المؤمنين فارتد احدهم فسال عنه
فقيل القى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من عظيم البلاء
والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل اركض برجلك
حكاية ما اجيب به ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي ارض الجابية هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين فقيل هذا
مغتسل بارد وشراب اي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرئ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قبله وقيل نبعت عينان حارة وباردة
فاغتسل من الحارة وشرب من الباردة فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله وقال قتادة هما عينان بارض شام في ارض يقال لها جابية وقال
ابن عباس بقي ايوب في البلاء سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب سبع سنين وبقي يوسف في السجن سبع سنين وعذب
بخت نصر وجعل في السباع سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة رواه انس مرفوعا وقيل اربعين سنة ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد
بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولي
الالباب ولتذكير اولي العقول لينتظروا الفرج بالصبر والتجاء الى الله فيما يحل بهم من البلايا والمحن وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض
والضغث ملء الكف من الشجر والحشيش او الشماريخ وقيل انه كان حزمة من الاسل وهو نبات له اغصان دقاق لا ورق لها وقيل الحزمة
الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر فاضرب به ولا تحنث روي ان زوجته رحمة بنت افرايم او ماخير
بنت ميشا او ليا بنت يعقوب ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك واختلفوا ان هذه الرخصة
هل هي باقية في الحدود ام لا والجمهور على انها باقية احتجاجا بما خرج ابو داود في سننه قال حدثنا احمد بن سعيد الهمداني قال بنا ابن وهب
قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة الباهلي انه اخبره بعض اصحاب النبي عم من الانصار انه اشتكى رجل منهم
حتى اضنى فعاد جلده على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه اخبرهم بذلك

بيان قصة ايوب عم

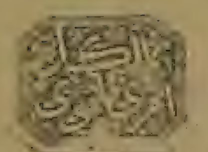
وقال استفتوا الى النبي عم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي فذكروا ذلك لرسول الله عم وقالوا ما رأينا باحد من الناس من الضر الذي هو به
لو حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله عم ان يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي
رح اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية وقال مالك ليس الضرب
الا الضرب الذي يؤلم وروى ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر وعند الشافعي
وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وغيرهم يبر وعن النبي عم قد اتي بمخدج قد خبث فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة
ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وقيل كان السبب
في يمينه انها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها وقيل قال لها الشيطان اسجدي له سجدة فارد عليكم مالكم
واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك
وقيل سألته ان يقرب للشيطان بعناق وقيل باعت ذوائبها برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام انا وجدناه صابرا علمناه صابرا فيما
اصابه في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه
في الدين حيث كان يوسوس اليهم انه لو كان نبيا لما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى
انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا
ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه وعن سفيان بن عيينة لما عوفي ايوب من بلائه وقع في قلبه انه صبر فنودي بعشرة آلاف صوت من
عشرة آلاف غمامة يا ايوب انت صبرت ام نحن صبرناك قال لا يا رب بل انت صبرتني نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره بالكلية على طاعة الله
ولقد سوى الله بين عبديه اللذين احدهما انعم عليه فشكر والاخر ابتلي فصبر حيث اثنى عليهما ثناء واحدا فقال في وصف سليمان نعم العبد انه اواب
وفي وصف ايوب كذلك وقيل لما اذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء انزل عليه ثوبين ابيضين من السماء فاتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم مشى الى منزله
فاقبلت سحابة في اندر قمحه ذهبا حتى امتلأ واقبلت سحابة اخرى الى اندر شعيره فهطلت فيه ورقا حتى امتلأ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
قرأ ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع او على جعل ابراهيم بدلا منه او عطف بيان له ثم عطف اسحق ويعقوب على عبدنا والباقون عبادنا
على انهم بدل منها او عطف بيان اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصائر في الدين او اولي الاعمال والعلوم فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثر
الاعمال تباشر بالايدي فغلبت الاعمال بالايدي على سائر الاعمال التي تباشر بغيرها وبالابصار عن العلوم لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة والجهال
انهم كالزمنى والعماة حيث لا يعملون اعمال الاخرة ولا يستبصرون في دين الله وتوبيخ على تركهم العمل والتفكر مع كونهم متمكنين منهما وقرئ اولي الايادي
على جمع الجمع وقرأ ابن مسعود اولي الايد بحذف الياء اكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم بخالصة انا جعلناهم خالصين لنا
بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما لان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم ومقصد همتهم فيما يأتون ويذرون
جناب الله وجواره والفوز بلقائه ورضوانه وذكره في الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر وقرأ نافع وهشام وابو جعفر
بالاضافة بخالصة للذكرى للبيان لان الخالصة تكون ذكرى وغير ذكرى فاضيفت الى ما يبينها كما اضيف الشهاب الى القبس في قوله بشهاب قبس او لان الخالصة
مصدر كالعافية بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله اي بان خلصت لهم ذكرى الدار او بمعنى الاخلاص فاضيف الى المفعول اي باخلاصهم ذكرى الاخرة ونسيانهم
اليها ذكرى الدنيا والباقون بخالصة بالتنوين على ان ذكرى الدار بدل من خالصة او عطف بيان لها او فاعلها او مفعولها او خبر مبتدأ محذوف اي هي
ذكرى الدار والباء للسببية اي اخلصناهم بسبب هذه الخصلة الخالصة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها وقيل المعنى
اخلصناهم بافضل ما في الاخرة وقال مالك بن دينار ونزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وقال السدي اخلصوا
بخوف الاخرة وقيل بالدعوة الى الاخرة والى الله تعالى وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وقرأ ابن مسعود بخالصتهم
وهي تؤيد كون الباء للسببية وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم في الخير جمع خير كشر واشرار
افعل تفضيل او جمع خيّر

او جمع خيّر بالتشديد او خير على تخفيفه كاموات في جمع ميت وقرأ عبيد بن عمير وانهم عندي واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز استخلفه
الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه مثلها في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا على ان حرف التعريف دخل على يسع ويزيد وهما من المضارع الفعل
وقرأ حمزة والكسائي وخلف والليسع بتشديد اللام وسكون الياء تشبيها بالمنقول من ليسع وذا الكفل هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته
وقيل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا وعلى هذه الاقوال الثلاثة لا شك في نبوته والكفل النصيب والضعف والكفالة سمي به لانه ذو الحظ من الله
او تكفل منه او كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم او فر اليه مائة من بني اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم او كفل بعمل نبي من انبياء بني
اسرائيل فوفى به وكل اي وكلهم من الاخيار ممن اختير للنبوة والرسالة هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو
القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب التنزيل ونوع من انظمه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واهلها قال هذا
ثم شرع في بيانه وهو ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع وقيل اي لهم مع هذا الذكر الجميل والثناء الحسن في الدنيا حسن المرجع
في القيمة جنات عدن يحتمل ان يكون منصوبة على المدح بتقدير اعني جنات عدن وهو احسن الوجوه بالنظر الى مقتضى المقام وان تكون مجرورة
بدلا من حسن مآب او عطف بيان له وقرأ زيد بن علي وابو البرهسم بالرفع جنات على انها خبر مبتدأ محذوف وعدن علم لمعنى العدن
وهو الاقامة كما ان امس علم لمعنى الامس او علم للجنات من قصبة الجنة التي هي شرفة على الجنان كلها او علم الارض للجنة لانها مكان اقامة وكان
ابن عباس باب الجنة عدن يضيء من زمرد وياقوت كما بين المشرق والمغرب وهو من الاعلام الغالبة مفتحة لهم الابواب حال من جنات
عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد
والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة برفعهما على الابتداء والخبر او انهما خبران لمبتدأ محذوف اي هي جنات عدن
هي مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من في لهم لا من المتقين للفصل او يدعون
استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا
تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف اي وعندهم نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب مستويات في السن بنات ثلث
وثلثين وكذا ازواجهن كذلك عن رسول الله عم يدخل اهل الجنة جردا مردا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب
بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد وقال مجاهد اتراب اي متواخيات
لا يتباغضن ولا يتغايرن جمع ترب يقال هذه اي لدتها ومعناه بالفارسية هم زاد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة
الوصول الى الجزاء وقرأ ابو عمرو وابن كثير يوعدون بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة والباقون بالتاء التفاتا من الغيبة الى الخطاب وهو ابلغ ان هذا
لرزقنا ماله من نفاد من انقطاع كما ينقطع في الدنيا شيئا فشيئا حالا فحالا وفيه دليل على ان نعيم الجنة دائم لا ينقطع ابدا كما قال عطاء غير مجذوذ
هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا والوقف على هذا احسن جدا وان للطاغين لشر مآب لشر مرجع وهو جهنم والمراد بالطاغين الكافرون
جهنم نصب على انها بدل من شر مآب او عطف بيان له يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والمفترش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد والفراش
الذي يفترشه النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب
هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم والحميم الماء الحار الذي انتهى حره والغساق
ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأه حفص وحمزة والكسائي وخلف غساق بتشديد السين والباقون بتخفيفها
وهما لغتان بمعنى واحد وقيل الحميم يحرق بحره والغساق هو الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب
ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى لهم ثوابا في قوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم واخفوا معصية فاخفى لهم عقوبة وقال كعب الحميم عصارة اهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل من
اعينهم وقيل عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي سم من العقارب والحيات وفي سنن الترمذي قال ابو سعيد قال النبي عم لو ان دلوا من غساق
يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا

وأُخَر قرأه ابو عمرو ويعقوب وأُخَر اي ومذوقات أُخَر او وانواع عذابٍ أُخَر والباقون وآخَر اي مذوق آخر او وعذابٌ آخر من شكله
اي من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ
من شِكْله بكسر الشين وهو لغة ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والمجرور محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم
هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذا حكاية ما يقال للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال او حكاية قول الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم
الضلالة فيقتحمون معهم العذاب لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا بهم اي ما اتوا بهم رحبا وسعة تقول
العرب في دعاء الخير مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم وقال
ابن عباس ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة هذا فوج اي الاتباع جماعة مقتحم معكم اي داخل النار معكم قالت القادة لا مرحبا بهم
اي لا اتسعت منازلهم في النار انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي قال الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما دعوتم
به علينا او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغوائنا على ما قدمتم من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة كما قال
وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وقيل انتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اي الاتباع ايضا
ربنا من قدم لنا هذا اشارة الى العذاب فزده عذابا ضعفا في النار اي عذابا مضاعفا بمعنى ذا ضعف وهو ان يزيد عذابه مثله فيصير ضعفين كقولهم
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقد فسر عبد الله بن مسعود عذابا ضعفا بحيات وافاعي وقالوا اي الطاغون وقيل اي صناديد قريش وهم في النار ما لنا
لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم وقوله ما لنا لا نرى رجالا مثل قوله ما لي لا ارى الهدهد
فان الاستفهام محمول على التعجب لا على حقيقته اذ لا معنى لاستفهام العاقل عن حال نفسه والفعل المنفي حال من معنى الفعل في ما لنا كما تقول ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما
اي ما نصنع غير رائين رجالا والمعنى اي حال لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم
اشرارا اتخذناهم سخريا قرأه ابو عمرو وحمزة والكسائي بهمزة الوصل على انه صفة اخرى لرجالا والباقون بهمزة الاستفهام كقوله افترى على الله كذبا ام به جنة
على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار منهم وقرأ مجاهد اتخذهم بهمزة ومدة وقرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف وابو جعفر سُخريا بضم السين
والباقون بكسرها وهما لغتان بمعنى واحد عند الخليل وسيبويه والكسائي مصدر من سخر كالتسخير الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص
وقال يونس والفراء المضموم من السخرة والعبودية اي تسخرناهم واستعبدناهم والمكسور من الهزء وقيل قال الكسائي كان يونس ام زاغت عنهم الابصار
مالت الابصار عنهم فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا فيها ام زاغت عنهم ابصارنا
فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي
الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا
وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم او منقطعة سواء كان اتخذناهم سخريا خبرا او استفهاما كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام عمرو اي ما لنا لا نراهم في النار
بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها وقد خفي علينا مكانهم ويجوز ان يقدر همزة الاستفهام محذوفة في قراءة بغير همزة لان ام يدل عليها فلا يفترق القراءتان
اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل المراد على تقدير كونها منقطعة الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة
حالهم ان ذلك الذي حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار هو بدل من حق او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على انه
صفة لذلك او بدل منه وسمي ذلك تخاصما على تشبيه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء
لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل انما انا منذر قل يا محمد لمشركي مكة ما انا الا رسول
منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار الغلاب لكل شيء من الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف تكون
له شركاء ثم دل بربوبيته المطلقة وعزته الباهرة ومغفرته الباهرة على انه واحد لا يشاركه قهار لا يغالب فقال رب السموات والارض وما بينهما رب

كل شيء

كل شيء من السموات والارضين وما بين هذين الجنسين ومثل هذه الربوبية العامة توجب الاستغناء الكامل عن الشريك وكل مربوب والتوحيد فحقه
ان يوحد ويعظم عن الشريك حيث ظهرت آثار وحدته وعظمته في السموات والارض والعالمين العزيز الذي لا يغلب اذا عاقب الكفار والعصاة وهو
مع ذلك الغفار الستار الماحي لذنوب العباد او قل لهم ما انا الا نذير لكم ما اعلم وانا انذركم عقوبته من هذه صفته فانه مثل حقيق بان يخاف عقابه كما هو حقيق
بان يرجى ثوابه قل هو اي ما انبأتكم به من اني رسول منذر وان الله واحد لا شريك له وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادي غفلتكم
فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج القاطعة الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون
فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما وردت في الكتب المتقدمة من غير سماع وقراءة كتاب لا يمكن الا بالوحي ومن مزيدة لتأكيد النفي كانه
قال ما كان له علم ما بالملأ الاعلى واذ متعلق بعلم او بمحذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى وقيل النبأ العظيم القرآن قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة
وعن الحسن يوم القيامة كقوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم وقرأ الخليل نبأ عظيم بالاضافة ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي لانما انا نذير بين النذارة
كانه لما ادعى ان الوحي متحقق علله بما هو المقصود به نظرا اليهم لانه عم نذير للكافرين بالنار والعقاب كما انه بشير للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز ان يكون
مرفوعا بيوحى وقرئ انما بالكسر على الحكاية وهو قراءة ابي جعفر اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التي
دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر في البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على
ما هو المقصود منها وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبي عم بمثل ما حاق على استكباره على آدم هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله اياهم بواسطة
ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله والملائكة والمراد بالاختصام التقاول على ما سلف ولعل الملائكة عرفوا البشر بطاعتهم في اللوح المحفوظ او بان قال
لهم الله اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم ونكر البشر والطين فصلا التنويع والتعظيم كما اشار الاعظمية بسجود
الملائكة له اكراما وتعظيما وتشريفا فاذا سويته اي فاذا اتممت خلقه وعدلته ونفخت فيه من روحي واوحيته وجعلته حساسا متنفسا بنفخ الروح
فيه واضافه الى نفسه على سبيل التفخيم له والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه وقيل لشرفه وطهارته والظاهر ان هذا النفخ بغير وسط وسبب من
ملك وهل يجوز ان يكون بوسط ملك نفخ فيه الروح باذنه كما صح به النبي عم في خلق بني آدم بقوله ثم يرسل الله اليه ملكا فينفخ فيه الروح الحديث
ففيه كلام فقعوا له فخروا له ساجدين بوضع الوجه على الارض كما هو حقيقة السجود فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اي فسجدوا كلهم مجتمعون
في وقت واحد غير متفرقين في اوقات والاظهر ان استثناء ابليس وهو جني من الملائكة بناء على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه
فاخرج الاستثناء على ذلك كما تستثني المرأة من الرجال في قولك قاموا الا فلانة شهادة عليها بتكبرها وترفعها عن القيام استكبر اي تعظم عن السجود
جملة مستأنفة كانه جواب سائل سال لم لم يسجد وكان من الكافرين وصار من المتوغلين في الكفر باستكباره امر الله او كان منهم في علم الله
قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي لما خلقته بنفسي من غير واسطة اب وام وقال مجاهد بيدي تأكيد لما قبله وقيل المراد باليد
ههنا القدرة والمعنى ما صرفك عن السجود لما خلقته بيدي وقرئ بيديّ كما قرئ بمصرخيّ وقرئ بيدي على التوحيد وترتيب الانكار
عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبثت به في تركه وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما اذا كان
له مزية اختصاص استكبرت ام كنت من العالين اظهرت الكبر من غير استحقاق او كنت ممن علا وترفع فاجاب بانه من العالين حيث
قال انا خير منه او استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين ومعنى همزة الاستفهام التقرير اي حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه وعن محمد
بن صالح عن شبل عن ابن كثير بيدي استكبرت بحذف همزة الاستفهام لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابداء للمانع واخبار منه عن
نفسه بالفضل عليه ثم علله فضله عليه بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين يعني لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مثلي فكيف اسجد لمن
هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله فلا يحسن ان يسجد الفاضل للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به ولقد غلط اللعين في الافضلية
حيث راى الفضل باعتبار العنصر وذهل عما في آدم من الفضل باعتبار الفاعل خلقت بيدي وباعتبار الصورة ونفخت فيه من روحي وباعتبار الغاية
وعلم آدم الاسماء كلها على ان الطين سبب نماء الاشياء وازديادها والنار سبب هلاك الاشياء ونقصانها والخلقة الثانية من الاولى وهي خلقته من نار
نازلة منزلة المعطوف



بيان رد ابليس عليه اللعنة من الاركان

صـ عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح ونسبة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار اما باعتبار انه اول ما تعرض به في خلقهم من العناصر الاربع واما باعتبار الجزء الغالب على ان القرآن العظيم ينطق في مواضع بان آدم خلقه الله من طين فقط من انضمام شيء آخر والشيطان من نار فقط من غير اختلاط شيء آخر معها من ساير العناصر ولا يستحيل هذا الا فلسفي او متفلسف وامّا نحن فنقول ان ذلك ليس بمستحيل لان الله على كل شيء قدير قال فاخرج منها من الجنة او السماء و قال الحسن وابو العالية من الخلقة التي انت فيها لانه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته كالموت بعد ما كان ابيض و قُبّح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا فانك رجيم مطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رُمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب وان عليك لعنتي الى يوم الدين يعني ان عليك اللعنة في الدنيا الى يوم الدين فاذا كان يوم الدين اقترن لك باللعنة ما تنسى عنده وقرأه نافع وابو جعفر لعنتيَ بفتح اليا قال رب فانظرني الى يوم يبعثون من قبورهم وهو يوم القيمة والانظار الامهال والفاء فصيحة كانه قال اذا اخرجتني منها ولعنتني فانظرني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى وذلك الوقت معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر اراد اللعين بدعائه ان لا يموت فلم يجب ولم يوصل الى مراده قال فبعزتك فبسلطانك و قهرك لاغوينهم اجمعين لاكونن سببا لغوايتهم اجمعين بتزيين الشهوات والامال الفارغة وادخال الشكوك والشبهة فيهم والدعوة الى الكفر والمعاصي الا عبادك منهم المخلصين قراه الكوفيون ونافع وابو جعفر بفتح اللام اي الذين اخلصهم الله لعبادته وعصمهم من الغواية والباقون بكسرها اي الذين اخلصوا دينهم و قلوبهم لله والاستثناء يحتمل الاستثناء والانقطاع قال فالحق والحق اقول قراه حمزة وعاصم وخلف فالحقُ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي فالحق مني او قسمي او خبر مبتدأ محذوف اي فانا الحق والحقَ الثاني منصوب باقول او بحذف حرف القسم والباقون فالحقَ بالنصب على حذف حرف القسم كالله في قوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه و معناه لا اقول الا الحق والمراد بالحق الاول اما اسم الله او الحق المناقض للباطل عظّمه الله باقسامه به وقيل الاول والثاني منصوبان باقول على التكرير و قيل فالحقَ منصوب بفعل مضمر تقديره فاحقّ الحقَ وقيل على الاغراء اي فالزموا الحق وقرئ بالرفع فيهما على ان الاول مبتداء محذوف الخبر كما بينا وحذف الضمير من اقول كقوله كلّه لم اصنع وبجرهما على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المرفوع والمنصوب ايضا وقرئ بجر الاول و رفعه ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين لاملانها من جنسك وهم الشياطين ومن الناس الذين اتبعوك وقيل الضمير في منهم للثقلين واجمعين تاكيد له او للضميرين في منك ومنهم و معناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا ولا تفاوت في ذلك بين شخص وشخص قل ما اسالكم عليه من اجر اي على القران او تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون و يتقولون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القران ان هو الا ذكر عظة للعالمين للثقلين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وعنه عليه السلام انا بريء من التكلف وصالحوا امتي رواه الزبير بن العوام ولتعلمن نبأه خبره من الوعد والوعيد والمراد بعلم تصديقهم واعتقاد انه صدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وقال السدي يوم بدر وفيه تهديد عن النبي عليه السلام من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير سورة الزمر خمس وسبعون او اثنان وسبعون اية مكية قال ابن عباس الا ايتين فانهما نزلتا بالمدينة احديهما الله نزل احسن الحديث الاية والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقيل الا سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الى آخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على ما ياتي بيانه انشاء الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر مبتداء محذوف اي هذا تنزيل الكتاب او مبتداء خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الوجه الاول صلة التنزيل او خبر بعد خبر او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة والكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القران وقرئ تنزيلَ بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله والمراد بالحق الصدق او العدل والانصاف او الحكمة والصواب فهو في موقع الحال

من الكتاب

من الكتاب ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انزالا كاينا بالحق فاعبد الله فوحده بان لا تشرك به شيئا والخطاب للنبي عليه السلام وهو الظاهر المطابق للسياق او لكل من يتاتى منه العبادة ويعضده قراءة البعض فاعبدوا الله بالجمع مخلصا له الدين نصب على الحال من ضمير اعبد اي ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وانتصاب الدين بانه مفعول مخلصا وقرئ الدين بالرفع على الابتداء لتعليل الامر وتقديم الخبر لتاكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اي الا هو الذي وجب اختصاصه بان يخص به الطاعة من كل شايبة كدر لتفرده بصفات الالهية واطلاعه على الغيوب والاسرار وخلوه وتعاليه عن استجرار النفع بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام وعن روي قال ابو هريرة قال رجل يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واصنع الشيء اريد به وجه الله وثناء الناس فقال النبي عليه السلام والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه ثم تلا رسول الله عليه السلام الا لله الدين الخالص وقرأه ابرهيم النخعي الا لله دين المخلص بالاضافة وضم الخاء وتشديد اللام والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع الى الموصول واضمار المشركين من غير ذكرهم لكونه مفهوما من سوق الكلام والمعنى والذين اتخذهم المشركون اولياء وهو مبتداء خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة او صلة بعد صلة و زلفى مصدر من غير لفظ فعله نحو قعدت جلوسا او حال وقرأه ابن مسعود قالوا ما نعبدهم باظهار القول وابي ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبُدهم بضم النون اتباعا للعين كما يتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم اي ان الله يحكم بينهم بان يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع اصنامهم التي نحتوها وعبدوها من دون الله فيما هم فيه يختلفون من الدين والظاهر ان الضمير لهم ولمعبوديهم كما ذكرنا واختلافهم ان عبدتهم مشركون وهم موحدون يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل الضمير للكفرة ومقابليهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق وقيل لا يرشد لدينه من هو كاذب كفار من سبق له القضاء بالثبات على الكذب والكفر البليغ فانهما يعميان البصارة والبصيرة وقرئ كذّاب وهو اوفق بقوله كفار وقرئ كذوب كفور وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله وولده ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو اراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يتصور لكونه محالا ولم يتات الا ان يصطفى من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة وبعض الناس كما قال بل عباد مكرمون فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقايق الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة وبعض الناس الا انكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه هو الله الواحد القهار تنزيها لذاته عما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد اي موجود جل عن التركيب والمماثلة ذاتا وصفاتا فلا يكون له ولد لان الولد يماثل الوالد في الذات والصفات وقهار اي غلاب لكل شيء سواه ومن الاشياء آلهتهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء ثم دل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق ملتبسا بالحق مقترنا بذلك لا باطلا وعبثا او بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة الالهية او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء للعباد على اعمالهم بان يدخل الموحدين منهم الجنة ويعذبهم والمشركين النار فيفرقهم ويذلهم (اشارة الى انه واحد قهار) يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل اي يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي الثنايا باحقيها حواشيه لي الملاء بابواب التفاريج او يغيبه به تغييب الملفوف باللفافة عن مطامح الابصار او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض يقال كار العمامة وكورها اذا ادارها على رأسه وقال الضحاك اي يلقي كل واحد منهما على الآخر والجملة حال من ضمير خلق او استيناف لبيان برهان قطعي آخر على وحدانيته ولم يقل كور ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان تكوير ذلك عادته وسخر الشمس والقمر وصيرهما نافع للناس كل يجري كل واحد من النيرين يسير في فلكه لاجل مسمى لمدة هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل مقدور الغالب على كل شيء من مثوبة الموحدين

وعقوبة المشركين وغير ذلك العقاب اشتمل على التائبين وعلى المصرين حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم
المنفعة خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس ابيكم ادم عم ثم جعل منها زوجها عطف على محذوف يدل عليه المعنى كانه قيل
من نفس واحدة انشاها خلق منها زوجها يعني شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها ثم خلق منها زوجها من تراب ثم خلق زوجها
حواء من ضلع من اضلاعها او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان
الاولى وهي تشعيب هذا الخلق الفايت للحصر من نفس آدم عادة مستمرة دون الثانية وهي خلق حواء من قصيراه اذ لم تجر بها العادة ولم
يخلق انثى غير حواء من قصيراه رجل وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء فعلى هذا ثم للتراخي في الوجود لا في الحال
والمنزلة كما فيما سبق ففيه ثلث دلائل على وحدانيته وقدرته خلق آدم اولا من غير واسطة ثم خلق حواء منه ثم تشعيب الناس منهما وانزل لكم اى
وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح او جعل لكم نزلا ورزقا او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة
الكواكب والامطار وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز والواحد اذا كان وحده
فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى وقوله ثمانية ازواج الا يرى
كيف فسرها الله تع بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ومثل تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر
من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر وعند الحساب الزوج خلاف الفرد كالاربعة والثمانية في خلاف الثلثة والسبعة يخلقكم في بطون
امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الناس والانعام اظهارا لما فيها من عجايب القدرة غير انه غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم
المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف
وقيل خلقا في بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم وقيل خلقا في ظهر الاب ثم خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد الوضع في ظلمات ثلث ظلمة البطن
وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او الصلب والرحم والبطن وقراءة الخليل في ظلمة ثلث ذلكم المعلوم الموصوف بالافعال الخاصة التي لا يشاركه فيها احد الله
ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو ذلكم مبتداء والباقي خبر بعد خبر اى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية
والاختصاص بالمالكية والوحدانية لا كاني له فانى تصرفون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان وهذا ما قيل فكيف
يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان الله غني عنكم اى عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى
لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم وقال ابن عباس والسدي
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين ذكرهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فيكون عاما مخصوصا كقوله عينا يشرب بها عباد الله
يريد بعض العباد وقال جمهور السلف هو محمول على عمومه وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر وكفر الكافر غير مرضي لله وان كان بارادته
وعليه المتكلمون حيث قالوا الحسن من افعال العباد برضاء الله تع والقبيح منها ليس برضاه فالارادة تتعلق بالكل عندهم والرضاء لا تتعلق
الا بالحسن دون القبيح وقراءة ابن كثير ونافع في رواية وابو عمرو والكسائي باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك وعن ابي
عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر الحمل الثقيل ووزره اى حمله اى ولا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى من الذنب
والمعصية ثم الى ربكم مرجعكم اى ثم لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه فينبئكم بما كنتم تعملون من الحسنات والسيئات فيحاسبكم
بها ويجازيكم على حسبها انه عليم بذات الصدور بليغ العلم بضماير القلوب واسرارها فلا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو وعد ووعيد واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه بالتضرع والابتهال لزوال ما ينازع العقل في الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من
الخول وهو التعهد والخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسي ما كان يدعوا اليه اى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه او نسي ربه الذي كان يتضرع
اليه وما بمعنى من كقوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعم وجعل لله اندادا جمع ند وهو المثل المخالف المناوي اى امثالا يعتقد انها قادرة
على مخالفة الله ومضادته وهو غاية الجهل ونهاية سفاهة العقل ليضل عن سبيله وقراءة ابن كثير وابو عمرو ورويس وورش بفتح الياء والباقون بضمها
والضلال



والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل فيه اشعار بان الكفر
نوع تشهي لا سند له واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستيناف للمبالغة وقيل صفة مصدر او زمان
محذوف وقال مقاتل نزلت الاية في ابي حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل في عتبة بن ربيعة وقيل عام في كل كافر امن هو قانت قايم بوظايف
العبادات اناء الليل ساعاته وواحدها اناء اني ومثله لى والاء وعنب واعناب وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت
او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن هو بضده وقراءة نافع وابن كثير وحمزة امن بتخفيف الميم على ادخال حرف الاستفهام على من بمعنى امن هو
قانت لله كمن جعل له اندادا وقيل الهمزة للنداء كما في قوله ازيد اخا ورقاء ان كنت ثائرا والمعنى يا من هو قانت والباقون بالتشديد ومن مبتدا خبره
محذوف كما بيناه وانما حذف لدلالة الكلام عليه ساجدا وقايما حال من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين
يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه في موقع الحال او استيناف للتعليل وقال ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق رض وقال الضحاك في ابي بكر وعمر رض
وعن عمر في عثمان بن عفان رض وعن الكلبي في ابن مسعود وعمار وسلمان وقراءة سعيد بن جبير يحذر عذاب الاخرة بالاضافة وابو البرهسم
عقاب الاخرة قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية
على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم او تقرير للاول على وجه التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون والفعل اعني
يعلمون منزل منزلة اللازم ولم يقدر له مفعول لان المقصد كالمذكور والمعنى لا يستوى من يوجد له حقيقة العلم ومن لا يوجد وقيل اى من يحدث له
معنى العلم ومن لا يحدث انما يتذكر اولوا الالباب اى ما يتعظ بهذه الايات او ما ينظر فيها الا اولوا الالباب فان قضية اللب الاتعاظ بها والنظر فيها
ومن لم يتعظ ولم ينظر من الالباء فكانه لا لب له ومثله مثل البهايم وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة في هذه الدنيا متعلق باحسنوا لا بحسنة معناه الذين احسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الاخرة وهي ثواب الله الذي لا يكتنه كنهه
ولا يقادر قدره ويجوز ان يتعلق بحسنة والمعنى للذين احسنوا حسنة في هذه الدنيا هي الصحة والعافية وفي هذه الدنيا بيان لمكان الاحسان في الاول والحسنة
في الثاني كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا فانه بيان لمكان الاكل وحسنة مرفوعة بالابتداء مخبره للذين احسنوا وبانه فاعل للظرف اعني للذين وهو
مقدر بالفعل على الاصح روى العباس عن ابي عمرو يا عبادي بفتح الياء وارض الله واسعة فمن تعسر عليه الاحسان في وطنه فليهاجر الى مكان
يتمكن منه اقتداء بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير اوطانهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين
كانوا في بلاد المشركين فامروا بالمهاجرة عنه كقوله تع الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي ارض وقال ابن عباس يعني ارتحلوا من
مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من امر بالمعاصي فليهرب انما
يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلايا وتجرع الغصص ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اى لا يحسبون عليه
وقيل بغير مكيال ولا ميزان تغرف لهم غرفا وعن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي عم ينصب الله الموازين يوم
القيمة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بالموازين اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا
ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد عليهم
البلاء وصبروا وجاهدوا وهاجروا قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى امرت باخلاص الدين وامرت بذلك لان اكون اول المسلمين
لاجل ان اكون مقدمهم وسابقهم في الدنيا والاخرة لان قصب السبق في اخلاص الدين فمن اخلص عد سابقا او لانه اول من اسلم وجهه لله
من هذه الامة او من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان
اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا يقتضيه لما يلزم من السبق في الدين ويحتمل ان يكون اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا
بالتقدم في الاخلاص والبدء بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وامرت ان اكون من
المسلمين وامرت ان اكون من المؤمنين وامرت ان اكون اول من اسلم قل اني اخاف ان عصيت ربي يعني ان الله امرني ان اخلص له
من الشرك والرياء بدليل الاول

فاخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص عذاب يوم عظيم ولا اعصيه ولا اتابعكم فيما تدعونني اليه من الشرك والرياء وذلك حين دعوه الى دين ابائه
ووصف اليوم بالعظم ضرب من البيان البليغ لعظم المعصية وتفاقم الذنب في المبالغة اماهم عليه من الشرك بترك الاخلاص قل الله اعبد مخلصا
له ديني امر بالاخبار عن انه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه بدليل تقديم المعبود على فعل العبادة بعد الامر بالاخبار عن كونه
مامورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة له من العذاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا او خذلانا لهم
قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه واسبابه الذين خسروا انفسهم واهليهم بالكفر بدعوتهم اياهم الى الكفر يوم القيمة حين يدخلوا
النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها وخسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار
فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران
الاهل بان يفرق بينه وبين اهله وعن ميمون بن مهران قال ابن عباس ما من انسان الا وقد خلق الله له اهلا ومنزلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله
كان له ذلك المنزل والاهل ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله الا ذلك هو الخسران المبين
مبالغة في خسرانهم بتاكيد وجه كونها في الجملة وتصديرها بحرف التنبيه وتوسيط الفصل بين المبتدا والخبر وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم
من فوقهم ظلل من النار اطباق وسرادقات من النار ودخانها وهو شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل قيل فراش ومهاد من نار الى ان ينتهي
الى القعر كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل اطباق من النار هي ظلل للاخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب العظيم هو الذي
يخوف الله به عباده ليجتنبوا ما يوقعهم فيه ويدخلهم الجنة بسبب اجتنابه قال ابو هريرة قال رسول الله عم ان الله تع يقول ما خلقت
جهنم الا لكم سوطا يسوق الله به عباده الى الجنة يا عباد فاتقون في فراعتي او فاتقون في المحافظة على حدودي فيما امرتكم به ونهيتكم
عنه في عبادتي وطاعتي وقرا ابو عمرو برواية عنه يا عبادي فاتقوني بالياء فيهما والذين اجتنبوا الطاغوت كانه تفسير للمتقين والطاغوت
البالغ غاية الطغيان والتجاوز عن حدود الله فعلوت منه كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين اطلقت
على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا فيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كان عين الشيطان طغيان وبناء المبالغة فان الملكوت الملك
العظيم البسيط والرحموت الرحمة الواسعة والقلب وهو للاختصاص لانه مخصوص بالشيطان ولا يطلق على غيره وقراءة الضحاك والحسن
الطواغيت بالجمع ان يعبدوها بدل الاشتمال من الطاغوت وقرئ الطواغيت وفيها اشارة الى ان المراد بالطاغوت ههنا الجمع وقيل
طاغوت اعجمي وليس بعربي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وانابوا الى الله رجعوا الى الله مقبلين الى طاعته بشراشرهم لهم
البشرى البشارة بالثواب على السنة الرسول والملائكة في الحيوة الدنيا وفي الاخرة واعلم ان المراد باجتناب الطاغوت الكفر بها وبالانابة الى الله تع الايمان
بالله كما قال فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى وقدم اجتناب الطاغوت على الانابة الى الله كما قدم الكفر بالطاغوت
على الايمان بالله ليكون على وفق كلمة التوحيد لا اله الا الله حيث قدم نفي وجود الالهية على اثبات الالوهية لله فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه اقام المظهر مقام ضمير الذين اجتنبوا اشعارا بان اولئك هم جمعوا بين هذه الخصال الاربع من الاجتناب والانابة والاستماع والاتباع
ودلالة على ان الجامعين بينها هم العباد الذين حق على الله ان يبشرهم ويخصهم بالبشرى كلها في الدارين وقيل للدلالة على مبدا اجتنابهم فانهم نقاد
في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم امران واجب وندب
اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب واضاف العباد الى نفسه في قوله فبشر عبادي اظهارا لعظمتهم عند الله وتشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه
فان المضاف الى العظيم عظيم وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا على حيازة فضلهم والترقي برتبتهم والانتظام في سلكهم ويحتمل الاختصاص
وانهم عباد الله دون غيره فان غيرهم عبيد الدنيا والشياطين لا يليق بهم ان يتصفوا بهذه الفضيلة والسعادة لانهم اخس الخلايق وانفسهم كما
قال النبي عم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط غضب تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش
رواه ابو هريرة التعس الهلاك واصله الكب ثم استعير للشقاوة والصغار والخميصة ثوب خز او كساء اسود مربع له علمان وكان من لباس الناس قديما

اي اصيب

اي اصيب بالشوك فلا انتقش اي فلا اخرج بالمنقاش وقرا ابو عمرو برواية عنه عباد الذين بفتح الدال بغير ياء اولئك الذين هداهم الله ارشدهم الى
الصراط المستقيم ووفقهم للاهتداء اليه واولئك هم اولوا الالباب اصحاب العقول السليمة من العقايد الدينية والشوايب العادية وفيه اشعار
بان العقل من شانه السلامة وقبول الرشاد كما ان من شان التمييز وقبول الكمال وذلك كله بهداية الله وتوفيقه لا غير هذا الذي ذكرناه على اطلاق القول
وتعميمه جريا على الاصل واليه ذهب من قال يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص
والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تع وان تعفوا اقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو
الرجل يجلس مع القوم فيستمع الحديث محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدئ الذين
يستمعون برفعه على انه مبتدا خبره اولئك وعنه ايضا ان ابا بكر الصديق رضي امن بالنبي عم فجاءه عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد
فسالوه فاخبرهم بايمانه فامنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول الاية وقيل نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر وسلمان وغيرهم
ممن وحد الله قبل مبعث النبي عم والمراد باحسن القول لا اله الا الله افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصله امن حق عليه
كلمة العذاب افانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره
اانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتاكيد الانكار والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك
وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار فالاية على هذا
جملة واحدة واذا قلنا ان الجزاء محذوف تقديره افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه وقوله افانت تنقذ جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء
المحذوف كانت الاية جملتين وقال ابن عباس معناه من سبق في علم الله انه في النار فلن تقدر انت على انقاذه منها وقال يريد به ابا لهب وولده
وسائر من تخلف من عشيرته عن الايمان وقيل كلمة العذاب قوله لاملان جهنم وقيل قوله هؤلاء في النار ولا ابالي وتذكير الفعل لوجود
الفصل ولان الكلمة بمعنى القول ههنا لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت من زبرجد
وياقوت ودر وغير ذلك من الجواهر وقيل بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسويتها وقراءة الخليل لكن الذين اتقوا بالتشديد تجري من
تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص مناف
للالوهية وكمال الغنى الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر وقيل هو وارد تقريرا للوعد السابق على سبيل التشبيه والمعنى انه لا يخلف بعاد
الفريقين وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السماء فسلكه فادخل ذلك الماء ينابيع في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق
في الاجساد وقيل الينابيع مياه نابعة في الارض اذ الينبوع للمنبع وللنابع فنصبها على المصدر يعني على تقدير الاول او الحال يعني على الثاني وفيه نظر
لانه لا يخلو عن خطاء وذلك انه اما يكون حالا من الضمير المنصوب في فسلكه وهو مفرد مذكر والحال جمع مؤنث ولذلك اولها بالنابعات ولم يقع مثله
في استعمالات البلغاء وغيرهم وكذلك تاويل الجمع بالمصدر فالصواب ان نصبها على الظرف اي في ينابيع كقولهم اسلك يدك في جيبك او على انها صفة لمصدر
محذوف وضعت موضعه تقديره سلوكا في ينابيع وقوله في الارض بيان لمكان الينابيع كقولك لصاحبك ادخل الدهن في البرنية والدكان والماء في جدول
المبطخة في البستان ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغيرها ثم يهيج
يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس ان في ذلك
المذكور من الصفات لذكرى لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه ونقله من حال الى حال وهيئة الى هيئة وعلى انه مثل الحيوة الدنيا
في قلة بقائها وسرعة فنائها فلا يغتر بها لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم او لتذكيرا لهم بان من قدر على ذلك قدر على اعادة الموتى واخراجهم من القبور
افمن شرح الله صدره للاسلام اي وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه قاله ابن عباس وقيل وسعه ليقول الحق وقيل حتى يتمكن فيه بيسر عبر به عن خلق
نفس شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابل للاسلام فهو على نور من ربه
يعني المعرفة والاهتداء اذ لا نور لمؤمن ولا سعادة لمسلم الا بالعلم والمعرفة ولكل واحد من المسلمين معرفة يختص بها وانما يتفاوت درجات المؤمنين
بحسب تفاوت المعرفة والايمان والمعارف

انوار عقليين ولا يسعون الى لقاء الله تع الا بانوارهم يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومرورهم على الصراط على قدر نورهم قال عم من المؤمنين من
يضيء نوره الا موضع قدميه وقال ابن مسعود نورهم على قدر ايمانهم والايمان من الاعمال فكما يتفاوت المؤمنون في الايمان بدليل لو وزن ايمان ابي بكر
بايمان العالمين لرجح كذلك يتفاوتون في انوار ايمانهم فايمان احاد العوام نوره كنور الشمع وبعضهم نوره مثل نور السراج وايمان الصديقين نوره كنور
القمر والنجوم على تفاوتها واما الانبياء فنور ايمانهم كنور الشمس وازيد فكما ينكشف في نور الشمس كل الافاق مع اتساعها ولا ينكشف في نور الشمع الا
زاوية ضيقة من البيت كذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب المؤمنين ولهذا جاء في الحديث انه يقال يوم القيمة
اخرجوا من النار من في قلبه مثقال من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة وفيه من التنبيه الكامل على تفاوت درجات الايمان ما لا يخفى
فيه تصريح بتفاوت الناس في الايمان وقيل نور الله لطفه والمعنى افمن عرف الله انه من اهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله
كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسي القلب ولا يخفى ما فيه من المخالفة لما روي ان النبي عم سئل عن قوله تع افمن شرح الله صدره ما هذا الشرح قال هو
التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح وعن ابن مسعود رض تلا رسول الله عم هذه الآية فقلنا يا رسول الله كيف انشراح
الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزوله وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عمر انه ان رجلا قال يا رسول الله اي المؤمنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا
واحسنهم للموت استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع قالوا فاية ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر والتقدير افمن شرح الله صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وجعل صدره ضيقا
حرجا وانما جاز حذفه لدلالة ما بعده عليه وهو قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره وبسببه ونظير من هذه من في قوله مما خطاياهم
اغرقوا يعني اذا ذكر الله عندهم وآياته ازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا وهو ما قيل من ان معنى من ذكر الله ان قلوبهم تزداد قساوة
من سماع ذكره وقرئ عن ذكر الله والفرق بينهما ان معنى قسا قلبه من ذكر الله من ان القسوة من اجل الذكر وبسببه ومعنى قسي عن ذكر الله غلظ عن قبول
ذكره وجاء عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا رواه حتى ابعده عن العطش وقيل من ابلغ من عن لان القاسية من اجل الشيء
اشد تاباً من قبوله من القاسي عليه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب
واسنده اليه اولئك في ضلال مبين ظاهر يبين لا يخفى على من له ادنى بصيرة والآية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده وقيل المراد بمن شرح الله صدره عمر بن
الخطاب وقال مقاتل عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي ان المراد به رسول الله والآية عامة فيمن شرح الله صدره للاسلام بخلق الايمان فيه الله نزل احسن
الحديث يعني القرآن العظيم الذي لا نهاية لحسنه ولا غاية لجمال نظمه وملاحة معانيه عن ابن مسعود رض ان اصحاب رسول الله عم ملوا ملة فقالوا حدثنا فنزلت
وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه وتاكيد لاسناده الى الله وانه من لدنه لا ينزل الا من عنده وتنبيه على انه وحي معجز باهر على ما يراد الاحاديث
لا يوازيه حديث ولا يدانيه كتابا بدل من احسن او حال منه متشابها صفة له والمراد بتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم والتاليف وصحة المعنى والدلالة
على المنافع والعامة والبناء على الصدق والحق مثاني وصف آخر لكتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات واقاصيص واحكام ومواعظ والانسان
عظام وعروق واعصاب او تمييز من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه جمع مثنى بفتح الميم بمعنى مكرر من ثنيت الارض اذا كررتها
مرتين او مثنى بضمها من الاثناء لما فيه من الثناء الكثير على الله بما هو اهله او مثنى من التثنية بمعنى التكرار لانه يكرر فيه القصص والاحكام والانباء والوعد والوعيد
ومثني في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تضطرب وتشمئز خوفا مما فيه من
الوعيد وهو مثل في شدة الخوف من اقشعر الجلد اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليكون رباعيا دالا على معنى زائد
كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد ويجوز ان يريد به الله تع التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده اصابتهم
خشية تقشعر منها جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من
الخشية والقشعريرة وانما اطلق بان اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة اشعارا بان اصل امره الرحمة وانها سبقت غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال

قبل كل شيء

قبل كل شيء من صفاته الكونه رحيما اولان اسم الله منبئ عن الرحمة وكمالها وذلك ان الله لما كان اسما للذات الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال كان ذكره في مقام لين
الجلود والقلوب منبئا عن غاية الرحمة والرأفة والمغفرة والجود والكرم وتعدية اللين بالى لتضمنه معنى السكون والاطمينان كانه قيل تسكن وتطمئن الى ذكر الله
لينة غير منقبضة راجية غير خاشية او تلين ساكنة مطمئنة الى ذكر الله على ان المعنى وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي من عوارضها وقيل المعنى ان قلوبهم
تقشعر عند الخشية والخوف وتلين عند الرجاء وعن العباس قال رسول الله عم اذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات
عن الشجرة اليابسة ورقها وعنه عم ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرم الله على النار وعن شهر بن حوشب قالت ام الدرداء انما الوجل في قلب
الرجل كاحتراق السعفة اما تجد الا قشعريرة قلت بلى قالت فادع الله فان الدعاء عند ذلك مستجاب ذلك اشارة الى الكتاب هدى الله
يهدي به من يشاء هدايته وهم المتقون فانهم يخشون تلك الخشية ويرجون ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله بخلق الضلالة فيه
فما له من هاد يبصره باخراجه من ظلمات الضلالة افمن يتقي بوجهه افمن يجعله درقة يقي به نفسه لانه يلقى في النار الا مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي
النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه جملة البدن تعبير عن الكل باشرف اجزائه واعزها وقال مجاهد يجر على
وجهه في النار وخبر من محذوف كما في نظايره يدل عليه قوله سوء العذاب يوم القيمة كانه قيل افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن امن العذاب وسوء العذاب
شدته وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين اي لهم فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم
تكسبون اي وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم ان العذاب ياتيهم
منها بينما هم آمنون او انهم في اذ فوجئوا من مأمنهم فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار كالمسخ والخسف والاسر والقتل مثلا في الحيوة الدنيا بيان لمكان
اذاقة الخزي ولعذاب الآخرة الذي اعد لهم اكبر لعظمه وكثرته ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به او لو كانوا يرجعون
الى العلم لعلموا انهم مثل الذين سبقوهم في استيهال العذاب والخزي في الدنيا والآخرة لاتحاد السبب ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد بينا لهم فيه
كل صنف هي في غرابتها وحسنها كالمثل السائر وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كقصة الاولين وقصة المبعوثين يوم القيمة وغير ذلك لعلهم يتذكرون
يتعظون بذلك او يتفكرون فيه فيرتدعون عن المعاصي قرآنا عربيا نصب على المدح اي اريد بهذا القرآن قرآنا عربيا او على الحال من هذا والاعتماد فيها على الصفة
وهي حال مؤكدة لتحقق التقرير والتاكيد كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا غير ذي عوج ليس فيه التناقض والاختلاف بوجه ما وقال ابن عباس رض
غير مخلوق وما قيل من ان المراد بالعوج الشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقوله غير مكذوب تخصيص له ببعض مدلوله وقال
عثمان بن عفان غير متضاد وقيل غير ذي لبس وانما قال غير ذي عوج دون ان يقول مستقيما او غير معوج مع انه اخصر لفائدتين احدهما نفي ان يكون فيه عوج
قط وثانيهما ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان لعلهم يتقون علة ثانية مرتبة على الاولى اي لعلهم يعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على حدود
الله في القرآن والاعتبار بامثاله ضرب الله مثلا رجلا للمشرك والموحد فيه شركاء متشاكسون مختلفون متنازعون يدعي كل واحد منها انه عبده
ورجلا سلما لرجل خالصا له لا شريك له فيه ولا منازع والمراد تمثيل المشرك على ما هو مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لمالك واحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل
من مثلا وفيه صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر وابو جعفر سلما بفتح السين واللام وقرئ سلما بفتح السين وسكون اللام
وسلما بكسر السين وسكون اللام وثلثها مصادر سلم وصف بها كقولك رجل عدل او حذف ذا بمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة
وقرأ ابو عمرو وابن كثير سالما اي خالصا له من الشركة وقرئ رجل سالم بالرفع اي وهناك رجل سالم لرجل فخصص الرجل لانه افطن للضر والنفع والتنكير
للافراد اي فردا من الاشخاص لفرد من الاشخاص وقرأه ابو البرهسم ورجل سالم اي هو سالم هل يستويان مثلا اي صفة او حالا ونصب على التمييز
ومن ثمة وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل
ومثل رجل وهل استفهام انكار بمعنى لا يستويان الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه احد سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق او لله الحمد كله دون غيره
من المعبودين بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقيل المراد بالاكثر الكل انك ميت وانهم ميتون فان الكل عرضة للموت وفيه عداد
لانهم كانوا يتربصون برسول الله عم

فاجبات الموت يعمهم فلا معنى للتربص والشماتة اكد اثبات الموت بتاكيد واحد او بتاكيدين على اختلاف الاداكد تنزيلا للمخاطب منزلة المتردد فيه بناء
لم على ظهور ادلته وحثا على النظر فيها واما قوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فيحتمل تاكيد ما ذكرناه ويحتمل ان يقال اكد اثبات الاختصام بتاكيدين
وان كان الاختصام مما لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في انكار الاختصام لانهاكهم في الغفلة عنه وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم نعى خبر الموت
انفسكم وقرا عبد الله بن الزبير وابن ابى عبلة وعيسى بن عمر انك مايت وانهم مايتون لانه مما يحدث ونوضيحه ان المايت صفة حادثة تنزل الحال او في المستقبل
بدليل صحة قولك زيد مايت الان او غدا بخلاف الميت فانه صفة لازمة كالسيد ثم انكم اى انك واياهم على تغليب ضمير المخاطب على ضمير الغايب يوم
القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك كنت على الحق والتوحيد وكانوا على الباطل في الشرك واجتهدت في الدعوة والتبليغ ولجوا
في العناد والتكذيب ويعتذرون بالاباطيل بما لا طايل تحته مثل اطعنا سادتنا وكبراءنا وجدنا اباءنا ويجوز ان يراد به الاختصام العام واختصام
الناس بعضهم بعضا فيما جرى بينهم في الدنيا بدليل منها قول النبى عم اول من يختصم من هذه الامة بين يدى الرب على ومعاوية الحديث
رواه ابن عمر ومنها قوله عم اول من يختصم يوم القيمة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها تشهد ورجلاها عليها بما كانت
تعيب لزوجها وتشهد عليه يداه ورجلاه بما كان يؤذيها رواه ابو ايوب الانصارى ومنها قوله عم انا خصيم يوم القيمة عن اليتيم
والمعاهد ومن اخاصمه اخصمه رواه عمر بن سعيد ومنها قوله عم انا خصيم عثمان بن عفان بين يدى الرب تع وعن ابرهيم النخعى
قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا وعن ابى سعيد الخدرى كنا نقول ربنا واحد
ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن
ابن عمر عشنا برهة من الدهر ونحن نرى ان هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد
وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيوف فعرفت انها نزلت فينا فقد علمت بهذه الدلايل والاقوال ان الوجه
الوجيه هو هذا الوجه الاخير العام لا الوجه الاول الخاص كما توهم الزمخشرى وغيره وبعضده ما روى البخارى عن ابى هريرة ان رسول الله عم
قال من كانت لاخيه عنده مظلمة من عرض او مال فليتحلل اليوم قبل ان يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح اخذ
منه بقدر مظلمة وان لم يكن له اخذ من سيئاته فجعلت عليه فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه ومعنى
الاستفهام فيه انكار ان يكون في الظلمة كلهم اعظم ظلما ممن تقول على الله وفيه دلالة بينة على ان الاختصام يوم القيمة بين الظالمين
والمظلومين ومن الظالمين اهل البدع والاهواء لاسيما القدرية فانهم مجوس هذه الامة قال رسول الله عم اذا كان يوم القيمة نادى
مناد الا ليقم خصماء الله الا وهم القدرية رواه عمر رضى وكذب بالصدق بالامر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد عم
اذ جاءه فاجاه بالتكذيب ساعة اتاه واول ما سمعه من غير اعمال فكر واعادة نظر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام
انكار وانكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات اى جهنم منزل ومقام للكافرين جزاء لكفرهم واللام يحتمل العهد اشارة الى هؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق والجنس اشارة الى جميع الكفار ويدخل هؤلاء فيه دخولا اوليا واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم
صدقه ورد بانه مخصوص بمن فاجاه ما علم مجيئ الرسول به بالتكذيب والذى جاء بالصدق وصدق به والتعريف في الذى اما للعهد
مرادا به رسول الله ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائى هو الرسول والمصدق ابو بكر وذلك يقتضى اضمار
الذى وهو غير جاير واما للجنس مرادا به كل من جاء بالصدق وصدق به من الرسل والمؤمنين وقرا ابن مسعود والذى جاؤا
بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس ولم يكذبهم به فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف او صار
صادقا بسببه لانه معجزة تدل على صدقه وقرئ وصدق به على البناء للمفعول وقال ابن عباس والذى جاء بالصدق وهو رسول الله عم
جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول ايضا بلغه الى الخلق وقال السدى الجائى جبرئيل عم جاء بالقرآن وصدق به محمد عم تلقاه بالقبول
اولئك هم المتقون الكفر والتكذيب او الكاملون في التقوى لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة كقوله ولهم ما يشتهون ذلك جزاء المحسنين



بيان الاختصام يوم القيمة

على احسانهم في اعمالهم وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من اعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا خص
الاسوء بالذكر للمبالغة لانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط
منهم من الصغاير اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى مروان وقرئ اسوء الذى عملوا جمع
سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذى كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط
اخلاصهم اليس الله بكاف عبده استفهم عن انتفاء الكفاية على وجه الانكار فافاد اثبات الكفاية وايجابها والباء لتاكيد النفى المراد به تاكيد
الايجاب لان المعنى ان الله كاف عبده وهو رسول الله عم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائى وخلف وابى جعفر عباده وفسر بالانبياء
وبالاعم قال الجرجانى ان الله كاف عبده المؤمن بالثواب وعبده الكافر بالعقاب وقرا الخليل بكافى عباده بالاضافة ويخوفونك بالذين
من دونه يعنى قريشا فانهم قالوا لرسول الله عم انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ونخشى عليك معرتها لعيبك اياها وقيل انه بعث
خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد
منزلة تخويفهم لانه الامر له بما خوف عليه فالمراد بالذين من دونه الاوثان التى اتخذوها من دونه ومن يضلل الله ومن
يجعله ضالا عن الطريق القويم حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد
ومن يهدى الله فما له من مضل ومن يرشده الله الى الصراط المستقيم فلم يقدر احد على اضلاله عنه اذ لا معقب
لحكمه ولا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب منيع ذى انتقام من النقمة وهى الشدة والعقوبة والمعنى ان الله عزيز
ذو انتقام ينتقم من اعدائه لما علمت ان الاستفهام اذا دخل على النفى افاد تحقيقا وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بانه ينتقم
لهم منهم وينصرهم عليهم ثم قرر وحدته في الالوهية وكماله في العزة والقدرة فقال ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض من اخترع هذين الجنسين المعبر عنهما بالعالم ليقولن الله لينسبن خلقهما الى الله وليسندنه اليه لوضوح البرهان
على اختصاصه بالخالقية واللام الاولى توطية وتمهيد للقسم والثانية جواب له وهو ساد مسد الجوابين قل افرايتم ما تدعون
من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره الفاء على اصلها الذى هو التعقيب وارايت بمعنى اخبرنى اى قل اخبرونى
عقيب اقراركم بان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبنى ضرا من مرض او فقر مثلا هل تكشفه او ارادنى برحمة
بنفع من صحة او غنى او غير ذلك من المنافع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عنى وقرا حمزة ارادنى الله بسكون الياء على
الاصل والباقون بفتحها للتخفيف وقرا ابو عمرو ويعقوب كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره
ورحمته والباقون بالاضافة وانما قال كاشفات وممسكات ابانة لكمال ضعفها واشعارا بانوثتها كما قال ان يدعون من دونه
الا اناثا قل حسبى الله اى محسبى الله وكافى في المضار والمنافع كلها وقيل ثقتى به واعتمادى عليه وقيل كافيا لمعرة اوثانكم وقيل
كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير او شر قال مقاتل ان النبى عم سألهم
عن ذلك فسكتوا فنزل قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون اى يخص المتوكلون الله بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم ان الكل منه بيانا
ولا كافى سواه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التى انتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة اسم للمكان
ثم استعيرت للحالة كما استعير هنا وحيث للزمان وهما للمكان وقرئ مكاناتكم انى عامل على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد
والايذان بان حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه للاخزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار
انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق متلبسا بالحق مقترنا به بعيدا من
الباطل فمن اهتدى فلنفسه اى فمن اهتدى باتباع كتاب الله المنزل عليك فلا ينفع باهتدائه الا نفسه فان
منافعهم لا تعود الا اليه

تبشر واه بيانا

ومن ضل بمخالفته وترك اتباعه فانما يضل عليها فلا يتخطى بضلاله الا انفسه فان وباله لازم لها لا يتخطيها ولا يفارقها لان كل نفس بما كسبت رهينة وقيل انزلنا عليك الكتاب لاجل حاجة الناس اليه ليبشروا به وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لي الى ذلك فانا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها النفس هي الجملة والانفس الجمل وتوفيها اماتتها والجمهور على المراد بالانفس الارواح وتوفيها قبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا او باطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو في النوم وقال علي رض يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة ثم قال فما رات نفس النائم وهي في السماء قبل ارسالها الى جسدها فهي رؤيا الصادقة وما راته بعد ارسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقيها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرؤيا الكاذبة والتي لم تمت في منامها عطف على الانفس وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات وارواح الاحياء اذا ناموا فتعارفوا ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي الى ابدانها وقرأ حمزة والكسائي وخلف قضي بالمجهول ورفع الموت ويرسل اي ويعيد الاخرى النائمة الى بدنها عند اليقظة قال عم اذا انتبه من النوم قال الحمد لله الذي رد الي نفسي ولم يمتها في منامها الحمد لله الذي يمسك السموات والارض ان تزولا الاية الحمد لله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله الاية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فاذا اراد جميعا الرجوع الى الابدان امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى ابدانها واجسادها الى اجل مسمى هو الوقت المعلوم المحدود لموته وهو غاية جنس الارسال وما قال ابن عباس ان في بني آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه موافق لقول جمهور وفي الاية تصريح بان النوم وفاة كالموت ولذا قال النوم اخ الموت وعن جابر قيل يا رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخ الموت والجنة لا موت فيها اخرجه الدارقطني وعنه عم كما تنامون تموتون وكما توقظون تبعثون ان في ذلك اي في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى اجل معلوم لايات لادلة واضحة على وحدة متوفيها وعظيم قدرته وباهر حكمته وعلمه وشمول رحمته لقوم يتفكرون يجيلون افكارهم في كيفية تعلق الانفس بالاجساد وقبضها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في قبضها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها وفي امر البعث فيستدلون بتوفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي على البعث ام اتخذوا ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والتوبيخ اي بل اتخذ قريش من دون الله من غير اذنه شفعاء تشفع لهم عند الله وذلك حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون والهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف يدل عليه السياق والسباق معناه ايشفعون ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم حتى يعلموها لان شفعاءهم على زعمهم صور وتماثيل نحتوها بايديهم وسووها لا قدرة لها ولا علم ولا نفع ولا ضر ولا حركة كما يشاهدونها قل لله الشفاعة جميعا اي الشفاعة كلها مختصة بالله لا يملكها الا هو ولا يستطيع احد شفاعة الا باذنه ثم قرر ذلك بقوله له ملك السموات والارض قدم الظرف ليدل بتقديمه على معنى اختصاص الملك بالله لان الملك كله في الحقيقة له لانه مبدئ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه والمتصرف فيه فلا يملك احد سواه ان يتكلم في امره ملكه دون اذنه ثم اليه ترجعون اي ثم لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاهتموا بالاستعداد للقائه وجزائه فانه ملك يوم الدين والجزاء فيكون الملك كله يومئذ ايضا كما قال الملك يومئذ لله يحكم بينهم الاية وقرأ ابو البرهسم يرجعون بفتح الياء اي اهل العالم واذا ذكر الله وحده اي اذا افرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم ووحده مصدر وقع موقع الحال اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت قلوبهم ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام سواء ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله

وقيل اذا قيل

وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فالقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق العلى فسجد واتبعه في آخر السورة لغرضهم وكل واحد من الفعلين الواقعين جزاء بلغ غايته في بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والحاصل ان الاستبشار المبالغة في البشر والسرور والاشمئزاز المبالغة في الانقباض والنفرة والعامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادت التجئ الى الله بالدعاء باسمائه العظمى اذا تحيرت في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم لانه القادر على الاشياء وخالقها والعالم بالاحوال كلها وقرأه الخليل الشهادة بكسر الشين في كل القرآن انت تحكم بين عبادك انت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم فيما كانوا فيه يختلفون من الحق وعن سعيد بن جبير انه قال اني لا اعرف موضع اية ما قرأها احد قط فسأل الله شيئا الا اعطاه اياه قوله تع قل اللهم فاطر السموات الاية وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين رض وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على ان قال آه وقد فعلوا وقرأ هذه الاية وروي انه قال على اثره قتل من كان عم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه ان للذين ظلموا في موضع الرفع على انه فاعل فعل محذوف اي لو ثبت ان ما في الدنيا من خزائنها واموالها وجميع منافعها للذين ظلموا لافتدوا به لجعلوه فدية لانفسهم من سوء العذاب يوم القيمة لاجل شدة العذاب يوم القيمة وهذا تمثيل للزوم العذاب العظيم لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه من الوجوه ووعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي وظهر لهم حين بعثوا ما لم يكن قط في حسبانهم ولم يخطر ببالهم من سخط الله وعذابه وقيل عملوا اعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له ما هذا الجزع فقال اخشى آية من كتاب الله وتلاها فقال اخشى ان يبدو لي من الله ما لم احتسبه وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمال كسبوها او سيئات كسبهم او سيئات الذي كسبوه على ان ما موصوفة او مصدرية او موصولة وذلك حين تعرض صحايفهم ويجوز ان يراد بالسيئات انواع العذاب الذي يجازون بها على ما كسبوا فسميت سيئات على طريقة قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ونزل بهم واحاط جزاء استهزائهم وهذه الايات مبالغات في الوعيد بحيث يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه وعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عند ذكر الله وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا اصابهم ضر من مرض او قحط او فقر مثلا دعوا من اشمأزوا ذكره دون من استبشروا بذكره وما بين المعطوفين من الآي اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه نعمة تفضلا من غير جزاء لان التخويل مختص بالتفضل يقال خولني فلان اذا اعطاك على غير جزاء قال انما اوتيته على علم على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بانه سيعطيه لما في من استحقاقه او على علم مني بوجوه كسبه كما قال قارون على علم عندي وذكر الضمير العائد الى النعمة ميلا الى جانب المعنى لانه اراد بقوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها وان جعلت ما موصولة فهو عائد اليها اي ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وانكار له اي ما خولناه من النعمة لما يقول بل هي فتنة وتأنيث الضمير نظرا الى الخبر او الى لفظ النعمة وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ذلك الاستدراج والامتحان وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الضمير في قالها عائد الى قوله انما اوتيته على علم على معنى الكلمة والجملة وقرئ قد قاله على معنى القول او الكلام والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قال انما اوتيته على علم عندي وقوم راضون بها فكانهم قالوها ويجوز

يستبشرون

ماخولناه

ويجوز ان يكون في الامم الماضية آخرون قائلون مثلها فما اغنى عنهم استفهام في معنى الانكار ومحله الرفع على الابتداء او نفي
ما كانوا يكسبون مرفوع على الخبر او الفاعل وما موصولة او مصدرية او موصوفة بمعنى مكسوبهم او كسبهم او متاع كسبوه والمعنى
فلم ينفعهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه او ما نفعهم اعمالهم التي كسبوها في الازمنة المتطاولة فاصابهم سيئات ما
كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين
ظلموا تمادوا في الظلم وتوغلوا فيه من هؤلاء من مشركي قومك والمشركين منهم ومن قبلهم ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم
سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم حيث قتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع
سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين وما هم بمعجزين بفائتين لان مرجعهم الى الله تع اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر حيث ضيق عليهم الرزق سبعا ووسع سبعا فعلموا قطعا انه لا قابض ولا باسط الا الله ان في ذلك فيما
ذكر من مجازاتهم على كسبهم وبسط الرزق وقدره لآيات لقوم يؤمنون بالله وصفاته فيعلمون قطعا ويقينا ان الحوادث
كلها من الله بقضائه وقدره لا شريك له فيها وخص المؤمن بالذكر لانه هو المنتفع بالآيات والتأمل فيها فيعلم ان سعة الرزق
فتنة تجر الى العقوبة غالبا في الدنيا والآخرة وكفى بحال الاغنياء عبرة من فرعون وقارون وهامان وغيرهم ولذلك قال رسول الله عم
اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا بالجناية عليها بالاسراف في المعاصي
والغلو فيها واضافة العباد تخصص بالمؤمنين على ما هو عرف في القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من انعامه واحسانه اليكم
وقيل لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وابو جعفر عبادي بفتح الياء للتخفيف و
الباقون بسكونها على الاصل وقرأ ابو عمرو ويعقوب والكوفيون لا تقنطون بكسر النون والباقون بفتحها والمشهور ان الكسرة قراءة
الكسائي وابي عمرو وفي هذه السورة والروم والحجر والفتح قراءة الباقين وقرئ بضم النون وثلثها لغات ولقد اجمع العلماء على ان
القنوط من رحمة الله كفر لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ان الله يغفر الذنوب
جميعا عفوا عنها ولو بعد بعد لان الذنوب لا تخرج العبد المؤمن عن الايمان ولا تمنع الكافر عن الدخول فيه والله يغفر ما دون الشرك
من الصغائر والكبائر مع التوبة وبدونها ولا يغفر الشرك الا بعد التوبة عنه وتقييده بالتوبة على ما هو مذهب الاعتزال خلاف الظاهر
وعدول عنه بلا دليل ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم
على آكد وجه وابلغه من حروف التحقيق وضمير الفصل واسمية الجملة وصيغة المبالغة ولقد نصره قوله عم ان الله يغفر الذنوب جميعا
ولا يبالي ذكره صاحب الغرائب وقيل على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في
عبادي من الدلالة على الذل والاختصاص المقتضيين للترحم ضمن الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن — وتخصيصه
المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير للدلالة على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما
روي انه عم قال ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك
ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان
وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد في جماعة فتنوا وعذبوا فافتتنوا في الوحشي قاتل حمزة
لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون
فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب ليغني عن التوبة والاخلاص في العمل ويناقض الوعيد بالعذاب
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم هو القرآن او المأمور به دون المنهي عنه والعزائم دون الرخص والناسخ دون المنسوخ او
الانابة والمواظبة على الطاعة او المجموع من الامور الخمسة فان كل واحد منها ما يجب ان يتبع من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة
الآية

وانتم

وانتم لا تشعرون اي من قبل ان يجيئكم العذاب وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم وسهوكم واشتغالكم بامور
دنياكم وانتصاب بغتة على الحال من العذاب بمعنى باغتا او على المصدر كانه قيل يبغتهم العذاب بغتة اي يجيئهم فجاءة ان
تقول نفس اي كراهة ان تقول وقيل لئلا تقول وقيل حذرا ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس على انه بدل من يأ
تيكم العذاب وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس وهي نفس الكافر او نفس متميزة من الانفس باللجاج في الكفر شديد
او بعذاب عظيم او للتكثير للتعليل كقول الاعشى ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا يريد افواجا من
الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ومنه قولهم انه لا بلا وان لم تغنما يا حسرتا يا ندامتا وقرئ يا حسرتي بالياء على الاصل
لان النفس تنادي حسرتها تقول لها تعالى فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها او فهذا اوانك وقرأ ابو جعفر يا حسرتاي
بالجمع بين العوض والمعوض منه وقرأ الاعمش ياويلتا على ما فرطت ما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو
طاعته قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة
والمروة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته بمعنى في طاعة ذاته على حذف المضاف وقال ابو عبيدة في ثوابه وقال
مجاهد في امره وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقال الضحاك في ذكر الله وقد قرئ به وعن النبي عم انه قال ما جلس رجل مجلسا
ولا مشى ممشى ولا اضطجع مضطجعا لم يذكر الله فيه الا كان عليه حسرة يوم القيمة ذكره ابو داود في سننه وان كنت لمن الساخرين
اي المستهزئين باهله وعن قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل قوله وان كنت نصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ملك الموت في الذي
كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل
الله خبره في القرآن او تقول لو ان الله هداني ارشدني الى الحق والطريق المستقيم لكنت من المتقين من الذين اتقوا الله
في محافظة حدوده ما امر به ونهى عنه او من العاملين عمل اهل التقوى في اداء حقوقه وفرايضه او من الخائفين الشرك
والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي لو ثبت ان لي كرة لان لو انما يدخل على الفعل فوجب تقديره فاكون من المحسنين
في اعمالهم الظاهرة والباطنة واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا وتحسرا او تعللا بما لا يفيدهم بلى قد جاءتك آياتي
فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين تكذيب من الله اياه ورد عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي
لان بلى اثبات لما بعد النفي كانه قال ما هداني فقال الله بلى قد هديتك الى طريق الهدى بآياتي التي جاءتك فكذبت بها واستكبرت
وانما فصل بينها باية لان تقديمها يفرق القرائن الثلث وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود وهو التحسر بالتفريط على
الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم اجاب
من بينها عما اقتضى الجواب وذكر الخطاب نظرا الى المعنى او لان النفس تقع على الذكر والانثى وعلى من هو غير متصف بالذكورة والانوثة
وقال المبرد تقول العرب نفس واحد اي انسان واحد وقرأ النبي عم برواية ام سلمة وعبد الرحمن بن ابي بكر وجماعة قد جاءتك
فكذبت واستكبرت وكنت بكسر الكاف والتاءات الثلث وقرأ الاعمش قد جاءته على مخاطبة النفس والمراد بالآيات
القرآن في الاكثر وقيل المعجزات والمعنى بلى قد هديت بالقرآن العظيم الذي جاءك من عندي فكذبت به واستكبرت عن الايمان به
واثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز عليه باضافة
الولد والشريك اليه وجوههم مسودة بسواد الكفر والمعاصي وقيل بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل وقيل
بما احاط بهم من غضب الله ونقمته وهو اعني قوله وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر
واكتفى فيها بالضمير عن الواو ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب وقرأ الخليل مسودة اليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن
الايمان بآيات الله

وان كنت لمن الساخرين من التائبين — او تقول لو ان الله هداني

بيان ... المتكبرين

وطاعته وهو تعويل لانهم نرى كذلك وعن النبي عم يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر يلحقهم الصغار حتى يؤتى بهم الى سجن جهنم وعن ابن مسعود قال النبي عم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وينجي الذين اتقوا من الكفر والمعاصي اي ويخلصهم من جهنم وعذابها او يعصمهم منها ومن سواد الوجه وقرئ وينجي بمفازتهم اي بفلاحهم مفعلة من فاز يفوز اذا افلح به وظفر بمراده منه وتفسيرها بالنجاة تخصيصها باعظم اقسام الفلاح والسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وخلف بمفازاتهم بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه فان لكل متق مفازة والباء فيها للسببية صلة لينجي او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شيء مما يتعلق به الخلق والايجاد من خير وشر وايمان وكفر وهو من عام مخصوص خص منه القديم اعني به ما لا ابتداء لوجوده وهو على كل شيء وكيل حفيظ موكول اليه امره فيتصرف فيه كيف يشاء له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يحفظها ولا يتصرف فيها الا الله وحده وهو كناية عن حفظه وتدبيره لها وفيها زيادة دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يحفظها ولا يدبر امرها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها ويملكها وهي جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته او جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كمذاكير وقيل لا واحد لها من لفظها وعن عثمان رض سأل النبي عم عن تفسير له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها اذا اصبح عشر مرات اعطي ستة خصال اما اولهن فيحرس من ابليس وجنوده واما الثانية فيعطى قنطارا من الاجر واما الثالثة فيرفع له درجة في الجنة واما الرابعة فيزوج من الحور العين واما الخامسة فيحضره اثنا عشر الف ملك واما السادسة فله من الاجر كمن قرأ القرآن والتورية والانجيل والزبور وله مع هذا يا عثمان من الاجر كمن حج واعتمر وقبلت حجته وعمرته فان مات من يومه طبع بطابع الشهداء خرجه صاحب الفردوس الكبير وخرج الامام البيهقي عن ابن عمر ان عثمان بن عفان سأل رسول الله عم عن تفسيره وزاد الثعلبي في تفسيره من قالها اذا اصبح وامسى عشر مرات اعطاه الله تع ستة خصال وهو اوفق بحديث علي رض والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد الله بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه وقال قتادة ومقاتل له مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال السدي له خزائن السموات والارض وقال الكلبي خزائن المطر والنبات وروى الحارث عن علي رض انه قال سألت النبي عم عن تفسير المقاليد فقال يا علي سألت عن عظيم هو ان تقول عشرا اذا اصبحت ثم قال وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الاول والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرس من الشيطان وجنوده ولا يكون لهم عليه سلطان والثانية يعطى قنطارا في الجنة هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثة ترفع له درجات لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين والخامسة يشهده اثنا عشر الف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيمة والسادسة يكون له من الاجر كانما قرأ التورية والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته فان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهداء وقيل المقاليد الطاعة والمعنى له طاعة اهل السموات والارض والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا اي ينجي المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون وما بينهما اعتراض للدلالة على انه خالق الاشياء كلها ومهيمن عليها ومطلع على افعال المكلفين ومجازيهم عليها وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون وقيل تغيير النظم للاشعار بان

بيان مقاليد السموات والارض

العمدة



العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم والتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية الكرم او عدنا بليغه والمراد بايات الله دلايل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم له حظ من الرحمة والثواب وقيل بايات الله اي بالقرآن والحجج والدلالات قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون انتصب افغير الله باعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك والمعنى افغير الله اعبد بامركم بعد هذه الدلايل والمواعيد وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك ويجوز ان ينتصب بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تأمروني ان اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله احضر الوغى ويؤيده قراءة من قرأ اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمرون بحذف الثانية وفتح الياء وابن كثير تأمروني بتشديد النون وفتح الياء والباقون بتشديدها وسكون الياء ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل والانبياء لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد منهم كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهو نايب مناب الجوابين واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصايصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب وقال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبيا قبلك بالتوحيد فحذف التوحيد لدلالة ضده عليه وهو في قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي عم خاصة وقيل الخطاب له والمراد امته وهو اقرب الى التحقيق والتوجيه وقرأ الخليل ليحبطن عملك بكسر الباء ونصب عملك بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عابدا عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه وبه قال الزجاج وجوز الكسائي والفراء نصبه بفعل مضمر وهذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد وقال ابن عباس فاعبد اي فوحد وقيل قاطع وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك من ان جعلك سيد اهل الوحي وخاتمهم وانزل عليك سيد الكتب السماوية قيل وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته وما قدروا عظمته في انفسهم حق تعظيمه حيث اضافوا اليه الولد والشركاء ووصفوه بصفات الاجسام وقال المبرد ما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه غيره من قولك فلان عظيم القدر وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه وقرأ الاعمش وابو حيوة قدره بفتح الدال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه هو تنبيه على عظمته وجلالة شأنه على وجه التمثيل للتنبيه والتخييل لعظمته وعلو شأنه من غير تصور قبضة وطي ويمين وبيان ذلك انه تع شبه الارضين السبع والسموات السبع استحقارا لها وان كانت خلقا عظيما لا يقادر قدره بكبيرات من خبز قبضهن قابض منا بيده ففتتهن باصابعه في قصعته وبورقات اخذهن آخذ بين يديه فطواهن بيمينه ونظير ذلك قوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة والقينا فيها رواسي شامخات فنبذناهم في اليم فانها تصويرات لعظمته وتخييلات لعلو شأنه وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم فهو مستحقر بجنب عظمته وقدرته وهذا تأويل قوله عم ان الله تع يقبض الارض يوم القيمة بشماله والسموات بيمينه ثم يقول انا الملك اين الملوك رواه ابن عمر رض وعن عبد الله جاء يهودي الى النبي عم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والخلايق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي عم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول اليهودي ثم قال وما قدروا الله حق قدره قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي سننه عن عايشة انها سألت رسول الله عم عن قوله والارض جميعا قبضته قلت فاين الناس

يومئذ يا رسول الله قال على جسر جهنم وفي رواية على الصراط يا عايشة وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع
كلها بدليل قول النبي عم تذهب الارضون كلها يوم القيمة الا المساجد فانها ينضم بعضها الى بعض رواه ابن عباس رضه فيشمل جميع
ابعاضها البادية والغايرة وللحاجة اليه جعلها قسما على حدة تفخيما لذلك وادل منه ما رواه ابن عمر رضه انه عم قال يطوي الله
السموات يوم القيمة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم
يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون اخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة
وهو المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة يعني والارضون كلهن ذوات قبضة يقبضهن قبضة
واحدة يعني ان الارضين السبع مع عظمهن وبسطهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة
كما قال عم ان الله قبض قبضة بيمينه فقال هذه للجنة ولا ابالي وقبض قبضة اخرى فقال هذه للنار ولا ابالي فلا ادري في
اي القبضتين انا ومعناه على القول ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة وقبض الشيء اخذه وهذا الشيء في قبضة
فلان اي في ملكه وتصرفه وقرئ بالنصب تشبيها للموقت بالمبهم وقال صاحب غرايب القراءة قرا اليماني قبضته بالنصب
على نزع الخافض اي في قبضته وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها ودخولها تحت
القبضة ويؤيده الحديث الاول تاييدا وهو ما رواه ابن عمر رضه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وقال الفراء والمبرد
بيمينه اي بقوته وقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها سبحانه وتعالى عما يشركون تنزيه
له عن الشريك او تعجب من كلمهم الحمقاء وقولهم بالشفع والشريك اي ما اعبد من هذه قدرته وعظمته وما اعلاه عن اشراكهم
وما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني النفخة الاولى وقرا زيد بن علي وقتادة في الصور بضم الصاد وفتح الواو
جمع صورة يعني صور من فيها من الناس وغيرهم فصعق من في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه وهما
في يوم الجمعة لقوله عم افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلوة فان صلوتكم معروضة
علي وقيل انما النفخ في الصور نفختان يموت الخلق في الاولى منهما ويحيون في الثانية وقوله فصعق اي فمات والنافخ هو اسرافيل
يشهد به قوله عم ان الله تع خلق ملكا يوم خلق السموات والارض وامره ان يقول لا اله الا الله فهو يقول لا اله الا الله ماد بها صوته
لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فاذا اتمها امر اسرافيل بنفخ الصور وقامت القيمة رواه ابن عباس الا من شاء الله
قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عم فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش وقيل الشهداء متقلدون اسيافهم
حول العرش وقال الحسن هو الله الواحد القهار وما يبقى احد من اهل السموات والارض الا ذاق الموت وقال قتادة الله اعلم
بثنياه وقال الضحاك هم رضوان ومالك والزبانية وقيل الحور وعقارب النار وحياتها ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي
تدل على ان المراد بالاولى ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب على انها صفة لمصدر محذوف والرفع
حملا على قوله فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وعن النبي عم ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من رفع راسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوايم العرش ولا ادري اكان ممن استثنى الله تع ام رفع
راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقرا زيد بن علي والخليل فصعق مبنيا للمفعول فاذا هم
قيام ينظرون قايمون من قبورهم او واقفون جامدون في مكانهم لفرط تحيرهم ودهشتهم وقرئ قياما بالنصب
على ان الخبر ينظرون وهو على الرفع حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب والاطراف نظرا لمبهوت اذا فاجاه
خطب عظيم او ينتظرون ماذا يفعل بهم والفاء للتعقيب والعامل في اذا المفاجاة تقديره عقيب النفخة الاخرى فاجاؤا
في وقت القيام واشرقت الارض بنور ربها اي انارت واضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين اهلها وسمى العدل نورا

لانه



لانه ينور الصدور ويضيء الحقوق ويظهرها كما سمى الظلم ظلمة وفي الحديث اياكم والظلم فان الظلم هو الظلمات
يوم القيمة او بنور يخلقه الله فيها بلا توسط الشمس والقمر وغيرهما من الاجسام المضيئة وقيل بنور خالقها فذلك حين يتجلى
الرب سبحانه لفصل القضاء بين خلقه فما تضارون في نوره كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو وقرا ابن عباس
وجماعة واشرقت مبنيا للمفعول ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه
او صحايف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحايف وجيء بالنبيين والشهداء
اي والذين يشهدون للامم وعليهم من الملايكة والمؤمنين وقيل هم المستشهدون في سبيل الله وقال ابن عباس هم امة محمد عم
يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وقضي بينهم بين العباد بالحق بالعدول وانصاف المظلوم من الظالم منهم وهم لا يظلمون
بنقص الثواب او زيادة العقاب على ما جرى به الوعد وقيل لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم وهو في المعنى تاكيد
للقضاء بالحق ووفيت كل نفس ما عملت جزاء ما عملت من طاعة ومعصية وهو اعلم بما يفعلون فلا يخفى عليه شيء
من افعالهم وجزاؤه ولا يفوته ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا اصروا على الكفر حتى ماتوا عليه الى جهنم زمرا
افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض كاصوات المزامير وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ
الجماعة سيما الجماعات المتفرقة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة وقيل دفعا جمع دافع
وزجرا بصوت كصوت المزمار وقرا عبيد بن عمير الى جهنم زمر بالرفع على هم زمر حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة والجملة المحكية هي الشرطية وقرا الكوفيون بتخفيف التاء والباقون بالتشديد
وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا جمع خازن كسادن وسدنة الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيمة وقد استفاض استعمال اليوم و
والايام في اوقات الشدة قيل وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ
الكتب قالوا بلى اي بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وجبت ولزمت كلمة الله بالعذاب
على كل كافر لزم على كفره وثبت وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع المظهر موضع المضمر دلالة على
الموجب لكلمة العذاب او هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قرا الاعرج والخليل الم ياتكم رسل بالتاء
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل المقول لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس لان فاعل
بئس اما معرف بلام الجنس او مضاف الى مثله والمخصوص بالذم سبق ذكره ولا ينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم
عن الحق ان يكون دخولهم فيه لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وساير مقابحهم مسببة عنه كما قال عم ان
الله تع اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا اسراعا بهم الى تلك الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف
وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جزاء اذا للدلالة قوله فادخلوها خالدين عليه وهو ادخلوها
يقدر بعده قاله الزجاج وقيل انما حذف لانه في صفة اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه
ما بعد خالدين وقيل للدلالة على انهم ح من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل
مجيئهم منتظرين لهم وقال الكوفيون الجزاء مذكور وهو قوله وفتحت ابوابها على ان الواو زايدة فيكون على وفق ما قال في سوق
الكفار وقيل جوابه قوله وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها والوجه الوجيه
هو الاول وهو ان الجواب محذوف

والواو في فتحت للعطف وقيل واو الحال بتقدير قد وقيل بجزم مع تقديره حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقراء الكوفيون وحمزة وعاصم والكسائي وخلف بتخفيف التاء على الاصل والباقون بتشديدها على التكثير والمبالغة والمعنى وكثر فتح ابوابها وبولغ فيه لدخولهم فيها فان الجنة اسم جنس يطلق على كل بستان لتكاثف اشجاره ثم جعلت على الدار الثواب كلها وهي تشتمل على جنات لا تعد ولا تحصى مراتبه مراتب متفاوتة على اختلاف المتقين اي المؤمنين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان

وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي وخبث الخطايا وقال ابن عباس طاب لكم المقام وعن مجاهد طبتم في الدنيا بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح وقال مقاتل وقتادة اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فقال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم الآية وقال علي رض اذا سيقوا الى الجنة وانتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة تخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من احديهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه فعندها تقول لهم خزنتها سلام عليكم طبتم الآية وفي قوله فيغتسل المؤمن دلالة على ان المراد بقوله تع الذين اتقوا المؤمنون كانه قال وسيق الذين آمنوا بربهم الى الجنة فانها أعدت للذين آمنوا بالله ورسله كما نص عليه في سورة الحديد فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم وطهارتهم من الكفر والشرك بالايمان بالله وتوحيده سبب لدخولهم وخلودهم في دار الطيبين الطاهرين وهو لا يمنع دخول المؤمن العاصي بعفو الله لانه طيب وطاهر من ارجاس الكفر واوضار الشرك قال تع صبغة الله ومن احسن من الله صبغة اي تطهير الله بالايمان ولا تطهير احسن من تطهيره وقال رسول الله عم ان الله ليغفر لعبده مالم يقع الحجاب قالوا يا رسول الله وما الحجاب قال ان تموت النفس وهي شركة رواه ابو ذر وقال عم ان الله لا يعذب من خلقه الا المارد المتمرد على الله ان يقول لا اله الا الله رواه ابن عمر رض خرجه القزويني في سننه والكيا في الفردوس الكبير

وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريد المكان الذي اقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوءا ومتبوءا اي وقسمها بيننا كما يقسم الميراث بين ورثته او تركنا اياها وجعلنا ملوكها واتقاها علينا كما يبقى على الوارث مال الموروث وعن قتادة وابي العالية اورثهم الله من ارض الجنة الارض التي كانت لاهل النار لو آمنوا اي جعلنا ورثة تلك الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي ينزل كل منا كل مكان يريد ان يتخذه منزلا ومتبوءا من جنته الواسعة التي لا يحتاج بها الى جنة غيره وهذا معنى قول من قال ننزل من الجنة كل مكان نريده على ما هو ظاهر النص وقول من قال اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته الواسعة محال في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين والمخصوص بالمدح سبق ذكره وهو الجنة وقراء الخليل فنعم يقال نعم ونعم وقد قرئ بالثلث وترى الملائكة حافين محدقين وقيل محيطين من حول العرش اي حول حافاته وجوانبه ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي يقولون سبحان الله ملتبسين مقترنين بحمده تلذذا بذلك لا تعبدا لان التكليف يزول في ذلك اليوم والجملة حال مترادف بعضها لبعض لترى الملائكة جامعين بين الحفوف والتسبيح والتحميد او متداخل على ان يسبحون حال من ضمير حافين او استيناف لبيان حالهم وانهم ينزهون ربهم داعا عن الانداد وما لا يليق به وقيل المعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذايذهم هو الاستغراق في صفات الحق وعن كعب الاحبار التسبيح للملائكة كالنفس لبني آدم وقضي بينهم بين الخلق بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار واقامة الملائكة في منازلهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم ولا حاجة الى القول بان المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة بالحق قضاء ملتبسا بالعدل مقترنا به بعيدا من الحيف والظلم وقيل الحمد لله رب العالمين على ما قضي بيننا بالحق والقائلون هم المقضي بينهم من المؤمنين والملائكة





وايراد الفعل مجهولا دون معلوم للاختصار ولان هذا الفعل لا يكون الا لهم عن رسول الله عم من قراء سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عايشة رض ان رسول الله عم كان يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن خمس وثمانون وثمانون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم

حم هو اسم الله الاعظم رواه السدي عن ابن عباس وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وعنه ايضا اسم من اسماء الله اقسم به وقال قتادة اسم من اسماء القرآن وقال مجاهد حم فواتح السورة وقال عطاء الخراساني الحاء افتتاح اسمه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح اسمه ملك مجيد منان متكبر مصور ويعضد القولين ما رواه انس ان اعرابيا سال النبي عم ما حم فانا لا نعرفها في لساننا فقال عم بدء اسماء وفواتح سور وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كائن كانهما اشار الى ان معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم اي قضي ووقع وقيل معناه حم امر الله اي قرب نصر الله للاولياء وانتقام من اعدائه كيوم بدر وقيل تعديد الحروف على سبيل التحدي لتعجيز العرب وتبكيتهم وقراء ابن كثير وحفص وقالون وهشام وابو جعفر ويعقوب حم بفتح الحاء والباقون باما لتها وعن ابي عمرو وورش بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لاجتماع الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقراء ومنع صرفه للتعريف والتانيث او التعريف وانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ان كان حم مبتدا خبره تنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب ومن الله صلة للتنزيل وان كان تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا وان كان مقسما به كان تنزيل الكتاب صفته وجواب القسم محذوف مثل انه لكلام معجز او مذكور وهو قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا كقولهم والله ما فعل هذا فلان وفي تخصيص الوصفين بالذكر تنبيه على ما في القرآن من الاعجاز وللحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة وتوطية وتمهيد لما يريد ان يسوق بعد في هذه السورة من حقايق عزته في النصر للاوليائه والانتقام من اعدائه وما في ذلك من دقايق علمه ولطائف حكمته غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة حقيقية لانه اريد بها ثبوت الافعال ودوامها مثل الخلق ورب العرش ولم يرد بها حدوثها وانه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فيكون اضافتها غير حقيقية والمراد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وان يزاوج ما قبله وما بعده لفظا او ابدال وجعله وحده بدلا كما زعم الزجاج بعيد عن استدلال الداية الى تنافر النظم وتشويشه وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة بمعنى الرجوع وقيل جمعها مثل دومة ودوم وعومة وعوم وعن عمر رض انه افتقد رجلا من اهل الشام ذا باس شديد فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله واليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقراها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والطول الفضل بترك العقاب للمستحق وقيل ذي الغنى وقال عكرمة ذا المن من طال عليه يطول طولا اذا امتن عليه وقال قتادة ذي النعم وقيل ذي القدرة وقيل في توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها وقراء عبيد بن عمير الطول بالنصب على المدح لا اله الا هو اي المختص بالالهية المتفرد بها فلا يستحق العبادة احد سواه اليه المصير اي لا يصير العباد في العاقبة الا اليه فوجب عليهم ان يستعدوا للقائه ويخصوه بالعبادة ولا يشركوا به بعض خلقه من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يقدر على شيء ما

ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا لما بيّن جلالة شان التنزيل سجّل بالكفر على المجادلين فيه بالباطل من الطعن والادحاض ازالة
الحق كما نعى عليهم بقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لايضاح ملتبسه وحل عقده واستنباط لطائفه ودقايقه
واطلاع النفس على درر فرايده وغرر فوايده لتنجو بذلك عن غياهب الشكوك وظلمات الاوهام وترد اهل الزيغ به وعنه وتقطع
مطاعنهم فيه فمن اجل الطاعات واعظم المجاهدات في سبيل الله ولذلك قال عم ان جدالا في القران كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على
الحقيقة والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل فلا يغررك تقلبهم في البلاد الخطاب لرسول الله عم او لكل احد اى فلا تنظر
الى ما هم عليه من سعة الرزق والعيش والسير في اقطار الارض ودرك حظوظ الدنيا اغترارا بظاهر ما ترى من اقبالهم
في دنياهم وتبسطهم في الارض وتقلبهم في البلاد الشام واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب المربحة فانهم ماخوذون عما قريب
بكفرهم اخذ من قبلهم من الامم المكذبة لايات الله وانبيائه كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا
على الرسل والانبياء وناصبوهم من بعد قوم نوح كعاد وثمود وفرعون وقراه زيد بن على والخليل فلا يغرك بالادغام
وهمت كل امة وقصدت كل امة من هؤلاء برسولهم قرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته
بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بالاحتجاج به ليدحضوا به الحق ليزيلوا به الحق الذى جاء
به رسولهم فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمتهم وقصدهم يعنى انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم على ارادة اخذه ان اخذتهم
فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم وتشاهدون اثر ذلك وهو تقرير فيه معنى التعجب وهذا تسلية لرسول الله عم
وتهديد لقومه على تكذيبهم وقصدهم به سوءا ومجادلتهم بالباطل وكذلك حقت كلمة ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين
كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى اى مثل ذلك الوجوب وجب
على الكفرة كونهم من اصحاب النار يعنى كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الاخرة او في محل
النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك اولئك الامم التى هى قوم نوح والاحزاب كذلك وجب
اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار والمراد والذين كفروا وقرئ كلمات ربك بالجمع وهى قراءة نافع وابن عامر ولا جعفر وقراه الخليل
انهم اصحاب النار بكسر الهمزة على الاستيناف الذين يحملون العرش ومن حوله حملة العرش والطايفون به هم الكروبيون وهم
سادة الملائكة واول هم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم
عنده وتوسطهم في نفاذ امره وعن ابن عباس حملة العرش ما بين كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وروى ان اقدامهم وطوابقهم
في تخوم الارضين والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت سبحان ذى الملك والملكوت سبحان
الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح وروى ايضا ان ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم
خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة وهم اشد خوفا من اهل السماء التى تليها وهم اشد خوفا
من التى يليها وعن مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجابا من نور وعن جابر قال رسول الله عم اذن لى ان احدث عن ملك
من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عنقه مسيرة سبعمائة عام ذكره البيهقى وعنه عم تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فانكم
لن تقدروا قدره فان من السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك وان ملكا من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية
من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الارض السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا والخالق اعظم من المخلوق
رواه ابن عباس وذكره صاحب الفردوس وفى الحديث ان الله امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا
لهم على ساير الملائكة واجمعت كلمة المفسرين قاطبة على ان العرش هو السرير وانه جسم خلقه الله تع وامر ملائكته بحمله والطواف
كما خلق في الارض بيتا وامر بنى آدم بالطواف به واستقباله في الصلوة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القايمتين

من قوايم

بيان حملة العرش

بيان مقدار العرش

من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقال كعب الاحبار لما خلق الله العرش قال لن يخلق الله خلقا اعظم منى
فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه في كل وجه سبعون
الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصا
والتراب وعدد ايام الدنيا وعدد الملائكة اجمعين فالتوت الحية بالعرش الى نصف الحية وهى ملتوية وعن جعفر بن محمد الصادق
ان العرش يكسى كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه احد من خلق الله والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وسال النبى عم
يهودى هل احتجب الله من خلقه بشىء غير السموات فقال عم بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور وسبعون
حجابا من نار وسبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من رفارف الاستبرق وسبعون حجابا من رفارف السندس وسبعون حجابا من در
ابيض وسبعون حجابا من در احمر وسبعون حجابا من در اصفر وسبعون حجابا من در اخضر وسبعون حجابا من ضياء استضاء من ضوء
النار وسبعون حجابا من ثلج وسبعون حجابا من ماء وسبعون حجابا من غمام وسبعون حجابا من برد وسبعون حجابا من عظمة الله
التى لا توصف وان الملك الذى يليه اسرافيل ثم جبرئيل ثم ميكائيل ثم عزرائيل عم ذكره صاحب الفردوس وعن مجاهد بين السماء
السابعة وبين العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا
ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد
الا وهو يسبح بما لا يسبح به الاخر ما بين جناحى احدهم مسيرة ثلثمائة عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه اربعمائة عام وقال ايضا
لكل واحد من حملة العرش ومن حوله اربعة وجوه وجه ثور ووجه اسد ووجه نسر ووجه انسان واربعة اجنحة جناحان على وجهه مخافة
ان ينظر الى العرش فيصعق وجناحان يهفو بهما ليس له كلام الا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد وقراه ابن عباس العرش
بضم العين والذين يحملون بالواو يسبحون بحمد ربهم ويقولون سبحان الله والحمد لله والجملة في محل الرفع على انه خبر لقوله الذين
يحملون العرش او صلة بعد صلة او حال او استيناف والخبر محذوف يقدر عند قوله ربنا وسعت كل شىء رحمة اى يقولون ربنا وسعت
وقيل يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
ويؤمنون به وصفهم بالايمان مع ان الملائكة لم يكونوا الا مؤمنين اظهارا لشرف الايمان وفضله وتعظيما لاهله وترغيبا فيه مبينين
كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وسياق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين امنوا اشعارا بان
حملة العرش وسكان الفرش في معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة اى لاهل الارض
وفيه تنبيه على ان المشاركة في الايمان يوجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال به انما المؤمنون اخوة
وعن مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين الشياطين ربنا اى يقولون ربنا وهذا
المضمر يحتمل ان يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا وان يكون خبرا كما مر وسعت كل شىء رحمة وعلما اى وسع كل شىء
رحمتك وعلمك فازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شىء وقدم الرحمة
لانها المقصود بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وهى دين الاسلام الاعم
كل احد باتباعه والدخول فيه وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم
جنات عدن التى وعدتهم اياها وكرر ربنا مبالغة فيما يوجب حسن الاجابة به فلا بد من تكريره وتقديمه بين يدى الدعاء مع ما في ذلك
من الارشاد الى كيفية الابتهال الى الله والتضرع اليه ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم في ادخلهم اى و
وادخلهم معهم هؤلاء ليتم سرورهم او في وعدتهم لبيان عموم الوعد وعن سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابى واين
امى اين ولدى اين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة وقرئ جنة عدن وصلح بضم
اللام وذرياتهم بالتوحيد

بيان مقدار ... الملائكة ... العرش

الداخلين الاهل

انك انت العزيز القادر الذى لا يغلب عليه مقدور الحكيم المتقن الذى لا يفعل كلما يفعل الا ما يقتضيه الحكمة البالغة ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات اى العقوبات او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص او تخصيص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد طلبوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة او الوقاية او مجموعهما هو الفوز العظيم الظفر الذى لا مراد للمعرف كنهه لعظمه ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم فحذف الاول لدلالة الثانى عليه اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قيل ظرف للمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيمة كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما راوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا لمقت الله اكبر وقيل ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا اجزاء اعمالهم الخبيثة الا ان يؤول بنحو فى الصيف ضيعت اللبن وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل الحكم وزمان المقتين واحد والمقت اشد البغض فوضع موضع ابلغ الانكار واشده قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم امتنا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة ابتداء او تصييرا كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختار الفاعل احد مفعوليه تصيير وصرفه عن الآخر واحييتنا اثنتين احياءتين الحيوة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انقضاء الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءتان فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا لان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم البعث فهل الى خروج الى نوع من الخروج من النار سريع او بطئ من سبيل طريق فنسلكه ام اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا على حسب ذلك بقوله ذلكم الذى انتم فيه وان لا سبيل لكم قط بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك به فالحكم لله الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال او المستحق للالهية والعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى الكبير من ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم على من اشرك وسوى به بعض خلقه فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم آياته من الريح والسحاب والرعد والبرق وغير ذلك مما يدل دلالة واضحة على وحدة خالقه وقدرته الباهرة وحكمته البالغة وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر وما يتذكر وما يتعظ بآيات الله وقيل بالآيات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من ينيب من ينوب من الشرك ويرجع الى الله لان المعاند لا سبيل الى التذكر والاتعاظ فادعوا الله فاعبدوه مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم وقيل وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم رفيع الدرجات ذو العرش خبران لمبتدأ محذوف ينبئان على وجوب اختصاص الله بان يخلص له الدين والطاعة من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر لارتفاع شأنه وكمال عزته وكبرياء سلطانه وملكوته من غير شركة احد سواه فى ذلك ومثل هذه العظمة والكبرياء موجب العبادة والاخلاص فى الطاعة على كل من من شأنه ذلك والمعنى برفع درجات العابدين المخلصين فى الدنيا بالنصر على اعدائهم وحسن الذكر وفى الآخرة بايوائهم غرف الجنان والنظر الى وجهه الكريم ولعمرى انه لو لم يكن فى رفع الدرجات الا هذا لعنى النظر اليه لكفى به رفعة وفضلا منها لاصحاب الدرجات وقوله ذو العرش اى ربه ومالكه وقيل خبران اخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجاته كالرحيث لا يظهر دونها الكمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل معنى رفيع الدرجات اى رفيع الصفات وقيل رفيع السموات السبع قاله ابن عباس والكلبى وسعيد بن جبير وقيل رفيع مراتب المخلوقات

وقيل

وقيل رفيع مصاعد الملائكة الى العرش وقيل رفيع درجات ثوابه التى ينزلها اولياءه فى الجنة وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده خبر ثالث لزيادة الدلالة على وجوب اختصاصه بان يعبد ويمحض له الطاعة من كل شائبة كدر وقيل خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير وبعث عليه او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ لمختاره للنبوة وانما سمى الوحى روحا لان الخلق يحيون به فى دينهم كما يحيى البدن بالروح وقيل الروح جبرئيل وقال ابن عباس من امره اى من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل من بمعنى الباء اى بامره وانما قال يلقى بلفظ المضارع مع ما فيه من تغيير النظم ليدل على ان القاء الروح عادته لينذر الله او الروح او من يلقى عليه وقرأ ابن عباس والحسن ومحمد بن السميفع لتنذر بالتاء خطابا للمبلغ وهو ايضا غاية الالقاء وهى قراءة يعقوب يوم التلاق اى يوم القيمة لان فيه يتلاقى الخلق والخالق قاله قتادة ومقاتل والارواح والاجساد واهل السموات والارضين والظالم والمظلوم والخصوم والعابدون والمعبودون والوالد والمولود والشاهد والمشهود والعمل والعامل والمعمول وقيل يلتقى الاولون والآخرون على صعيد واحد وعن اليمانى لينذر يوم التلاق برفع اليوم معلوما ومجهولا يوم هم بارزون اى خارجون من قبورهم او اكمة بيانا او ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شئ من اشخاصهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لبروزهم وازاحة لنحو ما يتوهم فى الدنيا من الاستتار بالحيطان والحجب لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما والمعنى انه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يقول الله فى ذلك اليوم بعد فناء الخلق لمن الملك اليوم ولا احد يجيبه فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار الذى قهر الخلق بالموت اليوم وعن ابن مسعود يحشر الناس على ارض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت قيل لما قرر ان الملك لله وحده فى ذلك عدد نتائج ذلك وهى ان كل نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب وقيل كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا العوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها وما موصولة او مصدرية او موصوفة اى بعمل من خير او شر كسبته وتقديم الظرف للاختصاص كانه قال لا تجزى كل نفس بما كسبت الا فى هذا اليوم كقوله انما توفون اجوركم يوم القيمة وقوله انما تجزون ما كنتم تعملون لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ومؤاخذة المطيع والبرئ من الظلم بسبب العاصى والظالم كما يفعل الملوك الظلمة فى الدنيا فان المحسن يوم القيمة يجزى باحسانه والمسئ باساءته ان الله سريع الحساب فانه يحاسب الخلائق كلهم فى وقت واحد فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا كما قال ابن عباس اذا اخذ فى حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الآزفة اى القيمة سميت بالآزفة لازوفها اى لقربها والمراد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فان القلوب ترتفع عن مقارها واماكنها وتلتصق بحناجرهم اى بحلوقهم فلا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولا تخرج فيموتوا ويستريحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا كاظمين حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها او من القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر او من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين فى كونه حالا مقدرة وقرئ بالرفع كاظمون على انهم كاظمون ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع

يطاع ولا شفيع مشفع اى لا شفاعة ولا طاعة على اسلوب قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار نفيا للملزوم بنفي اللازم والضماير ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين اى مسارقة النظر ومنه الحديث ما كان لنبي ان يكون له خائنة الاعين قاله عم حين قيل له هلا اومات لنا بقتل ابن ابي سرح وقال الضحاك هو قول الانسان ما رايت وقد رأى ورأيت وما رأى وقال السدي هو الرمز بالعين وقيل فيه تقديم وتاخير والمعنى يعلم الاعين الخائنة وقيل الخائنة صفة للنظرة اى يعلم النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة اى يعلم خيانة الاعين كاستراق النظر الى ما لا يحل ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعده والجملة خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم اياته مثل يلقي الروح وفايدته الاعلام بانه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء وقراءة الخليل خيانة الاعين وما تخفي الصدور من ضماير القلوب واسرارها والله يقضي بالحق يحكم بالعدل لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي شيء الا وهو حقه وبناء الفعل على المبتدا للحصر ولذا قيل معناه والذي هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالعدل لاستغنائه عن الظلم وقيل والله يجازي بالحق من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على موافقة الفواحش اذا قدر عليها والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بالهتهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضي او لا يقضي وقراه نافع وهشام تدعون بالتاء خطابا للمشركين على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فيثيبك ويعاقبهم والجملة تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم وتعريض بما يدعون من دونه بانها لا تسمع ولا تبصر اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقراه ابن عامر اشد منكم بالكاف واثارا في الارض مثل القلاع والمداين الحصينة والقصور المشيدة والعدد الكثيرة او اراد الكثير اثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من حافظ يحفظهم مما نزل بهم من العذاب ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالشرايع الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوي قدير متمكن مما يريده غاية القدرة والتمكن شديد العقاب لا يؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا هي المعجزات الواضحات الدالة على صدق نبوة موسى وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات او العصا وبيان ذكر انه يجوز ان يراد بسلطان مبين الايات نفسها بمعنى ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد به العصا لانها ام ايات موسى واكبرها وقد اشتملت على معجزات شتى من انقلابها ثعبانا مبينا وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربه بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة الى غير ذلك كما مر بيانه جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل والمزية في باب الاعجاز فلذلك عطفت عليها كقوله تع رب الملائكة والروح وقيل فالعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا وفيه سلوان وتسلية لصدور رسول الله عم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قريش وقيل فيه تسلية له وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا المراد بالحق النبوة وقيل المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم اى اعيدوا عليهم القتل ليمتنعوا عن مظاهرة موسى قال قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك عن قتل الولدان فلما بعث الله موسى اعاد القتل عليهم ليصدهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يحق عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وانما وضع الظاهر موضع المضمر تعميما للحكم وتنبيها على العلة واظهارا للغضب وقال فرعون ذروني اقتل موسى كانوا يكفونه من قتله اذا هم به ويقولون انه ليس الذي تخاف فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا ساحر ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله

لا يعتد ولا يعتبر

ولو قتلته



ولو قتلته ظن الناس انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا للدماء في اهون شيء دليل على انه تيقن انه نبي فخاف من قتله ان يعاجل بالهلاك ويعضده قوله وليدع ربه فانه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته وكان قوله ذروني اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا هول الفزع الذي في نفسه اني اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم اى ان يغير ما انتم عليه من عبادته وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقراه نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالواو وعاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب باو وقراه حمزة والكسائي وابو بكر وابن كثير وابن عامر وخلف بفتح الياء والهاء ورفع الفساد والباقون بضم الياء وكسر الهاء ونصب الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر اى تتابع وتعاون وقراه الاعمش يظهر مبنيا للمفعول وقال موسى لقومه لما سمع بكلام فرعون في قتله اني عذت بربي وربكم اكد الكلام بان وتسمية الجلالة وتكرير الضمير دلالة على زيادة مبالغة في التعوذ بالله واعتصامه بالتوكل عليه وخص اسم الرب اعلاما بانه مالكه الذي يملكه ويتولى اموره ظاهرا وباطنا بالتربية والعصمة من شر اعدائه الذين من جملتهم فرعون وقومه واضافه اليه واليهم تكريرا ليكون تاكيدا لمعنى اختصاص الله بالربوبية العامة وبعثا لهم على موافقته في ذلك فان مثل هذه الربوبية العامة توجب التعوذ والاعتصام على كل مربوب والعدالة عذت بربي الذي هو ربي وربكم ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقراه ابو عمرو وحمزة والكسائي عذت بادغام الذال في التاء ههنا وفي الدخان وعند نافع مثله والباقون بالاظهار بخلاف عن الجعفر من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب اورد لفظ كل وهو للاحاطة والشمول لما ذكر من النكتة وقيل لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو اقبح استكبار وادل دليل على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه ووصفه بعدم الايمان بيوم الحساب تنبيها على كماله في التكبر وعبره بلفظ المضارع المنفي دلالة على استمراره لانه كما ان المضارع المثبت يفيد استمرار الثبوت كذلك المنفي يفيد استمرار النفي وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه وكان قبطيا ابن عم لفرعون امن بموسى سرا او قيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او متعلق بقوله يكتم ايمانه اى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب او خربيل او حزبيل وقراه ابو عمرو وعيسى بن عمر وقال رجل ساكنة الجيم اتقتلون رجلا اتكبون معجلا او اتقصدون قتله وهذا انكار منه عظيم وتوبيخ شديد ان يقول لان يقول او وقت ان يقول على تقدير مضاف محذوف يعني اتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا تامل في امره ربي الله وحده وفي تعريف الطرفين المسند والمسند اليه دلالة بينة على الاختصاص كقولك رفيقي زيد وقد جاءكم بالبينات بالمعجزات العظيمة التي شاهدتموها من ربكم من عند من اضيف اليه الربوبية المطلقة العامة وهو ربكم لا ربه وحده فاضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم اخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه اى فيعود عليه كذبه لا يتجاوزه وباله وضرره وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه ان تعرضتم له وفيه مبالغة في التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب في القول والتصحيح ولذلك قدم الكاذب على الصادق او يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وقال ابو عبيدة اراد بالبعض الكل اى ان قتلتموه وهو صادق اصابكم جميع ما يتوعدكم به من العذاب والاستشهاد بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه وقال الزمخشري ان صحت الرواية عن ابي عبيدة فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات وللنبوة ولما عضده بتلك المعجزات الباهرات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم

لا قتله والظاهر انه اراد المعنى القتل وقيل اليهم الثاني ليلقي عريكتهم ويكسر نخوتهم وعرّض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل
الرشاد والنجاة من العذاب وقيل ما تولى ابو بكر رض من رسول الله عم كان اشد من ذلك طاف بالبيت او كان يصلي بفناء الكعبة فاقبلوا
عليه واخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت الذي تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رض فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون
رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافع صوته وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل
فرعون قال ذلك سرا وابو بكر قاله ظاهرا قال يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض في ارض مصر
فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا
منه احد وانما ادرج نفسه في الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليعلمهم انه معهم ومساهمهم فيما ينصحهم به وقيل في قوله يا قوم
دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم الى نفسه قال فرعون ما اريكم ما اشير عليكم برأي الا ما ارى الا بما ارى من قتله يعني لا استصوب
الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد طريق الصواب او وما اعلمكم الا ما علمت من
الصواب وقلبي ولساني متواطئان على ما اقول وقرئ الرشّاد بتشديد الشين على انه فعّال للمبالغة من رشد بالكسر كعلّام او من رشد بالفتح
كعبّاد لا من ارشد كجبّار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعوّاج وبتّات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم
في تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعني وقايعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم وقيل
اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذكره كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود محمول على حذف مضاف اي
مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر والتكذيب وساير المعاصي وقيل اي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى اتاهم العذاب وهو عطف
بيان لمثل الاول لان آخر ما تناوله الاضافة قوم نوح كقولك دمّر الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود وقرأه للقبيل وثمود بالجر والتنوين
والذين من بعدهم كقوم لوط واصحاب مدين وما الله يريد ظلما للعباد فلا يهلكهم الله الا بالعدل وبعد الزام الحجة وتأكيدا ببعثة
الرسل حين استحقوا الاهلاك بارتكاب الكفر والمعاصي وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من بعد عن
ارادة الظلم كان عن الظلم ابعد وحيث نكّر الظلم لانه يفيد انه لا يريد شيئا من الظلم لاحد من عباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى
لعباده الكفر اي لا يريد لعباده ان يظلموا يعني انه اهلكهم لانهم كانوا ظالمين ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة الذي ينادي
فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور ويتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في سورة الاعراف وقرئ حكي باد
بالتشديد وهو ان يندّ بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه وقال الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندّوا هربا فلا يأتون قطرا
من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فبيناهم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب
يوم تولون مدبرين منصرفين عند موقف الحساب الى النار او فارين عن النار غير معجزين ما لكم من الله من عاصم يعصمكم
من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه سواء الصراط ويخلصه من الضلال ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب
على ان فرعون موسى عم او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد او يوسف بن ابرهيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين
سنة وحكى النقاش عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف والجمهور على ان فرعون موسى هو فرعون يوسف
عمّر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وقيل الفراعنة ثلثة اولهم سنان بن علوان وهو فرعون ابرهيم الخليل عم والثاني الريان بن الوليد
وهو فرعون يوسف عم والثالث الوليد بن مصعب وهو فرعون موسى عم من قبل من قبل موسى عم بالبينات بالمعجزات وقيل يعني
قوله عم أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين او من البينات واليه ذهب الزمخشري
حيث قال وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين حتى اذا هلك اي مات قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان الله لا يبعث بعده رسولا مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث

الله

صفة مصدر محذوف مفعول يضل الله اضلالا مثل ذلك الاضلال

الله بادخال همزة الاستفهام على حرف النفي على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان
من هو مسرف مرتاب شاك في دين الذي يشهد به البينات بغلبة الوهم والانهماك في التقليد وقيل اي مثل هذا الخذلان المبين يخذل
الله كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه وقيل كل مشرك شاك في وحدانية الله تع الذين يجادلون في آيات الله بدل من من هو
مسرف مرتاب لانه بمعنى الجمع كانه قال كل مسرف بغير سلطان بغير حجة مستندة الى السمع من جهة الوحي او العقل او
علم ضروري بل اما بتقليد لآبائهم الضلال او شبهة داحضة اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فاعل كبر ضمير العائد
الى من هو مسرف حملا على اللفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او
او بغير سلطان وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار كلاما مستانفا
للدلالة على الموجب لجدالهم وفي كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها الا ترى ان المعنى ما اكبر مقتا جدالهم و
وما اغلى نابا بواؤها كليب ففي التعجب الاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكباير لان التعجب لا يكون الا من
شيء خارج عن نظايره واشكاله ونصب مقتا على التمييز ليدل على ان جدالهم مقت خالص لا تشوب فيه لفرط تمكن المقت
منه واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وابلغه وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه مركزهما
ومنبعهما كقولك رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب والباقون
باضافة القلب الى المتكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء ظاهرا عاليا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشيء اذا
ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها وكل ما اداك الى الشيء فهو سبب اليه كالرشاء
ونحوه وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق السامع الى معرفتها وقرأ الكوفيون ويعقوب لعلي بسكون الياء على
الاصل والباقون بفتحها للتخفيف فاطلع الى اله موسى قرأ حفص فاطّلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها له بالتمني
وانما شبه لعل بليت لان فرعون كان يدعي ان البلوغ الى اسباب السموات مرجو لذكره بلفظ لعل وكان ذلك محالا فصار
لعل مشابها لليت في المعنى واستعماله في موضع المحال لان لعل لا يستعمل في المحال اذ لا يقال لعل الشباب يعود وانما يستعمل فيه ليت ولذلك
جاز اضمار ان بعد الفاء في قوله فاطلع لان التمني من احد الاشياء الستة التي تضمر ان بعد الفاء في جوابها الا الترجي وهي الامر والنهي
والنفي والاستفهام والتمني والعرض وذلك مثل اذكر الله فيذكرك حقا ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ولا يقضى عليهم فيموتوا فهل
لنا من شفعاء فيشفعوا لنا يا ليتني كنت معهم فافوز الا تنزل فتصيب خيرا والباقون فاطلع بالرفع عطفا على ابلغ وقرأ
ابو البرهسم فاطلع بالتخفيف وعبيد بن عمير فاطلع بالرفع قيل ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال
الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تع اياه وان يرى فساد قول موسى
بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان
وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وقيل فيما يقول ان له ربا غيري وكذلك ومثل ذلك
التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تع ويدل عليه
قراءة من قرأ وزين مبنيا للفاعل وبالتوسط الشيطان وفي الحديث خلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شيء وقرأ
الكوفيون ويعقوب وصد بضم الصاد والباقون بفتحها على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ويعضده قوله وما كيد فرعون الا في تباب في خسار وهلاك وقرأ طلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب وصدوا بفتح الصاد والجمع
وعبد الرحمن ابن ابي بكرة والخليل بضم الصاد وبالجمع ويحيى وصدوا بكسر الصاد والجمع مثل ردّوا وقال الذي آمن هو مؤمن
من آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض

شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي وقرأ قالون وورش وابو جعفر اتبعون باثبات الياء وقال ابو بردة قرأ
معاذ اتبعوني بفتح الياء وقرأ الخليل سبيل الرشّد بالتشديد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع قليل لقلة نفاذها وسرعة فنائها وان الآخرة
هي دار القرار للخلود الابد الابدي من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن مخلص في ايمانه غير منافق فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب بغير
تقدير وموازنة بالعمل بل ما لا يدرك كنهه ولا يحيط به الوصف لفرط كثرته فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمل وجعل الجزاء
جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل
وان ثوابه اعلى من ذلك وعن ابن عباس ومن قال لا اله الا الله وهو مصدق لله بقلبه وللانبياء فاولئك يدخلون الجنة وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص ونافع وابن عامر وخلف ورويس يدخلون بفتح الياء وابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب بضمها مبنيا للمفعول
مطابقا لقوله يرزقون ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار ادعوكم في محل النصب على انه حال من معنى الفعل في ما لي اي ما اصنع
داعيا اياكم الى النجاة كقولهم ما لك قائما بمعنى ما تصنع قائما والمعنى اي شيء لي او اي غرض لي ان ادعوكم الى النجاة واي غرض لكم في ان تدعوني
الى النار وقرأ الكوفيون ونافع وابو جعفر ما لي بسكون الياء على الاصل والباقون بفتحها وقيل فتحها نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام
والباقون بسكونها رفقا للخفة وكرر نداء قومه لزيادة التنبيه والايقاظ لهم عن سنة الغفلة وللمبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحهم وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا
او تعريضا وعلى الاول تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به
اي بربوبيته علم اراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها وقيل والمراد نفي المعلوم و
والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان واعتقاد لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الى البليغ القدرة والغلبة
على الانتقام من الكفرة والمشركين البليغ للمغفرة والستر لذنوب المؤمنين والموحدين وقيل الى المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة
والغفران لا جرم لا رد لما دعاه اليه قومه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله ان مع اسمه وخبره وهو قوله انما تدعونني اليه ليس
له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب بطلان دعوة آلهتكم لانها جمادات ليس لها دعوة الى طاعتها قط في الدنيا والآخرة
ومن حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها
وكان فرعون يدعو الناس اولا الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ثم دعى
باخرى لتعبد ويجوز ان يكون جرم بمعنى كسب وفاعله مستكنا فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان
دعوته وقيل فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدّا من لا بد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة
لا ينقطع ذلك في وقت ما فينقلب حقا ويتضره قول العرب لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد
وعرب ورشد ورشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين في الكفر والشرك والمعاصي هم اصحاب النار ملازموها لا يغيبون
عنها فستذكرون فسيذكر بعضكم عند معاينة العذاب وقرأ الخليل فستذكرون مجهولا ما اقول لكم من النصيحة وافوض امري الى الله ليعصمني
من كل سوء والتفويض التسليم وترك المنازعة وهو آخر العلم بالله واوله معرفته قال ابن مسعود قال النبي عم اول العلم معرفة الجبار عز وجل
وآخره تفويض الامر اليه روي انهم توعدوه لمخالفته دينهم فقال ذلك ان الله بصير بالعباد عالم باقوال العباد واعمالهم واحوالهم
فيعلم المحق من المبطل ويجازيهم على حسب ذلك ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد
مكرهم وما قصدوا به من الشر وقال قتادة نجا مع موسى عم وكان قبطيا وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واكتفى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك او بطلبة المؤمن من قومه لانه فر الى الجبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم

سوء العذاب

سوء العذاب الغرق والقتل في الدنيا والنار في الآخرة النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر المبتداء محذوف
ويعرضون استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل وقرئ النار بالنصب على الاختصاص او باضمار فعل يدل
عليه يعرضون تقديره يدخلون النار يعرضون وعرضهم عليها احراقهم بها من عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وذلك للارواح
كما قال ابن مسعود ارواح آل فرعون في اجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون
هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي يعرض كل كافر على النار بكرة وعشيا ما دامت الدنيا ويجوز
ان يكون ذلك لارواحهم واجسادهم فان الآية مما يستدل العلماء به على حقيقة عذاب القبر ولا شك ان ارواحهم ليست في قبورهم
وانما فيها اجسادهم ولذلك قالوا في جواب من انكر عذاب القبر لان الميت جماد لا حيوة له ولا ادراك يجوز ان يخلق الله تع في جميع الاجزاء او في
بعضها نوعا من الحيوة قدر ما يدرك الم العذاب وهذا لا يستلزم اعادة الروح الى بدنه ولا ان يتحرك ويضطرب او يرى اثر العذاب عليه
حتى ان الغريق في الماء والماكول في بطون الحيوانات والمصلوب في الهواء يعذب وان لم نطلع عليه والكل عبارتهم ويعضد هذا الجواب
قول النبي عم ان الموتى ليعذبون في قبورهم حتى ان البهائم لتسمع اصواتهم وعن ابن عمر رض قال النبي عم اذا مات احدكم عرض عليه
مقعده بالغداة والعشي ان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان من اهل النار فمن اهل النار ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة
وقال عم ان القبر ضغطة ولو كان احد ناجيا منها لنجا سعد بن معاذ فان قلت بين لي مقر الارواح بعد مفارقتها الاجساد قلت
ان ارواح الكافرين لفي سجين وهي الارض السابعة السفلى وارواح المؤمنين في السماء السابعة قال رسول الله عم ان ارواح
المؤمنين في السماء السابعة ينظرون الى منازلهم في الجنة وقال عم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تغدو الى رياض الجنة
ثم يكون مأواها الى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تع اتعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتموها فيقولون لا الا وددنا انك
اعدت ارواحنا في اجسادنا حتى نقاتل مرة اخرى فنقتل في سبيلك وفيه ايضا دليل على تنعيم اهل القبور وذكر الغدوة والعشي
يحتمل التخصيص بحكم التنعيم على انهم يعذبون بالنار في هذين الوقتين وفيما بينهما ينفس عنهم او يعذبون بجنس آخر من العذاب او بالنار
في جميع الاوقات والله اعلم باحوالهم ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون
يا آل فرعون على حذف حرف النداء اشد العذاب اشد عذاب جهنم او عذاب جهنم لانه اشد مما كانوا فيه وقرأ ابن كثير وابن عامر
وابو عمرو وابو بكر الساعة ادخلوا بوصل الهمزة من الدخول على امرهم بدخولهم النار والباقون ادخلوا بقطع الهمزة على امر الملائكة
بادخالهم النار واذ يتحاجون في النار واذكر وقت يخاصم بعض اهل النار بعضا فيها ويجوز ان يكون عطفا على غدوا فيقول الضعفاء
للذين استكبروا تفصيل لمخاصمتهم انا كنا لكم تبعا اتباعا في الدنيا فيما دعوتمونا اليه من الكفر والمعاصي كخدم جمع خادم او ذوي تبع
بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز او وصفا بالمصدر للمبالغة كقول الخنساء انما هي اقبال وادبار فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا فيكون من صلة مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم في النار فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا
وقرئ انا كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه تقديره كلنا برفع اللام في المشهورة وبنصبها في هذه
الشاذة وهي قراءة ابن السميفع وعيسى بن عمر ولا يجوز ان يكون حالا من المستكن في فيها لان الظرف لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف
المتقدم تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار ولا تبديل لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها اي للقوام بتعذيب اهلها فوضع جهنم موضع الضمير للتهويل و
والتفظيع او لتقرير محلهم فيها او لبيان ابعد دركاتها قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه يلقي
الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في خلف الاحمر قليذم من العيالم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم

فلعل الملائكة الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل النار بطلب الدعوة منهم ادعوا ربكم
يخفف عنا يوما قدر يوم اذ لا يوم هنالك ولا ليل من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن
العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات بالحجج والمعجزات وانما قالوا بهذا السؤال على سبيل الاستفهام الزامهم للحجة وتبكيتهم
وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء والتضرع وتعطيلهم الاسباب التى يستجيب الله لها الدعوات قالوا بلى اى قالوا بلى قد اتتنا
رسلنا بالبينات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك اذ لم نؤذن فى الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين
الا فى ضلال فى ضياع لا يجاب واقام المظهر مقام المضمر تصريحا بالسبب فى امتناع اجابة دعائهم انا لننصر رسلنا والذين امنوا بالحجة والظفر
والانتقام لهم من اعدائهم الكفرة والمشركين فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اى فى الدنيا والاخرة يعنى انهم يغلبهم على اعدائهم فى
الدارين جميعا باحد هذه الوجوه من الحجة والغلبة والانتقام وكلها ادجع شاهد كتجار وابرار وناصر وانصار والمراد بهم الانبياء
والملائكة والمؤمنون فانهم يقومون يوم القيمة للشهادة على الناس وقيل هم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار
بالتكذيب وعن قتادة الملائكة والانبياء وقرأ الاعرج وابو عمرو برواية الحلوانى تقوم بالتاء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
عنهم بيانه
بدل من اليوم الاول وعدم نفع معذرتهم لانها لم تقبل منهم وقيل ان معذرتهم عن كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم ينفعهم وقرأ
اعتذارهم
الكوفيون ونافع وقنبل لا ينفع بالياء للفصل ولان تانيث المعذرة غير حقيقى ولانها فى معنى العذر او الاعتذار والباقون بالتاء
اعتبارا للتانيث الظاهر ولهم اللعنة واللعنة مختصة بهم اى البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار سوء دار الاخرة وهو عذابها
ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والالواح والتورية والشرايع وقال مقاتل هدى من الضلالة يعنى التورية
كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعد التورية هدى هداية وما يهتدى به
من اتبعه منهم وذكرى تذكرة لهم او مذكرا يتذكرون به وانتصابهما على المفعول له او الحال لاولى الالباب لذوى العقول السليمة وهم
المؤمنون به العاملون بما فيه من غير تحريف ولا تبديل فاصبر على احتمال البلايا فى طاعة الله وتجرع الغصص والاذية من اعدائك
ان وعد الله حق ان ما وعدك الله به من نصرك واظهار كلمتك على الدين كله حق لم يحم حوله باطل ولا كذب واستشهد بحال موسى وفرعونها
فانا كما نصرناه عليهم ننصرك عليهم واستغفر لذنبك واقبل على التقوى فى امر دينك وتدارك فرطاتك بترك الاولى والاهتمام بامر العدى
بالاستغفار فانه تعالى كافيك بالنصر واظهار الامر وقيل واستغفر لذنب امتك على حذف المضاف وقيل واستغفر الله من ذنب صدر
منك قبل النبوة وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل بهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين
بكرة وركعتين عشيا وقال ابن عباس يعنى الصلوات الخمس ولعله امره بالاستغفار والتسبيح والتحميد بعد ذكر الوعد بالنصر
وابقانا الوعد كانها اسباب الهداية وقيل يشغل بذلك عن استعجال النصر وقرئ الغليل والابكار بفتح الهمزة ان الذين يجادلون فى ايات
الله بغير سلطان اتيهم عام فى كل مجادل مبطل وان نزلت فى مشركى قريش او اليهود ان فى صدورهم الا كبر الا تكبر عن قبول الحق وتعظم
اياهم
عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة وان النبوة والملك لا يكون الا لهم او ارادة دفع الايات بالجدال ما هم ببالغيه ببالغى مقتضى ذلك
الكبر لان الله مذلهم او ببالغى دفع الايات او المراد والجمهور على ان المجادلين هم اليهود فانهم قالوا للنبى عم لست صاحبنا وانما
صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج فى اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ويرد الينا الملك فسمى
الله تمنيهم كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ الى الله من كيد من يحسدك ومن فتنة الدجال انه هو السميع لما تقول ويقولون
البصير بما تعمل ويعملون لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها وبسطتها اولا من غير اصل
كان على خلق الانسان مع صغره ومهانته ثانيا من اصل اقدر وهو حجة عليهم فى جدالهم فى ايات الله الذى كان مشتملا على انكار البعث
وهو اصل جدالهم ومداره والمعنى لخلق العالم مع عظمه فى الصدور من خلق الناس اى من اعادتهم بعد الموت ولكن اكثر الناس يعنى الكفار
لخلق بيانه

لايعلمون

لا يعلمون لا ينظرون فيها نظر العلماء المتصفين حتى يستدلوا بذلك على توحيد صانعها وقدرته الباهرة وحكمته البالغة وقال جماعة من المفسرين
فى قوله اكبر من خلق الناس اى اعظم من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعنى اليهود الذين يخاصمون فى امر الدجال وقال هشام
بن عامر سمعت رسول الله عم يقول ما بين آدم الى قيام الساعة خلق اكبر من الدجال وقالت اسماء بنت يمسك السماء قطرها ... ثلث من
والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثى قطرها والارض ثلثى نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلا يبقى ذات
ظلف ولا ذات ضرس من البهائم الا هلك وان من اشد فتنته انه ياتى الاعرابى فيقول ارايت ان احييت لك ابلك الست تعلم انى ربك
قال فيقول بلى فيتمثل له نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا واعظم اسنمة وياتى الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك
اخاك الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه قالت ثم خرج رسول الله عم لحاجته ثم رجع والقوم
خرجت
فى اهتمام وغم مما حدثهم فاخذ بلحمتى الباب وقال مهيم اسماء قلت يا رسول الله لقد خلعت افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج
وانا حى فانا حجيجه والا فان ربى خليفتى على كل مؤمن قالت اسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف
بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزى اهل السماء من التسبيح والتقديس وقالت قال عم يمكث الدجال فى الارض اربعين سنة
السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة فى النار وعن انس قال النبى عم ما من نبى الا وقد انذر امته
حروف يقرئ
الاعور الكذاب الا وانه اعور وان ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه ك ف ر اتفق عليه البخارى ومسلم وقال ابن عمر قام رسول
الله عم فى الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال انى لانذركموه وما من نبى الا انذره قومه لقد انذره نوح عم قومه ولكنى ساقول
لكم فيه قولا لم يقله نبى لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور وقال عبد الله ذكر الدجال عند رسول الله عم فقال ان الله لا يخفى عليكم
ان الله ليس باعور واشار بيده الى عينيه وان المسيح الدجال اعور عين اليمنى كان عينه عنبة طافية وعن حذيفة قال رسول الله عم
ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن ادرك ذلك منكم
فليقع فى الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب وعن ابن عباس انس قال النبى عم ليس من بلد الا سيطاه الدجال الا مكة والمدينة ليس من نقابها
الا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة باهلها ثلث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق وعن ابى هريرة قال رسول
الله عم ياتى المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر احد ثم يصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك وعن
ابى سعيد الخدرى قال رسول الله عم يتبع الدجال من امتى سبعون الفا عليهم السيجان ويروى ابو امامة عن رسول الله عم
قال مع الدجال يومئذ سبعون الف يهودى كلهم ذو ساج وسيف محلى وما يستوى الاعمى والبصير الغافل والمستبصر الجاهل
والعالم والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ والمحسن والمسئ فينبغى ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى ما بعد
البعث وزيادة لا فى المسئ لتاكيد النفى وقيل لان المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما تذكرون
حيث يتركون الحق ويتبعون الباطل والضمير للكفار وقيل للناس وقليلا صفة لمصدر محذوف اى يتذكرون تذكرا قليلا و
وما مزيدة لتاكيد القلة ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف لانه من صفة الاحيان والعامل ما يليه والتذكر الاتعاظ والاعتبار
وقرأ الكوفيون تتذكرون بالتاء على تغليب المخاطب والالتفات او امر الرسول بالمخاطبة والباقون بالياء بناء على ما قبله من
اى قل لهم تتذكرون
الغيبة ان الساعة لاتية لا ريب فيها لا شك فى مجيئها لانه لا بد لظهور حال الفريقين الا بوقوعها وليعلم الذين جحدوها انهم كانوا كاذبين
وقيل لا ريب فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها وقيل لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب
فيها لانه لا بد من جزاء ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لكمال جهلهم بها وفرط غفلتهم عنها وقصور نظرهم على ظاهر ما يحسونه به
وقال ربكم ادعونى اعبدونى دون غيرى استجب لكم اثبكم بدليل قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين

السيجان جمع ساج وهو الطيلسان ١٢

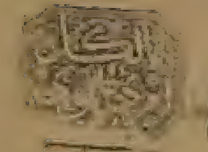
صاغرين ذليلين وان اريد بالدعاء السؤال كان الاستجابة بمعنى الاجابة دون الاثابة وكان عبادتي بمعنى دعائي لان الدعاء باب من العبادة ويؤيده ما روى جابر ان النبي عم قال ان الله تع يدعو بعبده يوم القيمة فيقول الا قلت ادعوني استجب لكم فهل دعوتني فيقول نعم فيقول ارايت يوم نزل امر كذا وكذا مما كرهت فدعوتني فعجلت لك في الدنيا فيقول نعم ويقول دعوتني يوم نزل بك فلم تر فرجا قد ذخرته لك في الجنة حتى يقول العبد ليته لم يستجب له في الدنيا دعوة وعن انس قال النبي عم ان الله تع ليحيي قلب المؤمن بالدعاء ويعضد الوجه الاول وهو ان الدعاء بمعنى العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم الآية وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وعن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله عم يقول اعطيت امتي ثلثا لم تعط الا الانبياء كان الله اذا بعث النبي قال ادعوني استجب لكم وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي عم قال ما جعل عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله اذا بعث النبي عم جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وفي سننه قال عم من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وعنه عم لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر ذكره الترمذي والقزويني وابن حبان وعن انس قال النبي عم ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى في شسع نعله اذا انقطع وعن ابي سعيد قال النبي عم ان الله تع ليمسك عن عبده الخير الكثير ويقول لا اعطي عبدي حتى يسالني وقيل للثوري ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين وقرا ابن كثير ادعوني بفتح الياء والباقون بسكونها وقرا ابو بكر وابن كثير وابو جعفر ورويس عن يعقوب سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات وهدو الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل او لمتفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه عليه لفرط جهلهم به وتكرير الناس لتخصيص الكفران بالنعم بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به نفسه من صفات يتفرد بها لا يشاركه فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها اي هو الجامع لهذه الصفات من الالهية والربوبية وايجاد كل شيء والوحدانية لا ثاني له ولا شريك له في شيء من الاشياء وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالتقرير للاختصاص بالالهية كقولنا الكعبة تلك القبلة لا قبلة الا هي وقيل كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان التي هي جمادات هي احقر خلق الله واعجزهم وانقصهم وقراءة طلحة بن مصرف يؤفكون بالياء كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اي كما افكوا يؤفك عن الحق كل من يجحد بايات الله ولم يتاملها ولم يكن فيهم همة طلب الحق وخشية العاقبة الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض وهذه دلالة ثانية على تفرده بافعال اخر خاصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات وهو ماخوذ من قول ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه وقال مقاتل خلقكم فاحسن خلقكم وقيل اي خلقكم في احسن صورة فانه لم يخلق حيوانا احسن صورة من الانسان والظاهر ان التصوير مسند الى الله تحقيقة والى الملك مجازا لان افعال العباد خلق الله حقيقة والجائي هو الملك لقوله عم اذا مر بالنطفة اثنان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها الحديث وقد ذكر بتمامه في سورة الحج وقرئ بكسر الصاد وهو لغة ورزقكم من الطيبات اللذائذ وقيل من رزق غير الدواب ذلكم الله ربكم خالقكم الذي لا شريك له في تلك الصفات فتبارك الله رب العالمين اي فتزايد خير الله رب كل مربوب

وتكاثر

وتكاثر اوتزايد عن كل شيء رباه وخلقه وتعالى عنه في صفاته وافعاله هو الحي هو المتاثر بالحيوة الذاتية المختص بها لا اله الا هو المتوحد المتفرد بالالوهية وصفاتها فادعوه فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك وانسان فضلا عن جماد لا يعقل ولا ينفع مخلصين له الدين مخلصين له الطاعة من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر الحمد لله رب العالمين قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس رضه من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او الآيات لانها مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله تع اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم كمال قوتكم في البدن والعقل والتمييز واللام متعلق بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا اشدكم وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا بالتوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل بلوغ الاشد والشيخوخة كما تشاهدون ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وقتا محدودا معلوما هو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج وقراءة الخليل من يتوفى مبنيا للفاعل وهو الله تع كقوله الله يتوفى الانفس هو الذي يحيي ويميت يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيمة ويميت الاحياء فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة وقيل فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما ذكر من افعال الله الدالة على انه مقتدر لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء واسرعه الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتاكيد وقيل كيف صرفوا عن دين الحق وعن محمد بن سيرين وجماعة من المفسرين انها في القدرية وعن عقبة بن عامر قال النبي عم نزلت هذه الآية في القدرية الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من ساير الكتب او الوحي والشرايع فسوف يعلمون صدق ما كذبوا به حين عاينوا العذاب المعد لهم على تكذيبهم او جزاء تكذيبهم وهو وعيد وتهديد اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدا خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها او هو حال على الاول وقرئ والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الجملة الفعلية على الاسمية وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمار للباء بدليل قراءة من قرأ وبالسلاسل يسحبون باظهار الباء والحميم الماء المتناهي في الحر وقيل الصديد ثم في النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير اي الصديق كانه يسجر بالحب اي يملى ومعناه يعذبون بانواع العذاب وينقلون من بعضها الى بعض وقال مقاتل معناه يوقد بهم النار وقال مجاهد يصيرون وقود النار وقيل معناه تملأ بهم النار وقال الزمخشري معناه انهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار اي مملوة بها اجوافهم ومنه قوله تع نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم اجرنا من النار يا مجير ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله وقعت ما موصولة في خط المصحف باين وكان حقها ان تفصل لانها موصولة يعني اين الآلهة التي كنتم تشركون قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعو من قبل شيئا بل تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كقولك حسبت فلانا شيئا فاذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا كذلك مثل ضلال آلهتهم عنهم يضل الله الكافرين يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بسبب ما كان لكم من الفرح والمراح او بما كنتم تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاصنام وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة وقال [illegible] والمراح الفرح العدوان

ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق النبيّ المستخفين
به مثواكم او جهنم وكان مقتضى النظم ان يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زُرْتُ بيتَ الله فنعم المزار وصلّ في المسجد الحرام فنعم المصلى
ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبّر بالمثوى فاصبر ان وعد الله حق بنصركم واعلاء كلمتك واهلاك اعدائك من الكفار
والمشركين فاما نرينك نريك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم
من العذاب وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام والفاء جواب نتوفينك
واما جواب نرينك فمحذوف مثل فذاك وهو تحت قدرتنا لا يفوتنا وجوّز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فان نعذبهم في
الاخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض قراءة طلحة ترجعون بضم التاء والخليل يرجعون بفتح الياء ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك التنكير فيه للتعظيم والتكثير منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قال النبي عم في رواية عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا وعن انس قال النبي عم بُعثتُ على اثر ثمانية آلاف نبي منهم اربعة آلاف من
بني اسرائيل ذكره الفردوس في حرف الباء وعن علي رض ان الله بعث نبيا اسود فهو ممن لم يقصص عليه والذين ذكر الله قصصهم في القرآن العظيم
اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله هذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله عنادا يعني انا قد ارسلنا رسلا ذوي عدد
كثير وآيات عظام وما كان لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فليس لمحمد عم ان يأتي بآية مما تقترحونه الا من بعد ان يأذن الله له في الاتيان بها
وقيل فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله
بالعذاب في الدنيا والآخرة وهو كما ترى وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات قضي بالحق بانجاز الوعد بانجاء المحق واهلاك المبطل وبالحق في موضع
الحال او صفة لمحذوف اي قضاء ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات وقد اتتهم
الآيات وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وسمّوها سحرا مبينا الله الذي جعل لكم الانعام اي الازواج الثمانية وقيل الابل
خاصة لتركبوا منها ومنها تأكلون لان من جنس ما يؤكل وهو الغنم والمعز ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع من
الالبان والجلود والاوبار وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمهاجرة والمسافرة عليها من بلد الى بلد لاقامة الدين او طلب علم
او رزق حلال او فرار من معصية او اهلها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون الجملة عطف على الجملة المتقدمة اعني قوله ولكم فيها منافع
وانما تحول الحمل بعلى ولم تُستعمل بفي كقوله قلنا احمل فيها لتقارب معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء وصحتهما ومرا وجاله وتغيير النظم في الاكل لانه
في حيز الضرورة اذ يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكون لاغراض دينية واجبة او مندوبة كما فسرنا او للفرق بين العين
والمنفعة ويريكم آياته ويبصركم او يعلمكم دلائله الواضحة وحججه النيرة على وجوده ووحدته وعظيم قدرته وبالغ حكمته فاي آيات الله
فاي آية من آياته التي اريتكموها وقد جاءت على اللغة الكثيرة الدور على السنتهم واستعمالاتهم فان قولك فاية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر
والمؤنث في الاسماء غير الصفات مثل حمار وحمارة وبقر وبقرة وهي في اي اغرب لابهامه تنكرون فانها لكمال ظهورها لا يقبل الانكار وهو
ناصب ايا اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ثم قال حال المنكرين
لآيات الله من الامم المتقدمة كعاد وثمود وقوم لوط وهو تقرير لسيرهم في اطراف الارض ونظرهم في آثار المنكرين قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم من قصورهم ومصانعهم ونحوها وقيل آثار اقدامهم من مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة بما يليه تقديره فاي شيء اغنى عنهم والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة
به يعني اي شيء نفعهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم
واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الباطلة وشبههم الفاسدة كقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهي قولهم لا نبعث ولا نعذب
وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وسماها علما
على زعمهم



على زعمهم تهكما بهم او علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان من علم الطبايع والتنجيم والمنطق والرياضي وهو ثلثة علم الحساب والهندسة
وعلم هيئة العالم ونحو ذلك كالسحر والطلسمات وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم رسل الله وانبيائه الى علمهم وعن سقراط
انه سمع بموسى عم فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا او علم الانبياء وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم
به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ويجوز ان
يجعل الفرح للرسل فانهم لما راوا تمادي جهل الكفار واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم
فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم وان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا ومعرفتهم
بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات
وهي ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم
انفع واجلب للفوايد من علمهم ففرحوا به فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تع بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما
كنا به مشركين اي بالاوثان التي اشركناها في العبودية فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ لمعاينتهم العذاب
ولذلك قال فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء في قوله فما اغنى عنهم لانه نتيجة قوله كانوا اكثر منهم وفي قوله فلما جاءتهم لانه كالبيان و
التفسير له وفي قوله فلما راوا باسنا لان رؤية الباس مسببة عن مجيء الرسل وفي قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لان امتناع نفع الايمان مسبب

عن رؤية الباس سنة الله التي قد خلت في عباده سنة الله اسم وضع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم
كانه قيل سن الله ذلك سنة ماضية في عباده وهو امتناع نفع الايمان واستحالة قبوله عند رؤية باسه وشدة عذابه فهي من اسماء غير مصادر
اجريت مجرى المصادر المؤكدة مثل وعد الله وصبغة الله وصنع الله وسبحان الله وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان استعير
للزمان اي وخسر الكفار وقت رؤيت الباس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق اي وخسر
المبطلون وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن النبي عم من قرا سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن
الا صلى عليه واستغفر له وعنه عم لكل شيء ثمرة وثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن احب ان يرتع
في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقال عم مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب ذكره الثعلبي سورة السجدة مكية ثلث او اربع
وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل مبتدا خبره تنزيل من الرحمن الرحيم احتيج الى اضمار مثل تنزيل حم تنزيل
من الرحمن والجار صلة للتنزيل وان جعل تعديدا للحروف على طريق التحدي فتنزيل خبر مبتداء محذوف او مبتداء لتخصصه بالصفة وخبره
كتاب وهو على الاولين بدل من تنزيل او خبر آخر او خبر محذوف وان جعل مقسما به كان تنزيل صفة له وجواب القسم محذوف يدل عليه
قوله كتاب كانه قيل انه لكلام معجز كتاب فصلت آياته وقيل لعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب
متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت وجعلت
تفاصيل في معان مختلفة من التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص وغير ذلك او جعلت فصولا سورة سورة وآية آية وفصل فيها طرق
الهدى من طرق الضلالة وما يحتاج اليه الامة في ابواب الديانة اي بين ولخص او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فرقت بين الحق
والباطل والمحق والمبطل وبين الغافل والمستبصر وقرئ فصلت اي فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين
الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت او على الحال اي فصلت
آياته في حال كونه قرآنا عربيا قراءة اليماني قرآن عربي بالرفع على المدح لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وقال الضحاك يعلمون ان
القرآن يعلمون منزل من عند الله وقال مجاهد يعلمون انه اله واحد في التورية والانجيل والزبور وقيل لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم
من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت اي تنزيل
من الله لاجلهم

او فصّلت آياته لهم والاوّل اولى لوقوعه بين الصفات اى قرآناً عربيّاً كائناً لقوم عرب بشيراً ونذيراً للعاملين به والمخالفين له وقرئ
بشيرٌ ونذيرٌ بالرّفع على الصّفة لكتاب او الخبر لمبتداء محذوف فاعرض اكثرهم عن قبوله واذعانه وتأمّله فهم لا يسمعون سماع قبول وطاعة
وتدبّر ولا يصغون اليه تكبّراً وقالوا قلوبنا في اكنّة ممّا تدعونا اليه اى في اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم فلا نفهم ما تقول ولا نسمعه
واصله الثقل وقرئ بكسر الواو ومن بيننا وبينك حجاب ساتر وحاجز منيع يمنعنا عن التلاقي والتراقي ومن ابتدائيّة تفيد ان
الحجاب مبتداه منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسّطة ولم يبق فراغ فيها وهذه تمثيلات لنبوّ قلوبهم عن ادراك الحقّ الذي يدعوهم
اليه وتقبّله واعتقاده كانّها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها ومجّ اسماعهم له كانّ بها صمماً عنه وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرّسول
كانّها بها
وقيل حجاب اى خلاف في الدّين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول وقيل ان اباجهل استغشى على رأسه ثوباً وقال يا محمّد بيننا وبينك حجاب
استهزاء منه فاعمل على دينك او في ابطال امرنا وقيل في هلاكنا انّنا عاملون على ديننا وفي ابطال امرك وقال مقاتل فاعمل لالهك
الذي ارسلك فانّا نعمل لالهتنا نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك فانّا نعمل لدنيانا وقد يلد الياء انّا بنون وحده قل انّما انا بشر مثلكم
يوحى اليّ انّما الهكم اله واحد لا لست بملك ولا جنّى لا يمكنكم التلقّى منه وانّما انا بشر مثلكم ادعوكم الى ما لا تنبو عنه العقول والاسماع
من التوحيد الذي هو اجلّ الاعمال واشرفها واحسنها بدلائل العقل والنقل وقيل انّى لست بملك وانّما انا بشر مثلكم وقد اوحى اليّ دونكم
فصحّت بالوحى اليّ وانا بشر نبوّتي واذا صحّت نبوّتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى اليّ انّ الهكم اله واحد قرأ النخعى والاعمش قال انّما
فاستقيموا اليه فتوجّهوا اليه في جميع افعالكم واحوالكم او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل غير ملتفتين الى ما يسوّل لكم الشيطان
من الاشراك واتّخاذ الاولاد والشفعاء واستغفروه من ذنوبكم التي صدرت منكم واصررتم عليها من الشرك والتكذيب بالحقّ وغير ذلك
وقرئ قال انّما انا بشر وويل للمشركين والهلاك كلّ الهلاك للذين اشركوا بالله لافراطهم في الجهل به وتماديهم في الغيّ والضلال عن طريقه
المستقيم الذين لا يؤتون الزكوة لا يعطون زكوة اموالهم لفرط بخلهم وعدم شفقتهم على خلق الله وفيه دليل على انّ الكفّار مخاطبون
بالفروع وقال ابن عبّاس رض الذين لا يقولون لا اله الّا الله وهى زكوة الانفس وقال الحسن وقال قتادة لا يقرّون بالزكوة ولا يرون
ايتاءها واجباً وقيل لا يفعلون ما يزكّى انفسهم وهو الايمان والطاعة وقيل كان مشركو مكّة يطعمون الحاجّ ويحرمون من آمن برسول
الله عم فنزلت الآية فيهم وهم بالآخرة هم كافرون حال تدلّ على انّ منعهم الزكوة انّما كان لاصل كفرهم بالآخرة التي هى محلّ الجزاء
على الاعمال ويجوز ان يكون الواو للعطف لا للحال وتغيير النظم للدلالة على شدّة كفرهم واستمرارهم ودوامهم عليه ويجوز ان يكون
جملة برأسها كانّه قيل وهؤلاء الموصوفون بالاشراك ومنع الزكوة هم الكافرون بالآخرة وتكرير الضمير للاختصاص وانّهم خصوصاً
كافرون بالآخرة وان غيرهم قوم مؤمنون بها وهم الذين آمنوا بالله ووحّدوه وليؤكّد كفرهم بالجزاء اشعاراً بما هم عليه من الاشراك
ومنع الزكوة وانكار الوحى التي لا يرتكبها الّا من هو كافر شديد الكفر بدار الجزاء انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمعوا بين التصديق
القلبي والعمل الصالح وداموا على ذلك لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير ممنون به عليهم اى لا يمنّ به عليهم وقال مقاتل
غير منقوص ومنه المنون وهو ما ينقص قوّة النفس من حوادث الدهر وقال مجاهد غير محسوب وقال السّدّى نزلت هذه الآية
في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطّاعة يكتب لهم الاجر كاصحّ ما كانوا يعملون قال ابن عمر قال رسول الله عم انّ العبد اذا كان
على طريقة حسنة من العبادة ثمّ مرض قيل للملك الموكّل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقاً حتّى أطلقه او اكفته الىّ قل ائنّكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الهمزة الاستفهاميّة معناها الانكار والتعجّب والمعنى انكفرون بالذى قدر على خلق الارض في مدّة
يومين يعنى لا تكفروا به فانّ كفركم به يستنكره كلّ شئ من الارض والسماء وما فيها ويقتضى منه العجب العجاب فانّ كلّها مؤمنة بالله
ناطقة بتوحيد الله وتقدّسه عن النّد والشريك بلسان الحال والمقال وقيل في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كلّ نوبة ما خلق
في اسرع ما يكون ولعلّ المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انّه خلق لها اصلاً مشتركاً

ثمّ خلق



ثمّ خلق لها صوراً بها صارت انواعاً وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له انداداً ولا يصحّ ان يكون له ندّ ولا ضدّ ولا شريك ذلك
الذي خلق الارض في يومين ربّ العالمين خالق كلّ شئ سواه من الموجودات ممّا يعلم به ومربّيها يقال عالم الاجسام وعالم
الارواح وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الشهود وعالم الملكوت الى غير ذلك وجعل فيها رواسي جبالاً ثوابت ارسيت
بها الارض وهو استيناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظّار
ما فيها من وجوه الاستبصار ويكون منافعها معرّضة لطالبيها حاضرة لمحصّليها وليبصر انّ الارض والجبال الثقال على اثقال
كلّها مفتقرة الى ممسك لابدّ لها منه وهو عزّ وجلّ ممسكها بقدرته ولو كانت تحت الارض كالاساطين لها تستقرّ عليها
او مركوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميلان وبارك فيها واكثر خيرها وانماه بان خلق فيها البحار والانهار وانواع الاشجار و
الثمار والحيوان والمعادن وانزل فيها الكتب السماويّة التي شملت بركاتها كلّ خير وبركة وقدّر فيها اقواتها على حذف المضاف اى اقوات
كتبه صح
اهلها يعنى ارزاقهم ومعايشهم وما يصلحهم بان عيّن لكلّ واحد منهم ما يعيش به ويصلحه وخصّص حدوث كلّ قوت بقطر من اقطارها
وقال عكرمة والضحّاك قدّر في كلّ بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد وقال الكلبى قدّر الخبز لاهل
قطر والذرّة لاهل قطر والتمر لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك اخواتها وقرأ ابن مسعود وقسم فيها اقواتها وبه فسّر الحسن
ومقاتل لفظة قدّر في اربعة ايّام سواء في تتمّة اربعة ايّام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشر والى الكوفة في خمسة عشر يكون
انّه قال ذلك ولم يقل في يومين دلالة على اتّصالها باليومين الاوّلين وتصريحاً على الفذلكة لمدّة خلق الارض وما فيها كانّه قال كلّ ذلك
في اربعة ايّام كاملة مستوية لا زيادة ولا نقصان قالوا خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلثاء ويوم
الاربعاء وقرأ يعقوب والحسن البصرى سواءٍ بالجرّ على انّه صفة ايّام كما بيّنّاه وابو جعفر سواءٌ بالرفع على انّه خبر مبتداء
محذوف اى هى سواء والباقون سواءً بالنصب على استوت سواء بمعنى استواءً والجملة صفة ايّام كقراءة يعقوب والحسن
وقيل على الحال من الضمير في اقواتها او في فيها وقال الحسن والفرّاء معناه وقدّر فيها اقواتها مستويةً تامّة للمحتاجين اليها للسائلين
متعلّق بقدّر وهو الظاهر اى قدّر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين او بمحذوف تقديره هذا الحصر
لاجل السائلين عن مدّة خلق الارض وما فيها او لاجل من سأل في حكم كم خلقت الارض وما فيها ثمّ استوى الى السماء اى ثمّ
قصد نحو السماء بارادته ومشيّته بعد خلق الارض وما فيها من غير ان يريد فيما بين خلقها وقصده الى السماء خلق شئ آخر
يقال استوى الى مكان كذا كالسهم المرسل اذا توجّه اليه توجّهاً مستوياً من غير ان يلوى على غيره وهو من الاستواء الذي هو
ضدّ الاعوجاج في قولهم استوى العود اذا اعتدل واستقام والمعنى ثمّ دعى داعى مشيّة الالهيّة وحكمة الربانيّة الى خلق السماء
بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك ومن غير ان يريد فيما بين الخلقين خلق شئ آخر ولا يمكن حمل الاستواء في الآية
على حقيقته وهى الاستواء الذى هو ضدّ الاعوجاج بمعنى قام واعتدل لانّه من صفات الاجسام وخواصّها والله متعال عنها والمراد
بالسماء جهات العلو كانّه قيل ثمّ استوى الى الفوق والظاهر انّ ثمّ لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السموات على خلق
الارض وما فيها لا للتراخى في الزمان لقوله والارض بعد ذلك دحاها ودحو الارض متقدّم على خلق الجبال من فوقها وتأخّر
عن خلق السموات وان تقدّم خلق جرم الارض خلقها وهى دخان قيل كان ذلك الدخان بخار الماء وقيل كان عرشه قبل خلق السموات
والارض على الماء فاخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضاً واحدة ثمّ فتقها فجعلها
ارضين ثمّ خلق السماء من الدخان وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثمّ اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض وقيل دخان امر ظلمانى ولعلّه اراد به
مادّتها او الاجزاء المتصغّرة التي ركّبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثّر واظهرا آثاركما
من الاوضاع المختلفة

والكاينات المتنوعة او ابتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة او لتات كل واحدة منكما الاخرى فحدوث ما اريد توليده منكما من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قرأه من قراءة آتيا واتيا من المواتات وهي الموافقة اي لتوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما **طوعا او كرها** شئتما ذلك او ابيتما كقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها والمراد التشبيه على لزوم تاثير قدرته فيها وان امتناعهما منه محال وقيل المراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وانتصابهما على الحال بمعنى طايعتين او مكرهتين **قالتا اتينا طايعين** منقادين بالذات واختلفوا فيه فقال جمهور اهل العلم انه تعالى خاطبها وخلق فيهما الكلام فتكلمتا بالجواب حتى قال بعضهم نطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيه حرمه وقال غيرهم المراد تصوير تاثير قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنها وتمثيلها بامر المطاع واجابة المطيع الطايع من غير ان يحقق شيء من الخطاب والجواب كقول الراجز امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني وقوله اذا قالت الانساع للبطن الحقي تقول سنى للنواة طني وانما لم يقل طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى فانهما سموات وارضون لانه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بما هو خاص بالعقلاء وهو الطوع والكره اجرى عليهما احكامهم بان قيل طايعين في موضع طايعات كانها عاقلين وهذا كثير شايع في كلام العرب وفي حديث ان موسى عم يا رب لو ان السموات والارض حين قلت لهما ائتيا طوعا او كرها عصتاك ما كنت صانعا بها قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قال يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال واين ذلك المرج قال في علم من علمي قال ابن عباس وابن جبير اتينا قال ابو حاتم لا ادري ما هذا ان يريد آتينا الطاعة اي اعطيناها من انفسنا طايعين **فقضيهن سبع سموات في يومين** فخلقهن خلقا ابداعيا واحكم امرهن خلق السموات في يوم الخميس وما فيها من الشمس والقمر والنجوم في يوم الجمعة وفرغ في اخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالضمير للسماء على المعنى وقيل مبهم بينه سبع سموات وهو حال على الاول وتمييز على الثاني **واوحى في كل سماء امرها** شانها وما يتاتى منها بان حملها عليها اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وقيل امرها اي ما امر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك وعن عطاء قال ابن عباس رض خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله وقال مقاتل واوحى في كل سماء ما اراد من الامر والنهي **وزينا السماء الدنيا بمصابيح** فان الكواكب في راي العين كالدرر واللالي الكبار التي تتلألأ عليها وتتزين وقيل ان في كل سماء كواكب تضيء وقيل بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا **وحفظا** منصوب بفعل المقدر اي وحفظناها من الافات والمسترقة بالثواقب حفظا ويجوز ان يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح او وخصصنا السماء الدنيا بالمصابيح زينة وحفظا **ذلك** الذي ذكر من صنعه **تقدير العزيز** اي البليغ القدرة على كل مقدور **العليم** اي البليغ العلم بكل معلوم **فان اعرضوا** عن الايمان بتوحيد الله بعد ما تتلو عليهم من هذه الدلايل الواضحة والحجج القاطعة على وحدانيته وقدرته وعلمه **فقل انذرتكم صاعقة** فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة **مثل صاعقة عاد وثمود** وقيل اي خوفتكم هلاكا مثل هلاكهم وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا على انه من باب فعلته ففعل **اذ جاءتهم الرسل** حال من صاعقة عاد لا صفة لصاعقة ولا ظرف لانذرتكم لفساد المعنى **من بين ايديهم ومن خلفهم** من كل جانب واجتهدوا بهم من كل جهة واعملوا فيهم كل حيلة وعن الحسن انذروهم من وقايع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الاخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظة من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما يجري عليهم وقيل من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتاخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تع ياتيها رزقها رغدا من كل مكان **الا تعبدوا الا الله** ان في ان

لا تعبدوا

لا تعبدوا مصدرية او مفسرة بمعنى اي او مخففة من الثقيلة اصله بانه لا تعبدوا اي بان الشان والحديث قولنا لكم لا تعبدوا الا الله وعلى الاول محمول على تقدير القول ايضا لكنه سابق عليه تقديره يقولون بان لا تعبدوا الا الله اي يامرونهم بعبادة الله وحده كما اخبر عنهم في قوله ولا عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره والى ثمود اخاهم صالحا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وعن نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وابراهيم اذ قال لقومه اذ قال اعبدوا الله **قالوا لو شاء ربنا** مفعول شاء محذوف اي لو شاء ربنا ارسال الرسل **لانزل ملايكة** برسالته **فانا بما ارسلتم به كافرون** الفاء وقعت في جواب شرط محذوف تقديره اذا انتم بشر ولستم بملايكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به فلا يجب ان يكون ما دخل عليه اذا فعلا لجواز دخولها على الجملة الاسمية المركبة من مبتداء وخبر بدليل اتفاقهم على جواز اما زيد فضربته ضربته واذا عمرو اكرمته اكرمته ولو كان الفعل لازما لم يجز الرفع كما لا يجوز ان زيد ضربته ضربته اذ لا يرفع الاسم الا بالابتداء والخبر واليه ذهب الزمخشري ههنا كما لا يخفى وقولهم ارسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو تهكم على كل الرسل وفيه كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وعن جابر بن عبد الله انه قال قال الملاء من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد عم فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيع والله لقد علمت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي ان كان كذلك فاتاه فقال انت يا محمد ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا فان كنت تتمنى الرياسة عقدنا لك اللوى فكنت راسا ما بقيت وان كان بك الباه زوجناك عشر نسوة تختار من اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني انت وعقبك من بعدك ورسول الله عم ساكت فلما فرغ قال رسول الله عم بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم فقال ابو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبا الى محمد واعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة اصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال ابو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبات الى محمد واعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من اموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرا السورة ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفتم ان ينزل بكم العذاب **فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق** اي فتعظموا فيها على اهلها بما لا يستحقون به التعظيم من القوة وعظم الاجرام او استعلوا في الارض واستولوا على اهلها بغير استحقاق الولاية **وقالوا من اشد منا قوة** اغترارا بقوتهم وشوكتهم وعظم اجسامهم فانهم كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وكان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة مثل الجبل فيقلعها بيده وروي ان هودا عم لما هددهم بالعذاب قالوا من اشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عن انفسنا بفضل قوتنا قال الله تع **اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة** قدرة حيث قدر على خلقهم وخلق الارض والسموات التي هي اعظم منهم واقوى واشد واصلب وقيل فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى وقوي على ما لا يقدر عليه غيره **وكانوا باياتنا يجحدون** يعرفون انها حق ولكنهم جحدوها وانكروها كما يجحد المودع الوديعة وينكرها وهو عطف على فاستكبروا اي كانوا كفرة فسقة **فارسلنا عليهم ريحا صرصرا** اي ريحا عاصفا يصمم صرا اي يصوت وقيل باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض وقال السدي شديدة الصوت في هبوبها من الصرير او القرة وهي الصيحة **في ايام نحسات** اي مشؤمات قال مجاهد وقتادة وقراءة الكوفيين وابن عامر وابو جعفر بكسر الحاء جمع نحسة من نحس ينحس نحسا فهو نحس ومن نحس نقيض سعد سعدا والباقون بسكونها على انه مخفف من المكسورة او على النعت على فعل او الوصف بالمصدر جمع نحس على انها نفس الشوم مبالغة وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما وكانت آخر شوال من الاربعاء وعن ابن عباس ما عذب

قوم الله في يوم الاربعاء

وقال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر وعن جابر بن عبد الله اذا اراد الله بقوم خيرا
ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد بقوم شرا احبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح لنذيقهم عذاب
الخزي في الحيوة الدنيا بالريح العقيم واضاف العذاب الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو
في الاصل صفة المعذب فوصف العذاب به من الاسناد المجازي لحصول الخزي بسببه والمجاز ابلغ من الحقيقة باتفاق البلغاء لانه
يفيد تاكيدا للاثبات المحض لا يفيده الحقيقة الا يرى الى البون بين قوليك هو عادل وله عدل عادل وهم لا ينصرون بدفع العذاب
عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وعن ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقراء الخليل
الحسن ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره المذكور بعده وقرئ منونا في الحالين وبضم الثاء والرفع افصح لوقوعه بعد حرف الابتداء
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى والكفر على الايمان وقال السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم
صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة والهون الهوان وهو
الخزي فاهانهم الله بذلك العذاب في الدنيا واخزاهم بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة والكفر والمعصية ونجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار قراء نافع ويعقوب نحشر بالنون ونصب الاعداء والباقون
يحشر بالياء وبناء المفعول وقرئ يحشر مبنيا للفاعل وهو الله تع وقرأه الاعرج نحشر بفتح النون وكسر الشين حيث وقع فانه
بكسر الشين في كل القرآن مثل يحشرهم ذكره ابو حاتم عن يعقوب واعداء الله الكفار من الاولين والاخرين اي يجمعون الى النار
كقوله ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يستوقف سوابقهم حتى
يلحق بهم تواليهم لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار اللهم اعصمنا من عذابك كله في الدنيا والاخرة وما بينهما بجاه محمد
عندك وعترته الطاهرين الناجين يا خير الغافرين وارحم الراحمين حتى اذا ما جاؤها اذا احضروها وما مزيدة لتاكيد
اتصال الشهادة بالحضور يعني ان وقت مجيئهم النار لا بد ان يكون وقت الشهادة عليهم شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله كما انطق الشجرة والشاة المشوية المسمومة بان يخلق فيها كلاما وهذا ما عليه الاكثرون وقيل
بان ينطقها الله او يظهر عليها اثارا تدل على ما اقترف بها فينطق بلسان الحال وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج وفي قول
الاكثر بين الجلود كسب بلعيا وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب قراء زيد بن علي
لم شهدتن بالنون قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء من الحيوان وليس نطقنا بعجب
من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وايجادكم اول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ولو اول الجواب والنطق
بدلالة الحال كما هو خلاف الظاهر ومذهب المرجوح بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون ان يكون
تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم يعني انكم كنتم تستترون
الناس بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان جوارحكم تشهد عليكم فما استترتم عليها وفي هذا
اعلام بان من حق المؤمن ان يحفظ نفسه ويحاسبها قبل ان تحاسب ويتيقن ان الله معه اينما كان وقال مجاهد الاستتار بمعنى
الاتقاء اي ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الاخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة وقال قتادة بمعنى
الظن اي ما كنتم تظنون ان يشهد عليكم سمعكم بان يقول سمعت الحق وما رعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا ابصاركم
فتقول رأيت ايات الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز ولا جلودكم فتقول لامست الحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليه من
المحرمات ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من خفيات اعمالكم ولذلك تجاسرتم على ما عملتم من الذنوب العظام
وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدا خبره ما بعده وهو ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم خبران له اي وذلك الظن هو الذي

اهلكم



اهلكم ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا ونسب الارداء الذي هو فعل الله الى ظنهم لكونه سببا فيه كقوله تع يتنزع عنهما لباسهما
وقرئ ولكنكم زعمتم فاصبحتم فصرتم من الخاسرين الكاملين في الخسران حيث ظننتم بالله ظن السوء وسوء الظن بالله
من اكبر الكبائر قال ابن عمر رضي قال النبي عم اكبر الكبائر سوء الظن بالله تع واصله ومعدنه حب الدنيا وهو ايضا من اكبر الكبائر قال ابن
مسعود قال رسول الله عم اكبر الكبائر حب الدنيا وقيل اذ صار ما يمحو الانبعاد في الدارين سببا للشقاء المنزلين وعن قتادة الظن
ههنا بمعنى العلم وعن النبي عم انه قال لا يموتن احدكم الا وهو يحسن بالله الظن فان قوما اساؤا الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال الحسن ان قوما الهتهم الاماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول احدهم اني احسن الظن بربي
وكذب لو احسن الظن لاحسن العمل وتلا قوله تع وذلكم ظنكم الاية وقال عمر بن الخطاب رضي في هذه الاية هؤلاء قوم كانوا يؤمنون المعاصي
ولا يتوبون منها ويتوكلون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قراء وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الاية وقال قتادة من
استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي فان يصبروا فالنار مثوى لهم
يحتمل ان يكون معناه فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم كقوله فما اصبرهم على النار وان يكون فان يصبروا في النار
ويجزعوا فالنار مثوى لهم اي لا خلاص لهم عنها ولم ينفكوا بالصبر من الثواء فيها ودل على الجزع بقوله وان يستعتبوا الان المستعتب
جزع اي وان يسالوا العتبى وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين من الذين يعتبون اي يعطون العتبى
ويجابون اليها ونظيره قوله تع حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وفي بعض التفاسير وان يستقيلوا فما هم من المعتبين بكسر التاء
على وزن اسم الفاعل اي ان يسئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك لفوات المكنة وقيل اي ان اقالهم الله وردهم
الى الدنيا لم يعملوا بطاعته كما سبق لهم في علم الله من الشقاء قال الله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيضنا لهم اي وقدرنا لهم للكافرين
والمشركين قرناء احدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقال الجوهري هو ما تغلق
من قشور البيض الاعلى وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة وهي بيع عرض بعرض وقيل اي هيأنا لهم شياطين
قاله مقاتل وقال الزجاج سببنا لهم نظراء من الشيطان حتى اضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء يزينون لهم المعاصي وهؤلاء
القرناء القرناء من الجن والشياطين والانس فزينوا لهم ما بين ايديهم ما تقدم من اعمالهم او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع
الشهوات حتى اثروا ذلك على الاخرة وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره وان لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار او وما هم عليه
عازمون عليها وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين
قد افكوا يعني فانت في جملة آخرين وانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد وهو في موقع الحال من ضمير عليهم اي حق عليهم
القول كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع قد خلت من قبلهم من الجن والانس قد عملوا مثل اعمالهم من الكفر والمعاصي انهم كانوا
خاسرين اعمالهم في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم القيمة وهو تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم جميعا وقال الذين
كفروا من كفار قريش لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه من اللغو وهو الباطل من الكلام الذي لا طائل تحته اي لا تسمعوا القرآن
اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيانات (اي الاحاديث الكاذبة) لتشوشوه على القارئ كان قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا
وقال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصغير وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال السدي وصيحوا في وجهه وقرئ
بضم الغين وهو لغة يقال لغي يلغى ولغى يلغو لعلكم تغلبون لكي تغلبوا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا يحتمل
ان يراد بهم هؤلاء القائلون وان يراد عامة الكفار ونكر العذاب ووصفه بالشدة ليدل على انه نوع من جنس العذاب لا يكتنه
كنهه ولا يقادر قدره وقيل العذاب الشديد ما يتوالى ولا ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزائهم ولنجزينهم اسوء الذي
كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقدره مثله وقيل يعني باسوء الذي اي باقبح الذي كانوا يعملون في الدنيا وهو الشرك وعن ابن عباس
عذابا شديدا يوم بدر واسوء الذي

كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة الى الاسوء ويجب ان يكون التقدير اسوء جزاء الذي كانوا يعملون حتى يستقيم هذه الاشارة وهو مبتدأ
خبره قوله جزاء اعداء الله ثم فسر بقوله النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها في النار دار الخلد اي دار اقامتهم
لا انتقال لهم منها ونظيره قولك هذه الدار دار السرور وتريد بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون
ينكرون ويلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا في النار ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس اي ارنا
الشيطانين اللذين حملانا على الضلال من نوعي الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي بدليل قوله شياطين الانس والجن وقوله
من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر والسوسي ويعقوب
ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء وقيل معناه اعطنا اللذين اضلانا وحكوا عن الخليل
انك اذا قلت ارني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بسكون الراء فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء
واصله الاحضار نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما منهما او نجعلهما في الدرك الاسفل من النار لنتشفى منهما بذلك ليكونا من الاسفلين
مكانا وذلا وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا ان الذين قالوا ربنا الله اقرارا بالوحدانية وقيل في العمل ويدل على الاول دلالة بينة
قول النبي عم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قد قالها ناس ثم كفر من قالها حين يموت فهو ممن استقام عليها رواه الترمذي عن
انس بن مالك رض وثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونظيره قوله انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي ثم ثبتوا على الاقرار بقولهم ربنا الله ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رض استقاموا فعلا كما
استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان
وفي بعض التفاسير سئل ابو بكر الصديق رض عن الاستقامة فقال ان لا يشرك بالله شيئا وقال عمر رض الاستقامة ان يستقيم على الامر
والنهي ولا يروغ روغان الثعلب وعنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعلب وقال عثمان رض اخلصوا العمل لله وقال
علي رض ادوا الفرائض وقال ابن عباس رض استقاموا على اداء الفرائض وقال الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا
معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وهو موافق للحديث المذكور وكذا قول مقاتل
استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة وعن سفيان
بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله اخبرني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال فقلت ما اخوف ما يخاف علي فاخذ
رسول الله عم بلسان نفسه وقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قال ابن عباس واذا قاموا من قبورهم قال قتادة ومقاتل
وقال وكيع البشرى في ثلثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث الا تخافوا ما تقدمون عليه من امر الآخرة والخوف غم يلحق
لتوقع المكروه وقيل لا تخافوا من الموت ولا تحزنوا على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا
ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والحزن غم يلحق الانسان لوقوعه من فوات نافع وحصول ضار والحسن ان يفسر مطلقا
كما وقع في القرآن والمعنى لا تخافوا شيئا من الاشياء فان الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان مصدرية او مخففة مقدرة
بالباء اي بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن او مفسرة بمعنى اي وفي قراءة ابن مسعود لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا وابشروا بالجنة
التي كنتم توعدون بها في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا انصاركم واحباؤكم نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما
كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيث ما يتعادى الكفرة وقرناؤهم وقال مجاهد اي نحن قرناؤكم الذين
كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة وقال السدي اي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الآخرة
ولكم فيها في الآخرة لا يفيضكم من اعدائكم ما تشتهي انفسكم من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب
وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم النزل ما يهيأ للنزيل وهو الضيف قرأه ابو البرهسم وابو الحيوة نزلا باسكان الزاء

وانتصابه

وانتصابه على الحال من ما تدعون اشعارا بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون من ما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ويجوز ان يكون
بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا وعطاء من غفور رحيم اي بليغ المغفرة والرحمة ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى توحيد
الله وعبادته وحده وعن ابن عباس هو رسول الله عم دعا الى الاسلام وقال ابن سيرين والسدي هو رسول الله عم دعا الى شهادة
ان لا اله الا الله وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له كما قال وقال انني من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا
ومعتقدا كما تقول هذا قول ابي حنيفة تريد مذهبه وعن ابن عباس انهم اصحاب رسول الله عم وعن عايشة رض وعكرمة ومجاهد
نزلت في المؤذنين وقال الحسن وقيس بن ابي حازم هذه الآية عامة في كل من دعا الى الله وقال ابو امامة معنى قوله وعمل صالحا صلى ركعتين
بين الاذان والاقامة وقال الكلبي ادى الفرايض وعن عبد الله بن مغفل قال رسول الله بين كل اذانين صلوة ثلث مرات ثم قال
في الثالثة لمن شاء وعنه عم لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة وقيل لما قال نعم وقال انني من المسلمين مطلقا غير مقيد بشرط ان شاء
الله رد على من يقول انا مسلم ان شاء الله ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي
وقال معناه لا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة وقيل لا يستوي التوحيد والشرك وقال الضحاك الحسنة
العلم والسيئة الفحش وقال علي رض الحسنة حب آل رسول الله عم والسيئة بغضهم ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة التي ترد عليك
من غيرك بالحسنة التي هي احسن منها على ان المراد بالاحسن الزايد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج
الاستيناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة لانه ابلغ في الدفع بالحسنة فان من دفع بالحسنى
هان عليه الدفع بما دونها وقال مجاهد بالتي هي احسن السلام اذ القى من يعاديه وقيل المصافحة فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم اي فانك اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق مصافاة لك وما يلقاها وما يلقى هذه الخليقة
او السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر فانهم يحبسون بها انفسهم عن الانتقام او وما يلقى
هذه الخصلة التي هي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا على كظم الغيظ وتجرع الغصص واحتمال البلايا والمكاره في طاعة الله
وازدياد الخير وما يلقاها الا ذو حظ عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير وكمال النفس وفسر بعضهم الحظ بالثواب وقتاده
بالجنة اي وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقال مقاتل بن حيان نزلت في ابي سفيان بن حرب
وكان عدوا موذيا لرسول الله عم فصار وليا مصافيا بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين رسول الله عم وقيل نزلت في ابي جهل
بن هشام كان يؤذي رسول الله عم فامر الله نبيه بالصبر عليه والصفح عنه واما ينزغنك من الشيطان نزغ اي ينخسنك وهو
في الاصل الطعن بعود او نحوه ومنه الحديث ان قدرتم على فلان فاحرقوه بالنار فانه نخس بزينب بنت رسول الله عم اي نخس بها
ثم استعير لما يلقي الشيطان في قلب ابن آدم من ذكر الشهوات واللذات واتيان الاماني والوسوسة وبه صرح رسول الله عم في بعض
احاديثه وهو قوله عم ان ابليس له خرطوم كخرطوم الكلب واضعه على قلب ابن آدم يذكره الشهوات واللذات ويأتيه بالاماني
ويأتيه بالوسوسة على قلبه ليشككه في ربه فاذا قال العبد اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واعوذ بالله ان يحضرون
ان الله هو السميع العليم خنس الخرطوم عن القلب ذكره صاحب الفردوس وقيل نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما
لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله فالتجئ الى الله من شره وامض على شانك ولا تطعه
انه هو السميع لقولك وقوله العليم بعملك وعمله فهو ناصرك عليه وعاصمك من شره ومن آياته ومن ادلته الواضحة على وجوده
ووحدته وكمال علمه وعزته وقدرته على الانتقام من اعدائه الليل والنهار والشمس والقمر لان اربعتها مما حدث ويتغير وينتقل من
حال الى حال ومهيتها الى مهيمنه ووقت الى وقت فلا بد لها من محدث مخترع ناقل يجريها بقدرته يدبر امورها بعلمه وحكمته الالهية ومشيته
الربانية وهو الله السميع

لكل مسموع العليم بكل معلوم الحقيق بعبادة كل عابد وسجدة كل ساجد لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران بالعبادة
والسجدة مثلكم قال الله تع ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب الاية
واسجدوا لله الذي خلقهن وضمير جماعة النساء عايد الى الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث
يقال الاقلام بريتها او بريتهن اولما قال ومن اياته كن في معنى الاناث فقيل خلقهن حملا على المعنى واياما كان فالمراد اضافة الفعل اليها دلالة
على انها من المخلوقات التي انتفى عنها العقل والاختيار راسا وبالكلية ان كنتم اياه تعبدون لان السجود اخص العبادات فلا يحق الا لمن
يليق بان يختص بها وهو الواجب الوجود الصانع لكل شيء الجامع لصفات الكمال على وجه الكمال وهو موضع السجود عند الشافعي رح
لاقتران الامر به وهي رواية مسروق عن عبد الله وعند ابي حنيفة رح لا يسأمون لانه تمام المعنى وكان ابن عباس وابن عمر والحسن
وابن المسيب والنخعي وابن سيرين والسلمي وقتادة يسجدون عنده ولعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين موضع السجود
في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان يقصدوا بسجودهم
وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين فان استكبروا عن الامتثال للامر فالذين عند ربك من
الملائكة يسبحون له بالليل والنهار ينزهونه عن الانداد وساير ما لا يليق به دايما وفي جميع الاوقات لقوله وهم لا يسأمون
لا يملون من عبادته قال زهير سيمت تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم ومن اياته انك ترى الارض خاشعة
يابسة متطامنة لا نبات فيها مستعار من الخشوع بمعنى التذلل والتقاصي فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت وتزخرفت بالنبات
وربت وانتفخت اذا اخصبت كانها بمنزلة المختال في زيه وهو قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار وقرئ وربأت اي
ارتفعت لان النبت اذا قصد ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذي احياها قادر على احيائها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير
بليغ القدرة على كل مقدور والبعث واخراج الموتى من القبور احياء من المقدورات وقد وعد بذلك فلا بد لكل ان يجيء به ان الذين
يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن واللغو فيها كما اخبر عنهم بقوله والغوا فيه والانحراف في تاويلها عن جهة الصحة والاستقامة
وقال قتادة يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقيل يميلون عن الحق في ادلتنا وقال ابن عباس هو تبديل الكلام
ووضعه في غير موضعه وقال مجاهد يلحدون في اياتنا اي عند تلاوة القرآن بالمكاء والتصدية واللغو والغناء لا يخفون علينا نحن نعلمهم
والحادهم فنجازيهم على حسب ذلك وهو وعيد وتهديد لهم على الحادهم بالطعن واللغو والتحريف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل افمن
يلقى على وجهه وهو ابو جهل في قول ابن عباس ومقاتل خير ام من ياتي امنا يوم القيمة قيل هو النبي عم وقيل حمزة وقيل عمر وقيل عثمان
وقيل عمار وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي وقيل ان الاية عامة في الناس فالذي يلقى في النار الكفرة باخلاقهم والذي
ياتي امنا المؤمنون على طبقاتهم وقابل الالقاء في النار بالاتيان امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد اخر لظهور
ان ليس المقصود الامر بكل عمل شاؤا انه بما تعملون بصير وعد ووعيد ان كان خاصا بالكافرين ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستانف وخبر ان محذوف مثل سوف نصليهم نارا او هالكون او يجازون بكفرهم وقيل خبره
مذكور وهو قوله اولئك ينادون من مكان بعيد والذكر القرآن لانه لكفرهم به طعنوا فيه ولغوا فيه وحرفوا تاويله وقوله لما جاءهم اي بادروا
بالكفر والانكار ساعة جاءهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر واعادة نظر وكذبوا به على البداهة قبل التدبر ومعرفة التاويل وانه
لكتاب عزيز ذو عزة بالغة لما في القرآن من الاعجاز الدال على القدرة الكاملة ونظمه به او وصف بصفة من هو من سببه كما قيل في
وصفه بالحكيم وقال ابن عباس عزيز اي كريم على الله وقيل اي اعزه الله لا يتطرق اليه الباطل اي لا يجد اليه الباطل طريقا قال
قتادة وقيل منيع محمي بحماية الله من الشيطان ان يبدله قال السدي ومن الناس ان يقولوا مثله قاله ابن عباس وقيل كثير
النفع عديم النظير وقيل غير مخلوق فلا مثل له لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل كان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه
سبيلا

سبيلا منجهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به وقال ابن جريج لا ياتيه الباطل فيما اخبر عما مضى ولا فيما اخبر عما يكون من الامور
الاتية وقال السدي وقتادة الباطل هو الشيطان لا يستطيع ان يغيره بان يزيد فيه او ينقص منه وقال سعيد بن جبير ومقاتل لا ياتيه
التكذيب من الكتب التي قبله ولا بعده كتاب يبطله وينسخه وعن ابن عباس من بين يديه اي من الله تع ولا من خلفه ولا من
جبرائيل عم ومحمد عم تنزيل من حكيم حميد اي حكيم اي حميد يحمده كل خلق في كل مكان بلسان الحال والمقال بما وصل اليه من نعمه وعن
ابن عباس حكيم في خلقه حميد اليهم وعن قتادة حكيم في امره حميد الى خلقه ما يقال لك في القرآن الا ما قد قيل في غيره من الكتب السماوية
للرسل من قبلك وذلك المنزل المتفق عليه القرآن وساير الكتب الالهية هو توحيد المعبود الاشراك له واختصاصه بصفات الالهية واخلاص
العبادة له من كل شايبة كدر وغير ذلك مما لا خلاف فيه بين الشرايع لرسل الله كلهم اولهم آدم وآخرهم محمد عم او الجملة المحققة بعده وهي قوله
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم بمعنى ان حاصل ما اوحي اليك والى الرسل من قبلك وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة
والقايل هو الله تع اي ما يقول الله لك الا مثل ما قال للرسل من قبلك او القرآن وساير الكتب السماوية فان كل كتب الله قايلة بما ذكر
من الوجهين اي ما يقول لك القرآن الا مثل ما قال ساير كتبنا لهم وقيل اي ما يقول لك كفار قومك الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات
الموذية والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة لانبيائه ومن آمن بهم جميعا وذو عقاب اليم لاعدائهم الذين لم يؤمنوا بهم
وبما انزل اليهم جميعا وقيل لذو مغفرة لمن تاب وامن بك وذو عقاب اليم لمن اصر على التكذيب ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب
لقولهم تعنتا هلا نزل القرآن بلغة العجم لقالوا لولا فصلت اياته الضمير في جعلناه للذكر اي لو جعلناه كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض
والتعنت وقالوا لولا فصلت اياته اي بينت ولخصت بلسان نفقهه اعجمي وعربي قراه حمزة والكسائي وابو بكر وخلف اعجمي بهمزتين كانوا
محققين اوليهما همزة الاستفهام المعني بها الانكار اي لانكروا وقالوا اكلام او قرآن اعجمي ومخاطب عربي وهشام عن ابن عامر والحسن اعجمي بغير
همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن اعجمي والمرسل والمرسل اليه عربي والباقون اعجمي بقلب همزة الاستفهام بالمد والمعنى ان كلام الله على
اي طريقة جاءهم وجدوا فيه متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز في قراءة هشام ان يكون المراد هلا فصلت
اياته تفصيلا فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وروي عن سعيد بن جبير انه قال قالت قريش لولا انزل
القرآن اعجميا وعربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضها عربيا فنزلت الاية وانزل في القرآن من كل لغة فمنها السجيل وهي فارسية اصلها سنك كل
ومنها الفردوس رومية وكذلك القسطاس ومنها الاسماء السريانية والعبرانية والحبشية والاعجمي منسوب الى العجم وهو خلاف العرب
ومعنى الاعجم الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان وقيل الذي في لسانه عجمة اي عدم افصاح بالعربية وان كان عربيا قل هو
للذين امنوا هدى الى الحق والى طريق مستقيم وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والوهم والذين لا يؤمنون مبتداء خبره
قوله في اذانهم وقر على تقدير هو في اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات
ويجوز ان يكون والذين لا يؤمنون في موضع الجر عطفا على قوله للذين امنوا بمعنى هو للذين امنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون
في اذانهم وقر فيه عطف على عاملين وقد اجازه الاخفش وقال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلا ينتفعون به وقرئ وهو
عليهم عمي وهو في حرف ابن عباس وابن العاص والخليل وقال الضحاك عمي كقوله تع فعميت عليهم الانباء اولئك ينادون من مكان بعيد
يعني انهم لا يقبلونه ولا يسمعونه ولا يفقهونه كمن يصيح به من مسافة بعيدة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء ولا يفقهه
وعن الضحاك ينادون يوم القيمة باقبح اسمائهم من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم وخزيهم وعن علي رض ومجاهد
اي بعيد من قلوبهم فكانما ينادون من السماء فلا يسمعون ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه بالصدق
والتكذيب فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك ولولا العدة بالقيمة
وان الخصومات تفصل في ذلك اليوم او ولولا تقدير الاجال وقيل ولولا القول بتاخير العذاب عن المكذبين لقضي بينهم بين قوم
موسى او قومك اي لفرغ من عذابهم

ذ الدنيا وعُجّل اهلاكهم بعذاب الاستيصال لكن الساعة ادهى وامرّ وانهم وان اليهود والذين لا يؤمنون لفى شك منه من التورية او القرآن
وقيل من صِدْقك مريب موجب للاضطراب والشك عبارة عن تساوى الطرفين والتردد فيهما من غير ترجيح والوهم ملاحظة
الطرف المرجوح وكلاهما تصور لا حكم معه اى لا تصديق معه اصلاً من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضرّ
والله متعالٍ عن الانتفاع بطاعة العباد وعن التضرر بمعصيتهم فمن اطاعه فله الثواب الذى لا يكتنه كنهه ومن عصاه فعليه العقاب
الذى لا يقادر قدره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها قيل الله
يعلم او لا يعلمها الا الله روى انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى قيام الساعة فنزلت وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها
جمع كِمّ بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة وغلافها وقرأ نافع وابن عامر وحفص وابو جعفر من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ من
اكمامهن بجمع الضمير وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق النفى او موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف ما فى قوله وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا بعلمه مصاحبا لحكمته والمعنى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو
عالم به يعلم وقت خروج الثمرة من اكمامها وعددها وساير ما يتعلق بها ووقت الحمل وعدد ايامه وساعاته واحواله من الخداج والتمام والذكورة
والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك ووقت الوضع وما يتعلق به ويوم يناديهم اين شركائى بزعمكم كما بين فى قوله اين شركائى الذين زعمتم وفيه
تهكم وتقريع قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد ما منا من احد يشهد لهم بانهم شركاؤك اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال او من احد يشاهدهم
لانهم ضلوا عنهم وضلّت عنهم الهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا
محقين فى اضافتهم الشركة الينا وضل عنهم اى غاب عنهم ومعناه على التفسير الاخير لا ينفعهم ما كانوا يدعون يعبدون وما موصولة
والعائد محذوف او موصوفة بمعنى آلهة كانوا يعبدونها من قبل فى الدنيا وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب من حاص يحيص حيصاً
ومحيصاً اذا هرب والظن معلق عنه بحرف النفى والتعليق ان يوقع بعده ما ينوب مناب المفعولين جميعا كقولك ايقنت ايهما عمرو
وعلمت ازيد منطلق لا يسأم الانسان لا يمل الكافر من دعاء الخير من طلب السعة فى المال والنعم وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير
وان مسه الشر اى الضيقة والفقر مثلا واللام يحتمل الجنس والعهد وهذا اقصى لحد البلاغة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذه
صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير وقيل
من طريق التنكير ايضا والقنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله ورحمته ولئن اذقناه رحمة
منا من بعد ضراء مسته اى ولئن اتيناه نعمة وسعة فى الرزق من بعد ضيقة وفقر اصابته او لئن فرجنا عنه بصحة وسعة بعد مرض
وضيق ليقولن هذا لى اى هذا حقى وصل الىّ لانى استحقه بما عندى من خير وفضل واعمال بر او هذا لى دائما لا يزول عنى ونحوه قوله
تع فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وما اظن الساعة قائمة اى وما اظنها تقوم وتكون ونحوه قوله ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت الساعة على طريق التوهم كان لى عنده الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة كما اكرمنى
بالنعم فى الدنيا فقد قاس امر الاخرة على امر الدنيا بوهم المحض وامنية الكذب وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت
الى ربى ان لى عنده للحسنى ويقول فى الاخرة يا ليتنى كنت ترابا وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عتبة وشيبة ابنى ربيعة وامية بن خلف
قرأ الخليل رجعت مجهولا فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون
عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد او عظيم ومن ابتدائية
او بيانية والمبين محذوف فكانه قيل ولنذيقنهم عذابا مهينا من عذاب كبير بدل ما اعتقدوه لانفسهم من الاعزاز والاعزاز (كرامة) من الله تع
واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر على انعامه وهذا نوع آخر من طغيان الكافر اذا اصابه الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق
شدة قط فنسى المنعم وكفر بنعمه بترك الشكر عليها واعرض عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا وتعظما والجانب

مجاز

مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله وقرأ ابن ذكوان وناء بتأخير الهمزة على القلب ونظيره فى القلب راء فى رأى او على انه
بمعنى نهض فلا يكون مقلوبا وقرأ ورش وخلاد والسوسى ونأى باماله الالف مع فتح النون والكسائى وابو بكر وخلف ونِئى باماله
الالف وكسر النون اتباعا لكسرة الهمزة والباقون نأى بفتح النون والهمزة واذا مسه الشر اى اذا مس الشر هذا الانسان المعرض
والمتكبر واعاجيئ بلفظ اذا واذا لان المراد الشر المطلق الذى حصوله مقطوع به ولذلك عرّف تعريف الجنس لان جنس الشر متوقع كالنوائب
لكثرته واتساعه لتحققه فى كل نوع وغيره لان المفرد المعرف بلام الجنس يصح ان يراد به البعض الى الواحد بخلاف الجمع فانه لا يصح الا الى الثلثة
ويجوز ان يكون تعريفه للعهد اشارة الى الشر المعهود جارٍ عليه وقيل لفظ اذا للتنبيه على ان مثله يحق ان يكون ابتلاؤه بالشر مقطوعا
به فذو دعاء عريض كثير مستعار من عُرْض متسع للاشعار بكثرته ودوامه وهو ابلغ من الطويل لان الطول اطول الامتدادين
واذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله والمعنى اذا اصابه الضر والفقر اقبل على كثرة الدعاء ودوامه وشرع فى الابتهال والتضرع قل
ارايتم اخبرونى وقرأ الكسائى اريتم ان كان القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو فى شقاق
بعيد من اضل منكم فوضع الموصول موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم وخلافهم وقيل اى فاى الناس اضل
منكم اى لا احد اضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم سنريهم اياتنا فى الافاق اى سنبصرهم دلايلنا الواضحة على وحدانيتنا وقدرتنا
الكاملة فى الافاق وهى ما اخبرهم النبى عم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسّر الله له ولخلفائه ونصار دينه من بعده
من الفتوح والظهور على افاق الدنيا من بلاد الشرق والغرب وما بينهما على وجه خارج من المعهود خارق للعادة اذ لم يتيسر امثالها
لاحد من خلفاء الارض قبلهم وقرأه طلحة ولنريهم وفى انفسهم يعنى ما ظهر فيما بين اهل مكة وما نزل بهم من قتل صناديدهم
واسرهم ونهب اموالهم وفتح بلدهم للحدام ولم ينقل الينا ان مكة فتحت على يد احد قبل رسول الله عم وكذلك قتل اهلها واسرهم
او ما فى بدن الانسان من عجايب الصنع الدالة على كمال صنع صانعها وقدرته وحكمته وتدبيره لانه ما فى العالم شئ الا وفى الانسان
له نظير يدل دلالته مع ما اختص به وتفرد من بدايع الفطر التى يتحير فيها الاذهان وحسبك بالانسان وما اودع فيها وبالقلوب
وما ركز فيها من الايات الساطعة والبينات القاطعة على قدرة الصانع المدبر وحكمته ولطف تدبيره فى ساير الاعضاء و
والاطراف وما رتب فيها وركب من اصناف المحاسن ولطايف المعانى والمناظر الحسنة البديعة والهيات النافعة البهيجة واستخراج الصنائع
المختلفة العجيبة والتمكن من كسب الكمالات المتنوعة الغريبة التى ليست كل واحدة منها الا علما من اعلام صانعها القادر الحكيم
واية من آياته وقال قتادة والضحاك فى الافاق يعنى وقايع الله فى الامم وفى انفسهم يوم بدر وقال الحسن ومجاهد والسدى فى الافاق
يعنى اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات
والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفى انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة والافاق النواحى جمع افْق وافُق كاعشار
جمع عُشر وعَشر ومنه رجل اُفقى اذا كان من افاق الارض حتى يتبين لهم انه الحق الضمير فى انه عايد الى القرآن او الرسول او دين
الاسلام او التوحيد او الله تع اولم يكف بربك زيدت الباء فى الفاعل للتاكيد وابدل منه قوله انه على كل شئ شهيد اى اولم يكفهم
ان ربك على كل شئ شهيد يعنى انه محقق له فيحقق امرك باظهار آيات الله الموعودة فى الافاق والانفس تحقيق ساير الاشياء
او مطلع مهيمن على كل شئ فيكفيك علمه بحالك وحالهم واعلم ان الاشياء كلها قد اتفقت على الشهادة لوحدة خالقها وانه مظهرها من كتم
العدم والمظهر لا يفارق المظهر فى معرفة ارباب البصاير فسبحان من هو عند كل شئ ومعه وفوقه ومن ههنا قال بعضهم ما رايت شيئا
الا رايت الله معه وقال بعضهم ما رايت شيئا الا رايت الله قبله فمنهم من يرى الاشياء به ومنهم من يراه بالاشياء والى الاول اشارة
بقوله اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد والى الثانى بقوله سنريهم اياتنا فى الافاق فالاول صاحب مشاهدة ودرجة الصديقين
والثانى صاحب استدلال بآياته ودرجة العلماء الراسخين فما بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين وقيل المعنى اولم يكف الانسان رادعا

عن المعاصي انه تع مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافيه وقيل معنى الآية ان الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه
ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي
عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة
الا انهم في مرية في شك وقرئ بضم الميم وهو لغة كخفية وخفية وهذه القراءة ما رواه القطعي عن ابي عمرو عن الاعرج وقد
بولغ في كونهم في مرية من جهة الاستيناف واثبات الجملة الاسمية فان الاسمية المثبتة تفيد تاكيد الثبوت ودوامه والتصدير بالا
وحرف التحقيق ووقوعهم في الشك ووقوع المظروف في الظرف كان الشك احاط بجميع جوانبهم ونواحيهم لا خلاص لهم عنه وهم
مستمرون دائبون فيه نعوذ بالله من ذلك من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها
وظواهرها وبواطنها لا يفوته شيء منها علما وتصرفا وقدرة عليها فهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم ومرجع تاكيد
العلم الى تاكيد الوعد وقال الكلبي احاطت قدرته بجميع خلقه عن النبي عم من قرا سورة السجدة اعطاه الله تع بكل حرف عشر حسنات
وعن علي وانس قال النبي عم امرني جبريل ان لا انام الا على قراءة حم السجدة وتبارك الذي بيده الملك سورة الشورى مكية ثلث
وخمسون آية وتسمى سورة عسق بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعد آيتين
وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق ساير الحواميم وقرا ابن عباس وابن مسعود حم سق وعن ابن عباس كان علي رض يعرف
الفتن بها وعن ارطاة بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان اخبرني عن تفسير قوله تع حم عسق فاعرض عنه
حتى اعاد عليه ثلثا فاعرض عنه فقال حذيفة انا انبئك بها قد عرفت لم تركها نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الله او عبد الله
نزل على نهر من انهار المشرق يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا فاذا اراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث على احديهما
نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحرق كلها كانها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها متعجبة كيف قلبت فما هو الا بياض يومها حتى
يجتمع فيها كل جبار عنيد ثم يخسف الله بهم جميعا فذلك قوله حم عسق اي عزمة من عزمات الله وفتنته وقضاه حم حم
ع عدلا منه س سيكون ق واقع في هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت
النبي عم يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيها جبابرة الارض تجبى اليها الخزائن تخسف بها وفي رواية
باهلها فلهي اسرع ذهابا في الارض من الوتد الحديد في الارض الرخوة وعن نافع قال ابن عباس الحاء حكمه والميم مجده والعين
علمه والسين سناه والقاف قدرته اقسم الله بها وعن محمد بن كعب اقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناه وقدرته ان لا يعذب
من عاذ بلا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال شهر بن حوشب وعطاء بن ابي رباح الحاء حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش
والميم ملك يتحول من قوم الى قوم والعين عدو لقريش يقصدهم والسين سبا يكون فيهم والقاف قدرة الله النافذة في خلقه وقال
جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحاء من الحميد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال عبد بن بريدة انه
اسم الجبل المحيط بالدنيا وقال مجاهد فواتح السور وذكر الثعلبي والقشيري ان النبي عم لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه
فقيل له يا رسول الله ما احزنك قال اخبرت ببلايا تنزل بامتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وآيات متتابعات
متصلات بنزول عيسى وخروج الدجال وعنه عم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اتاكت بكم الشرق الجون والشرف
قالوا يا رسول الله وما الشرق الجون قال فتن كقطع الليل المظلم يعني فتنا طالعة من قبل المشرق جمع شارق من شرقت
الشمس اذا طلعت من مشرقها والجون جمع جون وهو الاسود والشرف جمع شارف وهو المسنة من النوق يريد فتنا متصلة
الاوقات متطاولة المدد وشبهت باسنان النوق وقيل هذا في شان النبي عم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين
عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة من الملك المعبود وقال ابن عباس ليس من

نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ذلك
الوحي او مثل ذلك الكتاب يوحي اليك والى الذين من قبلك الله يعني ان مثل ما في هذه السورة من المعاني قد اوحى الله اليك في غيرها
من السور واوحاه الى رسله من قبلك يعني ان الله كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ و
اللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين وانما ذكر بلفظ المضارع دلالة على استمرار الوحي وتجدده وقتا فوقتا وان ايحاء
مثله عادته وقرا ابن كثير يوحى بالفتح لبناء المفعول على كذلك مبتداء ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدره ويوحى اليك
والله مرتفع بما دل عليه يوحى كان قائلا قال من الموحي فقيل الله اي يوحي الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل
اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم يعني زينه لهم شركاؤهم والعزيز الحكيم صفتان له والقراءتان لعلو شان
الموحي به كما مر في السورة المتقدمة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان له وقوله
له ما في السموات وما في الارض خبر له وعلى الوجوه الاخر استيناف مقرر لعزته وحكمته والمعنى ان الله يختص به جميع ما في العالم خلقا
وملكا وعلما وهو العلي الشان العظيم الملك والقدرة والحكمة تكاد السموات يتفطرن يتشققن من عظمة الله وعلو شانه
او من دعاء الولد له وقرا نافع والكسائي يكاد بالتذكير لان تانيث السموات غير حقيقي والباقون بالتانيث مراعاة للفظه
السموات وقرا نافع وابن عامر وابن كثير والكسائي وحفص وخلف وابو جعفر يتفطرن والباقون ينفطرن ووافقهم فيه
حمزة وابن عامر والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وروى يونس عن ابي عمرو تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث و
هو نادر روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن من فوقهن اي يبتدا الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول
لان اعظم الآيات وادلها على العظمة وعلو الشان من تلك الجهة من العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى وعلى الثاني ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى كانه
قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن فانها اولى بالانفطار لان كلمة الكفر انما جاءت من الذين تحتهن وقيل الضمير
للارض لان المراد بها الجنس اي من فوق الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض هو من باب العام الذي خص
منه البعض لان المراد بمن في الارض المؤمنون بدليل تصريح القرآن به في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وتفسيره بقوله فاغفر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقيل هو محمول على عمومه والمعنى انهم يستغفرون لكل من في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من
الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل
المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة وقال الكلبي لما رأت الملائكة ان هاروت وماروت افتتنا
بالزهرة وهربا الى ادريس جد ابي نوح عم وسالاه ان يدعو لهما سبحوا بحمد ربهم واستغفروا لبني آدم والمفسرين في تسبيح
الملائكة في هذه الآية قولان احدهما انهم ينزهونه عما لا يليق بجلاله وكبريائه من الشريك والولد وساير صفات الاجسام وعليه
الجمهور والثاني انهم يتعجبون من جرأة المشركين وعن علي رض ان تسبيحهم تعجب مما يرون من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم بامر
ربهم قاله السدي ولهم في استغفارهم لهم قولان ايضا احدهما طلب المغفرة لهم من الذنوب والخطايا وهو قول الاكثرين والثاني
طلب الحلم والرزق لهم وسعة العيش عليهم وعلى هذا يعم المؤمن وغيره الا ان الله هو الغفور الرحيم اعلام منه باختصاصه
بكمال المغفرة والرحمة على ابلغ وجه واكده وذلك ما من شيء من المخلوقات الا وقد شملته رحمته كما قال تع وسعت رحمتي كل شيء
والآية على الاول زيادة لتقرير علو شان الله وعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه وتعاليه عما اضاف اليه الجاهلون من الشريك والولد
وان عدم معاجلتهم بالانتقام على كلمتهم الحمقاء لاستغفار المعصومين وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء اي جعلوا
له شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم بها لا رقيب عليهم الا هو وحده

وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليهم اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا الاشارة الى مصدر اوحى اى ومثل ذلك الايحاء البين المفهم اوحينا اليك او الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى يكرر في القرآن في مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به لاوحينا وقرانا عربيا حال من المفعول به اى اوحيناه اليك في حال كونه قرانا عربيا بينا لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار كما قال لتنذر ام القرى لتخوف اهل ام القرى وهى مكة او لتعلمهم ومن حولها من العرب وقيل يعنى قرى الارض كلها وقيل من ساير الخلق وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لجمع الخلايق فيه من الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارض والاشباح والارواح والاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الانذار في الاول وهو يوم القيمة او العذاب واول مفعوليه في الثانى وهو اهل مكة للاختصار لدلالة احدهما على الاخر فليتامل وقيل للتهويل وابهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له اى لا بد من مجيئ ذلك اليوم ولا محالة وليس بمرتاب فيه لانه لا بد من جزاء العاملين من المنذرين والمنذرين واهل الجنة واهل النار اولا شك في الجمع انه كائن ولا بد من تحققه ثم بعد الجمع يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير اى منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في السعير والضمير المجموع من لدلالة الجمع عليهم او اللام فيه لانه عوض عنهم لان المعنى لتنذر يوم جمع الخلايق وقرئا منصوبين على الحال منهم اى ولتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين في دارى البؤس والنعيم وعن عايشة وابى هريرة قال النبى عم ان الله تع خلق الخلق وقضى القضية واخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فاهل الجنة اهلها واهل النار اهلها رواه ابو امامة رضى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة على دين واحد قال ابن عباس او على ملة الاسلام كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال مقاتل او لجعلهم اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى قاله الضحاك ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للاهتداء او الحمل على الايمان والعمل الصالح فانهما سبب الدخول في الجنة التى هى محل رحمة الله كما قال في مواضع من كتابه الكريم والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار وقال انس بن مالك في رحمته اى في الاسلام والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير اى ويدعهم في عذابه بغير ولى يدفعه عنهم ولا نصير يمنعهم منه والمراد بالظلم ههنا الكفر والشرك كما قال ان الشرك لظلم عظيم ومن من يدة لاستغراق النفى كانه قيل ما لهم ولى ما ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام في الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولى جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولى سواه ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق لا ولى بالحق سواه اى هو وحده الذى يجب ان يتولى ويعتقد انه المولى والسيد وقال ابن عباس اى وليك يا محمد وولى من اتبعك وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير كالتعليل للاختصاص وتفرده بالولاية كلها كانه قيل فالله هو الحقيق بان يتولى ويعتقد انه المولى لانه يحيى الموتى ويقدر على كل مقدور لا غيره ممن لا يقدر على شيء وقيل انه لتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار من اهل الكتاب والمشركين فيه من شيء من امر من امور الدين والدنيا فحكمه الى الله اى فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله بنصر المحق واثابته وخذلان المبطل ومعاقبته وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تاويل اية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله وقيل وما وقع بينكم الخلاف من العلوم التى لا تتصل بتكليف ولا طريق لكم الى العلم فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تع ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى ولا يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في احكام الشريعة لعدم جواز الاجتهاد بحضور الرسول ذلكم الحاكم بينكم هو الله ربى عليه توكلت في مجامع الامور التى من جملتها رد كيد اعداء الدين واليه انيب ارجع في المعضلات بيان المعضلات منها كفاية شرهم والنصر عليهم فاطر السموات والارض خبر آخر لذلك او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ فاطر بالجر بدلا من الضمير او صفة لله من انفسكم

من جنسكم



من جنسكم ازواجا ذكرانا واناثا ومن الانعام ازواجا وخلق للانعام ايضا من جنسها ذكرانا واناثا يذرؤكم فيه يبثكم ويكثركم ايها الناس والانعام في هذا الجعل حيث يكون به التوالد والتناسل فهو كالمنبع والمعدن للبث والتكثير نفى لفظ واحد ههنا نوعان من التغليب وتقرير ذلك ان الخطاب بلفظ كم مخصوص بالعقلاء وقد خوطب به في يذرؤكم للعقلاء المذكورين بطريق الخطاب والانعام المذكورة بلفظ الغيبة ففيه تغليب المخاطب على الغايب الخطاب بيان حيث لم يقل يذرؤكم واياهن وتغليب العقلاء على غيرهم حيث لم يقل يذرؤكم واياكن وقيل تغليب المخاطبين على الغايبين جيئ بالكاف لا بالهاء وتغليب العقلاء على غيرهم جيئ بالميم لا بالنون وعن بعضهم ولقايل ان يقول جعل الخطاب شاملا للانعام تكلف لا حاجة اليه لان الغرض اظهار القدرة وبيان الالطاف في حق الناس والخطاب يختص بهم يكثركم ايها الناس في هذا التدبير حيث مكنكم من التوليد والتناسل وهيا لكم من مصالحكم ما تحتاجون اليه في ترتيب المعاش وتدبير التوالد والانعام خلقها لكم دف ومنافع ومنها تاكلون وجعلها ازواجا تبقى ببقائكم وتدوم بدوامكم وعلى هذا يكون التقدير وجعل لكم من الانعام ازواجا وهذا انسب بنظم الكلام مما قدروه وهو جعل للانعام من انفسها ازواجا ليس كمثله شيء اى ليس كذاته شيء لان ذاته تع لا يماثل ذات احد من خلقه بوجه من الوجوه ولا من جميع الوجوه وذلك ان كل شيء سواه العالم باجزائه ولو كان مثل العالم او لشيء من اجزائه بوجه من الوجوه لكان هو محدثا من ذلك الوجه او يماثل قديما من ذلك الوجه ولو كان يماثله من جميع الوجوه لكان هو محدثا من جميع الوجوه او كان ما يماثله قديما من جميع الوجوه والقول بحدوث القديم من وجه من الوجوه او من جميع الوجوه او قدم الحدث محال والقديم ما لا ابتداء لوجوده والحادث ما لوجوده ابتداء فالقدم والحدوث وصفان متضادان لا يجتمعان في موصوف واحد فالمثل في هذه الآية عند الجمهور بمعنى الذات لا غير كما في قوله تع فان امنوا بمثل ما امنتم به اى بنفس ما امنتم به وقولهم مثلك لا يبخل اى نفسك فانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه بطريق الاولى ونظيره قول العرب لا تخفر الذمم كان ابلغ من قولك انت لا تخفر وقولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه لانهم يريدون ايفاعه وبلوغه وقول رقيقة بنت صيفى في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته لان المقصود طهارته وطيبه ومن قال الكاف زايدة لعله اراد انه يعطى معنى ليس مثله شيء غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة ونعم ما قال من قال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ والحاصل كل المحال ان يكون الذات القديمة مثلا للذات الحادثة وان تكون لها صفة حادثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة ومما يجب التنبيه له ان المثل عبارة عن المساواة في بعض الصفات لا في جميعها كما زعم كثير من المحققين فانه سهو بدليل قوله تع قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية فانه يثبت مماثلته بالاشتراك والمساوات في وصف البشرية فقط لا في جميع الاوصاف كما لا يخفى للقطع بانه بينه وبينهم مخالفة بوجوه كثيرة من اختصاصه بالنبوة والرسالة والوحى الى غير ذلك الا يرى الى قوله يوحى الى كيف اثبت المخالفة بان خصصه بالايحاء اليه ذكرا فظهر ان ما ذكره الامام الغزالى من ان المثل عبارة عن المساوى في جميع الصفات ليس كما ينبغي وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزاينها وقيل مفاتيح الرزق في السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على مقتضى حكمته الربانية ومشيئته الالهية وذكرا بلفظ المضارع دلالة على استمرار البسط والقدر منه ودوامهما كقوله فلان يعطى ويمنع انه بكل شيء عليم بليغ العلم بكل معلوم فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي فلا يوسع الرزق كل ما كما بان الا اذا علم ان سعته خير للعبد وكذلك التضييق شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى بين لكم من الدين دين نوح ومحمد عم ومن بينهما من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين اى دين الاسلام الذى هو توحيد الله وطاعته في احكامه والايمان بجميع ما يجب تصديقه ولم يرد فروع الشرايع التى هى مصالح الامم على حسب احوالها لاختلافها وتفاوتها قال الله تع لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحله النصب على البدل من مفعول شرع والعطوفين عليه

اوارفع على الاثنين كانه قيل ما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين او الجملة على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه في هذا الاصل الذي اجمع عليه
الانبياء كلهم كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد وترك الشرك وقال قتادة شهادة ان لا اله الا الله
وحده فانه ضاق بها ابليس وجنوده فابى الله الا ان يظهرها على من ناواها الله يجتبي اليه من يشاء اى يجلب اليه ويجمع والضمير
لما تدعوهم وللدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا اى وما تفرق الامم الماضية في ذلك الاصل
او اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الا من بعد ان علموا بان التفرق ضلال وفساد متوعد عليه على السنة الانبياء او
ببعث رسول الله كقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وقيل او العلم ببعث الرسول واسباب العلم
من الرسل والكتب وغيرها فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ولولا
كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة من الله هي عدة تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى الى وقت معلوم وهو يوم القيمة
او يوم آخر اعمارهم المقدرة لقضي بينهم لحكم بينهم باستيصال المتفرقين ساعة افترقوا لعظم افترافهم وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم هم اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله او المشركون الذين اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا
وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه حق العلم او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب موقع في ريبة ما وجب
اليقين والايمان او ذي ريبة وتهمة وقيل مغلق او مدخل في الريبة مضطرب فلذلك فلاجل ذلك التفرق الذي حدث بسببه تشعب الكفر
شعبا او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية القديمة او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون
اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت اى واثبت ودم عليها وعلى الدعوة اليها كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم
المختلفة الباطلة وقيل استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تبليغ الرسالة ولا تتبع اهواءهم اى ولا تنظر الى خلاف ما خالفك
وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين امنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله في حكاية عنهم ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا وامرت لاعدل بينكم في فصل القضايا وتبليغ الرسالة والشرايع
والاول تعليم من الله لاستكمال القوة النظرية وهذا لاستكمال القوة العملية وقال ابن عباس وابو العالية وامرت لاسوى
بينكم في الدين فاؤمن بكل كتاب وبكل رسول وعنه ايضا وامرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام
وعبارة الحيف ههنا مما لا يعجبني وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال وقيل في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الى الله ربنا وربكم الله
خالق الكل وسيده الذي يبتيه بنعم الغاية حضرنا لا خالق ولا سيد سواه لنا اعمالنا ولكم اعمالكم من قصر المسند على المسند اليه
اى لنا اعمالنا لا اعمال غيرنا ولكم اعمالكم لا اعمال غيركم والمعنى ان احدا منا لا ينفعه عمل غيره فكما انا لا ينفعنا الا عملنا فكذلك انتم
لا ينفعكم الا عملكم او من قصر المسند اليه على المسند اى اعمالنا مقصورة على الاتصاف بلنا لا يتجاوز الى الاتصاف بكم واعمالكم مقصورة
على الاتصاف بكم لا يتخطاه الى الاتصاف بلنا واعتبر هذين الوجهين في قوله لكم دينكم ولي دين فانه يحتملهما تحقيقا غير نوهم كما ظنه
بعض المتاخرين والمعنى لكل واحد منا ومنكم عمله الذي يجازى به لان ذلك العمل مقصود عليه لا يتعدى الى غيره فانه لزومه لزوم
القلادة او الغل العنق الا يرى الى قوله تع وكل انسان الزمناه طايره في عنقه لا حجة بيننا وبينكم اى لا محاجة بمعنى لا خصومة
لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف متشبث سوى المكابرة والعناد اذ الله يجمع بيننا يوم الجمع وذلك يوم التغابن
واليه المصير اليه مرجع كل الخلايق بفصل القضاء بينهم لا الى غيره وليس في الاية ما يدل على متاركة الكفار بالكلية حتى تكون منسوخة
باية القتال وقال ابن عباس ومجاهد الخطاب في اعمالكم وبينكم لليهود اى لنا ديننا ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر الاية والاكثرون على انها ليست بمنسوخة لان البراهين الساطعة والحجج القاطعة قد ظهرت وقامت فلم
يبق لهم الا العناد والذين يحاجون في الله يخاصمون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا في دين الله

افواجا



بها
ليردوا ام الى دين الجاهلية كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا
قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق او من بعد ما استجاب الله تع لرسوله بنصره يوم بدر واظهار دينه الاسلام
على الدين كله او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستحقوا به حجتهم داحضة عند ربهم باطلة زايلة
وعليهم غضب لعنادهم ومحاجتهم في الحق ولهم عذاب شديد على كفرهم الشديد وضلالهم البعيد الله الذي انزل الكتاب
اى جنس الكتاب بالحق في موقع النصب على انه صفة مصدر محذوف اى انزالا كاينا بالحق او على الحال كقوله تنبت بالدهن اى انزله
ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل او بالحكمة والغرض الصحيح او بالواجب من العقايد والاحكام والميزان اى والشرع
الذي يوازن به الاحكام والحقوق ويسوى بين الناس او العدل والتسوية على انزال العدل انزال الامر به في كتبه المنزلة او الة بان يوزن
وعن ابن عباس رضه قال امر الله بالوفاء ونهى عن البخس يعني انه اشارة الى قوله اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس
اشياءهم وقوله وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم وما يدريك لعل الساعة قريب واي شيء يجعل
داريا بحال الساعة التي هي من العظم والشدة والخفاء بحيث لا تبلغه دراية احد ولا وهمه حتى انك لا تدري ما هو متقرب منها من
القرب لاني اكاد اخفيها من نفسي وانما تدري ذلك بوحي منا يريد انك طمعت في ان الساعة قريب وما يدريك ان ما طمعت
فيه كاين والادراء بمعنى الاعلام فيقتضي ثلثة مفاعيل اولها الكاف ولعل مع اسمه وخبره سادة مسد المفعولين الاخيرين وذكر
القريب على ان الساعة بمعنى البعث او ان القريب بمعنى ذات قرب او على حذف مضاف والمعنى لعل مجيء الساعة قريب فامرهم
يا محمد بان يتبعوا الكتاب المنزل عليك ويعملوا بما فيه من الاحكام المؤسسة على محض العدل والعقايد الحقة العادلة الدالة على
الصراط المستقيم قبل ان يفاجئهم يوم فيه يوزن اعمالهم ويوفى جزاءهم وقال مقاتل ذكر النبي عم الساعة وعنده قوم من المشركين
فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فنزلت الاية يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء وانكارا والذين آمنوا مشفقون منها
اى خائفون منها مع اعتنائهم بها واجتهادهم في الطاعة لانهم لا يدرون ما يفعل الله بهم فيها كما قال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقال
والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق ويعلمون قطعا ويقينا انها الصدق الذي لا يحوم
حوله كذب او الثابت الذي دل على ثبوته القواطع من ادلة الكتاب والسنة والاجماع والقياس اما الكتاب فظاهر واما السنة
فانه قد تواتر عن نبينا وعن ساير الانبياء الاخبار بثبوت الساعة وحقيته ووقوعها واما الاجماع فظاهر ايضا وكذا القياس
لما مر ذكره في هذا الكتاب غير مرة او واجب الوقوع الا ان الذين يمارون في الساعة اى يشكون فيها او يجادلون فيها من المرية
او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة وربما فيه
قوله عم ثم لم يمار في دين الله لفي ضلال بعيد اى لضلوا عن طريق الحق وقد عادوه بمراحل لان قيام الساعة ليس بمستبعد
من قدرة الله ولدلالة القرآن المعجز على انها آتية لا ريب فيها وللاجماع الانبياء والعلماء على اتيانها ولشهادة العقول على انه لا بد
من دار جزاء ولان البعث اشبه الغايبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه ووصف
الضلال بالبعد من المجاز العقلي لان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله ويحتمل
ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا او عن طريق الثواب او طريق
الاعتبار لانهم لو تذكروا ونظروا الى احوالهم المتنوعة نظرا صحيحا لعلموا قطعا ويقينا ان من قدر على خلقهم وانشائهم من
تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا مناسبة بين التراب والنطفة التي هي مادتنا وقدر على جعل النطفة علقة وبينهما تباين
ظاهر وعلى جعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على بعثهم باعادة ارواحهم الى ابدانهم بل هذا ادخل في القدرة من تلك
واهون في القياس الصحيح الله لطيف بعباده بر بليغ البر بعباده بصنوف من البر لا يبلغها العقول والاوهام لعظمه وتكاثره
مفرط الكثرة من كلياته وجزئياته

وقال ابن عباس خفي بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدى رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يرزق من يشاء يرزقه لما يشاء فيخص كلا من عباده بصنف من البر كما يقتضيه حكمته الربانية وعن جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق بانه جعل رزقهم من الطيبات وبانه لم يدفعه اليهم مرة واحدة كيلا يبذروه وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع لفرط نموه وكثرة منافعه وابتهاج به ينمى الزرع وينتفع به الزارع من وجوه كثيرة ويبتهج به كل نبه عليه بقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج وقيل من حيث انه فايدة يحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الاخرة والحرث في الاصل الاثارة من حرث الارض حرثا اثارها للزراعة ومنه قوله تع افرايتم ما تحرثون ويقال لما يستنبت بالبذر والنوى تسمية بالمصدر وقيل الحرث العمل والكسب اى من كان يريد عمل الاخرة ومنه قول عبد الله بن عمر واحرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا وقيل من كان يريد بعمل الاخرة نزد له في حرثه نضاعف له في حرثه الذى هو ثواب حسناته بان نعطيه بالواحد عشرا الى سبعماية فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا ومن كان يريد بعمله اجر الدنيا فقط وقيل ومن كان عمله للدنيا نؤته منها نعطه شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ومن مزيدة لاستغراق النفى اى ماله نصيب ما في الاخرة لانه لم يرد بعمله الاخرة واجرها ولم يذكر في معنى عامل الاخرة ولم في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه بالمحالة لكنه استهانه بذلك الجنب ماهو بصدده من زكاء عمله وفوزه من المأب وعن الضحاك قال ابن عباس من كان من الابرار يريد بعمله الصالح ثواب الاخرة نزد له في حرثه اى في حسناته ومن كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا نؤته منها ثم نسخ بقوله من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ورد بان الصواب ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والنسخ لا يدخل في الاخبار وقال قتادة من عمل لاخرته زدناه في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له ومن اثر دنياه على اخرته لم نجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم نعطه من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له وعن ابى بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب ام لهم شركاء بل الهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاء شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذى شرعت لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة يضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم عليه السلام انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاجيل الجزاء او ولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة كما قال بل الساعة موعدهم لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم اى لفرغ من عذابهم باستيصالهم في الدنيا وان الظالمين لهم عذاب اليم نوع من العذاب متفاقم المه واقام المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم ودلالة على ان العذاب الاليم الذى لا يكتنه كنهه انما يلحقهم بسبب ظلمهم وانهماكهم فيه وقرئ وان الظالمين بفتح الالف عطف على كلمة الفصل يعنى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الاخرة لقضى بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الاخرة ترى الظالمين مشفقين خائفين يوم القيمة مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله واقع بهم وواصل اليهم من كل بد اشفقوا او لم يشفقوا والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين من الثواب هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا او يحقر عنده الدنيا بحذافيرها من اولها الى اخرها ذلك الثواب الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات يبشر الله به عباده فحذف الجار ثم العايد الى الموصول او ذلك التبشير الذى يبشر الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره والباقون يبشر من التبشير قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم روى ان المشركين اجتمعوا في مجمع لهم

فقال بعضهم

فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الاية الا المودة في القربى استثناء متصل اى الا ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى ولم يكن هذا اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في الشرع والعادة والمروة او منقطع اى لا اسألكم اجرا قط لكن اسألكم ان تودوا قرابتى الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم وفي القربى حال من المودة اى الا المودة ثابتة في ذى القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في قوله تع والذين هاجروا في الله وقوله عم الحب في الله والبغض في الله والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في اهل القربى وروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روى عن على رضى شكوت الى رسول الله عم حسد الناس لى فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف ازواجنا وعنه عم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى واذانى في عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا اجازيه عليها اذا لقينى يوم القيمة وروى ان الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كانهم افتخروا فقال ابن عباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله عم فاتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار الم تكونوا اذلة فاعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال الم تكونوا ضلالا فهداكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال افلا تجيبونى قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون الم يخرجك قومك فاويناك او لم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ولرسوله فنزلت الاية وقال رسول الله عم من مات على حب آل محمد مات شهيدا الا ومن مات على حب ال محمد مات مغفورا له الا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا الا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما يزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل اتت الانصار رسول الله بمال جمعوه وقال يا رسول الله قد هدانا بك وانت ابن اخينا وتعروك نوايب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول وقال السدى هى المودة في آل رسول الله نزلت في ابى بكر الصديق رضى ومودته فيهم والظاهر العموم اى في حسنة كانت فتدخل فيها المودة دخولا اوليا كانه ساير الحسنات لها توابع نزد له فيها في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب كقوله من ذى الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقرئ يزد اى يزد الله له حسنا وقرئ حسنى وهى مصدر كالقربى والبشرى ان الله غفور ستور على كل محسن محاء لما كان منهم وقيل غفور لمن اذنب شكور مجاز اى يفعل بهم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وزيادته فهو منعم عليهم بتوفية الثواب والتفضل عليهم بالزيادة او معتد بالحسنة القليلة حتى يضاعفها فان القليل عند الله كثير وفي الحديث ان عيسى بن مريم قال يا رب اخبرنى عن هذه الامة المرحومة فاوحى الله اليه انها امة محمد حكماء علماء كانهم من الحكمة والعلم انبياء يرضون باليسير من العطاء وارضى منهم باليسير من العمل ادخل احدهم الجنة بان يقول لا اله الا الله ام يقولون افترى على الله كذبا ام منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى بل والهمزة فيه الانكار لقولهم والتوبيخ اى بل ايقولون اختلق محمد على الله كذبا بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المختوم عليهم لما فيه من الدلالة على انه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وعن قتادة يختم على قلبك ينسيك القرآن ويقطع

عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وفيه اشعار بان الفاء فصيحة وقعت جواب شرط محذوف وعن مجاهد يختم على قلبك يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر ويجوز ان يكون المعنى ان يشأ الله افتراءك عليه يجعلك من المختوم على قلوبهم ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استيناف لنفي الافتراء عما يقوله لانه لو كان مفتريا لمحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه لانه من عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته اي بوحيه او بقضائه كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ويجوز ان يكون عدة لرسول الله بانه يمحو باطلهم الذي هم عليه من البهت والتكذيب واثبات حقه الذي هو عليه بالقرآن او بقضائه الذي لا مرد له من نصرته عليهم وسقوط الواو من يمح في الخط مع اثباتها في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى المفعول تارة بمن لتضمنه معنى الاخذ واخرى بعن لتضمنه معنى العزل والابانة وحقيقة التوبة الندم والاستغفار لما روت عائشة رضي ان رسول الله عم قال التوبة من الذنب الندم والاستغفار وعن علي رضي التوبة اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته والظاهر ان الاية عامة في قبول توبة كل مذنب وعن ابن عباس قوله عن عباده اي عن اوليائه واهل طاعته وقال لما نزل قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال قوم ما يريد الا ان يحثنا على اقاربه من بعده فاخبره جبريل بانهم قد اتهموك فانزل الله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق ونتوب فنزل قوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اي عن صغاير الذنوب وكباير ها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون لا يخفى عليه شيء من افعالهم فلا يفعل كل ما يفعل بهم الا عن علم واتقان وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف تفعلون بالتاء على نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وقيل وجهه الاقبال به الناس كافة ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في قوله واذا كالوهم والمراد بالاستجابة اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عم افضل الدعاء الحمد لله ويجوز ان يكون الموصول فاعل الاستجابة اي يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستوجبوا له بالاستجابة وعن سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما لنا ندعوا فلا يجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا وهذا الجواب مع سؤاله ليس بمرضي عند اهل التحقيق من علماء الاخبار بل الحق الصريح ان الله ليجيب دعاء كل عبد مؤمن بدليل قول النبي عم ان العبد لا يخطىء من الدعاء احدى ثلث اما ذنب يغفر واما خير يدخر واما خير يعجل رواه انس وقوله عم ما من مسلم ينصب وجهه لله تعالى في مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها له واما ان يدخرها له وقوله عم ان المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في الكظ عند الموت وقوله عم ان الله تعالى يدعو بعبده يوم القيمة فيقول اني قلت ادعوني استجب لكم فهل دعوتني فيقول نعم فيقول ارايت يوم نزل امر كذا وكذا مما كرهت ما فدعوتني فعجلت لك في الدنيا فيقول نعم ويقول دعوتني يوم نزل بلاء فلم تر فرجا فقد ذخرته لك في الجنة حتى يقول العبد ليته لم يستجب لي في الدنيا دعوة رواه جابر وبدليل قوله من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة وقال علي رضي قال رسول الله عم اذا احب الله تعالى عبدا صب عليه البلاء صبا وثجه عليه ثجا فاذا دعا العبد ربه قال جبريل اي رب اقض حاجته فيقول تعالى دعه فاني احب ان اسمع صوته فاذا دعا يقول تعالى لبيك عبدي وعزتي لا تسألني شيئا الا اعطيك ولا تدعوني بشيء الا استجيب لك فاما ان اعجل لك واما ان ادخر لك افضل منه والاحاديث في هذا الباب كثيرة وان الله يستجيب الدعوات كلها من عبده المؤمن ولا يخيبه في شيء من دعواته وكيف لا يجيب ولا يجيب من انام يسأله عبده يغضب عليه قال ابو هريرة قال النبي عم ان الله تعالى يغضب على من لا يسأله ولا يفعل ذلك احد غيره والكافرون لهم عذاب شديد بل بدل ما كان للمؤمنين من اجر كريم وفضل كبير ولو بسط الله الرزق لعباده ولو وسع عليهم لبغوا في الارض اي لظلم بعضهم على بعض لان الغنى مبطرة

مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون وهامان عبرة ومنه قوله عم ان اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها او لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس واصل البغي الطلب ومنه البغية بمعنى المطلوب وقيل اصله طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية وكيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا ومنه قوله عم فان غم عليكم فاقدروا بكسر الدال والضم خطأ رواية اي فقدروا وعدوا الشهر حتى تكملوه ثلثين يوما ما يشاء تقتضيه مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امورهم وجلاياها وحوالهم ودقايقها فيقدر لهم ما يناسب شانهم من الفقر والغنى والمرض والصحة وعن انس عن النبي عم عن جبريل عن الله تعالى قال يقول الله تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل اداء ما افترضت وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومؤيدا ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير وكان يقول انس اللهم اني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك روي ان اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى فنزلت قال خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تغاوروا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وابو جعفر ينزل بالتشديد والباقون بالتخفيف وهما بمعنى واحد نحو التبشير والابشار مثلا من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وقرأ الخليل قنطوا مجهولا وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وقيل اي ويبسط المطر كما قال وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقيل اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضي انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا واذا اراد هذه الاية وهو الولي المالك السيد الذي يتولى عباده باحسانه الحميد المستحق للحمد على ذلك او الذي حمده كل شيء على ذلك بلسان الحال والمقال وقال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته عليهم ومن اياته خلق السموات والارض لانها تدل بذاتها وصفاتها على وجود صانع واحد قادر حكيم لا شريك له فانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وما بث فيهما عطف على الخلق او السموات من دابة من حي على اطلاق اسم السبب للمسبب او مما يدب على الارض وما يقترن باحد الشيئين او الشيئين قد ينسب الى الجمع كقولهم خرجنا من الشام ودخلنا الحجاز وانما كان الخروج من محلة من محالها بل من دار واحدة من دوره وكذا الدخول في الحجاز ومنه قولهم ان بني فلان قتلوا فلانا وانما قتله واحد منهم وقيل يجوز ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اي وهو قادر بالغ القدرة على جمعهم وحشرهم في اي وقت يشاء ذلك واذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال تعالى والليل اذا يغشى ومنه قول الشاعر واذا ما اشاء ابعث منها اخر الليل ناشطا مذعورا وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم بسبب معاصيكم التي عملتها انفسكم واثبات الفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يثبتها نافع وابن عامر وابو جعفر استغناء بما في الباء من معنى السببية ولان ما مبتدأة وخبرها بما كسبت من غير تضمين معنى الشرط ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب اخر منها التعريض للاجر العظيم بالصبر عليه ومنها التطهير له من وسخ الاوزار

كما قال النبي عم ان العبد ليمرض فيرق قلبه فيذكر ذنوبه فيقطر من عينيه مثل الذباب من الدموع فيطهره الله من ذنوبه فان
بعثه بعثه مطهرًا وان قبضه قبضه مطهرًا ومنها البلوغ الى مرتبة لم يكن لم ان يبلغها بشيء سواه من العمل كما قال النبي عم ان الله ليبتلي
المؤمن بالسقم وما يبتليه الا لكرامته عليه وان له عنده منزلة لم يبلغها باسباب بشيء من عمله دون ان ينزل به من البلاء ما يبلغه تلك المنزلة
رواه جبير بن مطعم وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله عم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا
اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعنه عم ان المؤمن لا يصيبه مصيبة ذعرة ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق
ولا غلة الا بذنب وما يعفو الله اكثر وعن علي رض ارجى اية في كتاب الله وقال الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها
النبي عم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت
ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الآخرة وما عفى الله عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال عكرمة
ما من نكبة اصابت عبدًا فما فوقها الا بذنب لم يكن الله ليغفره له الا بها او درجة لم يكن الله ليبلغه الا بها وما انتم بمعجزين في الارض
بفائتين ما قضى عليكم من المصائب اى لن تفوتوه وما لكم من دون الله من ولي يعصمكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته
الجوار السفن الجارية وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرًا لتأتم الهداة به
كانه علم في راسه نار وقال مجاهد القصور ان يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر
البحر لا تجري يقال ركدت السفينة اذا سكنت وثبتت وقراءة قتادة فيظللن بكسر اللام من ظل يظل والمشهورة بفتحها
من ظل يظل نحو طل يضل ويضل ان في ذلك لايات لكل صبار بليغ الصبر على احتمال البلايا في طاعة الله شكور
بليغ الشكر له على نعمائه باستعمال كل عضو من الاعضاء فيما خلق له حصرًا عليه فان استعماله في غيره كفر بنعمة الله فيه وهما صفتا
المؤمن العارف بالله الذي فضله على اصناف خلقه وكثير من عباده المؤمنين وهو الذي يكون جل همته معرفة الله بالنظر
في اياته المبثة في الآفاق والانفس والتفكر فيها اذ لا علم اجل وافضل من العلم بالله وصفاته العظمى لان جلالة العلم وفضله
بجلالة معلومه وفضله وشرفه ولا معلوم اجل واشرف من الله ولا عبادة اعظم اجرا من النظر والتفكر في اياته تحصيلا
لمعرفته التي هي في الدنيا جمال كل ناظر سعيد وكماله وصلاحه وفخره وفي الآخرة فلاحه ونجاحه وذخره فمن هو اعرف به فهو اشكر
له واقرب اليه واجل قدرًا لديه واهوى الفؤاد اليه واهيم الكبد عليه واوفق القلب بين يديه ولذلك قال النبي عم انا
اعلمكم بالله واخشكم له لزيادة فضله وكماله في كل شيء من الفضائل والفواضل والمناقب والمراتب وعن ابن عباس انه قال
اول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر
نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليختر
الها غيري ولا حاجة بما ذكرنا الى تفسير قوله لكل صبار شكور بقول بعضهم اى لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان
نصف صبر ونصف شكر لدخوله في ذلك لان العارف بالله هو من اكمل الناس ايمانا فهو مؤمن كامل وزيادة او يوبقهن
او يهلكهن بمنعهن من الجري باسكان الريح او بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا بسبب
ما كسبوا من الذنوب واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن بسبب عطفه عليه فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله
ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف
الكلام ويعلم الذين يجادلون في اياتنا قرأه نافع وابن عامر وابو جعفر ويعلم بالرفع على الاستئناف وانه جملة على حدة
والباقون بالنصب عطفا على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون ونظيره في العطف على
علة مقدرة قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله ولتجزى كل نفس بما كسبت او على الجزاء ونصب نصب ما يقع جوابا للاشياء

الستة



الستة لانه ايضا غير واجب ومنه قوله ولحق بالحجاز فاستريحا وقولك ان تأتني اتك واكرمك وقرئ ويعلم بالجزم عطفا
على يعف فيكون المعنى ان يشأ يجمع بين ثلثة امور اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير اخرين وقرأ الخليل وجماعة ويعلم بكسر الميم عطفا
على يعف وهو مجزوم كقراءة الحسن في آل عمران ويعلم الصابرين ما لهم من محيص من محيد من عذابه وقال السدي من ملجاء
وقال قطرب من فرار ومهرب من عذابه والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا اى فما اعطاكم الله من الغنى
والسعة في الدنيا فانما هو متاع قليل تتمتعون به اياما قلائل من مدة حيوتكم فيزول ويفنى وما عند الله من ثواب الآخرة خير
وابقى افضل في نفسه وانعم وادوم فما الاولى تضمنت معنى الشرط من حيث ان اتيان ما هو سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا وما بيان
فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رض اجتمع لابي بكر مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون
وخطاه الكافرون فنزلت للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اى للذين اخلصوا في الايمان وخصوا ربهم بالتوكل عليه لا يسندون
امرا من امورهم الى غيره ولا يعتمدون عليه والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون عطف على
للذين امنوا وكذلك ما بعده او مدح منصوب او مرفوع وقرأه حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم وعن ابن عباس كبير
الاثم هو الشرك والباقون كبائر الاثم وهي الشرك والقتل بغير حق وقذف المحصنة والزنا والفرار عن الزحف والسحر
واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين والالحاد في الحرم واكل الربوا والسرقة وشرب الخمر وشهادة الزور واليمين الغموس
وسوء الظن بالله وحب الدنيا وقد جعلها النبي عم من اكبر الكبائر كما روى سعد بن مسعود ولعن الرجل والديه سواء كان
بوسط او بغيره قال ابن عمر قال رسول الله اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قالوا كيف يسب والديه قال يسب ابا الرجل وامه
وسب الشيخين ابي بكر وعمر لانهما مع ما فيهما من الفضائل نزلا منزلة الاب لكل مؤمن لحيه عم لان الله خلق جميع المؤمنين من نورهما
قال ابن عباس قال رسول الله عم ان الله تعالى خلقني من نوره وخلق ابا بكر من نوري وخلق عمر بن الخطاب من نور ابي بكر وخلق
المؤمنين كلهم من نور عمر غير النبيين والمرسلين وبالجملة كل شيء كان اثمه مثل اثم شيء مما تقدم فهو من الكبائر وكذا الاصرار
على اى معصية كانت والمراد بالفواحش الزنا في قول ابن عباس والسدي وقال مقاتل ما يوجب الحد وفي تقديم الضمير مبتدأ
مبنيا عليه فعل المغفرة دلالة بينة على معنى اختصاصهم بالمغفرة والمعنى هم الاخصاء بالمغفرة في حال الغضب لا يغول الغضب
احلامهم كما يغول حلوم الناس ومثله قوله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم
رسول الله عم الى الايمان والعمل الصالح فاستجابوا له بان آمنوا به واطاعوه باقامة الصلوات الخمس وانما ذكر اقامة الصلوة
ولم يذكر غيرها من العبادات كايتاء الزكوة والصوم مثلا لانه ما بين العبد والايمان الا اقامة الصلوة كما لا بينه والكفر الا ترك الصلوة
فاذا اقام الصلوة فقد آمن واقام الدين كما انه اذا تركها فقد كفر وهدم الدين قال النبي عم بين العبد والكفر والشرك ترك الصلوة
فاذا ترك الصلوة فقد كفر ولانها هي التي يحاسب بها العبد اولا ويفلح وينجح ويعتبر على حسبها ساير اعماله كما قال عم اول ما يحاسب
العبد يوم القيمة من بصلوته فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر رواه ابو هريرة وقال عم اول ما يحاسب
الرجل صلوته فان كملت والا اكملت بالنافلة ثم يؤخذ الاعمال على قدر ذلك رواه ابو هريرة وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى
لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا فيها ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في الامور وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور وفي تغيير النظم بالاسمية دون الفعل كما هو المطابق لما قبله من فعلى
الاستجابة والاقامة على استمرارهم ودوامهم على ذلك وان التشاور في الامور من عاداتهم القديمة روى ان الانصار كانوا قبل
الاسلام وقبل مقدم رسول الله عم المدينة اذا كان بينهم امر اجتمعوا وتشاوروا فاثنى الله عليهم ومما رزقناهم ينفقون
في سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون يقتصرون في الانتصار من ظالميهم على ما جعله الله لهم كراهة ان يذلوا
انفسهم فيجترئ عليهم الفساق

وفيه تنبيه على طاعتهم وكونهم محمودين على الانتقام منهم لان من اخذ حقه من ظالم غير عاد [تجاوز] لامر الله فهو محمود وقيل وهو
وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بساير امهات الفضايل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ
عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغي عقب
وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدي وقال ابن زيد وبعض المالكية جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالميهم
فبدا بذكرهم في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالميهم ثم بين حد الانتصار بقوله وجزاء سيئة سيئة
مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج اولانها تسوء من تنزل به قال تع وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من
المصايب والبلايا والمعنى انه يجب اذا قوبلت الاساءة ان يقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله يقول اخزاك الله واذا شتم
يشتم بما شتم قاله مجاهد والسدي وسفيان الثوري وابن عيينة وعن بعض الفقهاء في هذه الآية وقد قيل انه الشافعي رض ان للانسان
ان ياخذ من مال خانه مثل ما خانه من غير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي عم لهند زوجة ابي سفيان خذي من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز
لها اخذ ذلك بغير اذنه كذا ذكره القرطبي في تفسيره فمن عفى عن ظالمه واصلح بالعفو والاغضاء والحلم عنه فاجره على الله عدة مبهمة
لا يعرف كنهها لعظم الموعود قال ابن عمر رض قال النبي عم اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس هلموا الى
ربكم وخذوا اجوركم وحق لكل مسلم اذا عفى ان يدخل الجنة وعنه عم اذا جمع الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل
فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن انتم فيقولون
نحن اهل الفضل فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا اغتفرنا واذا جهل علينا حلمنا
فيقولون لهم ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين ذكره ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين بن علي رض انه لا يحب الظالمين المبتدئين
بالسيئة والمتجاوزين في الانتصار والانتقام وقيل فيه دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز التسوية والاعتداء
خصوصا في حال الحرد [الغضب] والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا يشعر وقال ابن عباس الظالمين اي الذين يبدؤون
بالظلم وقيل الذين يتعدون في الاقتصاص ولمن انتصر بعد ظلمه من اضافة المصدر الى المفعول اي بعد ما ظلم وقد قرئ به و
المعنى بعد ظلم الظالم اياه فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاقبة والمعاتبة واولئك اشارة الى معنى من دون لفظه انما السبيل
على الذين يظلمون الناس يبتدؤون الناس بالظلم وقيل بالاضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم وقال ابن جريج
اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير الحق اي ويتكبرون في الارض ويعلون ويفسدون فيها اولئك لهم عذاب
اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على احتمال الاذى وغفر ولم ينتصر وتجاوز عن ذلك ان ذلك الصبر والمغفرة لمن عزم الامور
من معزمات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون وحذف منه لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن
منوان بدرهم اي ان ذلك منه لمن عزم الامور وقال مقاتل من الامور التي امر الله بها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب اي حين يرون العذاب وجاء بلفظ الماضي على
عادة الله في اخباره وان المستقبل عنده بمنزلة الماضي في تحقيق الوقوع يقولون هل الى مرد من سبيل هل الى رجع الى الدنيا من
طريق فنسلكه وهذا القول منهم انما هو من كمال شدة ما هم فيه وفرط ياسهم تعللا وتحيرا وتراهم يعرضون عليها على النار و
يدل عليها العذاب خاشعين متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل من الهوان والخزي وقد يتعلق هو بقوله
ينظرون ويوقف على خاشعين وقرأ الخليل من الذل بكسر الذال ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك
لاجفانهم ضعيف خفي بمسارقة كالمصبوب ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان يفتح اجفانه عليها ويملأ
عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي وهو غير سديد

يأباه لفظ الطرف



يأباه لفظ الطرف لان الطرف تحريك الجفن بالنظر ولان ضمير ينظرون عايد الى الظالمين الرائين العذاب وقال الذين امنوا ان
الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا
او لقال اي يقول الذين امنوا ذلك اذا راوا الظالمين على تلك الحال والصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم دايم لا خروج لهم منه ولا خلاص
عنه نعوذ بالله من ذلك وهو اما تمام كلام المؤمنين او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله و
من يضلل الله فما له من سبيل فليس له طريق الى الهدى او النجاة من العذاب استجيبوا لربكم بان امنوا به واطيعوه
فيما امر به ونهى عنه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله من صلة مرد اي لا يرده الله بعد ما حكم به او صلة ياتي اي من
ان ياتي من الله يوم لا يمكن لاحد رده ما لكم من ملجا يومئذ من مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير النكير الانكار والمعنى
ما لكم مخلص من العذاب وما لكم انكار ما في شيء مما اقترفتموه لانه مدون في صحايف اعمالكم وتشهد به السنتكم وجوارحكم وتاكيد
النفي فيهما بمن الاستغراقية يفيد ما ذكرنا من العموم وقيل من نكير اي من منكر يغير ما بكم فان اعرضوا عن الاستجابة لربهم بالايمان
والطاعة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تراقب اعمالهم او محاسبا تحاسبهم علينا ان عليك الا البلاغ اي ما يجب
عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وقد بلغتها فلا يهمنك اعراضهم وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها الانسان للجنس لما ياتي
بعده من ضمير الجمع العايد اليه والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة [وسعة] اي اذا انعمنا على الانسان بنعمة فرح بها وان تصبهم سيئة بلاء من
مرض وخوف وفقر بما قدمت ايديهم بما عملت ايديهم من كفرانهم بنعمة الله وعصيانهم فيها وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تباشر بها
فجعل كل عمل كالصادر بالايدي على طريقة التغليب فان الانسان كفور عظيم الكفران للنعمة الواصلة اليه ينساها لما ينسى ويجحد باول
شدة جميع ما وصل اليه من النعم وقيل بليغ الكفران ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتامل سببها وهذا وان اختص
بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم والظاهر انذار جميعهم فيه واقام المظهر مقام المضمر حيث لم يقل فانه كفور تسجيلا به على
ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود ولما كانت نعم الله كثيرة لا تعد ولا
تحصى فحصولها مقطوع به والسيئة بالاضافة اليها نادرة جدا جاء في جانب الرحمة التي هي النعم بلفظ الماضي مع اذا وفي جانب
السيئة بلفظ المضارع مع ان فان اصل اذا القطع بوقوع الشرط والماضي يدل على الوقوع قطعا نظرا الى نفس اللفظ واصل ان
عدم القطع بوقوع الشرط والمضارع الدال على الندرة متردد بين الوقوع وعدمه فلا يقطع به فان الحكم للنادر غير مقطوع به في
الغالب ولما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها اتبع ذلك ما يدل دلالة قاطعة بان له الملك وانه يقسم النعم والبلاء كيف شاء
فقال لله ملك السموات والارض اي يختص به ملك العالم كله لا يقدر ان يملك احد سواه فله ان يقسم النعمة والبلاء ويقدرهما
بين ممالكه كما يقتضيه مشية الربانية وقسمة الالهية يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور من غير
لزوم ومجال اعتراض او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض يعني يجعل احوال العباد
مختلفة في الاولاد على موجب مشيته فيخص بعضهم بالاناث وبعضهم بالذكور وبعضهم بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا [يهب لهم]
ولدا قط وتقديم الاناث لانهن اكثر لتكثير النسل او لرعاية الترتيب الواقع اولا في الهبة لنوع الانسان فانه وهب اولا
آدم زوجته حواء بان ولدها منه وخلقها من قصيراه اولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق مشية الله به لا مشية
الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب ابائهن او لمراعاة الفواصل ولذلك
عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه
قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل نزلت في الانبياء حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد عم ذكورا واناثا
وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير بليغ العلم بكل شيء مما كان ويكون قدير بليغ القدرة على كل مقدور فلا يفعل كل ما يفعله الا
بحكمة بالغة واختيار تام

وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا وحيا الا من طريق الوحي وهو اعلام في خفاء وكذا الايحاء وعن الزجاج الايماء يسمى وحيا يقال اوحى اليه ووحى بمعنى اومأ وقيل هو كلام خفي يدرك بسرعة لانه تمثل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية المهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول والآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل هو الالهام والالقاء في القلب او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم في ذبح ولده وعن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي الله ان قد تامروا بابل بني اوفى فقمت على رجليه اي الهمني والقي في القلب وقيل هو الوحي المنزل به الملك الى الرسل وعلى هذا يراد بالرسول في قوله او يرسل رسولا النبي الذي يبلغ وحيه الامة وعلى الوجه الثاني يراد به الملك الموحى الى الرسول او من وراء حجاب مثل كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة وقرأ ابن ابي عبلة او من وراء حجب وهو عطف على وحيا فالجار والمجرور في موقع النصب على الحال كقوله وعلى جنوبهم وكذلك قوله او يرسل رسولا تقديره وما صح ان يكلم الله احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا رسولا او على المصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام فيوحي باذنه ما يشاء اي فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه وقرأ نافع او يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء على تقدير او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا والباقون بالنصب باضمار ان كانه قال او ان يرسل فيوحي بالنصب ايضا عطفا على يرسل ومن جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او بان يرسل وجب عليه ان يقدر قوله او من وراء حجاب تقديرا يطابقهما عليه مثل ان يسمع من وراء حجاب وروي ان اليهود قالت للنبي عم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى عم الى الله فنزلت انه علي عن صفات المخلوقين حكيم متقن بالغ الاتقان في كل شيء او ذو حكمة بالغة في كل ما يفعل فيتكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي وكما اوحينا الى سائر رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا وهو ما اوحي اليه من القرآن لان الخلق يحيون به في دينهم ودنياهم كما يحيى الجسد بالروح وقيل جبرئيل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي وقال ابن عباس اي نبوة وقال الحسن وقتادة اي رحمة وقال السدي ومقاتل وحيا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي قبل الوحي وقد استدل به على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع وقال محمد بن اسحاق المراد بالايمان ههنا الصلوة كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت المقدس وقيل قوله ولا الايمان محمول على حذف المضاف تقديره ولا اهل الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب او العباس او غيرهما قاله الحسين بن الفضل وقال ابو العالية ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ولكن جعلناه اي جعلنا الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للايمان به والنظر فيه والارشاد اليه وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي لتدعو الى وترشد الى الاسلام وقرئ لتهدي اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض اي الذي يختص به جميع ما في السموات وجميع ما في الارض خلقا وملكا وعلما الا الى الله تصير الامور امور الخلائق كلها في الدنيا والآخرة فلا بد ترجع الا اليه حيث لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وقيل اليه تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبي عم من قرأ حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له سورة الزخرف تسع وثمانون اية او تسع وثمانون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالكتاب المبين وهو القرآن على انه جعله قرآنا عربيا وهو من الايمان

البديع



البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض ومعنى المبين الكامل في البيان او في ابانة الحق من الباطل وما يحتاج اليه الامة من الشرايع او الظاهر امره في اعجاز العرب وتبكيتهم او الذي يبين لمن تدبره ما فيه من العلوم والحكم والشرايع وانه من عند الله لا من عند البشر او الواضح الذي لا يخفى على احد اعجازه ظاهر مكشوف ولا يشتبه على العرب معانيه لنزوله بلسانهم واساليبهم وجعل بمعنى صير وقال السدي اي انزلناه قرآنا عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه ووصفناه كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله وجعلوا القرآن عضين وقوله اجعلتم سقاية الحاج فان كلها بمعنى الوصف والتسمية وقيل المراد بالكتاب ههنا جميع الكتب المنزلة على الانبياء لان الكتاب اسم جنس فاقسم بجميع الكتب السماوية على انه جعل القرآن عربيا والضمير في جعلناه للقرآن وان لم يجر له ذكر كقوله انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم تعقلون في موضع النصب على المفعول له اي جعلناه قرآنا عربيا لكي تفهموه او طلب ان تفهموه او ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه فلا يلتبس عليكم ولئلا تقولوا لولا فصلت آياته او على الحال اي جعلناه عربيا غير عجمي مقدرين رجاءكم عقله وفهمه على ان التقدير من الرحال الجعل والرجاء من العباد او طالبين عقلكم وفهمكم اياه فان من لا يصح عنده تفسير لعل بالارادة لاستلزامها وقوع المراد ولا بالتعليل لامتناع تعليل فعل الله بالغرض وجب عليه ان يفسره بالطلب لانه لا يستلزم وقوع المطلوب على ما بين في اصول الدين من ان الطلب غير الارادة على ان منع التعليل بالغرض العايد الى العباد بعيد عن الصواب جدا لمخالفته كثيرا من النصوص وانه عطف على انا في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ لانه اصل الكتب السماوية الذي منه تنقل وتنسخ او في كتاب هو عند الله فوق العرش وهو الاصح لقول النبي عم ان الله عز وجل كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض وهو عنده فوق العرش والخلق منتهون الى ما في ذلك الكتاب وذلك تصديق الله في كتابه وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم رواه انس رض وقرأ حمزة والكسائي ام بكسر الهمزة اتباعا للميم لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي لرفيع الشان في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا يتطرق اليه نسخ ولا تبديل وهما خبران لان وفي ام الكتاب متعلق بعلي واللام لا تمنعه او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر صفحا افننذه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرايب عن الحوض اي صرفها وبعدها عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس ومنه قول الحجاج لاضربنكم ضرب غرايب الابل والهمزة للانكار والفاء للعطف والمعطوف عليه محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر اي فنضرب عنكم القرآن وما فيه من الامر والنهي وما فيه من الوعد والوعيد صفحا اي اعراضا على انه مصدر من غير لفظ فعله فان تنحية الذكر وتبعيده عنهم اعراض ويجوز ان ينتصب على المفعول له اي للاعراض او على الحال بمعنى صافحين معرضين واعلم ان قولهم صفح عنه معناه الحقيقي ولاه صفحة وجهه ومعناه المجازي اعرض عنه وما قيل ان الصفح ههنا بمعنى الجانب فهو في هذا التفسير محمول على حقيقته لان صفح الشيء وصفحته وجهه وجانبه ومنه صلى الصفحة بعيره الوجه وجانبه وعلى هذا يكون ظرفا كقولك ضع جانبا وامش جانبا ويبصره انه قرئ صفحا بضم الصاد وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمقصود انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليعقلوه ويعملوا بموجبه ان كنتم قوما مسرفين قرأ نافع وحمزة والكسائي وخلف وابو جعفر ان كنتم بكسر الهمزة توبيخا لهم جزاء على الشرط اي بتقريب الهم عليه وذلك ان الشرط وهو كونهم مسرفين اي مشركين متجاوزين الحد في الكفر والطغيان مقطوع به لكن استعمل ان مع تحقق اسرافهم لقصد التوبيخ والتنبيه على ان الاسراف ينبغي ان لا يسند الى العاقل الا على مجرد الفرض والتقدير كما يفرض المحال للمبالغة والتبكيت والالزام لاشتمال المقام على الايات الدالة على ان الاسراف مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل اصلا فهو بمنزلة المحال والمحال وان كان مقطوعا بعدم وقوعه لكنه في هذا المقام ينزل منزلة ما لا قطع بعدمه على طريق المساهلة وارخاء العنان لقصد التبكيت والالزام فلاجل هذا يصح استعمال ان فيه كما صح

في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وقوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا هو مع المرتابين في حقية القرآن وقوله ان
كان هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة اى ان كان حقا فعذبنا على انكاره يريد به نفي حقيته ولا شك ان تعليق العذاب بكونه حقا مع
اعتقاد انه باطل تعليق بالمحال ومنه قوله وان كنتم في ريب من البعث وقوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله ولو سمعوا
ما استجابوا لكم والباقون بفتحها اى لان كنتم وهو في الحقيقة علة مقتضية للترك الاعراض قراءة زيد بن علي اذ كنتم بالذال وكم
ارسلنا من نبي في الاولين كم مفعول ارسلنا ومن بيان لابهامها اى كثيرا من الانبياء ارسلنا فيهم وما يأتيهم من نبي الا كانوا به
يستهزؤن حكاية حال ماضية مستمرة لان ما انما يدخل على مضارع في معنى الحال وعلى ماض قريب منها اى كانوا على ذلك وهذه
تسلية لرسول الله عم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله
يخبره عنهم اى فاهلكنا اقوى من قومك المسرفين من حيث البطش وهو الاخذ الشديد عند الغضب والتناول عند الصولة و
مضى مثل الاولين اى وسلف في القرآن قصتهم العجيبة التي هي كالمثل السائر وهذا وعد لرسول الله ووعيد لهم بمثل ما جرى
على الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى ليسندن خلقها الى الذي من صفته العزة
على كل شيء والعلم بكل شيء وغير ذلك من اوصافه الخاصة التي لا يشاركه فيها احد كجعل الارض مهادا وخلق السبل فيها وتنزيل الماء
من السماء والظاهر ان هذا من قول الله لا من قولهم وقيل يجوز ان يكون الذم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام
الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم في مواضع اخر وهو الذي من صفته ما ينفرد من الصفات وان يكون مقولهم وما بعد
استئنافا وبالجملة ففيه تنبيه على انهم يقرون قطعا ويقينا بان الله خالق هذه الاجسام العظام التي لا يقادر قدرها التي هي قدرته
على كل شيء وبعلمه وساير صفاته العظمى ثم ينكرون قدرته على بعث الانسان وحشره مع ان جسمه لا بالقياس الى تلك الاجسام من بيان
قليل مهين ويجعلون له مع ذلك الاقرار من عباده جزءا هو عندهم شر الجزئين وابغضها تسجيلا على انفسهم بكمال جهلهم وفرط
غيهم وضلالهم الذي جعل لكم الارض مهادا اى جعل الارض سكنا لكم تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون
كما يتقلب احدكم على مهاده وفراشه وجعل لكم فيها سبلا طرقا تسلكونها والموصول مع صلته اما ان يكون نصبا
على المدح والتعظيم بتقدير هو الذي جعل او اعني الذي جعل قرأه زيد بن علي سبلا بسكون الباء لعلكم تهتدون علة لجعل اى
لكي تهتدوا والاسنا فعكم او طلب اهتدائكم او حال منه اى جعلها مهادا وفيها سبلا مقدرا رجاءكم الاهتداء او طالبا اياه فيكون
التقدير والطلب من الله حال الجعل ورجاء الاهتداء من العباد وقال سعيد بن جبير لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم
والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع العباد والبلاد ويسلمون به من الهلاك فانشرنا به فاحيينا بذلك الماء بلدة
ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان قرأه ابو جعفر وعيسى بن عمر ميتا بالتشديد كذلك تخرجون
اى كما انشرنا هذه البلدة الميتة كذلك تنشرون بان نخرجكم احياء من قبوركم والكاف في محل الرفع على الابتداء اى مثل ذلك الانشار
والاحياء تنشرون من الارض والذي خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات باسرها لا يشذ شيء منها عن ايجاده واختراعه
وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت
الدابة وركبت في السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر او الحيوان على الجماد وتقديم البيان على الم
المبين للمحافظة على الفاصلة التوبيخية وتقديم الفلك على الانعام لان الفلك ادل دليل على القدرة الباهرة والحكمة البالغة كالاضح
على من يشاهدها والمراد بها السفن الجارية في البحر كالاعلام لتستووا على ظهوره اى على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام
فجمع باعتبار المعنى والاستواء الركوب ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ثم تذكروها في قلوبكم معترفين بها حامدين
عليها وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقران الشيء اذا اطاقه وحقيقته وجده قرينته و

وما يقرن به

وما يقرن به اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف الا ترى الى قولهم في الضعيف لا تقرن به الصعبة وقرئ مقرنين بالتشديد والمعنى
واحد وقال علي بن ربيعة شهدت علي بن ابي طالب حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد
لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا ثم كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما يضحكك يا امير المؤمنين قال رأيت رسول الله عم فعل مثل ما فعلت
وقال مثل ما قلت ثم ضحك فقلنا ما يضحكك يا نبي الله قال العبد او قال عجبت للعبد اذا قال لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه
لا يغفر الذنوب الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب الا هو خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وعن ابن عباس قال النبي عم اذا ركب العبد
الدابة فلم يذكر اسم الله عليه ردفه الشيطان وقال له تغن فان قال لا احسن الغناء قال له تمن فلا يزال في امنيته حتى ينزل وانا الى
ربنا لمنقلبون اى لراجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله ولانه مباشرة امر مخطر و
واتصال بسبب من اسباب التلف فيجب على الراكب ان لا ينسى عند اتصاله به يوم هلاكه الذي ينقلب فيه الى الله لا محالة ويستعد
للقائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اى ولئن سألتهم عن خالق السموات
ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده ولدا لانهم قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وقيل ولعله سماه جزءا
كما سماه بعضا لان بعضه من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق في ذاته وقال الزجاج والمبرد الجزء ههنا البنات وقال الماوردي
في تفسيره الجزء عند اهل العربية البنات يقال قد اجزأت المرأة اذا ولدت البنات قال الشاعر ان اجزأت حرة يوما فلا عجب
قد تجزئ الحرة المذكار احيانا قال جار الله ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث
وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث متحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا ان اجزأت
حرة يوما فلا عجب زوجتها من بنات الاوس مجزئة وقرئ جزؤا بضم الزاء اتباعا للجيم ان الانسان لكفور مبين لعظيم
الكفران والجحود لنعمة ربه ظاهر كفرانه وجحوده ولذلك نسب الولد اليه لشدة الكفر به كامل في بيان شدة كفره اوفي اباتها
بنسبة الجزء المستلزم للتركيب المستلزم للجسمية والتحيز والحدوث والمجانسة والمماثلة الى الواحد الحقيقي الذي هو منزه الذات
عن انحاد التركيب والتعدد وما يلزم من الجسمية والشبه والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود وساير الصفات
المقتضية للالوهية فناسب الجزء اليه جمع في كفره عدة كفرات فلا يكون في الكفار ابلغ وابين كفرا منه وقيل ظاهر الكفران ومن ذلك
نسبة الولد الى الله لانها من فرط الجهل والتحقير لشانه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين اضراب عن جعلهم له جزءا الا جعلهم
له جزءا هو ادنى الجزئين وشرهما ومعنى الهمزة في ام للانكار والتعجب كانه قال دع نسبتهم الجزء اليه وانظر الى نسبتهم المستنكرة المقتضى منها
العجب ان جعلوا له شر الجزئين وهو الاناث ولانفسهم خيرها واعلاها وهو الذكور وفيه ان نسبة الجزء الى الله منكر وعجيب ونسبة
البنات اليه انكر واعجب ومن ثم اضرب من ذلك الى هذا وانهم فضلوا انفسهم على ربهم بجعل الادنى له والاعلى لهم ولانهم نوابه
حيث جعلوه والدا لزمهم ان يكون شبيها بالمخلوقات ومجانسا لها وان يكون له من شبههم وجنسه صاحبة وبالملائكة حيث انثوهم ونسبوهم
الى انقص الناس عقلا ودينا وعن الكلبي قالوا ان الله تزوج من الجن فخرج منها الملائكة سبحان الله وتعالى عن كل ما يقول الظالمون علوا
كبيرا وعن ابن عباس من الملائكة حي يقال لهم الجن منهم ابليس قالوا هم بنات الله والاصفاء الايثار اى آثركم على نفسه بالبنين وتكبر
البنات وعرف البنين وقدمهن في الذكر عليهم لما مر في قوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور واذا بشر احدهم بما
ضرب للرحمن مثلا واذا اخبر احدهم بالجنس الذي جعله للرحمن مثلا اى شبها لان الولد يحاشى الوالد وعانله المحالة يعني انهم نسبوا
اليه هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود في الغاية لفرط الكآبة والحزن
او الكراهة فان اسوداد الوجه ههنا عبارة عن الحزن او الكراهة وهو كظيم وهو مملوء من الكرب وذلك لان البنات ابغض الاشياء
اليهم ولقد بلغ بهم البغض والنفرة

الا ان ولد وهي وعن بعض العرب ان امرأة ولدت انثى فهجرها زوجها فقالت ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا غضبان ان
لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شئنا وانما نأخذ ما اعطينا وقرئ مسودّ ومسوادّ على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسودّ جملة و
وقعت خبرا أومن ينشأ في الحلية الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اي اينسب اليه جزءا ومن ينشأ في الحلية وقيل المعنى
او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة وقيل اي او جعلوا له او اتخذ من
يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام غير مبين وهو في المجادلة مع من يجادله غير موضح للبرهان على ما يدعيه لنقصان العقل
وضعف الرأي وقال قتادة في هذه الآية قلّ ما تتكلم امرأة فتريد ان تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ويجوز ان يكون من مرفوعا بالابتداء
لا بالفعل المقدر كما ذكرنا وخبره محذوف اي اومن هذا حاله ولده وجوز محيي السنة في تفسيره ان يكون مجرورا عطفا على قوله مما يخلق وقوله
بما ضرب وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا تمنع وقرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف ينشّأ بتشديد الشين اي يربى والباقون
ينشأ اي يتربى وقرئ ينشأ من الانشاء وقرئ يناشأ وكلاهما بمعنى ينشأ بالتشديد ونظير هذه الثلاثة في اتحاد المعنى اعلاه وعلّاه و
عالاه وقرأ الاعرج والزهري ينشو بفتح الياء وترك الهمزة وفي هذه الآية دلالة بينة لكل ذي عقل سليم على ترك التنشؤ في الزينة والتنعم منه
والحذر عنه لانه يجعله من المعايب والمذام ومن صفات الاناث ويعضده قول النبي عم لمعاذ اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين
والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات والعجب كل العجب من علماء عصرك ومتفقهة زمانك يتلون هذه الآية ونحوها
والاحاديث المطابقة لها في المعنى ولم يتأملوا فيها تأملا صحيحا ولم يتبعوا فيها نبيهم الكريم في ترك الزينة والتنعم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا كفر آخر يتضمن مقالهم تشنّع به عليهم وهو جعلهم اكمل عباد الله واكرمهم عليهم واقواهم ادناهم وانقصهم واشملهم بالمعايب والمذام واضعفهم
ونعم ما قال من قال قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم اكرم عبادا
لله على الله فاستخفوا بهم واحتقروا بهم وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وابو جعفر ويعقوب عند الرحمن قصد به الى رفع الدرجة
والكرامة دون قرب المسافة ومثله قوله ومن عنده لا يستكبرون في التعبير بلفظ عند عن الزلفى والمكانة والكرامة والباقون عباد
الرحمن جمع عبد ونظيره قوله بل عباد مكرمون وفي اخباره بانهم عباده رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم الملائكة بنات الله
لان الملائكة البنات لا تكون عبادا والولد لا يكون عبدا لابيه وروى الحلواني عن مالك بن دينار عن عكرمة انه قرأ عباد الرحمن بالنصب
وكذلك ابن يعمر وقرئ عبيد وقرئ انثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سمّوا وقالوا انهم اناث أشهدوا خلقهم اي احضروا خلق الله
اياهم فشاهدوهم اناثا لان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع وابو جعفر أأشهدوا بهمزتين همزة الاستفهام
وهمزة مضمومة بين بين وقالون آأشهدوا بالف بينهما وكلا القراءتين من اشهد بمعنى الاحضار والباقون أشهدوا بهمزة مفتوحة هي الاستفهام
وبفتح الشين من الشهادة بمعنى الحضور ونحوا على ادعائهم ما لم يشهدوه ولم يشهدوه حتى يكون قولهم عن مشاهدة وعيان ان
يتبعون الا الظن والوهم وهوى الانفس ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة من انوثتهم ويسألون ويسألون عنها
يوم القيمة وهو وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات وهي الملائكة
وقرأ ابن عباس وابو جعفر وجماعة سنكتب شهادتهم وابن ابي عيلة ستكتب شهاداتهم وقرأ ابن يعمر يساءلون بوزن
يتفاعلون ونقل الكلبي ومقاتل لما قالوا الملائكة بنات الله سألهم النبي عم فقال ما يدريكم انهم اناث قالوا سمعنا من آبائنا
ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله ذلك والسين لمجرد التأكيد كما في قوله سنكتب ما قالوا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اي لو شاء الرحمن عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشية عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على حسنها وذلك باطل
لان المشية ترجيح بعض الممكنات على بعض مامورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهّلهم بقوله ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون
يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم
جواب
فوز الشمني
بها علم



بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام آتيناهم كتابا من قبله ام انزلنا عليهم
كتابا من قبل الرسول او القرآن او ادعائهم يشهد بصحة ما قالوه من عبادة غير الله وكون الملائكة بنات فهم به مستمسكون يقال
استمسك به اذا اعتصم به والضمير في به للكتاب بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة على دين وملة اي بل لا حجة لهم على ذلك يحتجون بها
الا قولهم هذا والامة الطريقة التي تؤم وتقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئت بكسر الالف وهي الحالة التي يكون عليها الآمّ وهو القاصد
وقال مجاهد على امام وقال الاخفش على استقامة وانشد قول النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو
طايع وقيل على نعمة وحالة حسنة وانا على آثارهم مهتدون وانا نهتدي باتباعهم والظرف صلة مهتدون قدّم عليه للاختصاص
واستعمل بعلى لتضمنه معنى الثبوت وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون اي كما لا حجة لهؤلاء على ما ادعوه من الكفر والشرك الا قولهم بتقليد ابائهم كذلك لا حجة لمن كان قبلهم
الا هذا او كما قال هؤلاء كذلك قال من كان قبلهم من غلاة الكفرة ورؤسائهم وهم المنعمون الذين اترفتهم النعمة وسعة العيش اي
ابطرتهم وقيل مترفوها اي منعّموها من الملوك والجبابرة والظاهر انهم ومن يضاهيهم من الذين يتمادون في الشهوات ويتباهون
بزخارف الدنيا ويتبالغون في النفرة عما يلزمهم في الدين من التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وابي سفيان وابي جهل وعتبة وشيبة ولا يخفى ما في ذلك من التسلية لرسول الله عم والاشعار بان التقليد في نحو ذلك كفر بليغ وضلال بعيد
وان قدماءهم قالوا مثل قولهم تشابهت قلوبهم ولعل تخصيص المترفين بالذكر اشارة الى ان القائلين بهذا القول من قريش ومن تقدمهم
انما تفوهوا به من اترافهم وانهماكهم في التنعم واتباع الشهوات وقيل تخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم
عن النظر في التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين ابائكم والظاهر
انه خطاب لرسول الله عم وقيل يجوز ان يكون حكاية امر ماض اوحي الى النذير ويؤيده انه قرأه ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم
به كافرون اي انا ثابتون على دين ابائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى اقناط منهم بتصميمهم على تقليد ابائهم في الكفر والضلال
واقناط للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه وقرأ ابو جعفر قل اولو جئناكم والاعمش اولو او نبيهم بايم فانتقمنا منهم بعذاب الاستيصال
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين آخر امرهم فلا تلتفت الى كفرهم والاستهانة بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف
تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه لانه اشرف ابائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون اي بريء من عبادتكم لغير الله او معبودكم
والهة تعبدونها على ان ما مصدرية او موصولة او موصوفة وبراء مصدر كظماء ومن ثم استوى فيه الواحد والمتعدد والذكر والمؤنث
يقال نحن البراء منك والخلاء منك وقرئ براء بضم الباء وهو ايضا مصدر كنواء وخواء وقرئ بريء وهو ايضا مصدر كمجيء ووجيف
ويجوز ان يكون وصفا والمصدر ابلغ وهو انسب بكل مؤمن سيما ابراهيم عم وقرأ الاعمش بريء بكسر الباء الا الذي فطرني
منصوب على انه استثناء منقطع كانه قال لكن الذي فطرني او متصل على ما يعم اولي العلم وغيرهم فانهم يعبدون الله والاوثان
ويجوز ان يكون الا صفة بمعنى غير على ان ما موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فانه سيهدين سيرشدني لدينه او سيجزيني بالهداية او سيدلني على ما هداني اليه او سيمضي علي بهدايته
وجعلها وجعل الله او ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في
عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده وما قيل من ان عقب الرجل هم اولاد الذكور كما وقع في اجناس
الناطفي او اولاد البنات كما نقل عن بعض الفقهاء فكلا القولين ضعيف جدا لا يوثق بذلك وقرئ كلمة في عقبه بسكون اللام و
القاف على التخفيف وقرئ في عاقبته اي فيمن عقبه وخلفه لعلهم يرجعون لعل المشركين منهم يرجعون عن الاشراك الى التوحيد
بدعاء من وحّد منهم وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله بل متعت هؤلاء وآباءهم بل متعت اهل مكة الذين هم
من عقب ابراهيم بالمد في العمر

والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد وطاعة الرحمن قرأ نافع برواية
ابن يعمر ويعقوب بن سعيد متعت بفتح التاء وفي حرف ابن مسعود متعنا حتى جاءهم الحق القرآن وقيل دعوة التوحيد وقال
الضحاك الاسلام ورسول مبين ظاهر الرسالة بما معه من المعجزات الباهرة او موضح للتوحيد والاسلام بالحجج والايات او مبين
لهم طرق الهدى من طرق الضلالة وما يحتاجون اليه وقرئ بل متعت بفتح التاء على انه تع اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة
باقية مبالغة في تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد لا ان يشركوا به
ويجعلوا له اندادا والمراد توبيخهم على اشتغالهم بالتمتع عن التوحيد ومواجبه ولما جاءهم الحق ليهديهم الى صراط مستقيم ويوقظهم عن
سنة غفلتهم عنه قالوا هذا سحر وانا به كافرون يعني كفروا به على البديهة قبل ان يتدبروه تقليدا لابائهم وازدادوا كفرا الى كفرهم بان
ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف به ومن كفرهم انهم سموه سحرا تسجيلا على انفسهم بالانهماك
في التمرد والعناد ولذلك احتكموا على حكمة الله في تخيير محمد من اهل زمانه بقولهم الذي حكى الله عنهم وهو وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين عظيم اي على رجل من احدى القريتين مكة والطايف عظيم بالجاه والمال ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان اي من احدهما وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطايف وقال مجاهد عتبة
بن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفي من الطايف وعن ابن عباس الوليد من مكة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من الطايف وكان
الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي او على عروة بن مسعود الثقفي وذلك لان الرسالة منصب عظيم لا يليق
الا بعظيم وهؤلاء الغلاة الغلظاء هم العظماء عندهم لترؤسهم وتقدمهم في الدنيا وذهلوا عن انها رتبة مخصوصة بمن عظمه
الله في الدنيا والاخرة وفضله على خلقه وهو محمد الذي لولاه لما خلقت الجنة والدنيا قال عم اتاني جبرئيل فقال يا محمد ان الله يقرأ
عليك السلام ويقول وعزتي وجلالي لولاك لما خلقت الجنة ولولاك لما خلقت الدنيا وقيل ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي
عظم النفس بالتحلي بالفضايل والكمالات القدسية لا التزخرف بالزخارف الدنيوية أهم يقسمون رحمة ربك همزة الاستفهام للانكار
تجهيلا لهم وتعجيبا من شانهم حيث لم يرضوا بمن اختاره الله لرسالته واصطفاه لنبوته التي هي رحمته الشاملة للعالمين حتى
اعترضوا وتحكموا ان يكونوا هم المدبرين لامر الرسالة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمته التي لا يتولاها
الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اعلاما لهم بانهم عاجزون
عن تدبير معيشتهم التي هي خويصة امرهم في دنياهم فكيف يكون لهم القدرة على ان يدبروا امر النبوة التي هي رحمة الله الكبرى
ورافته العظمى والامر تبة اعلى منها في مراتب العباد كلهم ولا اشرف منها واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله وقرأ
ابن مسعود وابن عباس معايشهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وقدرنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ولم نسوّ
بينهم في الفضايل والفواضل ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويتعاونوا ويتشاركوا في تحصيلهم ما يحتاجون اليه من المنافع التي هي الغذاء والملبس والمسكن وغيرها
ولو وكلهم الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لانخرق نظامهم وهلكوا وبعبارة اخرى كما قيل ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل
بينهم بالف ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك ولا التصرف فكيف يكون فيما
هو اعلى منه وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بالمال بعضا بالعبودية والملك وقرأ مجاهد وابن محيصن سخريا بكسر السين ورحمة
ربك يعني وهذه الرحمة وهي النبوة وما يتبعها وقيل هي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمعون مما يجمع هؤلاء
الكفار من حطام الدنيا والعظيم من رزق من ذلك لا من هذا الحقير الدنيء وقيل الجنة خير للمؤمنين مما يجمع الكفار من الاموال
ولولا ان يكون الناس امة واحدة الجمهور منهم ابن عباس والحسن على ان معناه لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا
وهي الدنيا

وتركهم الاخرة

وتركهم الاخرة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه في هذه الاية لحقارة الدنيا وهوانها
عند الله تع وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم على الاخرة وقال الكسائي لولا ان يكون فيهم الفقر يعني
غني وفقير لاعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها ولبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر باعادة الجار او علة كقولك وهبت له
ثوبا لقميصه والاولى للصلة في الوجهين وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف اكتفاء بجمع البيوت
وقيل لانه مفرد اريد به الجمع والباقون سقفا بضمهما جميعا على انه جمع سقف كرهن جمع رهن وقيل هو جمع سقيفة وقرئ
سقفا بضم السين وسكون القاف على التخفيف من سقف وقرئ سقفا بفتحهما على انه لغة في سقف وقرئ سقوفا كفلس وفلوس
ومعارج جمع معرج او اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي وقرأ طلحة معاريج بزيادة الياء عليها يظهرون اي على المعارج
يعلون السطوح ويرتقون اي ظهرت على السطح اذا علوته وارتقيت اليه ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون اي ابوابا وسررا
من فضة وزخرفا وزينة من كل شيء فيكون عطفا على سقفا او ذهبا فيكون عطفا على محل من فضة فيكون اصل الكلام سقفا من
فضة وزخرف يعني بعض السقف من فضة وبعضها من ذهب ثم نصب عطفا على محله وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بتشديد الميم بمعنى الا وان
نافية وقرئ به وان وما وقرئ لما بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة الدنيا وحاصل الكل واحد وهو ان كل ذلك المذكور متاع الحيوة
الدنيا يزول ويفنى وقرأ ابو رجاء وان كلا بالنصب كقوله وان كلا لما والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة
على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه
تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات قل من يتخلص عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر
الرحمن يتعامى ويعرض عن ذكره فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه لفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش
بفتح الشين اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره آفة وعشا اذا نظر العشى ولا آفة به كعرج لمن به الافة وعرج لمن مشى مشية
العرجاء من غير عرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمراد بالذكر هنا القرآن ومعنى هذه القراءة والقراءة الاولى
متحد وهو من يتعامى عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يعرض عنه ويجعله تجاهلا به وتغابيا عنه كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ومعنى قراءة الفتح وهي قراءة ابن عباس وعكرمة ومن يعم قلبه عن ذكره ولم يستبصر به نقيض له شيطانا نقدر له شيطانا يزين له العمى
بدل الهدى والقبيح بدل الحسن كما قال النبي عم اذا اراد الله بعبد شرا اقيض له شيطانا قبل موته بسنة فلا يرى حسنا الا قبح عنده حتى لا
يعمل به ولا يرى قبيحا الا حسن عنده حتى يعمل به رواه انس رضي وقيل نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين يقارنه
ولا يفارقه بالوسوسة وتزيين الضلالة وقال ابن عباس فهو له ملازم ومصاحب ينبغي ان يكون والله اعلم هذا الشيطان غير قرينه الجنيّ
الكافر والا فكل احد له شيطان هو قرينه لقوله عم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت قال انا الحديث وفي رواية ابن مسعود قال النبي عم ما منكم
من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله اعانني فاسلم فلا يامرني الا بخير ذكره في صحيح
مسلم وقرأ يعقوب يقيض بالياء على ان الفعل مسند الى الرحمن ومن رفع يعش وجب عليه ان يرفع نقيض وقرأ ابن عباس يقيض له شيطان
مبنيا للمفعول وانهم ليصدونهم عن السبيل ليمنعونهم عن الطريق المستقيم الذي وجب على كل احد ان يسلكها والضمير الاول عايد
الى الشيطان والثاني الى من يعش وقد جمع الضميرين حملا على المعنى لان المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له قرأ الخليل ليصدونهم
بكسر الصاد ويحسبون انهم مهتدون ويحسب هؤلاء العاشون انهم على الهدى وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون
فيطيعونهم حتى اذا جاءنا اي العاشي عن ذكر الرحمن وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وابو بكر وابو جعفر جاءانا بلفظ التثنية اي
جاءنا العاشي والشيطان قال اي العاشي او الشيطان او كل واحد منهما للآخر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي بعد المشرق من
المغرب فغلب المشرق وثنى واضيف

لبعد ما بينهما وقيل المراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء فبئس القرين انت او كل واحد منهما للاخر لان كلا منهما قرين الاخر
وقال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم ما انتم فيه من تمني
مباعدة القرين اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ صح ظلمكم وتبين لكل احد انكم كنتم ظالمين ونظير هذا البدل قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي صح
نسبي في الكرامة والنفاسة وتبين اني ولد كريمة حرة نفيسة انكم في العذاب مشتركون علة لعدم نفع التمني اي لن ينفعكم تمنيكم لان
حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه وهو الظلم المراد به الشرك والكفر ويؤيده قراءة من قرا انكم
بالكسر او فاعله اي لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لكابة
عنائه لان لكل منكم من العذاب ما لا تسعه طاقته وقيل اخبر الله تعالى انه يمنع اهل النار التاسي كما يتاسى اهل الشدائد والمصائب في الدنيا اذ التاسي
يستروح اهل الدنيا فيقول احدهم لي في الشدة والمصيبة اسوة فيسكن ذلك بعض حزنه ويروح وينفس بعض كربه كما قالت الخنساء فلولا
كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي فاذا صار هو لا الكفار في عذاب الاخرة لا يروحهم
اشتراكهم ولا ينفعهم التاسي شيئا لفرط اشتغالهم بما هم فيه وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم لان قرناءكم وانتم مشتركون
في العذاب كما اشتركتم في الكفر في الدنيا افانت تسمع الصم او تهدي العمي كان رسول الله عم يجتهد ويجتهد ويكد روحه في دعاء
قومه الى الايمان والهداية للصراط المستقيم وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وانهماكا في الضلالة فانكر عليه بقوله افانت تسمع
انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد اصرارهم على ضلالتهم واستغراقهم فيها بحيث صار غشاهم عمى مقرونا بالصمم
والمعنى لا يقدر على اسماع الصم وهداية العمي وجعل الكافر مؤمنا الا الله وحده لعظم قدرته واحاطتها وتعلقها بكل مقدور ومن كان في ضلال
مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه دلالة على ان المقتضي لذلك تصميمهم على الضلال البين الذي لا يخفى على احد كان الضلال احاط
بجميع جوانبهم احاطة الظرف بالمظروف فاما نذهبن بك اي فان اميتناك قبل ان نعذبهم او فان اخرجناك من مكة من اذى قريش وما مزيدة
لتاكيد الشرطية مشابهة للام القسم في كونها مؤكدة وطالبة لنون التاكيد فانا منهم منتقمون بعدك في الدنيا والاخرة او نرينك الذي وعدناهم
او ان اردناهم ان نبصرك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا لانهم تحت قهرنا
وقدرتنا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والاخرة وقرئ نرينك بالنون الخفيفة وقال
الحسن وقتادة هي في اهل الاسلام من هذه الامة وقد كان بعد النبي عم نقمة شديدة فاكرمه الله وذهب به ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه
وابقى النقمة بعده وليس من نبي الا وقد اري النقمة في امته وروي ان رسول الله عم اري ما يصيب امته بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى
قبض وعن ابن مسعود انه قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا فاذا اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها
حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوا امره فاستمسك بالذي اوحي اليك جواب الشرط محذوف تقديره ايا ما كان من الامرين الذهاب او الاراءة
او ايا ما يكون فاستمسك بما انزل اليك من الايات والشرائع اي فاعتصم واحتج به كقوله واعتصموا بحبل الله وقيل المعنى وسواء عجلنا لك الظفر
والغلبة او اخرناه الى اليوم الاخر فكن متمسكا بما اوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وقرئ اوحي
مبنيا للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه وان الذي اوحي اليك لذكر لك لشرف لك ولقومك من قريش وقيل
لبيان لك ولامتك فيما تحتاجون اليه وقيل لتذكرة تذكرون بها امر الدين والاحسن ان يراد بالذكر الشرف وبالقوم الامة لقوله عم شرفا باهي
وان بها امتي وشرفها القرآن وسوف تسالون عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على ان رزقتموه وخصصتم به
من بين العالمين واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسال امهم وعلماء دينهم او فانظر في اديان الرسل وابحث من
مللهم لاستحالة السؤال من الرسل حقيقة اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل امرنا بعبادة الاوثان قط في ملة من ملل
الانبياء وكفاه نظرا وبحثا نظره في القرآن المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا

وهذه الآية



وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها وعن ابن عباس ان النبي عم جمع له الرسل ليلة الاسراء فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم وصل
بهم فلما فرغ من الصلوة قال جبريل سلهم يا محمد فلم يشكل ولم يسال وقال لا اسال قد اكتفيت والمراد التقرير لمشركي قريش ان الانبياء
كلهم قد اجمعوا على توحيد الله وتخصيصه بالعبادة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين كما اقتص
تسلية رسول الله ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى لفرعون وملائه الى التوحيد
فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون فاجاوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها وسموها سحرا او بادهوها بالهزء والسخرية ساعة
جاءهم بها اول ما راوها من غير احالة فكر والمعادة نظر ظلما وعلوا وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها الا هي اعلى في طبقات الاعجاز بحيث
لم يمكن للبشر ان ياتي بما يقرب منه ويدانيه فضلا عما يماثله ويوازيه وقيل الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها
اكثر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر الذي لا مزيد عليه وفي اسلوب هذا الكلام قول الدرية من تلقهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وكلام
افضلهم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وبيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري وكلام
الزمخشري في هذا المقام ينبئ عن ان بينها تفاوتا في الكبر وليس بذاك بل الحق الصريح ما ذكرناه فليتامل واخذناهم بالعذاب بالسنين
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والطمس لعلهم يرجعون علة للاخذ بمعنى طلب ان يرجعوا عما هم فيه او لكي يرجعوا وتفسيره
بارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان كما فسره اهل الاعتزال خطا محض لا ريب فيه لان الارادة يستلزم المراد كما تقرر في علم الكلام
او حال من فاعله اي واخذناهم بالعذاب مقدرين رجاءهم الرجوع عن الكفر والمعاصي الى الايمان والطاعة على ان التقدير من الله حال
الاخذ والرجاء منهم او طالبين رجوعهم وقيل على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بهذه الكلمة في تلك الحالة لشدة شكيمتهم
في الكفر به وفرط جهلهم بشانه او لانهم كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر اي يا ايها العالم الفائق في السحر وقيل اي
يا ايها الذي غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر ادع لنا ربك اي تدعو لنا فينكشف عنا العذاب
بما عهد عندك بعهده عندك من ان دعوتك مستجابة او بعهده عندك وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة
او بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى وقيل اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا
العذاب وقرأ ابن عامر يا ايه الساحر بضم الهاء اتباعا للياء وانشد الفراء يا ايه القلب اللجوج النفس افق عن البيض الحسان المعي انا
لمهتدون لمؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا وذلك قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجاوا نكث عهدهم بالاهتداء
وهو الايمان اي بادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا ونادى فرعون بنفسه او بمناديه امره بالنداء في قومه في مجمعهم وفيما
بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار اللام عوض عن المضاف اليه
اي انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي تحت قصري او تحت سريري لارتفاعه
او تحت امري او بين يدي في جناتي وبساتيني والواو اما للعطف هذه الانهار على ملك مصر فتجري نصب على الحال منها او واو حال واسم
الاشارة مبتدا والانهار صفة له وتجري خبره وقيل انه ملك من مصر اربعين فرسخا في مثلها وقيل اراد بالملك ههنا الاسكندرية افلا
تبصرون ذلك قراءة يعقوب يبصرون بالياء وقراءة الكوفيون وابن عامر وقنبل ويعقوب من تحتي بسكون الياء والباقون بفتحها
وعن الرشيد انه لما قراها قال لاولينها اخس عبيدي فولاها الخصيب وكان على وضوءه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها
فلما شارفها ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى
عنانه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة وام متصلة على وضع السبب موضع المسبب لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون فوضع
قوله انا خير موضع تبصرون دلالة على انهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وقيل المعنى افلا تبصرون فتعلمون اني خير منه او منقطعة
على بل انا خير والهمزة للتقرير اذ قدم اسباب فضله وتقدمه اي المحقق عندكم اني انا خير وهذه حاله والمحققون على ان ام ههنا بمعنى بل
التي يكون للانتقال من كلام الى كلام آخر

من غير اعتبار الاستفهام كما في قوله تعالى ام ماذا كنتم تعملون في سورة النمل من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير وقرئ اما انا خير ولا يكاد يبين الكلام ويوضحه للثغة في لسانه فكيف يصلح للنبوة والرسالة يريد انه ليس معه من العُدد والات الملك والسياسة ما يعتضد به ويتقوى وهو في نفسه مُخِلّ بما يوصف به الرجال من الفصاحة والبلاغة وكان الانبياء كلهم فصحاء بلغاء فلولا القي عليه اسورة من ذهب اى فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا اذا سوّدوا رجلا سوّروه بسوار وطوّقوه بطوق من ذهب وقرا حفص ويعقوب اسورة وهى جمع سوار والباقون اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به ابن مسعود وقرا اساور جمع اسورة وقرئ القى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يشهدون له بصدقه ويعينونه على امره من قرنته به فاقترن به او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن يعني هلا ان كان صادقا ملّكه ربه وسوّره وجعل الملائكة اقرانه واعوانه ينصرونه فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم يقال استخفه فلان اذا حمله على الخفة والجهل وازاله عن السداد فاطاعوه فيما امرهم به لفرط جهلهم وضلالهم انهم كانوا قوما فاسقين متمردين في الكفر والمعاصي ومن ثم اطاعوا ذلك الشيطان المريد فلما اسفونا اغضبونا بالافراط في الفسق واطاعة القائل بالكلمة العظمى منقول من أسِفَ أسَفًا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة أسِف للكافر انتقمنا منهم اردنا ان نعجل لهم انتقامنا وعذابنا وان نحكم عنهم فاغرقناهم اجمعين فاهلكنا المطاع والمطيعين اجمعين بالاغراق في اليم لم نترك منهم احدا فجعلناهم سلفا قرا حمزة والكسائي سُلُفا بضم السين واللام جمع سليف كاسيد واسُد وسليف كرغيف ورُغُف او سالف كصابر وصُبُر والباقون سَلَفا بفتحهما جمع سالف كتابع وتبع او مصدر وصف به والمعنى في القراءتين واحد وهو ان جعلناهم ائمة يدعون الى النار ويقتدون بهم الكفار في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم وقرئ سُلَفا بضم السين وفتح اللام جمع سُلفة كغرفة وغُرف اى ثُلّة قد سلفت وقرا سعيد بن عياض سُلْفا باسكان اللام تخفيفا للمضموم ومثلا للاخرين وموعظة لهم او قصة عجيبة الشان تسير مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون وقرا الخليل للآخِرين بفتح الخاء ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله عم في قوله لكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وتقرير ذلك انه عم لما قراه على قريش امتعضوا من ذلك امتعاضا شديدا فقال ابن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عم هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى نبي وتثني عليه خيرا وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون وان كان هؤلاء في النار فقد رضينا نحن والهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي عم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذه الاية اى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى بن مريم مثلا وجادل رسول الله بعبادة النصارى اياه اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا وجدلا وضحكا لما راوا من سكوته بجدله وقرا نافع وابن عامر والكسائي وخلف وابو جعفر بضم الصاد من الصدود اى من اجل هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان كيَعْرُش ويَعْرِش وقالوا االهتنا خير ام هو يعنون ان الهتنا عندك ليست بخير من عيسى عم فاذا كان عيسى من حصب النار كان امر الهتنا هينا ام الهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت الهتنا اولى بذلك وهذا لما روى انهم لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا ادميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقال قتادة ومجاهد لما قال الله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون تعلق المشركون بامر عيسى عم وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه كما عبدت النصارى عيسى بن مريم والمعنى الهتنا خير ام محمد فنعبده وندع الهتنا وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر



والتسهيل في الثانية ويعقوب بين الالف وزاد قبلها ان تبدل الهمزة ... في اللفظ

ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في ام هو لمحمد عم وغرضهم بالموازنة بينه وبين الهتهم السخرية به والاستهزاء وقرا الكوفيون االهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما والباقون بتسهيل الهمزة الثانية واجمعوا على ابدال الهمزة الثالثة الفا كما اجمعوا على تحقيق الهمزة الاولى لانها همزة الاستفهام ما ضربوه لك الا جدلا اى ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة والغلبة في القول لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون لُدّ شداد الخصومة حراص على اللجاج فانهم قد علموا ان المراد من قوله وما تعبدون من دون الله وقول رسول الله هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم هؤلاء الاصنام لكن ابن الزبعرى لخبثه وخداعه وخبث ظاهره وباطنه لما راى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم وجد للخصومة مجالا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة الحكم والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح في ذلك فتوقر رسول الله عم حتى اجاب عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على ان الاية خاصة في الاصنام واما ما روى انه عم قال له ما اجهلك بلغة قومك اما علمت ان ما لا يعقل فعلى هذا يكون ان الذين سبقت لدفع احتمال المجاز للتخصيص العام المتاخر عن الخطاب وفي هذا الحديث تصريح بان ما موضوع لغير العقلاء لا كما يقول جمهور العلماء انه موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم ان هو الا عبد انعمنا عليه تفضلنا عليه بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل عبرة عجيبة لبني اسرائيل تسير مسير المثل او دلالة واضحة لهم يعرفون بها قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير سبب وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لقدرتنا على بدائع الفطر وعجائب الامور لجعلنا منكم ملائكة لولدنا منكم يا رجال ملائكة كما ولدنا حواء من ادم وعيسى من مريم او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض يخلفون يخلفونكم في الارض كما يخلفكم اولادكم لتعرفوا تميزنا بالقدرة الباهرة وان حال عيسى وان كانت عجيبة فانا نحن قادرون على ما هو اعجب من ذلك ولتعلموا ان الملائكة مثلكم في الجسمية واحتمال خلقها توكيدا كما جاز خلقها ابداعا وذات القديم الخالق لكل شيء متعالية عن مثل ذلك فكيف يكون لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله تعالى وانه لعلم للساعة اى وان عيسى لشرط من اشراط الساعة تعلم به لان حدوثه او نزوله من اشراطها يعلم به دنوها او لان احياءه الموتى على يديه دليل على الساعة وبعث الموتى فيسمى الشرط علما لانه سبب العلم وقرا ابن عباس وابو هريرة لَعَلَم وقرا ابي لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمى ما يعلم به علما وعن ابي هريرة قال رسول الله عليه السلام ينزل عيسى عم على ثنية من الارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وشعر راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيتقدم عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله وعن الحسن ان الضمير في انه للقران لانه فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هذا امر للرسول ان يقوله هذا اى هذا الذي ادعوكم اليه او هذا القران ان كان الضمير في انه للقران صراط مستقيم طريق قويم لا يضل سالكه بل يهديه الى الحق وقرا ابو عمرو وابو جعفر واتبعوني باثبات الياء في الوصل دون الوقف وابن كثير ويعقوب في الحالين والباقون بحذفها فيهما اكتفاء بالكسرة ولا يصدنكم الشيطان ولا يمنعكم الشيطان عن اتباعه وسلوكه انه لكم عدو مبين قد ابانت عداوته بان اخرج ابويكم من الجنة ونزع عنهما لباس النور وعرضكم للبلايا والشدايد ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات الواضحات او بايات الانجيل والشرايع قال قد جئتكم بالحكمة اى بالانجيل والشريعة وقيل بالنبوة روى ذلك عن السدي ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامر الدين لا بامر الدنيا اذ الانبياء لم يبعثوا لبيانه ومن ثم قال النبي عم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفته حقوقه وحقوق

بيان نزول عيسى عم

عباده الذين منهم انبياؤه واطيعون فيما ابلغكم عنه وقراه يعقوب واطيعوني بالياء ان الله هو ربي وربكم استيناف معناه
التعليل لوجوب التقوى والطاعة فيما امرهم به من اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع فاعبدوه خصوه بالعبادة والتوحيد
ولا تشركوا به احدا هذا صراط مستقيم اى هذا الذى امركم به من التقوى والطاعة واختصاص الله بالعبادة طريق بين
استقامته لا عوج فيه وهو تتمة كلام عيسى عم او استيناف من الله يدل على ما هو الموجب لذلك وقيل هذا اشارة الى المجموع
الامرين وهما اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرايع وقيل الى عبادة الله فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة وهم المتحزبة النصارى
تحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية او اليهود والنصارى او الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى عم اختلفوا
فيه من بينهم من بين النصارى فان النسطورية قالوا عيسى ابن الله واليعقوبية قالوا هو الله والملكانية قالوا هو ثالث ثلثة
قاتلهم الله تع قاله الكلبي ومقاتل او من بين اليهود والنصارى او من بين الناس هذا على وجه الثالث المذكور فى تفسير الاحزاب
وقيل من بين قوم المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا الذين تحزبوا المظلمهم وكفرهم بما وجب الايمان وهو ان عيسى عبد الله ونبيه
واقام المظهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث ظلموا على رسول الله صم وتحزبوا عليه
بالكذب والتكذيب من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير للذين ظلموا وهو الظاهر وقيل لقريش
والنظر بمعنى الانتظار ان تاتيهم بدل من الساعة اى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وانتصابها على المصدر كانه قيل تبغتهم
الساعة بغتة اى تفاجئهم فجاءة او على الحال بمعنى باغتة على غفلة منهم وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم باموردنياهم
وافراطهم فى انكارها ويجوز ان تاتيهم بغتة وهم فطنون الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو انتصب يومئذ بعدو اى
يتعادون يومئذ حتى يتلاعنوا لانقطاع كل خلة كانت بينهم الا المتقين لان خلتهم لما كانت فى الله تبقى باقية ابد الابدين وقيل الا
المتقين الا المجتنبين اخلاء السوء وقيل نزلت فى ابى بن خلف وعقبة بن ابى معيط يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المؤمنون بالله ورسوله يومئذ الذين امنوا باياتنا صفة للمنادى فيكون فى محل النصب وفيه دلالة
على انه اراد بالمتقين المؤمنين باياته وكانوا مسلمين حال من الواو اى الذين امنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد وقيل اذا بعث الله
الناس فزع كل احد فينادى مناد يا عبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين امنوا فييأس الناس منها غير المسلمين وقراه
ابو بكر ورويس يا عبادى بفتح الياء بخلاف عنه ونافع وابو عمرو وابن عامر بسكونها والباقون يا عباد بحذف الياء اكتفاء بكسرة
ما قبلها ادخلوا الجنة انتم وازواجكم ونساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم كقوله تعرف فى
وجوههم نضرة النعيم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او التحبير وهو التزيين او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل وقيل تتوجون اى تلبسون التاج على رؤسكم وقيل هو التلذذ بالسماع وقدمت سورة الروم يطاف عليهم
بصحاف من ذهب جمع صحفة وهى القصعة الوسعة واكواب واباريق لا عرى لها جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها ما
تشتهى الانفس قراه نافع وابن عامر وحفص وابو جعفر تشتهيه على الاصل والباقون تشتهى وهذا حصر لانواع
النعم من مشتهيات القلوب ومستلذات العيون وتلذ الاعين لمشاهدته من لذ الشئ اذا وجده لذيذا وقال سعيد بن جبير
وتلذ الاعين النظر الى الله تع كما جاء فى الخبر اسالك لذة النظر الى وجهك وعن سليمان بن بريدة عن ابيه ان رجلا قال يا رسول الله
هل فى الجنة من خيل قال ان ادخلك الله فلا تشاء ان تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت وقال رجل هل فى الجنة من ابل
قال ان ادخلك الله اصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ذكره الترمذى وانتم فيها خالدون باقون دائمون اذ لولا البقاء
والدوام لتنغص العيش ونقص السرور والاشتهاء واللذة فلم يكن التنعم كاملا والخوف والحسرة زايلا وتلك الجنة التى اورثتموها
جعلتم ورثتها قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر وقراه نافع وابن كثير

وعاصم

وعاصم وابن ذكوان وابو جعفر ويعقوب وخلف اورثتموها شبهت الجنة فى بقائها على اهلها بالميراث الباقى على الورثة وبعبارة
اخرى شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلف عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدا والجنة خبرها والتى اورثتموها
صفة الجنة او تلك مبتداء والجنة صفتها والتى اورثتموها صفة الجنة والخبر قوله بما كنتم تعملون وعلى هذا يتعلق الباء بمحذوف كما فى
الظرف الذى يقع اخبارا لا بأورثتموها كما فى الوجه الاول لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون من تبعيضية اى لا تاكلون الا بعضها لانها
متكاثرة مفرطة الكثرة باقية اعقابها فى شجرها دايمة انواعها واصنافها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما فى الدنيا وعن النبى صم لا ينزع
رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها وعن ابن عباس هى الثمار كلها رطبها ويابسها اى لكم فى الجنة سوى الطعام والشراب
ثمرات لا تعد ولا تحصى تاكلون بعضها وهى من اشهى الاشياء للناس والذها عندهم والصقها واوفقها بطباعهم
وابدانهم ولذلك افردها بالذكر من بينها وكرر ذكرها فى مواضع مع ما فيها من المنافع والخواص التى لم توجد فى فواكه الدنيا فانها لم تشبه فواكه
الجنة الا بالاسم ولعل ذكر التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره لما بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين المتمادين فى الاجرام والاثام وهم
الكافرون بايات الله لانه جعلهم قسيما للمؤمنين بها وحكى عنهم ما يختص بالكفار فى موضع اخر فى عذاب جهنم خالدون الجملة خبران او خالدون
خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها
والتركيب للوهن والضعف وهم فيه فى ذلك العذاب مبلسون ايسون ناس رحمة الله والخلاص او ساكتون سكوت ياس
من فرج وكل خبر وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين لانفسهم بالكفر والمعاصى وهم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ الظالمون بالرفع على انه
خبرهم والجملة خبر كان ونادوا يا مالك هو اسم خازن جهنم وقراه على وابن مسعود يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القايل
والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قراه ونادوا يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم
حسن الترخيم انهم يقطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقراه ابو السرار الغنوى يا مال بالرفع كما يقع يا حار وفى
الترخيم رمز الى انهم لضعفهم لا يقدرون تادية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فى قولهم ليقض علينا ربك اى سل ربك ان يقضى
علينا من قضى عليه اذا اماته ومنه فوكزه موسى فقضى عليه ونداؤهم لا ينافى ابلاسهم لانهم فى ازمنة متطاولة فيختلف بهم الاحوال فيسكتون
اوقاتا لغلبة الياس عليهم وعلمهم بانه لا فرج ويغوثون اوقاتا متمنين للموت لفرط شدة ما بهم من العذاب قال مالك جوابا لهم
انكم ماكثون لابثون خالدون فيها انتم فيه لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره وقال ابن عباس بين دعائهم واجابة مالك لهم الف سنة
وعن النبى صم يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا
ربك لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وقيل اى بينا لكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل وهو يحتمل ان يكون من تتمة جواب
مالك وان يكون كلام الله وينصره قراءة من قراه لقد جئتكم وعلى هذا يكون فى قال ضمير الله كانهم لما سالوا مالكا ان يسال الله القضاء عليهم
اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه لما فى اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا
احكموا امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله او فى تكذيب الحق ورفعه بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه لتماديهم فى الغى والضلال و
افراطهم فى كراهة الحق والعناد فانا مبرمون امرا فى كيدنا ومجازاتنا اياهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيه الانكار والتعجب كانه قال
دع هذا وانظر الى ابرامهم المنكر المقتضى منه العجب وذلك انهم دبروا المكر برسول الله صم ثم فى دار الندوة حتى استقر امرهم على ما اشار
ابو جهل اليه ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا فى قتله فتضعف المطالبة بدمه فانزل الله هذه الاية واهلك جميعهم فى قليب
بدر قاله مقاتل او متصلة اى اكادوا ام ابرموا امرا بمعنى اى الفعلين كاين على سبيل التقرير لان العلم واقع بكل واحد منهما والمراد
بالاستفهام عنهما انكارهما معا وفى انتقال الكلام من الخطاب الى الغيبة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على
عظم اجرامهم وانه اكبر واسوء من كراهتهم

ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم بذلك ونجويهم تناجيهم فاسر رسول بلى نسمعها ونطلع عليها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم عندهم يكتبون ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبهم وابداها للذى لا يخفى عليه شئ فى السموات فقد جعله اهون الناظر اليه وهو من علامات النفاق وعن محمد كعب القرظى نزل هذا فى ثلثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها فقال احدهم ان الله يسمع كلامنا وقال الثانى اذا جهرتم سمع واذا اسررتم فلا وقال الثالث ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قل ان كان للرحمن ولد اى ان صح واستقام ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها فانا اول العابدين فانا اول يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له فان تعظيم الولد والد ولا يلزم من هذا الكلام صحة كينونة الولد وعبادته لانها محال فى نفسها يستلزم (يوجب) المحال بل المراد نفيها على ابلغ الوجوه واقواها كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو فيه للدلالة على ان العلم بانتفاها لفساد علة للعلم بانتفاء تعدد الالهة لان انتفاء اللازم يستلزم (يوجب) انتفاء الملزوم من غير عكس وان ههنا لغير التبكيت والالزام لان كون الولد للرحمن محال مقطوع بعدم وقوعه لكن جيئ بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير له كقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وقيل معناه ان كان للرحمن ولد على زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان له ولد فى زعمكم فانا اول الانفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد وقال ابن عباس ان هذه نافية اى ما كان للرحمن ولدا فانا اول من قال بذلك وعبد ووحد من اهل مكة وقراء اليمانى العبدين وقراء حمزة والكسائى ولد بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتحهما والمعنى واحد كالعرب والعرب وقراء يحيى بن يعمر بكسر الواو وهى لغة ايضا سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى سبحوا رب هذه الاجسام العظام التى لا يقادر قدرها لان مثل هذه الربوبية توجب التسبيح على كل مربوب فيها ونزهوه عن كل ما يصفه الكافرون به من صفات الاجسام فانه لو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره وقيل عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت مما يتصف به ساير الاجسام من توليد المثل فالخلق (خلق) ابعد عنه وخالقها وهذا سديد جيد غير ان فيه تفسير العام بالخاص فذرهم فاعرض عنهم يخوضوا يشرعوا فى باطلهم وكذبهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون اى يوم قيامهم لرب العالمين وهو دليل على ان ما يقولونه جهل ولهو واتباع هوى وهو اعلام لرسول الله انهم من المطبوع قلوبهم الذين يعذبون فى الاخرة ولا يرجعون البتة وان ركب فى دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية كقوله وامر لهم رويدا اعملوا ما شئتم وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله اى وهو الذى يستحق لان يعبد فى السماء والارض فالظرف متعلق باله لانه بمعنى المعبود او مضمن معناه كقولك هو حاتم فى طى فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به اى هو جواد فيهما وكذا فيمن قراء وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومنه قوله تع وهو الله فى السموات وفى الارض اى وهو الواجب الوجود المعبود المستحق للعبادة فيهما والراجع الى الموصول مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله له لانه لا يبقى عايد لكن لو جعل صلة الذى وقدر له مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه فى السماء بمعنى الالوهية والربوبية لا بمعنى الاستقرار وفيه نفى الالهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالهية وقال قتادة وهو الذى يعبد فى السماء والارض لا اله الا هو وقيل فى ههنا بمعنى على (نظ) وليس بذلك وهو الحكيم العليم البليغ الحكمة والعلم يفعل كل شئ يفعله على موجب الحكمة والصواب وقد احاطه به علما او الذى اتقن فى احداث العالم على هذا النمط البديع والنظام المحكم العجيب والعلم به وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء والسحاب وعنده علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها واليه ترجعون اى ولا ترجعون الا اليه فاهتموا بالاستعداد للقائه وقراء حمزة والكسائى وابن كثير وخلف ويعقوب يرجعون بالياء محلا على ما قبله من الغيبة والباقون بالتاء على الالتفات للتهديد وقراء الاعمش والمهجشرى وهو مصحف ابن مسعود والسلمى وابن وثاب تحشرون تدعون بالتاء فيهما ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله

الا من شهد

الا من شهد بالحق بتوحيد الله وهم يعلمون ما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وهم الذين يملكون الشفاعة كالمستثنى متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة وعيسى وعزير فيه ومنقطع بمعنى لكن ان خص بالاصنام وقرئ تدعون وتدعون ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين او المعبودين من اوجدهم من العدم الى الوجود ليقولن الله لما تقرر فى الطباع والعقول وجوب انتهاء كل ممكن الى واحد واجب الوجود ولوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى ادعائه ولتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره حتى انى عمرو والخليل تؤفكون بالتاء وقيله اى وقول الرسول وقرأ عاصم وحمزة وقيله بجر اللام عطفا على الساعة والباقون بنصبها عطفا على محل الساعة اى وعنده ان يعلم الساعة وقيله او على سرهم ونجويهم او على مفعول يكتبون المحذوف اى يكتبون ذلك وقيله او على المصدر لفعله المحذوف اى وقال قيله وقرئ بالرفع على الابتداء خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او العطف على علم الساعة بتقدير مضاف اى وعنده علم الساعة وعلم قيله والاوجه مما ذكر ان يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على انه قسم مرفوع بالابتداء محذوف الخبر كقولهم ايمن الله وامانة الله ويكون ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم اى واقسم بقيله يا رب او وقيله يا رب قسمى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وذلك لوقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا مع تنافر النظم عن ابى قلابة يا رب كانه يريد الندبة مثل يا ابت وعن ابن ابى اسحق ان هؤلاء بفتح الهمزة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام تسلم منكم ومتاركة وقيل هذه الآية منسوخة بقوله تع اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل محكمة لم تنسخ فسوف تعلمون تهديد من الله لهم وتسلية لرسوله وقراء نافع وابن عامر وابو جعفر بالتاء على انه مما امر النبى عم ان يخاطبهم به والباقون بالياء عن رسول الله عم من قراء سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان سبع او تسع وخمسون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين والقرآن الظاهر امره او اعجازه العرب وتبكيتهم او الذى يبين لمن تدبره انه من عند الله لا من عند البشر او الواضح الذى لا يشتبه على العرب معانيه لنزوله بلغتهم واساليبهم او الذى ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وما يحتاج اليه فى الديانة والواو للعطف ان كان حم مقسما بها وللقسم ان جعلت حم تعديد الحروف او اسما للسورة مرفوعا على خبر المبتدأ المحذوف وجوابه قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة هى ليلة القدر فانه تع انزل الفرقان فى ليلة القدر من شهر رمضان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل على النبى عم نجوما فى عشرين سنة كما قال قتادة او ثلث وعشرين سنة كما قال غيره بدليل قوله عم انزل الله صحف ابراهيم فى اول ليلة من رمضان وانزل التورية لست خلون من رمضان وانزل الزبور لاثنى عشر خلون (مضون) من رمضان وانزل الانجيل لثمانى عشر خلون من رمضان وانزل الفرقان لاربع وعشرين خلون من رمضان من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا جملة واحدة رواه ابن عباس وانس وواثلة بن الاسقع وذكره احمد بن حنبل فى مسنده والطبرى وصاحب الفردوس وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل فى تسميتها ليلة البراة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من اهله كتب لهم البراة كذلك الله تع يكتب لعباده المؤمنين البراة فى هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله عم من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله اليه مائة ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه افات الدنيا وعشرة يدفعون مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عم ان الله تع ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب رواته عايشة رض وقال عم ينزل الله تع ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لكل انسان الا انسانا فى قلبه شحناء او مشركا بالله وحصول المغفرة قال عم ان الله تع يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهنا وساحرا او مشاحنا (عناد) او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا

بيان بعض علامات النفاق

بيان نزول القرآن

وما اعطى فيها رسول الله ع‍م من تمام الشفاعة وذلك انه سال ليلة الثالث عشر من شعبان فى امته فاعطى الثلث منها ثم سال ليلة الرابع
عشر فاعطى الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله فى هذه الليلة ان
يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاول ما عليه الجمهور وهو الاصح انا كنا منذرين الليلة لان نخوفين من العقاب فيها
يفرق كل امر حكيم استئناف اى ليلة القدر بياناً لما جعلنا انزل انها جواب القسم المذكور كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار وكان انزلنا اياه فى هذه الليلة
خصوصا لان كونها تفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة يقتضى ان ينزل فيها القرآن الذى هو اعظم عظايمها ويجوز ان تكون الجملة الثانية
صفة لليلة وما بينهما اعتراض وهى تدل على ان الليلة ليلة القدر لانها صفتها بالحكمة بقوله تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر ومعنى
يفرق كل امر حكيم يفصل ويكتب كل امر محكم من كل ما هو كاين فى السنة من الخير والشر والقول والعمل والرزق والاجل قال ع‍م يقطع
الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد وقد اخرج اسمه فى الموتى وقيل يبدء فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ
فى ليلة البراة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكايل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف الى جبرئيل
ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصايب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات
اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرّق بالتشديد للمبالغة ويفرق كل على البناء للفاعل وهو الله تع وقراه
زيد بن على نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذى حكمة اى مفعول على ما يقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب
الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز وقال ابن عباس يقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان ويسلّم الى الملايكة ليلة السابع
والعشرون من رمضان وقيل حكيم اى محكم لا ينقض ولا يبدل امرا من عندنا نصب على انه مفعول منذرين او مفعول له عامله
انزلناه او منذرين او يفرق او على الاختصاص اى اريد بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كما اقتضاه علمنا وتدبيرنا فخمه اولا حيث
وصفه بالحكيم ثم زاده تفخيما وتعظيما او على الحال من فاعل انزلناه آمرين امرا او مفعوله اى انزلناه فى حال كونه امرا من عندنا
ويجوز ان يكون حالا من كل وامر او ضميره المستتر فى حكيم لانه موصوف وان يراد به الامر الذى هو مقابل النهى وضع موضع فرقانا
الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد امر به واوجبه وقال الفراء هو منصوب
بفعل المحذوف تقديره نامر ببيان ذلك امرا وقيل اى انزلنا امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين
ورحمة مفعول له اى انا انزلنا القرآن لان من شاننا وعادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم او علة ليفرق
او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعول به على ان المراد به النبى ع‍م او مطلق الرحمة اى يفصل ويكتب فى هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر
من عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من الارزاق والاجال والاعمال وغيرها من باب الرحمة وكذا صدور
الاوامر الالهية لان المقصود تكليف العباد تعريضهم للمنافع ووضع الرب موضع الضمير اشعارا بان الربوبية تقتضى الرحمة على
المربوبين ويجوز ان يكون مصدرا اى رحمناكم رحمة او حالا من ضمير مرسلين اى ذو رحمة وقراه زيد بن على امر من عندنا على هو
امر وهذا الرفع على الاختصاص يؤيد نصبه على الاختصاص وقراه الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بانها
مفعول له لان الجملة استيناف يبين المقتضى للخصال الثلثة المتقدمة كان قايلا قال اى شئ هذه الخصال من فرق كل امر وصدور الاوامر
وارسال الرسل وما وصفها فقيل له تلك رحمة عظمى من الله على عباده والمفعول له يقع جوابا للسؤال مقدرا اينما وقع وكيفما وقع
وقراه زيد بن على رحمة ربك بالاضافة وحذف من انه هو السميع العليم يسمع كل شئ من شانه ان يسمع ويعلم كل شئ من شانه
ان يعلم فلا يخفى عليه شئ من اقوال العباد واحوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات
والارض وما بينهما خبر اخر او استيناف او خبر مبتدا محذوف او مبتداء خبره لا اله الا هو وقراه الكوفيون رب بالجر بدلا من ربك
ان كنتم موقنين بشئ قط فهذه اولى ما توقنون به لفرط ظهوره وان كنتم عاملين على قضية يقين العقول وان من كان رب

العالم



العالم كان رب الاشياء كلها لا شك لم فيها وسميعا لكل مسموع وعليما بكلها وان كان يرجى منكم الايقان الذى يقتضيه النظر الصحيح علمتم
ذلك والا لم تعلموا وقيل اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم وان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله اعلمتم ان الامر
كما قلنا وان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه وهو كلام مستانف يقرر اختصاصه بالربوبية والالهية
وانه لا رب للاشياء كلها ولا الها الا الله وحده الجامع لصفات الالوهية الكامل فيها يحيى ويميت يوجد الحيوة فى الجماد ويوجد الموت
فى الحيوانات كما يشاهد ذلك ربكم ورب ابائكم الاولين اى هو ربكم او خبرا اخر او فاعل يميت وفى يحيى ضمير يعود الى ما قبله او على
شريطة التفسير اى مالككم ومالك الذين تولدتم منهم وقرئتا بالجر على البدل بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين يعنى ان اقرارهم
بانه رب العالم غير صادر عن علم وايقان ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب قال ابن عباس اى فى ضلال يترددون فارتقب
فانتظر لهم يوم تاتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة لان من ضعف بصره وبصيرته بالجوع يرى وجه السماء مثل
الدخان او يوم مجئ الدخان واختلف فيه فقال على والحسن انه دخان يأتى من السماء قبل يوم القيمة يدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون
راس الواحد كالراس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام ويكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وبه قال ابن عباس
وابن عمر وعن حذيفة بن اليمان سمعت رسول الله ع‍م يقول اول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر
عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية وقال يملأ ما بين المشرق
والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره
وعن ابن مسعود رضى انه قال خمس قد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان وقد قيل له ان قاصا عند ابواب كندة يقول
انه دخان ياتى يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول الشئ
لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين
كسنى يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل
فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم رجعوا الى
شركهم او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس صفة للدخان اى يلبسهم ويشملهم من جميع جوانبهم هذا عذاب اليم
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منصوب المحل بقول مقدر وقع حالا اى يقولون هذا الكلام المشتمل على الآيتين وانا مؤمنون
وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى انى هى من كلمات الاستفهام يجئ بمعنى كيف وبمعنى من اين ولا معنى لحقيقة الاستفهام ههنا
وهو ظاهر بل المراد استبعاد ان يكون لهم الذكرى بدليل قوله وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه اى كيف يذكرون ويتعظون و
يفون بما وعدوه عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول الله بايات هى اعظم وادخل فى وجوب الاذكار من كشف الدخان
فلم يذكروا واعرضوا عن ذلك وقالوا معلم مجنون وافتروا عليه بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذى يعلمه وبانه
منسوب الى الجنون وقراه زر بن حبيش معلم بكسر اللام انا كاشفوا العذاب عنهم بدعاء النبى ع‍م فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا
او زمانا قليلا وهو بقى من اعمارهم انكم عايدون الى شرككم وكفركم غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من اشراط الساعة قالوا
اذا جاء الدخان تضور الكفار والمنافقون وغوثوا بالدعاء المتقدم وهو ربنا اكشف الآية فيكشفه الله عنهم بعد الاربعين فريثما
يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ومن فسره بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل
يوم بدر عن ابن عباس والحسن لما كشف عنهم الجوع عادوا الى التكذيب فانتقم الله منهم بيوم البدر وهو بدل من يوم تاتى السماء
او ظرف لفعل محذوف وهو اذكر او لعايدون او لفعل دل عليه انا منتقمون اى ننتقم منهم يوم نبطش البطشة الكبرى ولا يصح ان يكون
ظرفا لمنتقمون لان ان يحجزه عن ان يعمل فيه وقراه ابو جعفر نبطش بضم الطاء والنون اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملايكة
على بطشهم وهو الاخذ الشديد بغضب

بيان اشراط الساعة وبيان اول [illegible]

العلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى القحط وقيل العلهز القراد من الوبر وقيل شئ ينبت فى بلاد بنى سليم له اصل رخص كاصل البردى

والتناول بصولة وقال ابو حاتم معناه تُسَلِّط عليهم من يَبْطِشُ بهم ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون اى ابتليناهم بارسال موسى
اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او اوقعناهم فى الفتنة والمحنة بامهالهم وتخليتهم وتوسيع الرزق وجاءهم رسول كريم على الله
وعباده المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه او لمكالمته مع الله واستماع كلامه من غير واسطة وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح
اى حسن الاخلاق مرضى الافعال وبه قال مقاتل أنْ أدّوا اِلىّ عبادَ الله أنْ مصدرية وعبادَ الله مفعول به او منادى بحذف حرف النداء
اى بأن أدُّوهم اِلىَّ وأرسِلوهم معى كقوله أنْ أرسِلْ معنا بنى اسرائيل او بان ادّوا الىّ عبادَ الله ما هو واجب عليكم من الايمان والقبول
لدعوة او مخففة من الثقيلة اى وجاءهم بان الشان والحديث أدّوا الىّ عبادَ الله او مفسّرة لان مجيئ الرسول برسالة ودعوة
متضمّن لمعنى القول انى لكم رسول امين غير متهم فى شيئ لدلالة المعجزات على امانته وصدقه او لايتمان الله على وحيه ورسالته
وهو علة للامر بالتادية وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تتكبروا على
رسول الله وان هذه كالاولى فى وجوهها انى آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة وهو علة للنهى ولا يخفى ما فى ذكر الامين
مع الاداء والسلطان مع العلاء من التناسب والتلاؤم وانى عذت بربى وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه فانه هو العاصم
لى من شر الاشرار وكيد الفجار ان ترجمون ترموني بلسانكم يريد الشتم والذم او تطردوني رميا بالحجارة او تقتلوني
واصل الرجم الرمى بالرجام وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير ويعقوب وابو جعفر عُذْتُ بالاظهار والباقون عتّ
بادغام الذال فى التاء وقرأ ورش ترجمونى باثبات الياء فى الوصل دون الوقف ويعقوب فى الحالين والباقون بحذفها فيهما وكذلك
فاعتزلون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون ان لم يصدقوني فلا صداقة بيني وبين من لا يصدق من صدقه الله بالوحى والنبوة والمعجزة
فتنحوا عنى واقطعوا اسباب الوصلة عنى او فخلونى كفافا لا لى ولا على ولا تتعرضوا الى بسوء فانه ليس جزاء من
دعاكم الى ما فيه فلاحكم وقرأ ورش لِىَ بفتح الياء روما للخفة لان الفتحة اخف الحركات والباقون بسكونها على الاصل فدعا ربه
بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقيل
كان دعاءه اللهم عجّل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقرئ انّ بالكسر على
اضمار القول اى فدعا ربه فقال انّ هؤلاء وقيل دعا بمعنى قال فاسر بعبادى ليلا على اضمار القول بعد الفاء وجواب شرط
محذوف اى فقال اَسْرِ او ان كان الامر كما تقول فاَسْرِ وقرأ نافع وابن كثير وابو جعفر فاسرِ بوصل الهمزة من سَرَى والباقون
بقطعها من اَسْرَى فسِرْ انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم ليلا وهو علة للامر بالسير يقال
اسرى به ليلا اذا سار معه بالليل وكذا سَرَى واترك البحر رهوا اى مفتوحا على حاله منفرجا او ساكنا على هيئته بعد
ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا ليدخله القبط فاذا دخلوا فيه اطبقه الله عليهم وقال قتادة طريقا يابسا
روى ان موسى عم لما جاوز البحر اراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق مخافة ان يتبعه فرعون وجنوده ويدركوه
فامره الله بذلك ليظهر سلطانه وقضاءه انهم جند مغرقون علة للامر بترك البحر وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا
من جنات كم فى محل النصب على انه مفعول تركوا ومن بيان لابهامه اى كثيرا من الجنات والعيون وغير ذلك تركوا
وعيون وانهار جارية وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وابن ذكوان بكسر العين وزروع جمع زرع وهو ما استنبت بالبذر
تسمية بالمصدر من زرع الله الحرث اذا انبته وانماه ومقام كريم ومجلس حسن مرضى وعن الضحاك المنابر وقيل التزور
فى الجمال قرأه قتادة والحاء والخليل ومُقام بضم الميم الاول ونعمة النَّعْمة بفتح النون التنعم وبكسرها واحدة النعم يقال كم ذى
نعمة لا نعمة اى كم ذى مال لا تنعم له كانوا فيها فاكهين متنعمين متلذذين ومنه الفاكهة وهى ما يتفكه به اى يتنعم ويتلذذ باكله وقرئ
فكهين والمعنى واحد كذلك الكاف فى محل الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اى الامر كذلك او النصب اى مثل ذلك الترك الذى و

وصفناه



وصفناه تركوا وقال الزمخشرى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وهذا منه غلط فاحش لا شبهة فيه وقد تبعه القاضى البيضاوى
فى هذا الغلط وذلك ان لفظ الاخراج لم يتقدم فى هذه السورة حتى يكون ذلك اشارة اليه كما فى سورة الشعراء وانما تقدم لفظ الترك ومنشاء
هذا الغلط الغفلة وعدم امعان النظر فى مشتبه الآيتين او الجر على انه صفة نعمة اى ونعم عظيم مثل ذلك التنعم الذى ذكرناه وبيناه واورثناها
عطف على تركوا او ابراثها تمليكها مخلفة عليهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه قوما آخرين قوما ليسوا منهم فى شيئ من قرابة و
ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين فى ايديهم فاهلكهم الله على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم واموالهم
فما بكت عليهم السماء والارض البكاء ههنا مجاز عن عدم المبالاة بفنائهم والاعتداد بوجودهم او على الحقيقة ويؤيده ما روى
عن انس قال النبى عم ما من مؤمن الا وله فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا فما بكت
عليهم السماء والارض وعن ابن عمر رضى قال النبى عم تطيّروا بكا والكوا فان السموات والارض والشمس والقمر والنجوم يبكون من خشية الله او فما بكت
عليهم اهل السماء واهل الارض ويقصره قوله عم ان ولد مولود من امتى تباشرت الملائكة بعضهم بعضا من الفرح واذا مات من امتى ه
صغيرا او كبيرا بكت عليه الملائكة وقال عطاء والسدى بكاء السماء حمرة اطرافها وعنه لما قتل الحسين بن على رض بكت عليه السماء
وبكاؤها حمرتها وعن زيد بن الزياد لما قتل الحسين احمر له افاق السماء اربعة اشهر واحمرارها بكاؤها وعن ابن سيرين اخبرونا
ان الحمرة مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين يعنى انها ازدادت زيادة ظاهرة والا فانها قد كانت قبل قتله قال رسول الله عم الشفق
الحمرة رواه ابن عمر وعن عبادة بن الصامت وشداد بن اوس انهما قالا الشفق شفقان الحمرة والبياض فاذا غابت الحمرة حلت
الصلوة وعنه عم اذا غاب القمر فى الحمرة فهو لليلة واذا غاب فى البياض فهو لليلتين وما كانوا منظرين ينظرون الى وقت آخر
او لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم واستخدام
نسائهم وتكليفه اياهم الاعمال الشاقة من فرعون بدل من العذاب المهين على حذف المضاف او جعله عذابا لافراطه فى التعذيب
او حال من المهين بمعنى واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين على ان قوله من فرعون فى تقدير من عذاب فرعون فيكون
المهين هو فرعون وقرأ ابن عباس من فرعون على الاستفهام ولا يخفى عليك ان حقيقته غير مرادة وانما المراد انه لما وصف عذاب
فرعون بالشدة والفظاعة زادهم تهويلا بقوله من فرعون اى هل تعرفون فرعون من هو فى فرط عتوه وشدة شكيمته وشيطنته
فما ظنك بعذاب يكون المعذب به مثله ولهذا قال انه كان عاليا من المسرفين زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه اى كان كبيرا
رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف او متكبرا مسرفا فهذا على تقدير كون الجار والمجرور خبرا ثانيا وعلى
الاول يكون حالا والمراد بالاسراف ههنا تجاوز الحد فى الكفر والمعاصى وقد كان فرعون اكفر الكفار واطغاهم واعتاهم و
ولقد اخترناهم اى فضلنا بنى اسرائيل كما صرح به فى سورة الجاثية على علم فى محل النصب على الحال اى عاملين بانهم
احقاء بان يختاروا وقيل على علم آتيناهم واوحينا اليهم غيرهم وهذا الاختيار خاص لمن اختاره الله بالنبوة منهم او
عاملهم ولمن كانوا مع موسى عم اختارهم بما خصصهم به على العالمين على عالمى زمانهم وهو قول الاكثرين وقيل على جميع
الناس لكثرة الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات
العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لان الله يبلو بالخير والشر او اختبار ظاهر لننظر
كيف يعملون كقوله وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء اشارة الى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة
للدلالة على انهم مثلهم فى التصميم على الاصرار والشرارة وللانذار عن مثل ما حاق بهم من نكال الله ونقمته ليقولون ان هى الا موتتنا
الاولى اى ما عاقبة الامر ونهايته الا الموتة الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية او لا موتة الا هذه الموتة التى نموتها فى الدنيا ثم لا بعث بعدها
بالحيوة الثانية وهو قولهم وما نحن بمنشرين بمبعوثين من انشر الله الموتى اذا بعثهم وغرضهم من هذا القول المبالغة فى
انكار حشر الموتى ونشرهم من القبور

:: فعجلوا بيان

فأتوا بآبائنا خطاب للذين وعدهم النشور من رسول الله عم والمؤمنين اي فاحضروهم عندنا لتصحح دعواكم ويثبت صدقكم
ان كنتم صادقين فيما تقولون ليدل على ذلك وان قيام الساعة وبعث الموتى حق وان صدقتم في وعدكم فعجلوا احياء من مات
من آبائنا بسؤالكم ربكم ليدل عليه وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعو الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم
ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير في القوة والمنعة والهمزة للانكار والمعنى انكار قريش خير قوة وآلهة ومكانة الله بيان
في الدنيا واقل كفرا وعنادا ام قوم تبع ام معادلة للهمزة بمعنى اي هذين الفريقين من الكفرة خير على سبيل التقرير لان العلم واقع بان
احدهما خير يعني ان كفار قريش ليسوا خيرا اي اقوى واشد واكثر من قوم تبع وعاد وثمود وغيرهم من كفار الاولين ويجوز
ان يكون منقطعة بمعنى بل اهم خير ام قوم تبع والاستفهام في ام للانكار ايضا وفي ام قوم تبع للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت او بمعنى
حمل المخاطب على الاقرار لانتفاء حقيقة الاستفهام اعني استواء الفريقين من كفار قريش وكفار الاولين في علم المستفهم وكون السؤال
عن التعيين وذلك لان علم المستفهم وهو الله والنبي حاصل بان قوم تبع وعاد وثمود خير من كفرة قريش قوة ومكانة وكثرة و
والذين من قبلهم كقوم نوح وعاد وثمود اهلكناهم حال باضمار قد او خبر عن الموصول ان استؤنف او استيناف بما القوم
تبع والذين من قبلهم يهدد به كفار قريش فان من قدر على اهلاك كفار الاولين مع عظم اجرامهم وقوتهم وافراط كثرتهم وتباعد
اطراف عددهم كان على اهلاك كفار قريش مع قلتهم ودمانتهم اقدر وهو ابلغ من الاستدلال باهلاك مثلهم كما لا يخفى انهم كانوا مجرمين
كاملين في الاجرام والآثام وهو علة للاهلاك والاستيصال جامعة لفرق الكفرة كلهم وقد اكثروا الكلام في تبع فقال ابن عباس كان
تبع نبيا وقال كعب كان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا واهل الكتاب فامر الفريقين ان يقرب كل منهما قربانا ففعلوا فتقبل قربان
اهل الكتاب فاسلم وقال ايضا ذم الله قومه ولم يذمه وضرب لهم بقريش مثلا لقربهم من دارهم وكانت عايشة رض تقول
لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وعن النبي عم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم رواه سهل بن سعد وعنه عم ما ادري اكان
تبع نبيا او غير نبي رواه ابو هريرة وقال قتادة هو تبع الحميري سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها
وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا وقال عكرمة والكلبي هو تبع الآخر وهو اسعد ابو كرب بن مليك
يكرب وقال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت وآمن بالنبي محمد عم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة وقيل كان من يوم مات
فيه تبع الى يوم بعث فيه رسول الله عم الف سنة لا يزيد ولا ينقص وقال ابن عباس هو ابو كرب الذي كسا البيت بعد
ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها دار هجرة نبي من قريش اسمه محمد واحمد وقال شعرا
اودعه عند اهلها فتوارثوه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي عم وكان عند ابي ايوب خالد بن زيد وفيه شهدت على احمد انه رسول من الله
باري النسم فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم وروى محمد بن اسحق انه كان في الكتاب الذي كتبه اما بعد فاني آمنت
بك وبكتابك الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرايع
الاسلام فان ادركتك فبها ونعمت والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة فاني من امتك الاولين وبايعتك قبل مجيئك وانا على
ملتك وملة ابيك ابراهيم عم ثم ختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله
نبي الله ورسوله خاتم النبيين عم من تبع الاكبر وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
وقيل حفر بئر بناحية حمير في الاسلام فوجد فيه امرأتان صحيحتان وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر
حبا ولميس او حبا وتماضر وهذا قبر رضوى وقبر حبا بنتي تبع على اختلاف الروايات وهما تشهدان لا اله الا الله ولا تشركان
به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وما خلقنا السموات والارض وما بينهما او ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن
لاعبين لاهين وهو دليل على صحة البعث كما مر غير مرة ما خلقناهما الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق مقترنا به

بعيدا

بعيدا من الباطل واللعب والعبث او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال او بالغرض الصحيح الذي اقتضته الحكمة و
وهو الجزاء لكل نفس بما كسبت فان الجزاء هو الذي سبقت اليه الحكمة في خلق العالم من رأسها اذ لو لم يكن الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت
عند الله احوال المؤمن والكافر وهو محال ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك لانكارهم البعث والثواب والعقاب ولفرط جهلهم وغفلتهم
ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او فصل بعض الخلايق عن بعض ميقاتهم حدهم الذي يوقتون
به وينتهون اليه ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما فان الميقات ما وقت به الشيء
اي حد وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد جزائهم في يوم الفصل اجمعين تاكيد لضمير
الجمع يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او عطف بيان له او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا له لوجود الفاصل مولى اي مولى
كان من قرابة او غيرها عن مولى عن اي مولى كان اي يوم لا ينفع بعضهم بعضا في دفع العذاب شيئا في موضع المصدر اي
شيئا من الاغناء وهو القليل منه او المفعول به اي يوم لا يدفع مولى عن مولى شيئا من عذاب الله ولا يبعده فان الاغناء بمعنى
الدفع وابعاد المكروه من قولهم اغن عني وجهك ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول لانه نكرة وقعت في سياق النفي فافادته
العموم الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومن في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي ولا يمنع من العذاب
الا من رحمه الله او النصب على الاستثناء انه هو العزيز اي الغالب القادر على الانتقام من اعدائه فلا ينصر من اراد تعذيبه
الرحيم البليغ الرحمة والانعام على اوليائه المؤمنين ان شجرة الزقوم المشهور شجرة بفتح الشين وقرئ بكسرها وقرئ
شيرة بالياء وقدم بيان شجرة الزقوم في سورة والصافات وان حاصلها الالم والغم وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام
شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل بتمر وزبد وقال تزقموا
بيان شجرة الزقوم فان هذا هو الذي يخوفكم به محمد فنزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي طعام الفاجر الكثير الآثام والمراد به الكافر بدليل
سباقه وسياقه وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل
على ان ابدال الكلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها كالمهل المهل بالضم الصديد والقيح وكذا المهلة بالفتح والكسر وبه
فسر قول ابي بكر الصديق رض ادفنوني في ثوبي هذين فانهما للمهل والتراب وقيل المهل النحاس المذاب وقيل ذايب الفضة
والنحاس وقيل دردي الزيت ويدل عليه قوله يوم يكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وعن ابي سعيد
عن النبي عم في قوله تع كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه رواه احمد وغيره والكاف في محل الرفع
على انه خبر ثان لان وكذلك يغلي في البطون وقراه ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل
لان الاظهر ان الجملة حال من احدهما والباقون بالتاء على ان الضمير للشجرة كغلي الحميم غليانا مثل غلي الماء الحار الذي انتهى
غليانه وحكي عن النبي عم ايها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو ان قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على اهل الدنيا
معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس لهم طعام غيره رواه ابن عباس رض خذوه على ارادة القول اي يقال للزبانية خذوا الاثيم
فلا يأخذونه الا بالنواصي والاقدام فاعتلوه اي فجروه بعنف وغلظة وقراه ابن كثير وابن عامر وابو جعفر بضم التاء والباقون
بكسرها وهما لغتان من عتل يعتل ويعتل عتلا اذا قاده بعنف وغلظ ومنه العتل وهو الغليظ الجافي الى سواء الجحيم
الى وسطها او معظمها ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصل هذا الكلام يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب
من فوق رؤوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض
هذا النوع وعن ابي هريرة قال النبي عم ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق
من قدميه وهو الصهر الذي اخبر الله تع عنه ثم يعاد كما كان رواه الترمذي وغيره وقال مقاتل ان خازن النار يضرب

على راسه فينقب راسه عن دماغه
اي يصل الى الجوف

ثم يصبّ فيه ما حميًا قد انتهى حرّه ثم يقال له ذُق هذا العذاب انك انت العزيز الكريم استهزاءً وتهكمًا به وتوبيخا على ما كان يعمه وروى ان ابا جهل قال لرسول الله عم ما بين جبلي مكة اعزّ واكرم منّي فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقراء الكسائي انك بالفتح اى لانك او عذاب انك وقراء به حسن بن علي رض ان هذا اى هذا العذاب او هذا الامر ما كنتم به تمترون تشكّون او تتمادون وتتلاجون فيه ان المتقين اى المؤمنين بما جاء من عند الله في مقام امين في مكان يأمن صاحبه عن كل اذى ومكروه وقراء نافع وابن عامر وابو جعفر مُقام بضم الميم هو موضع الاقامة والباقون بفتحها هو موضع القيام والمراد بالضم والفتح المكان وهو من الخاص المستعمل في معنى العام والامين ضد الخائن من امُن الرجل امانة فهو امين فهو في الحقيقة صفة صاحب المكان لكن وصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره او كناية على ان الوصف اذا اثبت في مكان الرجل فقد اثبت له كقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين بُرديه فجعل الامانة في مقام المتقين ليفيد اثباتها لهم كما كُني عن ثبوت المجد والكرم لم يجعلها بين ثوبيه وبرديه فيكون من الكناية المطلوب بها نسبة في جنات وعيون بدل من مقام وفايدة التوكيد لما فيه من التكرير والايذان بان المقام الامين بيانه وتفسيره جنات تجري تحتها العيون اى الانهار ونكرهما لتعظيمها وابهام امرهما كانه قيل في اية جنات واية عيون بمعنى الكمال في الصفة او لان المراد في جنات وعيون مخصوصتين بالمتقين خلقتا لهم خاصة يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرّب وقيل مشتق من البراقة وقيل هو مسمّى باستفعل من البريق وكلا القولين غير صحيح لانه معرّب مشهور تعريبه وان اصله استبره والتعريب جعل العجمي بحيث يوافق اللفظ العربي بتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب قرأ الخليل واستبرق بوصل الهمزة متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض وهو حال مترادف او متداخل على انه حال من الضمير في يلبسون كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين اى وقرناهم بهن فيتمتعون تارة بمؤانسة الاخوان ومقابلتهم وتارة بملاعبة النسوان من الحور العين ومزاوجتهن وقيل الحور النساء النقيات البياض وقال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال ابو عبيدة الحور الشديدات بياض الاعين والشديدات سوادها واحدتها احور والمراة حوراء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها وقراء عكرمة بحور عين بالاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين حور وغير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفي حرف عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة يدعون فيها بكل فاكهة اى يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان حال من مفعول زوجناهم او استيناف آمنين من كل نقص وآفة وضرر لا يذوقون فيها الموت قراه عبيد بن عمير لا يُذاقون الا الموتة الاولى بان يحيون فيها دايما والاستثناء منقطع او متصل وهو للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت والمعنى لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان ذوق الموتة الاولى في المستقبل محال لا سيما في الجنة التي هي دار الحيوة وقيل والا بمعنى بعد وقيل بمعنى سوى وضمير فيها عايد الى الجنات ثم الموت والموتة مصدران من فعل واحد كالنفخ والنفخة الا ان الموتة اخص من الموت لان الموتة للوحدة والموت للجنس فيكون بعضا من جنس الموت وهو الفرد الواحد ونفي الوحدة ابلغ من نفي الجنس فكانت اقوى وانفى في نفي الموت عن انفسهم كانه قال لا يذوقون فيها شيئا من الموت بعض اقل ما ينطلق عليه اسم الموت ووقيهم عذاب الجحيم وقرى ووقاهم بالتشديد للمبالغة فضلا من ربك اى اعطى المتقين ما ذكر من نعيم الجنة والنجاة من عذاب الجحيم عطاء وتفضلا منه وقرئ فضلُ بالرفع اى ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه فوز بجميع السعادات ونجات من كل البليات والآفات فانما يسرناه بلسانك اى سهلناه حيث انزلناه بلغتك

لا يذوقون بيان

وهو



وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون طلب ان يفهم قومك فيتذكروا به او لكي يتعظوا به فيفوا بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم او طالبين او مقدرين رجاء منهم التذكر به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك متربصون بك ريب المنون والدوائر عن رسول الله عم من قراء حم الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له وعنه عم من قراء الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك رواهما ابو هريرة وقال ابو امامة سمعت النبي عم يقول من قراء حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة سورة الجاثية سبع او ست وثلثون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب حم مبتداء خبره تنزيل الكتاب على اضمار مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب او تعديد للحروف على سبيل التحدي وتنزيل الكتاب مبتدا خبره الظرف وهو من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون حم مقسما به وتنزيل الكتاب صفة وجواب القسم قوله ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة وما يبث عطف على الخلق لا على الضمير لان العطف على الضمير المجرور ليس بسديد لانه عطف على بعض الكلمة لان المضاف والمضاف اليه كشيء واحد كالجار والمجرور فانهم لم يفرقوا في ذلك بين المجرور بحرف الجر والمجرور بالمضاف فلا ينبغي ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وعمرو وقيل انما يحسن عطفه على المضاف باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلايل على وجود الصانع المختار ايات لقوم يوقنون يتقنون العلم بنفي الشك عنه وقراء حمزة والكسائي ويعقوب ايات بالنصب حملا على اسم ان والباقون بالرفع حملا على محل ان واسمها ونظيرهما قولك ان زيدا في الدار وعمرا في المسجد او عمرو في المسجد واختلاف الليل والنهار واعتقابهما اذ كل واحد منهما يعقب الآخر ويخلف عليه وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها بعد يبوستها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقراء حمزة والكسائي وخلف وتصريف الريح بالافراد على ارادة الجنس ايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل واضحة على وجود صانعها وعظيم قدرته وبالغ حكمته وقراء حمزة والكسائي ويعقوب ايات بالنصب على الاختصاص او على اضمار ان وفي تقديره وان في اختلاف الليل والنهار وما عطف عليه ايات لهم والباقون اياتٌ بالرفع على هي ايات قالوا ويلزم في القرائتين العطف على عاملين هما ان وفي في النصب والابتداء في حالة الرفع وكان اختلاف الفواصل الثلث لاختلاف الايات في الدقة والظهور قراء زيد بن علي وابن عمير من دابة اية وتصريف الرياح اية بالتوحيد فيهما تلك ايات الله اى تلك الايات ايات الله ودلايله الواضحة على وجوده ووحدته وقدرته وعلمه وحكمته نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة كانه قيل نشير اليها متلوة عليك بالحق تلاوة ملتبسة بالحق متقرنة به بعيدة من الباطل واللعب والهزل كما قال وما هو بالهزل قراء الخليل يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله واياته يؤمنون اى بعد ايات الله وتقديم اسم الله تع للمبالغة والتعظيم كما في قولك اعجبني زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث واياته دلايله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين والمعنى القرآن من بين الكتب السماوية المنزلة على الانبياء اية ظاهرة ومعجزة باهرة فحين لم يوقنوا به فباي كتاب بعده يؤمنون وقراء حمزة والكسائي وابن عامر وابو بكر وخلف وروح تؤمنون بالتاء نقلا من الغيبة الى الخطاب والباقون بالياء ليوافق ما قبله وفي تفسير القاضي بالعكس وهو غلط ويل لكل افاك اى كذاب اثيم بالغ في ارتكاب الاثام يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر ثم يقيم ويدوم على كفره واصله من اصرار الحمار على العانة وهو ان ينحني عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالايات والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده وثم لاستبعاد الاصرار على الكفر بالايات بعد سماعها كقوله كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن وعن ابن عباس انه الحارث بن كلدة

وعن الثعلبي انه ابو جهل واصحابه والظاهر ان الآية عامة في كل كذاب مضارٍّ لدين الله على ما يدل عليه صريح كلمة الاحاطة والشمول كان لم يسمعها
اى كانه فخفف وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال من المستكن في يصرّ اى يصر مثل غير السامع او مماثلا حاله حال من لم يسمعها
فبشره بعذاب اليم فانذره به وذكر العذاب قرينة على ان بشره استعارة تبعية تهكمية استعيرت البشارة التي هي الاخبار بما يظهر
سرورا في المخبر به للانذار الذي هو ضده بادخال الانذار في جنس البشارة على سبيل التهكم والاستهزاء ونكر العذاب ووصفه بالاليم
قصدا به التعظيم والابهام كانه قال فانذره بعذاب لا يعرف كنهه ولا يحيط به الوصف لعظمه وفرط المه واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه
شيء من اياتنا وعلم انه منها اتخذها هزوا اى الكل من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير عائد الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة او الى اياتنا ونكتته الاشعار بانه اذا سمع شيئا من الكلام وعلم
انه من جملة الآيات التي انزلها الله على رسوله سارع الى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما سمعه ويحتمل واذا علم من اياتنا
شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ ايات الله هزوا وذلك مثل اعتراض
ابن الزبعرى في قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله وقوله خصمتك قرأ قتادة واذا علم مشددا
اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين لهم عذاب مهين يذلهم ويذهب بعزهم وكبرهم من ورائهم جهنم من قدامهم
جهنم لانهم صايرون اليها وبئس المصير او من خلفهم لانه بعد خروجهم من الدنيا ولا يغني عنهم ولا ينفعهم ما كسبوا من الاولاد
والاموال في رحلهم ومتاجرهم شيئا في موضع المصدر اى شيئا من الاغناء والنفع يعني قليلا منه او المفعول به اى ولا يدفع عنهم
ما كسبوا شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء ولا ما عبدوه من دون الله من الآلهة والاوثان ولهم عذاب عظيم
نوع من العذاب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره ولا يعلمونه هذا هدى اى هذا القرآن كامل في الهداية كقولك زيد عدل وعمرو رجل
تريد كاملا في العدل مبالغ فيه كامل في الرجولية وايما رجل والذين كفروا تموا على الكفر كالتمرد على الجحود بايات ربهم اى بالقرآن الذي
انزل اليهم من ربهم لهم عذاب من رجز اليم الرجز اشد العذاب وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب اليم بالرفع صفة لعذاب
والباقون بالجر نعتا للرجز الله الذي سخر لكم البحر جعله لكم املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص
فيه او جعل البحار نافعة لكم وذللها فان اللام في البحر للجنس اشارة الى البحور التي ينتفع بها الناس لتجري الفلك فيه بامره باذنه
وتيسيره وقيل بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله ولتطلبوا من تفضله وانعامه او من نعمه بالتجارة والغوص
على اللؤلؤ والمرجان والصيد وغير ذلك من منافع البحر ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا هذه النعم وشكرها الاقرار بوحدانية المنعم
بها وان لا يجعل له ند وشريك ولا يكفر المقر باياته وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا جعلها منافع لكم ومعادن النفع
ومصالحه وهذا معنى ما قيل من ان معنى تسخيرها ان سهل لنا الانتفاع بها بما شاء من الاسباب منه حال من ما اى سخر هذه الاشياء
كاينة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها وموجدها من العدم الى الوجود ثم مسخرها لكم ايها العباد او خبر لمبتداء محذوف
تقديره هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقال الزجاج كل
ذلك تفضل منه واحسان وقرأ ابن عباس منةً على المفعول له وقرأ مسلمة بن محارب منّةُ على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي نحو جدّ
جدّه او خبر مبتدأ محذوف اى ذلك او هو منّة اى انعام وتفضل وقرأ عكرمة منّه بفتح الميم وضم النون المشددة ان في ذلك
لآيات لدلايل واضحة على وجود صانعها ووحدانيته وباهر قدرته وبالغ حكمته لقوم يتفكرون ينظرون ويتاملون
فيما يدل عليه انشاء هذه الاجسام العظام وابداع صنعها وما سخر فيها ودبر مما حارت العقول عن ادراك بعض عجائبه على
عظم شان الصانع وكبريائه وسلطانه وعزة قدرته ولطف صنعه وعلمه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب
عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقايع الله باعدائه من قولهم

ايام العرب



ايام العرب لوقايعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها ولا يخشون مثل عذاب الامم
الخالية نزلت في عمر رضي شتمه رجل من غفار فهمّ ان يبطش به فامره الله بالعفو وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن
الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر رضي ليجزي عمر بما صنع وقال القرظي والسدي نزلت في ناس من الصحابة من اهل
مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله عم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها
آية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة اى امروا بان يغفروا ليوفيهم الله جزاء مغفرتهم يوم
القيمة والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة
او ما يعمهما وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون على طريقة الالتفات وقرأ ابو جعفر والاعرج ليُجزى مبنيا للمفعول
قوما بالنصب اى ليجزى الجزاء قوما اعني ما يجزى به لا المصدر لان اسناد الفعل اليه سيما مع المفعول به ضعيف كقوله
ولو ولدت فقيرة جرو كلب لسُبّ بذلك الجرو الكلابا اى لسب السب وقرئ ليجزى قوم من عمل صالحا فلنفسه فنفسه
نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر ثم الى ربكم ترجعون اى لا ترجعون الا الى ربكم فتنعمون بالثواب وفيه ترغيب وبعث
على اكتساب العمل الصالح وترهيب وزجر عن ارتكاب العمل السيئ لانه يجازي عباده على حسب اعمالهم يوم القيمة قرأ يعقوب
يَرجعون بفتح الياء ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة والفقه او فصل الخصومات والنبوة اذ اكثر فيهم الانبياء
ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات ما احل الله واطاب لهم من اللذائذ والارزاق وفضلناهم على العالمين
حيث لم نؤت غيرهم مثل ما اتيناهم واتيناهم بينات من الامر ادلة على امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات
من امر النبي عم مبينة لصفته فما اختلفوا فما وقع بينهم الخلاف في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة ذلك الامر او من
بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم بغيا بينهم لبغي حدث بينهم اى لعداوة وحسد ان ربك يقضي
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمواخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة من الامر على طريقة واضحة من امر الدين
والشريعة والشرع ما شرع الله لعباده من الدين اى بيّن واظهر فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلايل والحجج ولا تتبع اهواء
الذين لا يعلمون ما لا حجة عليه من آراء الجهال التابعة للشهوات ودينهم المؤسس على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش
قالوا له ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا لن يدفعوا عنك شيئا من عذاب الله او لن ينفعوك نفعا قليلا
من قبل الله لانهم اعداؤه وهو تعليل للنهي عن اتباع اهوائهم ولك ان تقول لما نهى المخاطب عن اتباع اهواء الجهلة صار المقام مقام
ان يتردد المخاطب في انهم هل صاروا محكوما عليهم بالاغناء عنه اولا ويطلبه فنزل منزلة الطالب وقيل انهم لن يغنوا عنك من الله
شيئا موكدا اى هم المحكوم عليهم بنفي الاغناء ومثله وان الظالمين بعضهم اولياء بعض وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة
فيها دقة وغموض وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولا توالهم باتباع اهوائهم انما يوالي الظالمين من هو ظالم مثلهم لان
الجنسية علة الانضمام والله ولي المتقين ناصر الذين اتقوا الشرك والمعاصي التي من جملتها موالاة الظالمين ومعينهم ومظهرهم
عليهم فهو الحقيق بان تتخذه وليا وتواليه بالتقوى واتباع وحيه وشريعته قرأ زيد بن علي والله بالنصب عطفا على الظالمين
هذا بصائر للناس اى هذا القرآن حجج بينة يجعل المتقين بصراء ويبصرهم وجه الفلاح او هو بمنزلة البصائر في القلوب كما انه
بمنزلة الروح والحيوة وفيه اشارة الى ان من عرى عن القرآن فقد عدم بصره وبصيرته وصار كالميت والجماد الذي لا حس له
ولا حيوة ولذلك قال الله تع في الكفار العراة عنه صم بكم عمي فهم لا يعقلون قرأ اليماني هذه بصائر وهدى اى وبالغ في الهداية
من الضلالة درجة لا يدرك كنهها وغايتها ورحمة ورحمة ونعمة كاملة من الله حيث ينجي ويعصم به من سخطه وعذابه ويفوز بجميع
السعادات الدنيوية والاخروية لقوم يوقنون يؤمنون به كما قال في الاعراف هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون وقيل يطلبون اليقين

بيان ان الظالم والمتقي

ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح للاعضاء
الكاسبة والمراد بالسيئات ههنا الكفر والمعاصي ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات اى مثلهم وهو ثاني
مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل من المفعول الثاني ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار
ان يكون حيوتهم ومماتهم سيان في البهجة والكرامة كما للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على
البدل او الحال من الضمير في الكاف او المفعول به والكاف حال وان كان للموصول الثاني فحال منه او استيناف يبين المقتضى للانكار وان
كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات في الكرامة او ترك المواخذة كما استووا في الرزق والصحة
في الحيوة او استيناف مقرر لتساوى محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم وعن تميم الدارى رضى انه كان يصلى ذات
ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك
وعن الفضيل انه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من اى الفريقين انت وخلق الله السموات والارض بالحق
عطف على احدى الجمل السابقة ما بينها فهم او استيناف يقرر عدم الاستواء للفريقين في الممات وبعده وقيل كانه دليل على الحكم السابق من حيث
ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصاف المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لافادة التعليل لان معناه بالغرض الصحيح والحكمة البالغة او بسبب العدل والانصاف
او على تعليل محذوف مثل ليدل بها على وحدته وقدرته او لتكون اية نيرة للناظرين ومطارح افكار واعتبار واستدلال ونظر للمتفكرين
مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التى لا تحصى والمرافق التى لا تعد او ليفيد الفوائد الدينية والدنيوية والحكم الربانية او ليبين قدرته
او ليعدل ولتجزى والعطف على تعليل محذوف ليس ببعيد في القران كما مر عليك بيانه في مواضع منه وهم لا يظلمون بان لا ينقص
من اجرها وثوابها ولا يزيد في عقابها بناء على وعده المحتوم فان الخلف فيه ممتنع لانه نقص مناف للالوهية وكمال الغنى وبهذا الا
عتبار يصح ان يسمى ظلما وان كان لا يتصور حقيقة الظلم من الله تعالى لكونه المالك على الاطلاق فله ان يتصرف كيف يشاء فهذه الاية
اخبار بان التسوية في الجزاء حكم سيئ وهو سفه والله خلق العالم بالحق لا بالسفه وذلك الحق في المجازاة على وفق الاعمال بين عدل وفضل
بلا ظلم وجهل افرايت من اتخذ الهه هواه ارايت بمعنى اخبر فان رؤية الشيء طريق الى الاخبار عنه والفاء للتعقيب والمعنى اخبر
بقصة هذا الكافر الذى جعل الهه هواه وهو ما تهوى النفس الخبيثة واذكر حديثه عقيب حديث هؤلاء الظالمين قال مقاتل نزلت
في الحرث بن قيس احد المستهزئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه وقال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى
شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم حرمه وقرئ الهة هويه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه رفضه
اليه فكانه اتخذ هويه الهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها وقال سعيد بن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا
وجدوا شيئا احسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الاخر وقال الشعبى انما سمى الهوى لانه يهوى بصاحبه في النار واضله الله
وخلق فيه الضلال عن الهدى على علم في موضع النصب على الحال اى عالما بضلاله واستحقاقه اياه لفرط خبثه وفساد جوهر
روحه او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته باسبابها وختم على سمعه وقلبه وطبع عليهما فلم يسمع الهدى سمع قبول ولا يعقله فلا
يتعظ بالمواعظ ولا يتدبر في قوارع الايات وزواجرها ولا يتخشع عند تلاوتها عليه وهو مع ما عطف عليه تقرير لاضلال الله
اياه وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقراه حمزة والكسائى وخلف غشوة والباقون غشاوة
وهما بمعنى واحد وهو ما يغشى العين ويغطيها عن الابصار والادراك وتنكيرها للتنويع او للتعظيم وقرا الحسن غشاوة بضم
الغين وابن مسعود برواية الاعمش غشاوة بفتحها وطلحة غشوة بكسر الغين فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلال الله ونفى
الاستفهام في معنى انكار ان يهديه احد سوى الله اى فلا يقدر احد ان يهديه من بعد اضلاله افلا تذكرون افلا تتفكرون في ذلك فتعلموا

ان الهداية

ان الهداية بالله لما لا يملكها احد سواه او افلا تتعظون فتعرفوا انه قادر على ما يشاء وقرا حمزة والكسائى وحفص وخلف تذكرون
بتخفيف الذال والباقون بتشديدها وقرئ تتذكرون بتائين على الاصل وقالوا ما هى اى ما الحيوة او الحال الا حيوتنا الدنيا التى نحن فيها
نموت ونحيى اى نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ونحيى بعضنا
او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حال ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وعلى هذه الفرقة
كثير من اهل ما زندران في هذا الزمان وقرئ نحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان من الليالى والايام والدهر
في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وجمهور ائمة اللغة على ان الدهر والزمان واحد وقيل الدهر الزمان الطويل وانما قالت
الكفرة ذلك على سبيل الظن والتخمين دون العلم كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالى هو المؤثر في هلاك الانفس وينكرون ملك
الموت وقبضه الارواح بامر الله وكانوا يعتقدون في الدهر والزمان انه الطارق بالنوايب والحوادث ويضيفون اليه كل نايبة
وحادثة وما زالوا يسبونه ويذمونه ويشكون منه كما نطقت بذلك اشعارهم فنهى رسول الله عم عن ذلك بقوله لا تسبوا الدهر
فان الدهر هو الله ويروى فان الله هو الدهر ويعنى ان الطوارق التى تنزل والحوادث التى تحدث منزلها ومحدثها هو الله دون
غيره اى فان الله هو المنزل للطوارق والنوايب والحوادث لا الدهر قراه اليمانى دهر بالتنكير وما لهم بذلك من علم من
زايدة لتاكيد النفى اى ليس لهم بذلك القول الذى قالوه علم ما وقيل يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال
او انكار البعث او كلاهما ان هم الا يظنون اذ ليس لهم على ذلك دليل عقلى او نقلى او ضرورى وانما قالوه تقليدا لابائهم الجهلة وانكارا
لما لم يشعروا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينا له ما كان حجتهم ما كان
لهم شبهة يتمسكون بها يعارضونها به الا ان قالوا ايتوا باباينا ان كنتم صادقين وانما سمى قولهم هذا حجة مع انه ليس بحجة لانهم
ساقوه مساقها او لانه في حسبانهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس
بحجة والمراد نفى ان يكون لهم حجة البتة وقرا ابو عمرو وعيسى حجتهم بالرفع على اسم ان كان بخلاف عنه واما انتصابها فعلى تقديم الخبر
قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه لان من كان قادرا على الابداء كان على الاعادة
اقدر فالاتيان ابايهم من اهون الاشياء عليه لكن الحكمة الالهية اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
لفرط جهلهم وتمادى غفلتهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض اى ويختص بالله ملك العالم لانه
هو الصانع له والموجد من العدم الى الوجود فلما قدر على ايجاد هذه الاجرام العظام وايجاد اهلها اقدر على ايجادهم مرة اخرى لان
ايجاد الجزء اهون وايسر من ايجاد الكل وهو كالشبه وتوطئة تعميم للقدرة بعد تخصيصها وتقرير لقوله وهو اهون عليه ويوم تقوم
الساعة يومئذ يخسر المبطلون يوم تقوم منصوب بيخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهى
الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم او باركة مستوفزة على الركب وهى جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ينتظر القضاء
وعن سلمان الفارسى انه قال ان في القيمة ساعة هى عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ابراهيم عم ينادى ربه لا اسئلك
الا نفسى وكذلك الملائكة على ما قال كعب لعمر يا امير المؤمنين ان جهنم تزفر زفرة يوم القيمة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل الا جثى
على ركبتيه حتى يقول خليل الرحمن عم يا رب لا اسئلك اليوم الا نفسى وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف اصابعهم لاستيفازهم كل امة
تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرا يعقوب كل امة بالنصب بدلا من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم
تعملون على ارادة القول يقال لهم اليوم تجزون فمن كان عمله الايمان جزاهم الله بالجنة ومن كان عمله الشرك والكفر جزاه بالنار كما قال
النبى عم اذا كان يوم القيمة جاء الايمان والشرك فيجثوان بين يدى الرب تعالى فيقول الله تعالى للايمان انطلق انت واهلك الى الجنة ويقول
للشرك انطلق انت واهلك الى النار هذا كتابنا اضاف اعمالهم الى انفسهم لانه مالكها والامر ملائكته بان يكتبوا فيها اعمالهم فهو من قبيل
الاضافة بادنى ملابسة واعمالهم بسبب اياهم

فلان اعمالهم مثبتة فيها ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم شهادة ملتبسة بالصدق مقترنة به بعيدة من الكذب والزيادة و النقصان انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون انا امرنا الملائكة بنسخ جميع اعمالكم من الصغاير والكباير بدليل قوله مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وقيل نستنسخ اى ناخذ نسخته وذكر ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما له ثواب او عقاب ويمحو من اللغو نحو قولهم علم واذهب وقيل الاستنساخ بيانا انما يكون من اصل فينسخ كتاب من كتاب وقال السدى نستنسخ اى نكتب وقال الحسن نحفظ وقال الكلبى نثبت فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات تفصيل وتوضيح للجزاء المجمل المبهم فيدخلهم ربهم فى رحمته فى جناته التى تحل فيها رحمته فهو من المجاز المرسل لكونه من تسمية الشئ باسم حاله وقيل فى رحمته التى من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظفر الظاهر بكل ما ارادوا واما الذين كفروا فلم تكن اياتى تتلى عليكم فاستكبرتم جواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم الم تاتكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى عليكم فحذف الجواب والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة وقوله فاستكبرتم اى فتعظمتم عن الايمان بها وقبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد بايات ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها فان قلت هذه الاية اشتمل الذين فى اقاصى الروم والترك والهند من الذين لم يبلغهم الدعوة ولم يتل عليهم شئ من ايات الله واكثر عددا من رمال الدهناء وما قولك فيهم قلت لا بل الظاهر عندى بحكم الاية ان هؤلاء معذورون مغفورون يشملهم رحمة الله الواسعة بل اقول يشمل كل من مات فى الفترة وكل احمق وهرم وكل اصم ابكم معتوه قال ابو هريرة قال رسول الله اربعة كلهم نزل على الله بحجة وعذر رجل مات فى الفترة ورجل ادرك الاسلام هرما ورجل اصم ابكم معتوه ورجل احمق الحديث فاستوسع ايها السائل رحمة الله تعالى تو قبلنا ولم يضيقها على عباده ولا تشتغل بالتكفير والتضليل لسانك وقلبك كطايفة بضاعتهم مجردا والفقه يخوضون فى تكفير الناس وتضليلهم وطايفة من المتكلمين كفروا اعوام المسلمين وزعموا وقد كذبوا فى زعمهم وزعموا ان من لم يعرف العقايد الشرعية بادلتنا المحررة فى كتابنا فهو كافر فاولئك عليهم العويل والنياحة ايام حيوتهم ومماتهم حيث ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده وجعلوا الجنة حصرا ووقفا على طايفة الفقهاء وشرذمة من المتكلمين وكفروا وضلوا الذين هم براء من الكفر والضلالة و قد ذهلوا وجهلوا بقول النبى عم امتى كلها فى الجنة الا الزنادقة وقد روى ايضا الهالك منها واحدة ويقول عبد الله بن مسعود وابو هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد بعدما يلبثون فيها احقابا وبما قال انس قال النبى عم اذا كان يوم القيمة يغفر الله لاهل الاهواء اهواءهم وحوسب الناس باعمالهم الا الزنادقة وكنتم قوما مجرمين كاملين فى الاجرام والاثام اى كفارا ذوى اثام عظام فلذلك استكبرتم عنها واجترأتم على جحودها وانكارها واذا قيل لكم ان وعد الله حق اى وعد الله بالحشر والجزاء او ما وعده الله حق صدق لا كذب فيه لتعاليه عن كل عيب ونقص وقيل كاين هو او متعلق لا محالة والساعة لا ريب فيها لا بد من اتيانها ولا محالة وليس بمرتاب فيها وقرأ حمزة والساعة بالنصب عطفا على اسم ان والباقون بالرفع عطفا على محل ان واسمها قلتم ما ندرى ما الساعة اى شئ الساعة استغرابا لها واستنكارا ان نظن الا ظنا تنكير المصدر لقصد التحقير والحصر للظن بالساعة الا ظنا ضعيفا مستحقرا ملحقا بالعدم لان الظن مما يقبل الشدة والضعف والمفعول المطلق ههنا للنوعية لا للتاكيد وهذا يحمل التنكير على ما يفيد التنوع كالتعظيم والتحقير والتكثير ونحوها فكل مفعول مطلق وقع بعد الا وبهذا الاعتبار يصح الاستثناء المفرغ ويظهر كونه بعضا من المستثنى منه الاعم المحذوف اى لا نظن شيئا من الظن الا هذا النوع ويندفع الاشكال الذى يورد على مثل هذا التركيب ما ضربت الا ضربا بان المستثنى المفرغ يجب ان يستثنى من متعدد مستغرق حتى يدخل فيه المستثنى بيقين فيخرج بالاستثناء وليس مصدر نظن محتملا غير الظن حتى يخرج الظن من بينه ولا يحتاج الى ما ذكره الزمخشرى وغيره من ان اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ما سواه

كانه قال



كانه قال ما نظن الا ظنا او لنفى ظنهم فاسوى ذلك مبالغة ثم اكد بقوله وما نحن بمستيقنين لامكانها واعلم ان هذا قول فريق منهم فانهم كانوا فى الساعة مختلفين بدليل قوله عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون لكن منهم من يقطع القول بانكارها المستلزم لانكار البعث والجزاء ومنهم من يظن ظنا ويشك شكا لتحيرهم بين ما سمعوا من ابائهم واخوانهم الشياطين وما تليت عليهم من الايات فى امر الساعة وبدا لهم فظهر لهم سيئات ما عملوا قبايح اعمالهم او جزاء اعمالهم السيئات وحاق بهم ونزل بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء جهلهم واستهزائهم وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهى الايمان والعمل الصالح او نجعلكم كالشئ المنسى الذى لا يبالى به كما لم تبالوا بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشئ الذى يطرح نسيا منسيا واضافة اللقاء الى اليوم اضافة اليوم المصدر الى الظرف كقوله بل مكر الليل والنهار اى كما نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ومأويكم النار ومرجعكم النار ومكانكم وما لكم من ناصرين يدفعونها عنكم ويخرجونكم منها ذلكم اشارة الى ما ذكر من العذاب وعدم الانتصار بنصر ونهم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا اى جعلتم ايات الله مكان هزء او مهزوا بها والهزء بنفسه لفرط استهزائكم بها وغرتكم الحيوة الدنيا وخدعتكم الدنيا باباطيلها وزخارفها حتى حسبتم ان الحيوة هذه سواها ولا بعث ولا جزاء فاليوم لا يخرجون منها قرأ حمزة والكسائى وخلف يخرجون بفتح الياء وضم الراء والباقون بضم الياء وفتح الراء ولا هم يستعتبون اى ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه عن الخليل يستعتبون بفتح الياء فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ كل نعمة منه الدال على كمال فضله وقدرته قرئ برفع الرب فى الثلثة وله الكبرياء فى السموات والارض قدم الظرف فى الجملتين قصدا به الى الاختصاص اى يختص به الحمد والعظمة فى السموات والارض لان اصول النعم وفروعها منه لقد تفضل على كل شئ من الموجودات باهم اصل النعم الذى هو الخلق والايجاد من العدم الى الوجود وظهر فيه اثر قدرته الباهرة وحكمته البالغة فوجب على اهل السموات واهل الارض ان ينظروا النظر الصحيح ويكونوا باسرهم عبادا حامدين لصانعهم على نعمائه شاكرين له على الائه معظمين له عن الانداد والشركاء ولا يتشعبوا شعبا ولا يتفرقوا امما وهو العزيز الغالب القادر الذى لا يغلب او البليغ العزة الذى غلب على كل موجود عن ابى هريرة قال النبى عم ان الله تع ثلثة اثواب اتزر بالعزة وارتدى بالكبرياء وتسربل بالرحمة فمن تعزز بغير الله اذله الله تع فذلك الذى يقول الله ذق انك انت العزيز الكريم ومن تكبر فقد نازع الله ان الله يقول لا ينبغى لمن نازعنى ان ادخله الجنة ومن يرحم الناس يرحم الله تع فذلك الذى تسربل الله سربالة الذى ينبغى له وعنه قال النبى عم يقول الله تع الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما ادخلته النار الحكيم المتقن البالغ الاتقان فى جميع افعاله الا يرى الى العالم كيف خلقه وانشأه وابدعه على هذا النمط والبديع والنظام المحكم العجيب المشتمل على النقوش البهيجة والافعال المتقنة او البليغ الحكمة فى كل ما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه عن النبى عم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف اربع او خمس وثلثون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم البليغ العزة والحكمة ما خلقنا السموات والارض التفات من الغيبة الى التكلم على عادة الافتنان فى الكلام وما يعطيه من الروعة والاستحسان مع ما فيه من التفخيم والتعظيم دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها فى علوها واتساع جرمها وتباعد اطرافها وبعدها من تفاوتها وما بينهما من السحاب والرياح والجبال والحيوانات والاشجار والبحار والليل والنهار الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال واجل مسمى وبتقدير اجل مسمى اى وقت محدود معين ينتهى اليه الكل وهو يوم القيمة او لكل واحد وهو اخر مدة بقائه المقدر له وفيه ايذان بفناء العالم والذين كفروا عما انذروا عن انذار وامن هول ذلك الوقت الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه او عن انذارهم ذلك الوقت الذى لا بد او عن وقت انذروه على ان ما موصولة او مصدرية او موصوفة معرضون لا يؤمنون ولا يتفكرون فيه تفكر من يستعجلونه وقيل عما انذروا

بالحيوة بيان

ايتبعوا ذنبكم

اى خوفوا به من البعث والحساب قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
اروني بدل من ارايتم بدل الاشتمال اى قل اخبروني عن آلهتكم الذين تعبدونهم من دون الله اى جزء من اجزاء الارض تفردوا به
واختصوا بخلقه دون الله ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية فاذا لم يكن لهم مدخل في خلق
شيء من اجزاء العالم كان حالهم حال ساير الخلايق في عدم استحقاق العبادة في لزوم العبودية فلا يصح لهم بوجه من الوجوه وهذا
الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة وتجهيل لهم واشراك لعقولهم حيث جعلوا غير الخالق مثل الخالق في تسميته باسمه و
العبادة له وتصحيح ذكر الشرك في الجهات العلوية دون السفلية لان الآثار العلوية اظهر دلالة على اختصاص الله بخلقها وايجادها
واين شهادة لتعاليه وتقدسه عن الشركة فيها واقطع لها وانفى لها الحلول ونحو تقاهما وكونها فوقنا بلا عمد واوتاد وقيل
تخصيص الشرك في السموات احتراز عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث السفلية قرآ الايمان ممن تدعون ايتوني
هاتوا واحضروا عندي بكتاب من قبل هذا اى بكتاب يشهد بصحة عبادة الله من قبل القرآن الناطق بالتوحيد يعني ان جميع
الكتب السماوية المنزلة من قبل القرآن ينطق بمثل ما ينطق به القرآن من التوحيد وابطال الشرك فاتوا بكتاب واحد من قبله
ناطق بصحة ما انتم عليه من الشرك واثارة من علم اوبقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على
اثارة من شحم اى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقراءة اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعاني وقرئ اثرة
اى شيء اوثرتم به وقرئ اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمضمومة
اسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به والمكسورة بمعنى الاثرة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا الزام بعدم دليل نقلي على صحة
ما هم عليه من الشرك بعد الزامهم بعدم دليل عقلي على ذلك ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له معنى الاستفهام
في من انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر على تحصيل كل مراد وعبدوا من دونه جمادا
لا يقدر على استجابة احد منهم قراءة اليمان ما لا يستجيب الى يوم القيمة مادمت في الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات
واما عباد مسخرون مشغولون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين جاحدين
مكذبين بلسان الحال او المقال او بهما جميعا وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات جمع
بينة وهي الحجة والشاهد اى واضحات مبينات وانتصابها على انها حال مؤكدة لان ايات الله لا تكون الا حججا وبراهين قال الذين كفروا
للحق لاجل الحق وهو الآيات وكم يقل قالوا لها بل وضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وعليها بالحق لما جاءهم
حين ما جاءهم من غير نظر وتامل بحيث بادهوه بالجحود ساعة اتاهم واول ما سمعوه من اجالة فكر ولا اعادة نظر اى جحدوا على البديهة
قبل اجالة الفكر واعادة النظر هذا سحر مبين ظاهر بطلانه واذا جعلوه سحرا وتبتوا القول به فقد اندرج تحت انكاره ما فيه من البعث
والحساب والجزاء فقد صاروا الكفر من الحيرام يقولون افتراه اضراب عن ذكر تسميتهم الحق سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه من قولهم
ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب اى دع هذا واسمع قولهم المستنكرة المقضي منهم منه العجب وكأن ان تقول معناه بل
يقولون اختلقه على ان الهمزة تقريرا لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان افتريته فرضا وتقديرا
فلا تملكون لي من الله شيئا اى على عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض
نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضرر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح في آياته والطعن فيها وتسميتها
سحرا وفرية كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والكفر وذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم
وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب عن الكفر وآمن وايذان بحلم الله عنهم مع عظم ذنوبهم قل ما كنت بدعا من
الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه واقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات والاخبار بالمغيبات كلها فان الرسل

ضمنهم بيانا

لم ياتوا



لم ياتوا الا بما اتاهم الله من اياته ولم يخبروا الا بما اوحى اليهم ونظير البدع بمعنى البديع الخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال على انه
صفة بوزن فعل كقيم في قولهم دين قيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع وقيل اى قل لست باول مرسل قد بعث قبلي كثير من الانبياء
فكيف تنكرون نبوتي وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الآتية في الدنيا والآخرة اذ لا علم لي بالغيب ولا الاولى نافية والتاكيد لها
والثانية موصولة منصوبة بادري او استفهامية مرفوعة بالابتداء خبره يفعل وقرئ في الشاذ يفعل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى
وعن وما ادري ما يصيبه اليه امري وامركم في الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين
حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك بمكة او اومر بالخروج الى ارض قد رفعت لي ورايتها في المنام ذات
نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا
من اذى المشركين قراءة زيد بن علي يوحي بكسر الحاء وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين ظاهر الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات
المصدقة قل ارايتم اخبروني ان كان من عند الله وكفرتم به الواو للحال باضمار قد اى وقد كفرتم به او للعطف على الشرط
وكذا الواو في وشهد شاهد من بني اسرائيل لكنها تعطفه بما عطف عليه على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به وجواب الشرط
محذوف يدل عليه قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين كانه قيل ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به الستم ظالمين واختلفوا
في الشاهد فقيل هو نبي من بني اسرائيل وقيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله عم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه
كذاب وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له اني سايلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام
ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عم اخبرني بهن جبريل عم انفا قال جبريل قال نعم قال ذاك عدو اليهود من الملائكة
فقرأ هذه الآية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب
واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال اشهد ان لا اله الا
الله واشهد انك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني بهتوا عندك فجاء اليهود
فقال لهم النبي عم اى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله
قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا
وانتقصوه فقال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص ما سمعت رسول الله عم يقول لاحد يمشي
على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل هو موسى لا ابن سلام لانه اسلم
بالمدينة والآية مكية قال الشعبي قال مسروق والله ما نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم
عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الآية في محاجة كانت من رسول الله عم لقومه واما شهادة موسى فما في التورية من نعت
رسول الله عم على مثله اى مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك
ويدل عليه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اى بالقرآن لما علم انه مثل انزل على
موسى وانه من جنس الوحي وليس من كلام البشر واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به
لافراطهم في ظلمهم وانتظامهم في سلك المتمادين في الظلم الكاملين في الغي والضلال وقال الذين كفروا من قريش او اليهود حين اسلم
عبد الله بن سلام واصحابه او بنو عامر وغطفان واسد واشجع حين اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار للذين آمنوا اى لاجلهم
لو كان الايمان او ما جاء به محمد او ما يدعوا اليه خيرا حقا ما سبقونا اليه وهم سقاط لان عامتهم فقراء وموال ورعاة واذ لم يهتدوا به
ظرف لمحذوف تقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم وقوله فسيقولون مسبب عنه هذا افك قديم هو كقولهم اساطير الاولين
فقد جهلوا الحق ولبابه فعابوه وعادوه لان الناس اعداء لما جهلوا

المطلب الاول على بيان اول اشراط الساعة واول طعام اهل الجنة ونزع الولد الى ابيه او الى امه

بيان ان اسلام عبد الله بن سلام

ما جعلوا كما قال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فلا ينبغي للحمان يستهين بشيء من الحق اذا لم يهتد
عقله به ولم يذكره فيهم فان ذلك من محض الضلالة والجهالة بل ينبغي ان يطلب الاهتداء من الهادي ويجتنب فيه ومن قبله ومن قبل
القرآن وهو ظرف وقع خبرا لقوله كتاب موسى هو ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وقال ابو عبيدة منصوبان باضمار جعلنا
اماما ورحمة وقيل في الكلام محذوف وفاعل تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورحمة ولم يهتدوا به كما قال في الاية السابقة واذ لم يهتدوا
به قرأ ابن عباس كتاب موسى بالنصب باضمار جعلنا وقرأ السلمي ومن قبله بفتح الميم واللام وهذا كتاب مصدق لكتاب
موسى او لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب السماوية وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق
او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفايدتها التوكيد والتعريب او مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه وهو
الرسول لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويقصد المخبر قرأة نافع وابن عامر والبزي بخلاف
عنه وابو جعفر ويعقوب بالتاء على الخطاب وبشرى للمحسنين عطف على محل لينذر وقرئ ليَنذر من نذر ينذر اذا حذر
وقال البغوي في تفسيره وبشرى في محل النصب الرفع عطفا على مصدق وهو بعيد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا
بين التوحيد الذي هو اصل الاعمال الصالحة واساسها والاستقامة التي هي منتهاها وثم للتصريح بتأخر الاستقامة وتراخيها عن الاقرار
بربوبية الله ووحدانيته وقيل جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والايمان والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل
وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره عن التوحيد فلا خوف عليهم عما في امامهم من الموت والسؤال وغيرهما
ولا هم يحزنون على ما عملوا من الذنوب فان الله يغفرها لهم وما خلفوا من الاولاد فان الله خليفتهم عليهم والفاء لتضمن
الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من اولئك كقولك هذا بعلي شيخا وقيل حال من المستكن في اصحاب
جزاء بما كانوا يعملون مصدر لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء بما عملوا من صرف القوى النظرية والعملية في طاعة الله وما
يرضيه ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي وامرناه بان يؤتيهما فعلا اذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه او وقلنا له
احسن بهما حسنا او قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حَسَنا بفتح الحاء والسين اي ايصاء حسنا
وقرئ بهما حملته امه كرها ووضعته كرها قرأه الكوفيون وابن ذكوان ويعقوب كُرها بضم الكاف والباقون بفتحها وهما لغتان في
معنى المشقة كالفَقر والفُقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وانتصابه على الحال اي ذات كره او على انه صفة مصدر محذوف اي
حملا ذا كره ووضعا ذا كره وحمله وفصاله اي ومدة حمله وفصاله والفصال العظام ويدل عليه قرأة يعقوب وفصله ووقته
والمراد به الرضاع التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انتهى امده قرأة
الحسن والجحدري من طريق عبد الوهاب وفصله والاعمش والحسن برواية الحلواني وفَصالُه بفتح الفاء ثلثون شهرا كل ذلك بيان
لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله تع
حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة اشهر وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما
وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وتميزه وبلوغ الاشد بالادراك الى اربعين
وقيل ما بين ثماني عشرة الى اربعين سنة وقيل ذلك اذا اناف على الثلثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلث وثلثون سنة وبلغ اربعين سنة لم
يبعث نبي قط الا بعد اربعين سنة وهو ضعيف جدا يدل على ضعفه ان عيسى ويحيى بعثا قبل اربعين قال رب اوزعني الهمني وقيل اصله
اولعني من اوزعته بكذا وقرأ ورش والبزي اوزعنيَ بفتح الياء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الاسلام فانها النعم
كل النعم او ما يعمها وغيرها وجمع بين شكري النعم عليه وان اعمل صالحا ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء
الله تع وقيل العمل المرضي الصلوات الخمس وقيل اعتاق الرقبة واصلح لي في ذريتي واجعل ذريتي موقعا الصلاح ومظنة له يعني هب

لي الصلاح

بيان

بيان مدة الحمل والرضاع

لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي قرأة الخليل ذِرِّيتي بكسر الذال اني تبت اليك عما لا ترضى او يشغل عنك
واني من المسلمين المخلصين اي المحضين لك الطاعة من كل شائبة كدر اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعتهم فان
المباح حسن لا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأة حمزة والكسائي وحفص وخلف بالنون فيهما والباقون بالياء
والبناء للمفعول وقرأ ابن يعمر يتقبل الله ويتجاوز احسن وقرأة سعيد بن جبير واليماني يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز بفتح
الياء فيهما ونصب احسن في اصحاب الجنة كاينين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه
لان يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد اسلفنا القصة
والجمهور على انها نزلت في ابي بكر الصديق رض وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وامه ام الخير بنت صخر بن عمرو واولاده واستجابة
دعائه فيهم وقال علي رض ابن ابي نزلت في ابي بكر رض اسلم ابواه جميعا ولم يكن جميعا ذلك لاحد من المهاجرين واوصاه الله بهما ولم
ذلك من بعده وكان ابو بكر رض صحب النبي عم وهو ابن ثماني عشر سنة والنبي ابن عشرين سنة في تجارته الى الشام فلما بلغ اربعين سنة
ونبئ النبي عم آمن به ودعا ربه بان يلهمهم الشكر والعمل المرضي قال ابن عباس رض اجاب الله تع فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون
في الله ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا باصلاح ذريته فاجابه فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام
ابويه واولاده جميعا فادرك ابو قحافة النبي عم وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق ولم يكن ذلك
لاحد من الصحابة الذي كانوا يوعدون في الدنيا وقال الحسن ان هذه الاية مرسلة نزلت على العموم والذي قال لوالديه اف لكما مبتداء
خبره اولئك والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل الاسلام فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وعن
قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقال الزمخشري قيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر رض قبل اسلامه
وقد دعاه ابو بكر وامه ام رومان الى الاسلام فافف بهما وقال ابعثوا الي جدعان عمرو وعثمان بن عمرو وهما من اجداده حتى اسالهما
عما يقول محمد ويشهد لبطلانه ان المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم اصحاب النار وعبد
الرحمن كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وعن عايشة رض انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع الناس
ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي
قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه لسميته ولكن الله لعن اباك وانت
في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرأة نافع وحفص وابو جعفر افٍّ بالجر والتنوين للتنكير وابن كثير وابن عامر ويعقوب
افَّ بالفتح للتخفيف والباقون افِّ بالكسر على اصل التقاء الساكنين وقرئ بالفتح مع التنوين وبالضم مع التنوين وهو صوت
اذا صوت به الانسان علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام لبيان المؤفف به اي هذا التأفف لكما خاصة
او لاجلكما دون غيركما اتعدانني ان اخرج ان ابعث وقرأ نافع وابن كثير وابو جعفر اتعدانيَ بفتح الياء وهشام اتعدانّي
بنون واحدة مشددة وسكون الياء والباقون اتعدانني بنونين وسكون الياء على الاصل وقرئ اتعداني بفتح النون كانه
استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن حذف احدهما وقرئ اَخرج وقد
خلت القرون من قبلي وقد مضت القرون من قبلي فلم يرجع احد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله
منك او يسالانه ان يوفقه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو الدعاء عليه بالهلاك والمراد به الحث والتحريض
على الايمان لا حقيقة الهلاك وويل من المصادر التي لا فعل لها اصلا نحو ويح وويس وذفرا وافة وتعسا وقوله آمن اي صدق
بالبعث والاخراج من الارض ان وعد الله حق علة للامر بالايمان والوعد يحتمل الموعود والمصدر حق اي كاين لا محالة
لان الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه فيقول ما هذا الذي تعدون اليه الا اساطير الاولين اي الا اسطره المتقدمين
ما لا حقيقة له من احاديث رستم وبهرام

بيان ان الاية نزلت في ابي بكر رض وابويه واولاده جميعا

ولا سند لها جمع اسطار جمع سطر او جمع أسطورة كأحدوثة وهو اوفق من سطر الحديث اذا كتبه اولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جُبّ عنه ان كان للاسلام وقيل اي وجب عليهم العذاب وهو كلمة الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي في امم في محل النصب على الحال من المجرور كقوله في اصحاب الجنة قد خلت من قبلهم تقدمت ومضت من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم وليعطيهم جزاء اعمالهم وافيا تاما من وفاه حقه اذا اعطاه وافيا تاما وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون والباقون بالياء وهم لا يظلمون ولا يظلمهم حقوقهم بنقص ثوابهم وزيادة عقابهم فانه تع قدر جزاءهم على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي يعذبون بالنار من عرض فلان على السيف اذا قتل به او يعرض النار عليهم فقلب الكلام مبالغة من قولهم عرضت الناقة على الحوض ويعضده تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأه ابن كثير وابن عامر وابو جعفر ويعقوب أأذهبتم بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهم يفرقون بها وبهمزتين محققتين والباقون بلا استفهام على الخبر طيباتكم لذاتكم في حيوتكم الدنيا باشتغالكم بها واستمتعتم بها وتمتعتم بها فما بقي لكم منها شيء والآية منادية بان استيفاء الحظ من الدنيا ولذاتها صفة من صفات اهل النار فعلى كل مؤمن ذي عقل وتمييز ان يجتنب ذلك اقتداء بسيد الانبياء واصحابه الصالحين حيث آثروا اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة قال عمر رض دخلت على النبي عم فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد اثر الرمال بجنبه فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على امتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال اولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحيوة الدنيا وقال ابن عباس كان رسول الله عم يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم خبز الشعير وقالت عائشة ما شبع آل محمد عم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله عم وقالت ايضا لقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه نارا وما هو الا الماء والتمر وعن عمر رض لو شئت لدعوت بصلايق وصناب وكراكر واسنمة ولكن رأيت الله نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وروي ان عمر رض لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم بحظهم بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا وقال ابو هريرة لقد رأيت سبعين من اصحاب الصفة ما منهم من رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في اعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته وروي ان عبد الرحمن بن عوف اتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدا رأسه وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط واعطينا منها ما اعطينا وقد خشينا ان تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام فلم نذقه وقال جابر رأى عمر لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر رض او كلما اشتهيت يا جابر اشتريت اما تخاف هذه الآية اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان اي العذاب الذي فيه ذل وخزي وقرئ عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب استكباركم الباطل وتفضلكم فيها على اهلها بغير استحقاق وبسبب فسوقكم عن طاعة الله كانوا مضيعين حقوق الله وحقوق عباده وفيه بيان

نذقه

لتماديهم

لتماديهم في اتباع الشهوات وافراطهم في الفسوق والمعاصي وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اخا عاد يعني هودا عم اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل معوج ومنه ظبي حاقف اي منطو منعطف وقال الكسائي رمل مستدير وقيل رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وقال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت موضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باليمن وكانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر وقد خلت النذر اي الرسل المنذرون او الانذارات لانها جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين يديه ومن خلفه اي من قبله ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى اذكر لهم ان هودا قد انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم العذاب واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه وعلى هذا التفسير يكون معنى ومن خلفه ومن بعد انذاره وقوله وقد خلت النذر حال من فاعل انذر او اعتراض بين انذر قومه وبين ان لا تعبدوا ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدم من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم وان في قوله ان لا تعبدوا الا الله مخففة من الثقيلة اي انه يعني ان الشان والقصة لا تعبدوا الا الله او مفسرة بمعنى اي لا تعبدوا الا الله او مصدرية بحذف الباء تقديره بان لا تعبدوا الا الله والنهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم واعراضكم عن التوحيد واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو ريح عقيم والجملة استيناف وقع موقع التعليل والبيان لاختصاص الله بالعبادة والداعي اليها لانه هو المخوف عقابه دون ما عبدوه من الاوثان قالوا اجئتنا لتأفكنا الهمزة للاستفهام للانكار والاستبعاد والمجيء محمول على حقيقته او ارادوا به الاستهزاء والتهكم لاعتقادهم ان الله لا يرسل الا الملائكة للتنافي بين الرسالة والبشرية عندهم فكأنهم قالوا اجئتنا من السماء كمجيء الملك او التعرض والقصد كقولهم جاء يشتمني ولا يريدون حقيقة المجيء كأنهم قالوا اقصدتنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك وهذا منهم استعجال للعذاب ان كنت من الصادقين في وعدك او في دعوى الرسالة والنبوة او خوف العذاب العظيم علينا او جميع ذلك وفي هذا التعليق دلالة على انهم كانوا يعتقدونه كاذبا فيما يقول لهم من الامر والنهي والوعد والوعيد قال انما العلم عند الله اي لا علم لي بوقت عذابكم وانما علمه عند الله فهو يأتيكم به ان شاء وما انتم بمعجزين وابلغكم ما ارسلت به وانما شأني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به اليكم من الامر بعبادة الله وتوحيده والنهي عن عبادة غيره والانذار والصرف عما يعرضكم لغضب الله وعذابه ولكني اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا منذرين مبلغين رسالات الله لا معذبين ولا مقترحين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه عارضا الضمير عائد الى ما تعدنا او مبهم يفسره قوله عارضا على انه تمييز او حال والعارض السحاب الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعن اذا عرض مستقبل اوديتهم متوجها اوديتهم واضافة مستقبل لفظية وكذا ممطر في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي هذا سحاب يأتينا بالمطر روي انه خرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما شاهدوها قالوا استبشارا بها وسرورا بها هذا عارض ممطرنا قال الله تع او هود بل هو ما استعجلتم به هي ريح ويجوز ان يكون بدلا منها فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك كل شيء اتت عليه فجعلته كالرميم فكيف بعاد او كل شيء من نفوس عاد واموالهم الجم الغفير فعبر عن الكثرة بالكلية والمعنى الاول احسن لانه اوفق بما جاء في القرآن في موضع آخر وابعد عن التأويل والتكلف بامر ربها اذ لا يوجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيته وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء في ربها ويجوز ان يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقتضى بقضاء الله وقدره ويكون الهاء لكل شيء يراد به الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم والخطاب للرائي من كان وقرأ عاصم وحمزة وخلف ويعقوب لا يرى الا مساكنهم بضم الياء ورفع المساكن والباقون بالتاء المفتوحة ونصب المساكن وهو في القراءتين من رؤية البصر وقرأ الحسن لا ترى الا مساكنهم

بضم التاء ورفع المساكن اى لا ترى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه بيت ذى الرمة وما بقيت الا الضلوع والجراشع وقرئ لا ترى
الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة وترفع فى الجو كانها جرادة واول من ابصر العذاب امرأة منهم
قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروى اول ما عرفوا به انه عذاب انهم راوا ما كان فى الصحراء من جالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء
والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامرها الله فامالت عليهم الاحقاف والرمال فكانوا تحتها سبع
ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امرها فكشفت عنهم الرمل فاحتملتهم وطرحتهم فى البحر ولما احس هود بالريح خط على نفسه وعلى
المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه
الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبى عم انه كان اذا راى الريح فزع وقال اللهم انى اسالك
خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما ارسلت به واذا راى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقول يا رسول
الله ما تخاف فيقول انى اخاف ان يكون مثل قوم عاد قالوا هذا عارض ممطرنا واضافة الرب الى الريح لتعظيم شان المضاف اليه وانه
من اعظم جنود الله واشرفها واكيم الاشارة بقوله عم لا تسبوا الريح فانه من نفس الرحمن ونظيره قولهم رب البيت تعظيما لشان
البيت واظهارا لشرفه وقيل للدلالة على ان الريح وتصريفها مما يشهد بعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وذكر
الامر وكونها مامورة من جهته مما يعضد ذلك ويقويه **كذلك نجزى القوم المجرمين** الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الجزاء الفظيع يعنى الاهلاك
بعذاب الاستيصال نجزى كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله عم **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** ان نافية
وهى احسن من ما ههنا لان ما يجابه التكرير المستبشع لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما واستركل ابو الطيب فى قوله لعمرك ما ما بان منك
لضارب حيث لم يقتدله بعذوبة لفظ افصح الكلام وابلغ او شرطية محذوفة الجواب تقديره ولقد مكناهم فى الذى او شىء ان مكناكم
فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله يرجى المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب اى ولقد مكناهم فيما او فى مثل ما مكناكم فيه
والاول ابلغ فى التوبيخ وادخل فى الحث على الاعتبار واوفق لقوله هم احسن اثاثا ورئيا وقوله كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا
والمعنى فى الوجوه كلها ولقد جعلنا لهم مكانا وقرارا فيما ان جعلناكم فيه مكانا وقرارا ولقد مكناهم ملكناهم واقدرناهم على التصرف فيما
ان ملكناكم فيه واقدرناكم على التصرف فيه **وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة** ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على ما يجب ويواظبوا
على شكرها **فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شىء** من الاغناء وهو القليل منه ومن مزيدة لاستغراق النفى وتاكيده
اى فما نفعهم تلك الايات والحواس نفعا ما **اذ كانوا يجحدون بايات الله** صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث
ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث **وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن** ونزل بهم واحاط جزاء استهزائهم وسخريتهم وهو
العذاب **ولقد اهلكنا ما حولكم** يا اهل مكة **من القرى** كحجر ثمود وقرى قوم وغيرها من القرى المهلكة المذكورة فى سورة سبأ عند
قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ومزقناهم كل ممزق **وصرفنا الايات** بتكريرها **لعلهم يرجعون** لكى يرجعوا عن كفرهم **فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة** اى فهلا منعهم من الهلاك الهتهم واصنامهم الذى يتقربون بهم الى الله حيث قالوا
شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل منه او عطف بيان او الهة وقربانا
حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء **بل ضلوا عنهم** اى غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستنصروا بهم امتناع الاستنصار
بالضال **وذلك افكهم** اشارة الى امتناع نصرة الهتهم وضلالهم عنهم او اى وذلك اثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها الهة او وذلك الاتخاذ
الذى هو اثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بتشديد الفاء للمبالغة وقرئ افكهم اى جعلهم افكين وقرئ افكهم اى قولهم الافك
اى ذو الافك كما تقول قول كاذب وقرئ افكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقيل اى وذلك كذبهم الذى كانوا يقولون انها تقربهم
الى الله وتشفع لهم **وما كانوا يفترون** وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك **واذ صرفنا اليك نفرا من الجن**



بيان قصة قوم هود واهلاكهم بالريح

امثالهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة وجمعه انفار وفى حديث ابى ذر رضى لو كان ههنا احد
من انفارنا **يستمعون القرآن** حال محمولة على المعنى **فلما حضروه** اى حضروا القرآن او الرسول **قالوا انصتوا** اى قال بعضهم لبعض اسكتوا
لنسمع **فلما قضى** اتم وفرغ من قراءته وقرئ قضى مبنيا للفاعل وهو رسول الله عم **ولوا الى قومهم** توجهوا وانصرفوا الى قومهم **منذرين**
اى مخوفين اياهم بما سمعوا روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض
سبعة نفر او تسعة من اشراف جن نصيبين بالیمن او نينوى بالموصل قاله قتادة او جزيرة الموصل قاله عكرمة او من اهل حران
قاله مجاهد واسماؤهم شاصر وماصر ومنشى وماشى والاحقب وزوبعة وانيان والاحقم والاخر فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا
الى وادى نخلة فوافقوا رسول الله وهو قائم فى جوف الليل يصلى او فى صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف حين
خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله على الجن ولا رآهم
وانما كان يتلو فى صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله رسوله ان ينذر
الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال انى امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد الله بن
مسعود وقال لم يحضره ليلة الجن احد غيرى فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة فى شعب الحجون فخط لى خطا وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك
ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله وغشيته اسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ما اسمع صوته
ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفرى ثياب بيض فقال اولئك
جن نصيبين وكانوا اثنى عشر الفا والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك وعن علقمة قلت لابن مسعود رضى هل شهد
منكم احد مع رسول الله عم ليلة قال لا ولكنا كنا معه ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل فبتنا
بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فقال اتانى داعى الجن
فذهبت معه فقرات عليهم القرآن قال فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله
عليه يقع فى ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقالوا يا رسول الله عم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم وعن
رويفع بن ثابت قال النبى عم اخبرك انه من استنجى بعظم او رجيع فهو برئ من محمد عم ومما انزل على محمد والرجيع الروث
والعذرة **قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى** انما قال من بعد موسى عم لانهم كانوا يهودا فاسلموا وعن ابن
عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى **مصدقا لما بين يديه** من الكتب المنزلة على الانبياء عم
**يهدى الى الحق** من العقائد **والى طريق مستقيم** من الشرائع **يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم** اى بعض
ذنوبكم وهو ما يكون خالص حق الله لان المظالم ونحوها لا تغفر بالايمان ونحوه قوله تع ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم **ويجركم من عذاب اليم** هو معد للكفار قال ابن عباس استجاب لهم من قومهم سبعون رجلا من الجن فرجعوا
الى رسول الله عم فوافوه بالبطحاء فقرأ عليهم القرآن وامرهم ونهاهم وفيه دليل بين على انه عم كان مبعوثا الى الجن والانس
جميعا وقال مقاتل لم يبعث قبله نبى الى الانس والجن واختلف فى حكم مؤمنى الجن فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار
لقوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم حيث صرح باقتصارهم على المغفرة والاجارة وبه قال الحسن حيث قال ثوابهم
ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهايم واليه يذهب ابو حنيفة رح والصحيح انهم فى حكم بنى ادم لانهم مكلفون
مثلهم قال رسول الله عم ان مؤمنى الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة محمد عم هم على الاعراف حائط
الجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار ذكره صاحب الفردوس الكبير وقال النبى عم خلق الجن ثلثة اصناف
صنفا حيات وعقارب وخشاش الارض وصنفا كالريح فى الهواء وصنفا عليها الثواب والعقاب الحديث رواه ابو الدرداء
رضى

بيان ان السلام نفر من الجن

يقال استثفر الرجل بثوبه اذا رد طرفه بين رجليه الى الحجزة ومنه استثفرت المراة اذا اشتدت ثم فعل الرجل بثوبه



المطلب الرابع

بيان ان لهم ثوابا

ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق وقيل اى لا يعجز الله فيفوته وليس
له من دونه اولياء انصار يمنعونه من الله اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادى نظر وعن عبد الله بن سمرة قال النبي عم
الا اخبركم عني وعن ملائكة ربي البارحة حففوا عند رأسي وعند رجلي وعن يميني وعن يساري فقالوا يا محمد تنام عينيك
فقالوا ولا ينام قلبك فليعقل قلبك ما نقول فقال بعضهم لبعض اضربوا لمحمد مثلا قال مثله كمثل رجل بنى آدم دارا وبعث داعيا
يدعو فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ثمارها ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل ثمارها وسخط السيد عليه والله السيد
ومحمد الداعي فمن اجاب محمدا دخل الجنة ومن لم يجب محمدا لم يدخل الجنة ولم يأكل ثمارها ويسخط السيد اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض اى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز فان
قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالخلق والانشاء بقادر على ان يحيي الموتى اى قادر على احياء الموتى ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والبا
مزيدة لاستغراق النفي وكأنه لاشتمال على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه
عام يشمل البعث وغيره فيكون كالبرهان على المقصود وكانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد قرأه ابن مسعود
الم تر ان الله خالق السموات والارض قادر وقرأ الحسن في رواية الحلواني ولم يعي بكسر العين واسكان الياء ويحيي الموتى بتشديد الياء
ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب وهذا تحسير لهم من الله
على التكذيب به وعلى قولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والثواب والعقاب ما هو بحق وانما هو باطل قالوا بلى وربنا اقرار
بحقيقته وثبوته اكدوه باليمين للمبالغة اى بلى وربنا انه الحق قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بلقاء الله وجزائه ومعنى الامر
هو الاهانة بهم والتهكم والتوبيخ لهم على استهزائهم وتكذيبهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولو العزم
من الرسل اولو الجد والثبات لانك من جملتهم ومن للتبيين او للتبعيض واختلفوا فيهم فقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا
المكاشفة مع اعداء الدين وقال قوم الانبياء كلهم اولو العزم الا يونس لعجلة كانت منه الا ترى انه قيل للنبي عم ولا تكن كصاحب الحوت
وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورة في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل
هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى المذكورون في سورة الاعراف والشعراء وقيل اولو العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا
في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عم وقيل
الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح وفقد البصر
ويعقوب على ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي
ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال ابن عباس وقتادة اولو العزم هم نوح
وابراهيم وموسى وعيسى اصحاب الشرائع فهم مع محمد عم خمسة وقد خصصهم الله بالذكر في سورة الاحزاب وسورة عسق
وعن مسروق قالت لي عائشة قال لي رسول الله عم يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من اولو
العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها لم يرض الا ان يكلفني وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل واني والله لا بد لي
من طاعته والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا حول ولا قوة الا بالله وقال ابو العالية اولو العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله
محمدا ان يكون رابعهم وقال ابن عباس في رواية كل الرسل كانوا اولي العزم واختاره علي بن مهدي الطبري وقيل اولو العزم
اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبياء اني مرسل عذابي الى العصاة بني اسرائيل فشق
ذلك على الانبياء فاوحى الله اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم العذاب وانجيت بني اسرائيل وان شئتم نجيتكم
وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل فسلط الله عليهم ملوك

اولو العزم

الارض

الارض فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق بالنار
والله اعلم والاحكم وقيل هذه الآية نسخت بآية السيف وقيل محكمة غير منسوخة وقيل الظاهر انها منسوخة لان السورة مكية وقال
مقاتل نزلت على رسول الله عم يوم احد فامره ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولو العزم من الرسل تثبيتا له وتسرية عنه ولا
تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب اى لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها ساعة من نهار بلاغ خبر مبتدأ محذوف اى هذا الذي وعظتم
به او هذه السورة بلاغ اى كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسل ويعضده قراءة من قرأ بلغ او مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض
اى لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوا وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بلاغا اى بلغوا بلاغا وقرئ بلاغ بالجر على الاتباع
لمجاورة النهار كقولهم جحر ضب خرب فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه وقرئ يهلك
بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم وفي الفردوس قال ابن عباس قال النبي عم اذا عسر على المرأة
ولادتها اخذ اناء نظيف وكتب عليه كانهم يوم يرون ما يوعدون الى آخر الآية وكانهم يوم يرونها الى آخر الآية ولقد كان في قصصهم
عبرة لاولي الالباب الى آخر الآية ثم يغسل وتسقى منه المرأة وينضح على بطنها وفرجها وعن رسول الله عم من قرأ سورة الاحقاف
كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا سورة محمد عم سبع او ثمان وثلثون آية مدنية وقيل مكية بسم
الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس
عنه كالمطعمين يوم بدر وشياطين قريش واهل الكتاب فان الظاهر انه عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اى جعل اعمالهم
من صلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضايعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا
حيث لم يقصدوا بذلك وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله والصد عن سبيله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين
كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم كل من آمن وعمل صالحا من المهاجرين والانصار واهل الكتاب وغيرهم وامنوا
بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه واشعارا بان الايمان
لا يصح ولا يتم الا به ولذلك اكده بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو الحق من ربهم وحقيته بكونه هاديا الى الحق من العقايد
والشرائع وناسخا لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها
بايمانهم وعملهم الصالح واصلح بالهم واحسن حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والنصرة وقال ابن عباس عصمهم ايام حيوتهم
ذلك اشارة الى الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق
من ربهم بسبب اتباع هولاء الباطل واتباع هولاء الحق وهذا تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسميه علماء البيان التفسير
وجوز ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على
الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم يبين للناس
احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع
الحق مثلا لعمل المؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب اى فاذا حاربتموهم
فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد
الاختصار وعبر بضرب الرقاب عن القتل اعلاما بانه يجب ان يكون بضرب الرقبة وتصويرا له باشنع صورة وهو حز
العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه واوجه اعضائه حتى اذا اثخنتموهم اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من
الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فأسروهم واحفظوهم والوثاق بفتح الواو وكسرها ما يوثق به من القيد قرأه الخليل فاذا
لاقيتم فشدوا كقوله ولو ردوا

فاما منا بعد واما فداء منًا وفداء مصدران منصوبان باضمار فعليهما وهو تفصيل لانه مضمون جملة تقدمت عليه وهي فشدوا
الوثاق ومضمونها شد الوثاق ولهذا المضمون اثر اى فايدة وغرض وهو المن او الفداء او الاسترقاق او غير ذلك والمراد بمضمون جملة نسبة
المسند الى المسند اليه اى فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء
وهو منسوخ عند ابى حنيفة رح واصحابه او مخصوص بحرب بدر لانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق ايهما راى الامام
واليه ذهب قتادة والضحاك والسدى وابن جريج والاوزعى ومجاهد قالوا ناسخها قوله تع فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم
وقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية
وكونهم من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوى مذهبا عن ابى حنيفة رح والمشهور
انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وثابت عند الثورى والشافعى واحمد واسحق فان الذكر
الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق واحتجوا بان رسول الله عم من على ابى عزة الجمحى وعلى اثال
الحنفى وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب الراى وقرئ فدًا بفتح الفاء والقصر لغة كعصًا
حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى حتى تنقض الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم
وقيل آثامها يعنى حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يتوبوا ويسلموا وهو غاية للضرب والشد
او المن والفداء او للمجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى عم
وعند ابى حنيفة اذا كان غاية للضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى يضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين
لا يبقى شوكة للمشركين واذا كان غاية للمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول
المن والفداء بالتاويل المذكور وهو ان يراد بالمن استرقاقهم او تخليتهم لقبولهم الجزية وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين
ذلك اى الامر ذلك او فعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب النقمة والهلاك من خسف او رجفة او حاصب
او غرق او موت جارف ولكن ليبلو بعضكم ببعض اى ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم حتى يستوجبوا الثواب
العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا فى سبيل الله قراءة
نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابن كثير وخلف وابو بكر وابو جعفر قاتلوا اى جاهدوا والباقون قتلوا اى استشهدوا وقرئ
قتّلوا بتشديد التاء وقَتَلوا فلن يضل اعمالهم فلن يجعلها ضايعة محبطة وقرئ يَضل من ضل ويُضل مبنيا للمفعول وقال
قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم احد وقد فشت فى المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم ايام حيوتهم فى الدنيا الى ارشد
الامور وفى الاخرة الى الدرجات او يثبت هدايتهم ويصلح بالهم قبل يرضى خصماءهم ويتقبل اعمالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم و
وقد عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استحقوها به او اعلمها وبينها لهم بحيث يعلم كل احد منزلة ويهتدى اليه كانه كان ساكنه
منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الذى وكل بحفظ عمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء اعطاه الله او طيبها لهم من العَرف وهو طيب
الرائحة او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعُرف والاُرف الحدود وقرا الخليل عرفها اى اثابها
وعن النبى عم ان فى الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيله كل درجة ما بينهما كما بين السماء والارض الحديث يا ايها الذين
امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دين الله ورسوله ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم فى مواطن الحرب او على محجة
الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم فعثورا وانحطاطا لهم ونقيضه لعًا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وقال ابن عباس
بعدًا لهم وابو العالية سقوطا لهم والضحاك خيبة لهم وابن زيد شقاء لهم وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر
الذين كفروا او مفسرة لناصبه كانه قال اتعس الذين كفروا واضل اعمالهم عطف على الفعل الذى نصب تعسا لان المعنى فقال

تعسا لهم



تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وعن ابن عباس يريد فى الدنيا القتل وفى الاخرة التردى فى النار وقيل فى الدنيا العثرة وفى الاخرة التردى
فى النار يقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا ارادوا قيامه وثبوته ذلك اشارة الى التعس والاضلال بانهم كرهوا
ما انزل الله بسبب انهم كرهوا القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية
الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استئصال ما عليه بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق
من آثار الذين كفروا بالله واياته قبلهم كعاد وثمود واهل سبا استأصل الله واهلك عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم
وكل ما كان لهم يقال دمره اذا اهلكه ودمر عليه اذا اهلك عليه ما يختص به وللكافرين من موضع الظاهر موضع الضمير امثالها
امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة كقوله تع سنة الله التى قد خلت من قبل ذلك بان الله
مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وفى قراءة ابن مسعود ولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم
وهو لا يناقض قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان فيه بمعنى ربهم ومالك امرهم ثم صرح بمآل الفريقين فقال ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما
قلائل ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة او يأكلون غافلين غير مفكرين فى العاقبة كما تأكل الانعام فى مسارحها
ومعالفها غافلة عما هى بصدده من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى
اخرجتك اهلكناهم كاين بمعنى كم الخبرية وقعت مفعول اهلكنا ومن الاول بيانية لابهامها والقرية على حذف المضاف
اى وكثير من اهل القرية هم اشد قوة من اهل قريتك التى اخرجوك منها اهلكناهم بانواع العذاب ومعنى اخرجوك كانوا سبب
خروجك فلا ناصر لهم يدفع عنهم العذاب والهلاك وهو كالحال المحكية وقال ابن عباس وقتادة لما خرج رسول الله عم
من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب البلاد الى الله والى ولولا ان المشركين اخرجونى ما خرجت منك فانزل الله هذه
الاية وفى رواية نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكى حزنا عليه ولا دلالة فى
هذه الروايات على انها مدنية غير مكية كما توهم بعض الناس افمن كان على بينة من ربه اى على حجة وبرهان من عنده
وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية وهو رسول الله عم والمؤمنون ودخلت همزة الانكار على الفاء لانكار ان يقع شبهة بعد
ما بين اوصاف الفريقين ومالهما فى ان حال من كان على حجة من الله بمعزل من حال من لا حجة له اصلا وهو فى الجهل يهيم وقرأ طلحة
امن كان بغير فاء كمن زين له سوء عمله هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله والمؤمنين
وقرأ الخليل زين له سوء عمله مبنيا للفاعل واتبعوا اهواءهم هل فى ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة وانما جمع هذا
الضمير وتوحيده فى له سوء عمله للحمل على لفظ من تارة وعلى معناه اخرى مثل الجنة التى وعد المتقون مبتداء خبره
محذوف اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة اى صفتها التى هى فى غرابة المثل او مذكور وهو قوله كمن هو خالد على انه داخل فى حيز
كلام مصدر بحرف الانكار ومنخرط فى سلكه كانه قيل امثل اهل الجنة كمثل جزاء من هو خالد او مثل اهل الجنة كمثل جزاء
من هو خالد فحذف ما حذف استغناء بجرى مثله وعرى من حرف الانكار زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك
بالبينة والتابع لهواه بمكابرة من يسوى بين الجنة العجيبة الشان والنار التى يسقى اهلها الحميم وهو على الاول خبر
محذوف تقديره افمن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به
على بينة فى الاخرة للكفار المساواة وفى قراءة على رض امثال الجنة اى ما صفاتها كصفات النار وقرأ ابن ابى عبلة وعد المتقين
فيها انهار من ماء غير آسن استيناف لشرح المثل كانه قايلا قال ما مثلها فقيل فيها انهار او حال من العايد المحذوف اى مستقرة
فيها انهار او خبر لمثل

وقرأ ابن كثير أسن والباقون آسن من أسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وفي مصحف ابي غير
ياسن على البدل فيها انهار بالنصب على اضمار فعل دل عليه المذكور تقديره وعدكم فيها انهارا وعن النبي عم انه قال في الجنة بحر الماء
وبحر اللبن وبحر الخمر وبحر العسل لا يخالط بعضها بعضا كما لا يخالط الماء العذب الماء المالح في الدنيا كما قال مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان وجعل بين البحرين وذكر الانهار بلفظ الجمع وتنكيرها يخالف هذا القول ويرده وانهار من لبن لم يتغير طعمه
لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة خالصة ليس فيها كراهة رائحة ريح ولا ذهاب عقل ولا
خمار ولا صداع ولا آفة من آفات خمر الدنيا تانيث لذ بمعنى لذيذ او وصف بالمصدر للمبالغة وهو ابلغ من اضمار مضاف اي ذات
لذة وقرئت بالرفع على صفة الانهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع
وفضلة النحل وغير ذلك قيل وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منه اهل الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف
بما يوجب غزارتها واستمرارها وعن ابي هريرة قال قال رسول الله عم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار
الجنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم
وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على
الصنف المحذوف او مبتداء خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما حارا شديد الحر تسعر
عليه جهنم مذ خلقت اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فقطع امعاءهم اي فاذا شربوه قطع امعاءهم
من فرط الحرارة والامعاء جمع معى وهو ما في البطن من الحوايا ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك هم
المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله ويسمعون كلامه ولا يعونه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء
الصحابة كعبد الله بن مسعود وابن عباس وابي الدرداء رض ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء واستعلاما اذ لم يلقوا له
آذانهم تهاونا به وقال مقاتل كان النبي عم يخطب فاذا غاب المنافقين خرجوا من المسجد قالوا ذلك لابن مسعود وعن ابن عباس
انا منهم وقد سميت فيمن سئل وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة ومنه استانف وائتنف وهو
ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا على فعل قال الزجاج هو من استانفت الشيء اذا ابتدأته والمعنى
ماذا قال في اول وقت يقرب منا وقال محي السنة هو من الائتناف يقال ائتنفت الامر اذا ابتدأته وانف الشيء اوله اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم ختم عليها ومنه الطابع للخاتم واتبعوا اهواءهم في الكفر والنفاق فلذلك استهزؤا بالكلام وتهاونوا به
والذين اهتدوا للايمان زادهم هدى زادهم الله هدى بالتوفيق والالهام او قول رسول الله عم وقال الفراء زادهم اعراض
المنافقين واستهزاؤهم هدى وآتاهم تقويهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقويهم او اعطاهم ثوابها قراءة الاعمش برواية
الخاتم وانظامهم وقراد واعطاهم فهل ينظرون الا الساعة فهل ينظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة
وقوله فقد جاء اشراطها علة لاتيان الساعة وقرئ ان تاتيهم على انه شرط مستانف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم
اي ان تاتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي عم وانشقاق القمر والدخان فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم
اذا جاءتهم الساعة وح لا تفرغ له ولا ينفع قال الفراء سمعت ابا جعفر الرواسي يقول قلت لابي عمرو ما هذه الفاء في قوله
فقد جاء فقال جواب الجزاء فقلت انما هي ان تاتيهم فقال معاذ الله انما هو ان تاتيهم بكسر الهمزة على الجزاء فظننت انه اخذ ذلك
عن اهل مكة قال ابو معاذ قرأت في بعض المصاحف فهل ينظرون الا ان تاتيهم الساعة بغتة وقال الكلبي اشراط الساعة كثرة
المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وعن انس سمعت رسول الله عم يقول من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد فاعلم
انه

لذ بمعنى صح

انهار الجنة

اشراط الساعة



انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك والخطاب للنبي عم وهو الظاهر او لكل من يتاتى منه العلم والاستغفار من اهل الايمان ويبعد
الخطاب بلفظه في قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم وعن ابي بكر الصديق رض قال النبي عم استكثروا من قول لا اله الا الله والاستغفار
فلما رايت ذلك اهلكتهم بالاهواء حتى يحسبون انهم مهتدون فلا يستغفرون ويجوز ان يكون الفاء جواب شرط محذوف اي اذا علمت
ما ذكرنا لك من سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت ودم على ما انت عليه من العلم بوحدانية الله وهضم النفس باستغفار
ذنبك وذنوب من آمن بك بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف في قوله وللمؤمنين والمؤمنات
اشعار بفرط احتياجهم الى الغفران وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما لم تبعة ما بترك الاولى امره الله تع بطلب المغفرة
والمؤمنات تحصيل لزيادة الحسنة لقوله عم من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة والآية تنبيه
عن اجل اسباب المغفرة واشرفها قال انس قال رسول الله عم اذا قال العبد المسلم لا اله الا الله خرقت السموات حتى تقف
بين يدي الله فيقول الله تع اسكني اسكني فيقول كيف اسكن ولم تغفر لقائلي فيقول ما اجريتك على لسانه الا وقد غفرت له
والله يعلم متقلبكم مكانكم الذي تتقلبون عليه في معاشيكم ومتاجركم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم ومنزلكم
الذي يقيمون به في الآخرة من ثوى بالمكان اذا قام به وقال عكرمة متقلبكم من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات ومثويكم مقامكم في الارض
وقيل متقلبكم منصرفكم لاشغالكم بالنهار ومثويكم ماويكم الى مضاجعكم بالليل وقيل متقلبكم من ظهر الى بطن ومثويكم مقامكم
في القبور فهو حقيق بان يتقي ويحذر وان يستغفر ويسترحم وقدم العلم على العمل تنبيها على فضله واستبداده بالمزية عليه لا سيما
العلم بوحدانية الله تع فانه اول ما يجب على كل احد ويقول الذين آمنوا لولا انزلت سورة اي هلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد فاذا
انزلت سورة محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال قراءة اليماني فاذا نزلت بفتح النون مخففا وذكر فيها القتال
اي الامر بالقتال وكل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها الى يوم
القيمة قراءة اليماني وابن عمر وذكر فيها القتال اي ذكر الله رايت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل شك ونفاق ينظرون
اليك نظر المغشي عليه من الموت اي تشخص ابصارهم جبنا ومخافة كما ينظر من اصابته الغشية عند الموت وقيل ينظرون اليك
شزرا بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو كما ينظر الشاخص بصره عند الموت قراءة الخليل نظر الغشي
عليه فاولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه
او يؤول اليه امرهم وقيل معناه قاربهم ما يهلكهم وهو ما يروى عن الاصمعي طاعة وقول معروف كلام مستانف اي طاعة
وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم اي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى امرنا طاعة وقول معروف بشهادة قراءة ابي يقولون
طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر اي جد امر القتال على الاسناد المجازي لان العزم والجد هما لصاحب الامر حقيقة ونظيره جد
جده وجواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر كرهوا او نكلوا وكذبوا فيما وعدوا وقيل قوله فلو صدقوا الله اي فيما زعموا من الحرص على
الجهاد والايمان لكان الصدق خيرا لهم من الكذب والقعود عن الجهاد والكفر ومخالفة الامر فهل عسيتم فهل يتوقع منكم وقيل
فلعلكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم اي ان صرتم متولي امور الناس وولاة عليهم وامراء متسلطين وقيل
ان توليتم اي ان اعرضتم عن الدين وقيل ان اعرضتم عن القرآن وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم
تفاخرا على الولاية والملك وتهالكا على الدنيا او رجوعا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض
الاقارب بعضا ووأد البنات والمعنى انهم لفرط ضعفهم في الدين وشدة حرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف
حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة اهل الحجاز فان بني تميم لا يلحقون الضمير بعسى وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض بين
الاسم والخبر وقرأ رويس توليتم اي ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطع الارحام وذكر في حرف ابي عمرو
ان النبي عم قرأ ان وليتم

فان الشيطان قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكوني بلا اله الا الله والاستغفار

الطلب الاول

وقرا يعقوب وتَقْطَعوا من القطع وقرئ تُقَطّعوا احملة تتقطعوا من التقطع وقرا نافع عَسِيتم بكسر السين اولئك اشارة الى المذكورين
الذين لعنهم الله لافسادهم وقطع ارحامهم فاصمّهم فجعلهم صمّا عن استماع الحق واعمى ابصارهم وجعلهم عُميًا عن ابصار سبيل الهدى فلا يهتدون
اليه افلا يتدبرون القرآن افلا يتصفحوا القرآن وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد الكفرة والعصاة حتى لا يجسروا على الكفر والمعاصي ام على
قلوب اقفالها ام بمعنى بل ومعنى الهمزة التقرير للتسجيل عليهم بان قلوبهم مُقفلة لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر ويجوز ان يكون ام معادلة
للهمزة في افلا يتدبرون بمعنى اي الامرين يفعلون عدم تدبر القرآن ام ادعاء الاقفال في قلوبهم كقوله قالوا قلوبنا في اكنّة والمراد بالاستفهام
عنهما الكلام مما معا وانهما منكرين من عظائم المنكرات لان العلم واقع بكونهما معا ونكر القلوب قصدا الى بعض القلوب وهي قلوب
المنافقين او الى قلوب منكورة مجهولة بعيدة عن تقبل الحق واعتقاده لتوغلها في الجهالة والابهام امرها في القساوة وانها كلها في الغواية و
واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهود اذ هي اقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفسخ وقرئ
اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والضلالة من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما ظهر
لهم الهدى بالدلايل الواضحة والمعجزات الظاهرة ظهورا اضمحل به الشك وانزاح عنه الشبهة الشيطان سوّل لهم سهل لهم ارتكاب
الكباير من السّوْل وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السُّول وهو المتمنّي واعترض عليه بان السُّول مهموز قلبت همزته
بالواو لضمّ ما قبلها ولا كذلك التسويل قيل ويحكى ردّه بقولهم هما يتساولان وقد قرئ سُوِّل لهم حملا على تقدير المضاف اي كيد الشيطان
زيّن لهم واختلف فيهم فقيل هم اليهود كفروا بمحمد عم بعدما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وهو الهدى وقيل هم المنافقون
واملى لهم ومدّ لهم في الآمال والاماني او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب وأُملي لهم يعني ان الشيطان يغويهم
وانا امهلهم فيكون الواو للحال او للاستيناف وقرا ابو عمرو وأُمْلي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير للشيطان او لهم اي امهلوا ومدّ في عمرهم
ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اي قال اليهود للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم في بعض الامر
في بعض اموركم او في بعض ما تامرون به كالتظافر على عداوة رسول الله والقعود عن الجهاد معه والموافقة في الخروج معكم ان اخرجتم
والله يعلم اسرارهم قرا حمزة والكسائي وحفص وخلف اِسرارهم على المصدر والباقون اَسرارهم بالجمع منها قولهم هذا
الذي افشاه الله عليهم فانهم قالوه سرّا فيما بينهم فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يكون حالهم اذا توفتهم او فكيف يعملون ويحتالون حـ
وقرئ توفاهم وهو اما ماض او مضارع حذف احدى تائيه كقوله ان الذين توفاهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اذ
لا يتوفى احد على معصية سيما الكفر الا بضرب من الملائكة في وجهه ودبره وفيه تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن
القتال له ذلك اشارة الى التوفي الموصوف او الى الضرب بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت رسول الله ومخالفة
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضيه من الايمان والجهاد وساير الطاعات وقيل رضوان الله الايمان برسول الله فاحبط اعمالهم لذلك
ام حسب الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار الحسبان ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله
وللمؤمنين اضغانهم احقادهم واحسادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرّفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها واللام لام جواب لو كررت في المعطوف وعن انس ما خفي على رسول الله عم بعد نزول هذه
الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس
فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف
ولحن القول اي نحو القول واسلوبه وامالته الى جهة تعريض وكناية وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب
وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب والله يعلم اعمالكم
فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم ولنفعلن بكم ما يفعل المبتلي لحوالكم بان نامركم بالجهاد وساير

بيان علامات المنافقين

التكاليف الشاقة



التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على احتمال مشاقها ونبلو اخباركم اي ما يخبر به عن اعمالكم ليظهر
حسنها وقبحها اذ الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرا ابو بكر الافعال الثلثة بالياء لتوافق ما قبلها والباقون
بالنون التفاتا من الغيبة الى التكلم دلالة على زيادة الاختصاص الله بالعلم والبلوى ليتقرر في نفس رسول الله انه اذا كان هو
المبتلي لم يكن ابتلاؤه على اي وجه ابتلى الا حكمة وصوابا كان قيل ما ابتلاهم بالامر بالجهاد وساير الطاعات الا انا لا غيري
وقرا يعقوب في رواية رويس عنه ونبلوْ بسكون الواو على معنى ونحن نبلوْ وقرا الاعمش ويبلوْ بالياء وسكون الواو ان الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله هم قريظة والنضير اورؤساء قريش والمطعمون يوم بدر وشاقوا الرسول وخالفوه والمخالفة
هي اصل كل شر الى يوم يبعث الناس وليس الخبر كالمعاينة وليس المعاينة كالخبر فليتامل من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما علموا
نعته في التورية قطعا ويقينا لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضر الله ورسوله بمشاقتهم اياه وحذف المضاف
لتعظيم وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم وسيبطل ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التي نصبوها في مشاقته
فلا يصلون بها الى اغراضهم بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول في العقايد والشرايع كلها فلا تشاقوا الله ورسوله في شيء منها ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
من الكفر والنفاق والعجب والرياء والحسد والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكباير وقال
عطاء لا تبطلوا اعمالكم بالشك والنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكباير وقال مقاتل لا تمنّوا
على رسول الله فتبطلوا اعمالكم نزلت في بني اسد كما سيجيء تقريره في سورة الحجرات ان شاء الله تع وقال ابو العالية
كان الصحابة يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكباير بعده بان
تحبط الاعمال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله واعرضوا عن دين الاسلام او منعوا الناس عن الدخول فيه ثم
ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلن يستر الله ما صدر عنهم من الكباير ولن يمحو وقيل هم اصحاب القليب والظاهر
انه عام في كل من مات على الكفر ويدل من طريق المقابلة على انه يغفر لمن لم يمت على الكفر جميع ذنوبه وان عذب بسبب بعضها لانه
ليس من اهل الخلود في العذاب من عبيد بن عمير لن يغفر بترك الفاء فلا تهنوا فلا تضعفوا ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم
ولا تدعوا الى الصلح خوارا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقيل اي لا تدعوا الى الصلح ابتداء منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار
الى الصلح وامرهم بحربهم وقتالهم حتى يسلموا وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وعن الخليل ويدعوا بالياء وقرا ابو بكر وحمزة
وخلف بكسر السين وانتم الاعلون الغالبون وقال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات والله معكم اي ناصركم
في الدنيا والآخرة ولن يتركم اعمالكم لن ينقص اجوركم اعمالكم من وتره حقه اذا انقصه قيل ومنه من فاتته صلوة العصر فكانما وتر
اهله وماله بالنصب او لن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا حميما وافردته منه من الوتر وهو الفرد شبه به اضاعة
عمل العامل وتعطيل ثوابه قال الزمخشري ومنه قوله عم كما من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو باطل وغرور لا اعتبار لها ولا ثبات الا ايما قلائل وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب
ايمانكم وتقواكم ولا يسألكم اموالكم جميع اموالكم بل يقتصر منكم على ربع العشر او لا يسألكم اموالكم لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان
والطاعة ليثيبكم عليها الجنة وقيل لا يسألكم محمد على تبليغ الرسالة اموالكم كقوله قل ما اسألكم عليه من اجر ان يسألكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفى شاربه اذا استاصله واحفاه في المسئلة اذا لم
يترك شيئا من الالحاح تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله عم والضمير في يخرج لله تع ويعضده
القراءة بالنون او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم وقرا الحسن وقتادة ويخرج اضغانكم
مبنيا للمفعول

وابو عمرو وعيسى بن عمر ويخرج بالرفع وعن الاعمش ويُخرج بالنون والرفع وعن اليمانى ويُخرجُ الله بزيادة الله ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا خبره هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا فى سبيل الله جملة مستانفة مبينة لما تضمنت الجملة الاولى من الوصف كانهم قالوا وما وصْفُنا فقيل تُدعون لتنفقوا فى سبيل الله او صلة لهؤلاء على انه موصول بمعنى الذى وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرها فمنكم من يبخل ناسٌ يبخلون وهو كالدليل على الشرطية الثانية كانه قيل الدليل عليه انا لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر فمنكم ناسٌ يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفرايض فانما يبخل عن نفسه لان نفع الانفاق وضر البخل عايدان اليه والبخل يعدّى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق ثم اخبر انه لا يامر بالانفاق ولا يدعوا اليه لحاجته اليه لكمال غناه عن كل ما سواه بل لحاجتكم الى الثواب فقال والله الغنى وانتم الفقراء اليه والى ما عنده من الخير او فيما يامركم به فهو لاحتياجكم فان اطعتم واذعنتم فلكم وان ابيتم وخالفتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى وعما دعاكم اليه ورغبكم فيه من الجهاد والانفاق فى سبيله يستبدل قوما غيركم لم يُقِمْ مقامكم قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى محافظة حدوده واحكامه وحقوقه غير متولين عنها كقوله ويات بقوم آخرين ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا امثل منكم واطوع لله ورسوله منكم قيل هم الملائكة وقيل الانصار وقيل اليمن وعن ابن عباس كندة والنخع وعنه هم التابعون وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وعن ابى هريرة رضى لما نزلت الآية هذه الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا يستبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا فضرب على فخذ سلمان ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس وقال ابو موسى الاشعرى لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله عم وقال هى احب الى من الدنيا عن رسول الله عم من قرا سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح تسع وعشرون آية مدنية نزلت فى مرجع رسول الله عم عن مكة عام الحديبية وقال الزهرى نزلت سورة الفتح من اولها الى آخرها بين مكة والمدينة فى شان الحديبية وقال السعودى بلغنى انه من قرا سورة الفتح فى اول ليلة من رمضان فى صلوة التطوع حفظه الله ذلك العام بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد له بفتح مكة وعبر عنه بالماضى اشعارا بتحققه وثبوته وانه كاين لا محالة واقع على اهل مكة اذ الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا وقيل لتحققه او ما اتفق له فى تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية وانه سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين سالوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عم لساير العرب فغزاهم وفتح مواضع وادخل فى الاسلام خلقا عظيما وظهر له فى الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله عم ثم مجه فيها فدرّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم لانه غلبوا على الفرس فى تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عم فى سورة الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقال مقاتل بن سليمان لما نزل قوله تع وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدرى ما يفعل به ولا باصحابه فنزلت بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اى قضينا لك قضاء بينا ان تدخل مكة من قابل محرمين فنسخت هذه الآية تلك فقال عم لقد انزلت على سورة ما يسرنى بها حمر النعم وفى رواية سورة لهى احب الى مما طلعت عليه الشمس ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه سبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء الدين وتخليص الضعفاء عن ايدى الظالمين وقيل فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسبب للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغيره والمغفرة ستر الذنوب ومحوها بان يعفو الله عنها ويعطى صاحبها محوها

بكل ذنب



بكل ذنب منها مثوبة كما ورد فى الحديث انه يقول يوم القيمة لعبده لك حسنة بكل سيئة عملتها ولقوله عم ان المؤمن ليؤجر فى كل شئ الحديث ما تقدم من ذنبك وما تاخر اى جميع ما صدر منك قبل النبوة وبعدها مما يطلق عليه الذنب واعلم ان الانبياء معصومون عن الكفر قبل الوحى وبعده باجماع العلماء وعن ساير الكباير عمدا بعد الوحى خلافا للحشوية واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغاير فيجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه ويجوز سهوا بالاتفاق واما قبل الوحى فلا دليل بحسب السمع او العقل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها لانها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم فيفوت مصلحة البعثة واجيبوا بمنع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغاير الدالة على الخسة ولم يجوز الشيعة صدور الصغيرة والكبيرة قبل الوحى وبعده لكنهم جوزوا اظهار الكفر تقية وهى ان يقى نفسه من اللائمة او من العقوبة بما يظهر وان كان على خلاف ما يضمر وعن الحسن التقية جايزة الى يوم القيمة وهى اسم من الاتقاء وتاؤها بدل من الواو لانها فعلية من وقيت وقال عطاء الخراسانى ما تقدم من ذنبك اى ذنب ابويك آدم وحواء ببركتك وما تاخر من ذنوب امتك بدعوتك وقال سفيان الثورى ما تقدم ما عملت فى الجاهلية وما تاخر كل شئ لم تعمله وقال مجاهد ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد وقيل ما تقدم من ذنب يوم بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين حيث قال يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض ابدا وكرره مرارا فاوحى اليه من اين تعلم انى لو اهلكتها لا اعبد ابدا فكان هذا الذنب المتقدم وقال يوم حنين بعد ان هزم الناس ورجعوا اليه لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله تع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو الذنب المتاخر وابعد من هذا قول ابى على الروذبارى لو كان لك ذنب قديم وحديث لغفرناه لك ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما اى ونزيد هدايتك الى الطريق غير معوج فى تبليغ الرسالة ورفع عوائق قواعد الديانة واقامة مراسم الشريعة والرياسة او ويثبتك على الهدى او يهدى بك وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بصفته اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو الذى انزل السكينة السكون والطمانينة والثبات والسكينة للسكون كالبهيتة للبهتان فى قلوب المؤمنين حتى يثبتوا فى مواطن تقلق فيها النفوس اضطرابا وتزل الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم بزيادة ما يجب اليقين به فان اليقين مما يقبل الزيادة والنقصان قال عم لو وزن ايمان ابى بكر رضى مع الثقلين لرجح وانزال السكينة فى القلب مما يزيد به اليقين كانزال السورة والآيات كما نطق به التنزيل كثيرا وقيل يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان النفس عليها وانزل فى قلوبهم السكون الى ما جاء به محمد عم من الشرايع ليزدادوا ايمانا بالشرايع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد وعن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبى عم التوحيد فلما امنوا بالله وحده انزل الصلوة والزكوة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فكلما امروا بشئ فصدقوه ازداد تصديقهم الى تصديقهم وهذا ما قال ابو حنيفة من ان المراد بزيادة الايمان المذكورة فى نحو قوله تع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا انهم كانوا امنوا فى الجملة ثم ياتى فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص وهذا يمكن فى الاعصار كلها لانضباط الفرايض ولله جنود السموات والارض اى مختص به جنود العالم فهو عالم بها ويدبر امرها فيسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن تدبيره ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم ان يفتح لهم وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار هو مع ما بعده علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع ذلك ذكرا وليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم ويسترها ولا يظهرها وكان ذلك الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه ظفر بكل ما ارادوا وقيل لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على ليدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل منه

الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان الله لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجع الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة
وقهرا عليهم دايرة السوء اى دايرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حايق بهم دايرة عليهم لا يتجاوزهم الى غيرهم وقرأ
ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان كالضعف والضعف والكره والكره لكن المفتوح غلب
في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شىء والمضموم جرى مجرى الشر المناقض للخير ومن ثم اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت
الدايرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف اليه الا على التاويل المذكور واما دايرة السوء بالضم فلان الذى اصابهم مكروه وشدة يصح — فكان حقها بيان
ان يقع عليهم اسم السوء كقوله تعالى ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة والمضموم والمفتوح كلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم
ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين واقعة موضع الفاء اذ اللعن
سبب الاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد بلا اعتبار السببية وللغضب صورة ونتيجة اما صورته فتغير
في الغضبان يتاذى به ويتالم واما نتيجته فاهلاك المغضوب عليه وايلامه فعبر عن نتيجة الغضب بالغضب على الكناية بالسبب
عن المسبب وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا بليغ العزة والقدرة على كل شىء حكيما
بليغ الحكمة فيه فلا يفعل كل ما يفعل الا على مقتضى الحكمة والصواب ولا يفوته شىء مما يريد انا ارسلناك شاهدا على امتك كقوله
ويكون الرسول عليكم شهيدا مبشرا لاهل الايمان والطاعة منهم بالجنة والثواب ونذيرا لاهل الكفر والعصيان بالنار والعذاب فان
ذلك مما لا يتطرق اليه العقل بنفسه كما لا طريق له الى الكثير من امور الدنيا والآخرة فكان من لطف الله وفضله ارسال الرسل لبيان ذلك
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب لرسول الله ولامته اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه
ورسوله وذلك بالنصرة والاعانة لهما وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه عما لا يليق به ولا يجوز اطلاقه من الشريك
والولد وساير صفات المخلوقين او تصلوا له بكرة واصيلا غدوا وعشيا او دايما وعن ابن عباس صلوة الفجر
وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرأ ابن كثير وابن عمرو الافعال الاربعة بالياء والباقون بالتاء وقرئ تعزروه بسكون العين
وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وكسر التاء وتوقروه من اوقره بمعنى وقره وقال خارجة في حرف ابن مسعود لتؤمنوا بالله
ورسوله وتوقروا وتنصروا وتعزروا وتسبحوا الله بكرة واصيلا وفي مصحف ابى وعن سعيد بن جبير وطلحة ويسبحوا الله
وقرأ جعفر بن محمد اليماني وتعززوه بالزايين كقوله فعززنا بثالث ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لان المراد
ببيعته بيعة وهى بيعة الرضوان وقرئ انما يبايعون لله اى لاجل الله وقرأ ابن عباس انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم
حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل يريد ان يد رسول الله التى تعلو ايدى المؤمنين المبايعين هى يد الله والله منزه عن
الجوارح وعن ساير صفات الاجسام وانما المقصود تقرير ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله غير تفاوت بينهما او
يجوز ان يكون المعنى نصرة الله فوق تصرفاتهم فان من قام البرهان عنده على استحالة يد لله سبحانه هى جارحة محسوسة او
متخيلة يثبت لله يدا روحانيا عقليا اى يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها اذ روح اليد ومعناها انها تتصرف
بان يعطى ويمنع ويأخذ ويبطش ويفعل ما يريد والله تعالى يفعل ويعطى ويمنع بواسطة النبى عم والملايكة والعقل كما قال النبى عم
اول ما خلق الله تعالى العقل فقال بك اعطى وبك امنع وفي رواية الفردوس بك آخذ وبك اعطى فالله تعالى هو المتصرف في كل شىء ذاتا
وصفاتا بواسطة وبغيرها فلا يكون يده الا فوق ايدى الناس فمن نكث نقض العهد والبيعة فانما ينكث على نفسه فلا يعود
ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد
بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم وقال السدى كانوا يأخذون بيد رسول الله عم ويبايعونه
وقرئ ينكث بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله اى ومن وفى ببيعته بان ثبت عليها ولم ينكثها فسيؤتيه اجرا عظيما

هو الجنة

هو الجنة وما فيها من رضوان الله والنظر الى ذاته وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء لانه الاصل افرادا وجمعا لانها لما كانت ضعيفة
لخفائها شبيهة بالالف في الخفاء اعطيت اقوى الحركات وهى الضمة والدليل على ان اصل هذه الهاء الضم انها تضم مبتدأة وبعد
الفتحة والضمة والالف والواو والسكون في غير الياء نحو هو وله وكله واتاه ونصروه ومنه وهذا هو الوجه في قراءة حمزة عليهم واليهم
ولديهم بضم الهاء وجرها وما يتصل به من الميم وغيرها ازالة والباقون بكسرها وانما تكسر هذه الهاء بعد الكسرة او الياء الساكنة
روما للخفة والمشاكلة لانها لما اشبهت الالف في الضعف والخفاء وكانت الالف تمال لمجاورتها كسرت الهاء بعدهما لشبه الكسر
بالامالة وقرئ عهد وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وابو جعفر وروح فسنؤتيه بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن مسعود
فسيؤتيه الله اجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة
وجهينة واشجع واسلم والديل وذلك ان رسول الله عم حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من
الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا الحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو عم وساق معه الهدى
ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم
فظنوا انه يهلك فلا ينقلب الى المدينة فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة — قوم بيان
والخوف عن مقابلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا فلم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ شغلتنا بالتشديد
للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب في اعتذارهم وطلب استغفارهم
قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشية الله وقضايه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او خلل
في المال والاهل او عقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى وخلف بضم الضاد والباقون بفتحها او اراد بكم نفعا ما ينفعكم
من ظفر وغنيمة وغير ذلك بل كان الله بما تعملون خبيرا بكل اعمالكم من السر والعلانية فكيف يخفى عليه تخلفكم وقصدكم — تجتهدون بيان
فيه وكذبكم وساير احوالكم وان كنتم تجتهدون في سترها واخفايها بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا لظنهم ان المشركين يستاصلونهم واهلون جمع اهل وهو كل من في عيال الرجل ونفقته من المرأة والولد والاخ والاخت
والعم وابنه والخادم قد يجمع على اهال على غير قياس وعلى اهلات كارض وارضات على انه اصله اهلة وقرئ الى اهلهم وزين
ذلك في قلوبكم فتمكن ذلك الظن في قلوبكم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله لقوله زينا لهم اعمالهم او الشيطان لقوله وزين لهم
الشيطان اعمالهم وظننتم ظن السوء هو الظن المذكور والمراد التسجيل عليهم بالسوء او هو وساير ما يظنون بالله و
رسوله من الامور الزايغة وكنتم قوما بورا البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع باير كعايذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير
فيكم او هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه عليكم لفسادكم ظاهرا وباطنا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا
اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع لهم تسجيلا عليهم بالكفر واشعارا بان من لم يجمع بين الايمانين الايمان
بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستحق للتسعير بكفره ونكر سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى ولله ملك
السموات والارض اى ويختص به ملك العالم فهو يملك امور اهله ويدبرها وجريا على وفق مشيته وحكمته الالهية فهو اعلم
بهم يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء جزاء بما كانوا يعملون وليس بواجب عليه شىء مما هو اصلح لهم وكان الله غفورا
رحيما بليغ المغفرة والرحمة التى شملت الخلايق كلها وسبقت غضبه ولذلك يمحو بتوبة واحدة ذنوب العمر كله ويعطى بكل
واحدة منها حسنة وثوابا قال ابو هريرة قال رسول الله عم ان الله افرح بتوبة عبده المؤمن من الضال الواجد ومن الظمآن
الوارد ومن العقيم الوالد ومن تاب الى الله توبة نصوحا انسى الله حافظيه وبقاع ارضه خطاياه وذنبه وقيل فان الغفران
والرحمة ذاته والتعذيب داخل تحت

قضايه بالعرض ولذلك جاء في الحديث الالهي سبقت رحمتي غضبي **سيقول المخلفون** يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية **اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها** اى مغانم خيبر فان رسول الله واصحابه لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنايمها خالصة لمن شهد الحديبية عوضا عن غنايم اهل مكة اذا انصرفوا عنها على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا **ذرونا نتبعكم** الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها قراءة زيد بن علي نتبعكم بالرفع على الحال كقوله تع تطهرهم **يريدون ان يبدلوا كلام الله** ان يغيروا مواعد الله لاهل الحديبية فهو وعدلهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر وقيل هو قول الله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك وقرا حمزة والكسائي وخلف كلم الله جمع كلمة والباقون كلام الله وهو اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة قيل والمراد بكليهما قوله تع فقل لن تخرجوا معي ابدا الى اخر الاية ومجموع ذلك وكلام وكلم فالقراءتان ترجعان الى معنى واحد وكان طلبهم للخروج ارادة تبديل ذلك وقرا الخليل ان يبدلوا **قل لن تتبعونا** نفي في معنى النهي كقوله لن تخرجوا معي ابدا **كذلكم قال الله من قبل** من ان نهيتهم للخروج الى خيبر وقيل اى من قبل مرجعنا من الحديبية اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم نصيب **فسيقولون بل تحسدوننا** ان نشارككم في الغنايم وقرئ بكسر السين **بل كانوا لا يفقهون** لا يفهمون **الا قليلا** الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ومعنى الاضراب الاول رد منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين **قل للمخلفين من الاعراب** هم الذين تخلفوا عن الحديبية وكرر ذكرهم بهذا الاسم للتاكيد المفيد للتقرير والتحقيق وقيل مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف **ستدعون الى قوم اولي باس شديد** هم اهل فارس قاله ابن عباس وعطا ومجاهد او الروم قاله كعب او فارس والروم قاله الحسن او هوازن وثقيف قاله سعيد بن جبير وهوازن وغطفان يوم حنين قاله قتادة او بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة الكذاب قاله جماعة منهم مقاتل والزهري قال رافع بن خديج كنا نقرا هذه الاية ولا نعلم من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هؤلاء وقال جريج دعاهم عمر الى قتال فارس **تقاتلونهم او يسلمون** اى يكون احد الامرين اما مقاتلة او الاسلام لا غير لان مشركي العرب والمرتدين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعي لا تقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العجم والعرب وهو يدل على امامة ابي بكر رض فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله عم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله مع قوله تع فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا واما من قال هم فارس والروم فمعنى يسلمون عنده ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية ومن قال انهم ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم قراءة زيد بن علي وابن عمير او يسلموا بغير نون اى حتى يسلموا **فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا** هو الغنيمة والجنة في الدنيا والاخرة **وان تتولوا كما توليتم من قبل** عن الحديبية **يعذبكم عذابا اليما** لتضاعف جرمكم **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** لما اوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء المعذورين في التخلف عن الغزو واستثناهم عن الوعيد **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار** فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل الوعيد فقال **ومن يتول يعذبه عذابا اليما** اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرا نافع وابن عامر وابو جعفر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة** هي بيعة الرضوان سميت بهذه الاية وقصتها ان النبي عم لما نزل بالحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا بقتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى رجع الى رسول الله عم فدعا رسول الله عم عمر ليبعثه الى مكة فقال اني اخاف قريشا على نفسي لما عرفوا من عداوتي اياهم وغلظتي عليهم وليس بمكة من بني عدي بن كعب احد يمنعني ولكني ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان رض

فبعثه

تقلبهم



فبعثه يخبرهم انه لم يات بحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف حتى يطوف به رسول الله عم فحبسوا فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله عم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا اصحابه الى البيعة وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة فبايعوا تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله عم انتم اليوم خير اهل الارض وقال عم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة وكانت سمرة او سدرة وقال جابر بن عبد الله لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله جالسا في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب فرفعت الغصن عن ظهره وكان اول من بايع بيعة الرضوان ابو سنان بن وهب الاسدي **فعلم ما في قلوبهم** من الاخلاص وصدق الضمير والوفاء **فانزل السكينة عليهم** اى الطمانينة والثبات وسكون القلب بالتشجيع والصلح **واثابهم فتحا قريبا** اى جازاهم وعوضهم فتح خيبر عقيب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا وقرا الحسن واتاهم فتحا قريبا اى اعطاهم **ومغانم كثيرة ياخذونها** هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وخلق وقرا الزهري تاخذونها بالتاء **وكان الله عزيزا حكيما** بليغ العزة في الانتقام من اعدائه والحكمة في افعاله وقيل غالبا مراعيا مقتضى الحكمة **وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها** هي الفتوح التي تفتح للمؤمنين الى يوم القيمة **فعجل لكم هذه** يعني مغانم خيبر **وكف ايدي الناس عنكم** يعني ايدي اهل خيبر وحلفائهم من اسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا او هموا ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عنهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل ايدي قريش بالصلح **ولتكون اية للمؤمنين** اى ولتكون هذه الكفة امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم او صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر حين رجوعه عن الحديبية او وعد المغانم او عنوانا لفتح مكة فانه عم راى في المنام فتح مكة ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ولتكون عطف على محذوف هو علة لكف او عجل مثل لتسلموا او لتاخذوا او علة لمحذوف مثل فعل ذلك **ويهديكم صراطا مستقيما** يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله بصلح الحديبية وفتح خيبر وقصته ان رسول الله عم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم سنة سبع الى خيبر قال انس كان رسول الله عم اذا غزا قوما لم يكن يغير حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم والا اغار عليهم فخرجنا الى خيبر وانتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي عم فخرج الينا اهل خيبر بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا قالوا والله محمد والخميس فلما راهم رسول الله عم قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وقال سلمة خرجنا الى خيبر مع رسول الله عم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم بالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الاقدام ان لاقينا وانزلن السكينة علينا فقال رسول الله عم من هذا فقال انا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله لاحد الا استشهد فنادى عمر وهو على جمل له يا نبي الله لولا امتعتنا بعامر فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب اقبلت تلهب وبرز عمي عامر فقال قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول الله يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فاتيت النبي عم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال عم من قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاتيت عليا رض فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله عم فبصق في عينيه فبرا واعطاه الراية وخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب الى قوله تلهب

فقال علي رض انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كريه المنظر اوفيهم بالصاع كيل السندرة فضرب راس مرحب فقتله
فكان الفتح على يديه وفي رواية اخرى قال عم ما قاتل ابو بكر وعمر قتالا شديدا ورجعا لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا واعطاه الراية وقال امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك
فاتى خيبر فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على راسه وهو يرتجز فبرز اليه علي فضربه
فقد الحجر والمغفر وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر يرتجز فخرج اليه الزبير بن
العوام فقالت امه صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يا رسول الله قال بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير
ثم انه عم لم يزل يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال **واخرى** عطف على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم
ومغانم اخرى **لم تقدروا عليها** بعد لما كان فيها من الجولة وهي مغانم هوازن او فارس **قد احاط الله بها** اي قدر عليها فهي مستولى
فاظفركم بها وغنمكموها ويجوز ان يكون قوله واخرى منصوبا بفعل مضمر يفسره قد احاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة
لاخرى وان يكون مرفوعا بالابتداء لانها موصوفة بلم تقدروا عليها وقد احاط الله بها خبرها وان يكون مجرورا باضمار رب
**وكان الله على كل شيء قديرا** لان قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء **ولو قاتلكم الذين كفروا** من اهل مكة ولم يصالحوا او من حلفاء
خيبر **لولوا الادبار** لانهزموا وانصرفوا هاربين **ثم لا يجدون وليا** يتولى امرهم ويحفظهم **ولا نصيرا** ينصرهم **سنة الله**
**التي قد خلت من قبل** في موقع المصدر المؤكد اي سن الله عليه انبياءه سنة قديمة فيمن مضى من الامم وهو قوله لاغلبن انا ورسلي
**ولن تجد لسنة الله تبديلا** تغييرا **وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم** كف ايدي كفار مكة عنكم اي قضى بينهم وبينكم المكافة
والمحاجزة **ببطن مكة** في داخل مكة **من بعد ان اظفركم عليهم** بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد
ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية
الى الحديبية فبعث رسول الله عم خالد بن الوليد على جند فهزمهم وادخلهم حيطان مكة وعن ابن عباس اظهر الله المسلمين
عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت وعن انس انه قال ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله عم من جبل التنعيم
متسلحين يريدون غرة النبي عم واصحابه فاخذهم سلما فاستحياهم فانزل الله هذه الآية وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي عم بالحديبية في ظل الشجرة التي قال الله تع في القرآن وعلي بن ابي طالب بين يديه
يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله فاخذ الله ابصارهم فقمنا
اليهم فاخذناهم فقال لهم رسول الله جئتم في عهد ام هل جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله هذه الآية
فالرواية الاولى دالة على ان هذه الآية بمكة وهذه الرواية تدل على انها نزلت بين مكة والمدينة وهو الحديبية **وكان الله بما تعملون**
من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرا ابو عمرو بالياء التفاتا من الخطاب الى الغيبة والباقون بالتاء ليوافق
ما قبله **بصيرا** عالما لا يخفى عليه شيء فيجازيهم على ذلك **هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله**
قيل هذا يدل على ان ذلك يعني الظفر المذكور عام الحديبية قلت الذي تدل عليه الاخبار وصريح القرآن ان مكة انما فتحت عنوة
ويدل عليه قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا لان لفظ الفتح اذا ورد مطلقا لا يقع الا على ما فتح عنوة والهدي ما يهدى الى الحرم من
شاة او بقرة او بعير والواحدة هدية كما يقال جدي في جدية السرج وقرئ والهدي بتشديد الياء وهو جمع هدية كمطية ومطي (مطي بيانا)
هذا هو المشهور وقيل هو فعيل بمعنى مفعول ولم اجده في كتب القوم ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره اي يجب وهذا دليل
لابي حنيفة على ان المحصر محله هدي الحرم وكان رسول الله عم قد ذبح هديه في موضع احصر وهو الحديبية وهي طرف الحرم
الحرم على تسعة اميال من مكة وعن الزهري ان رسول الله عم نحر هديه في الحرم وروي ان مضارب رسول الله عم كانت
في الحل



في الحل ومصلاه في الحرم فالمراد بالمحل في الآية محل المعهود وهو منى وقوله معكوفا ان يبلغ محله محبوسا عن ان يبلغ وكان الهدي سبعين
بدنة عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال نحرنا مع رسول الله عم عام الحديبية عن سبعة والبقرة عن سبعة وعنه قال
اشتركنا مع النبي عم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر ايشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال ما هي الا من البدن
وحضر جابر رض الحديبية قال ونحرنا يومئذ سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة ذكره مسلم في صحيحه وعن ابن عمر
خرجنا مع النبي عم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله عم بدنه وحلق راسه وامر اصحابه ان يقوموا
وينحروا ويحلقوا ثلث مرات فلما لم يقم احد قام ودخل على ام سلمة فذكر لها ما لقي منهم فقالت لو نحرت لنحروا فنحر ونحروا
بنحره وحلقوا بحلقه ودعا للمحلقين ثلثا وللمقصرين مرة ورأى كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه فقال ايوذيك
هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه البخاري والدارقطني **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات**
**لم تعلموهم** لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين وهو صفة للرجال والنساء جميعا **ان تطؤهم** بدل اشتمال
من رجال ونساء او من هم في تعلموهم والوطء عبارة عن الاهلاك واصله في البعير المقيد ومنه قوله عم اللهم اشدد
وطأتك على مضر اي خذهم اخذا شديدا وقوله عم ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد لطايف آخر وقعة النبي عم
بها **فتصيبكم منهم** من جهتهم **معرة** مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم (ثم بيان)
بالتقصير في التفتيش عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكره ويشق عليه **بغير علم** حال من فاعل تطؤهم بمعنى غير عالمين
بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا ناسا مؤمنين بين اظهر المشركين والحال انكم غير عارفين
بهم فتصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف ايديكم عنهم وقيل الاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك **ليدخل**
**الله في رحمته** تعليل لما دلت عليه الآية من كف الايدي عن اهل والمنع من قتلهم صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان الكف ومنع
التعذيب ليدخل الله في رحمته اي في توفيقه لزيادة الخير او للاسلام **من يشاء** من مؤمنيهم او مشركيهم **لو تزيلوا** لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض من زال يزوله وقرئ تزايلوا ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لرجعهما الى معنى
واحد ويكون لعذبنا هو الجواب له وهو وجه حسن صحيح (بلا بيان) **لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما** بالقتل والسبي وقال الضحاك
لو زال المؤمنون من بين اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف ولكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار وعن علي رض انه قال
سالت النبي عم عن قوله تع لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال هم المشركون من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصره كان في اصلابهم
اصلابهم قوم مؤمنون فلو تزيل المؤمنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذابا اليما **اذ جعل الذين كفروا** اذ منصوب
باضمار اذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم **في قلوبهم الحمية** الحمية فعيلة من حمى عن كذا حمية وحمية اذا انف فالحمية الانفة قال الزهري
حميتهم انفتهم من الاقرار للنبي عم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم من دخول مكة وقال مقاتل قال اهل مكة
قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها
علينا فهذه حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم **حمية الجاهلية** التي تمنع اذعان الحق **فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين**
اي فانزل عليهم الوقار والثبات وذلك ما روي ان رسول الله عم لما نزل بالحديبية وهم بقتال قريش بعثوا سهيل بن عمرو
والقرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسلوه ان يرجع من عامه على ان تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام
فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عم لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل واصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك
اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك اكتب
هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال عم اكتب ما يريدون فانا اشهد اني رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المسلمون
ان يابوا ذلك ويبطشوا فانزل الله السكينة

عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها
الله لنبيه والمؤمنين معه اطلو فكذ بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سبب التقوى او كلمة اهلها وكانوا احق بها واهلها
والمتاهل فيها او المختص بها من اهل الرجل وهو الذي يختص به وينسب وكان الله بكل شيء عليما بليغ العلم بكل من شانه ان يتعلق
به العلم فيعلم اهل كل شيء وييسره له وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا اهلها واحق بها وهو الذي دفن مصحفه
في ايام الحجاج لقد صدق الله رسوله الرؤيا راى رسول الله انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا وذكر
قبل خروجه الحديبية فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا
رسول الله حق فلما تاخر ذلك قال بعضهم ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا المسجد الحرام فنزلت وهو دليل قاطع على
ان الرؤيا حق وليس بباطل كما زعم جمهور المتكلمين والمعتزلة فتبا لهم ثم تبا لهم ثم تبا لهم وقيل القائل عبد الله بن ابي وعبد
الله بن نفيل ورفاعة الحارث والمعنى صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وساير النقايص فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل والكذب فان ما راه صدق لا محالة
كاين في وقته المقدر له وهو القصد الى الميز بين المؤمن المخلص والذي في قلبه مرض وان يكون قسما اما بالحق الله هو اسم
من اسمائه تعالى او بالحق الذي هو نقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف
ان شاء الله تعليق للوعد بالمشية تعليما للعباد ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متادبين لسنة الله متادبين بادبه او اشعارا
بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا والنبي لاصحابه وقيل هو استثناء من قوله آمنين لا من الدخول
لان الدخول لم يكن فيه شك وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ كما في قوله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين آمنين حال
من الداخلين والشرط معترض بينهما محلقين رؤسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا بعضكم وقدم الحلق
على التقصير وهو قطع اطراف الشعر لان الحلق افضل منه لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اي لا تخافون بعد ذلك فواد
اليماني محلقون رؤسكم ومقصرون اي فيكم محلقون وفيكم مقصرون فعلم ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تاخير فتح
مكة الى العام القابل وقيل فعلم ما لم تعلموا ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وهو قوله ولولا رجال مؤمنون الاية فجعل
من دون ذلك من دون فتح مكة او دخولكم المسجد فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله
ليغلبه على جنس الدين كله من الاديان الباطلة بنسخ ما كان حقا فيها واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على
اهلها اذ ما من اهل دين الا وقد غلب عليهم المسلمون واذلوهم وقيل هو عند نزول عيسى عم حين لا يبقى على وجه الارض
كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والايات وفي هذه الاية تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم
من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كاين او على نبوته
باظهار المعجزات وعن الحسن شهد على نفسه انه سيظهر دينك وعن ابن عباس شهد له بالرسالة وهو قوله محمد رسول
الله جملة مبنية للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدا محذوف اي هو محمد اشارة الى قوله رسوله
بالهدى او مبتدا ورسول الله عطف بيان وقوله والذين معه عطف عليه وخبره اشداء على الكفار رحماء بينهم اشداء
جمع شديد ومنه صفة عمر رضه في التورية قرن من حديد امين شديد وكذا ابو بكر رضه بل هو اشد الا يرى الى قول ابي هريرة
والذي لا اله الا هو لولا ان ابا بكر استخلف ما عبد الله تعالى وعن ابي رجاء دخلت المدينة فرايت الناس مجتمعين وعمر
يقبل راس ابي بكر رضه في قتال اهل الردة شاهرا سيفه راكبا راحلته فجاء علي رضه فاخذ بزمام راحلته وقال اقول

لك

كما قال لك رسول الله عم يوم احد اسيفك لا تفجعنا بنفسك والله لئن اصبنا لا يكون للاسلام بعدك نظام ابدا ورحماء
جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على الكفار ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين واغلظ عليهم
بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم
ان تمس ابدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لا خلاف فيها واما المعانقة
فلم يجوزها ابو حنيفة وكذا التقبيل قال لا احب ان يقبل الرجل شيئا من جسد رجل آخر وقد جوز ابو يوسف المعانقة
عن انس كان اصحاب النبي عم اذا تلاقوا تصافحوا واذا قدموا من سفر تعانقوا رواه الطبراني وعن تميم الداري قال النبي عم
اول من عانق خليل الله ابرهيم وكان قبل ذلك السجود فهذا يسجد لهذا وهذا يسجد لهذا فجاء الاسلام بالمصافحة وعنه عم تقبيل
المسلم يد اخيه المصافحة وعن عايشة رضه قال رسول الله عم ايما مسلم قبل يد مسلم فهي احدى السجدتين لله تعالى وقراه
ابن عباس رسول الله بالنصب على المدح وقراه الحسن اشداء رحماء بالنصب فيهما على المدح او على الحال بالمقدر في معه
ويجعل تراهم الخبر كانه قيل هم في الحالين تراهم ركعا سجدا لمحافظتهم على الصلوات ومداومتهم عليها كما قال الذين هم على صلاتهم
دائمون يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضاء والجملة في موقع النصب على الحال سيماهم في وجوههم
من اثر السجود السيما هي العلامة والمراد بها السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه
وقرى سيماؤهم بالمد وقوله من اثر السجود بيانها وتفسيرها وحال من المستكن في الجار وقال عكرمة وسعيد بن جبير
هو اثر التراب على الجباه وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وعن ابن عباس والحسن هو بياض يكون في وجوههم
يوم القيمة وعنه السمت الحسن والخشوع والتواضع وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب وعن عطاء استنارت
وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله عم من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار رواه جابر وخرجه ابن ماجه في سننه
قرا الاعمش من اثر باسكان الثاء وابو البرهسم من آثار بالجمع ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يوضحها قوله
كزرع مثلهم في التورية اي وصفهم العجيب الشان المذكور في التورية ومثلهم في الانجيل عطف عليه اي ذلك مثلهم في الكتابين
جميعا وقوله كزرع تمثيل مستانف او تفسير وايضاح او خبر لقوله ومثلهم في الانجيل اخرج شطاه فراخه يقال اشطا
الزرع اذا فرخ وقرا ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطاه بفتح الطاء والباقون بسكونها وهما لغتان وقرى شطاه
بابدال الهمزة الفا وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الطاء وشطوه بقلب الهمزة واوا فازره فقواه من
الموازرة وهي المعاونة او من الايزار وهو الاعانة وقرا ابن ذكوان فازره بقصر الهمزة كاجر في آجر وقال ابو عبيدة فازره
اي فساوى الشطاء الزرع في الطول والقوة وقرى فازره بتشديد الزاء فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظة
فاستوى على سوقه اي فاستقام على قصبه جمع سوق وقرا ابن كثير برواية قنبل سؤقه بالهمزة المضمومة مكان الواو
الساكنة يعجب الزراع بنمائه وكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهذا مثل ضربه الله للصحابة قلوا وضعفوا
في اول الاسلام ثم كثروا وتقووا وايضا اعجب الناس كثرتهم وقوتهم او لبدء امره وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم
لان النبي عم قام وحده ثم قواه الله تعالى بمن آمن معه كما يقوي الطاقة الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب
الزراع وقيل الشطاء في الاية كناية عمن دخل في الاسلام فقوى الكلام به وهو مثل ضربه الله لنبيه واصحابه انه بعث مفردا كما تخرج
السنبلة مفردة ثم قواه الله باصحابه كما تقوى السنبلة بفراخها وقال قتادة مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن الحسن قال محمد رسول الله والذين معه ابو بكر الصديق رضه اشداء على الكفار عمر بن الخطاب
رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا علي بن ابي طالب يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية العشرة المبشرة بالجنة

بيان المصافحة والمعانقة

ثم المصافحة بيد واحد بيد وكل باطل
فصلاة والثالث فيها بكلتا اليدين

كمثل زرع محمد عم اخرج شطاه ابو بكر فازره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه علي رضي استقام الكلام بسبعة يعجب الزراع
المؤمنون ليغيظ بهم الكفار قول لاهل مكة بعدما اسلم لا نعبد الله سرا بعد اليوم وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فازره
بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي ليغيظ بهم الكفار تعليل لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه وقوته او لقوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا ما اعد لهم في الاخرة مع ما يعزهم في الدنيا
غاظهم ذلك ومن بيانية كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان عن رسول الله عم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن يشهد مع محمد
فتح مكة سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا اي لا تقدموا امرا
فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ممكن او ترك لان المقصود نفي التقديم راسا اي لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه
منكم سبيل كقوله هو الذي يحيي ويميت او لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه ويتصره قراة يعقوب لا تقدموا
بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا
عليهما قال ابو حاتم سمعت بمكة من قارئ لهم لا تقدموا بالفتح والتشديد ومد الالف للمد تتقدموا وهو مذهب ابن كثير واهل مكة يعني
تشديد التاء في مثل هذا بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تصوير للهجنة والشناعة
فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى لا تقطعوا امرا الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه
فتعملوا بكتاب الله او بسنة رسوله وعن ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يدي كلامه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه
على لسان رسوله ويجوز ان يكون المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعظيم له واشعار بانه من الله بمكان يوجب اجلاله وعن الشعبي
قال جابر نزلت الآية في الذبح يوم الاضحى وبه قال الحسن اي لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي عم وذلك ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل صلوة
النبي عم فنزلت فامرهم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة الا ان تزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت
مقدار الصلوة والشعبي ايضا قال البراء خطبنا النبي عم يوم النحر فقال ان اول ما نبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر
فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وعن مسروق دخلت
على عائشة رضي في يوم الشك فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت
اي لا تصوموا قبل ان تصوم نبيكم وهذه الروايات الثلث تؤيد الوجه الاخير كما لا يخفى واتقوا الله في التقديم ومخالفة حكمه
وتضييع حقه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم ظاهرة وباطنة فيجازيكم على ذلك وفيه من التحذير والتهديد ما لا يخفى
وقيل بعث رسول الله عم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر الا ثلثة
نفر نجوا فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فسالوهما عن نسبهما فقالا من بني عامر لانه اعز من سليم فقتلوهما وسلبوهما
ثم اتوا رسول الله عم فقال بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فجاء نفر من بني سليم الى رسول الله فقالوا ان
بيننا وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله عم بمائة بعير ونزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم
حتى تستامروا رسول الله عم وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا او صنع في كذا فكره الله ذلك فنزلت وعن الحسن
لما استقر رسول الله بالمدينة اتته الوفود من الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدئوا بالمسئلة حتى يكون هو المبتدي وقيل
هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله لم يسبقوه بالجواب وان لا تمشى بين يديه الا
للحاجة وان يستاني في الافتتاح بالطعام يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لا تبلغوا بالجهر الدايه بينكم
بل اجعلوا صوتكم اخفض من صوته تعظيما لشانه واظهارا لتقدمه وفضله وعن عبد الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس
قدم على النبي عم فقال ابو بكر يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي عم حتى ارتفعت اصواتهما

فقال ابوبكر



فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال ما اردت خلافك فنزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي عم فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي عم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه وتكرير النداء لزيادة الاهتمام والاستدعاء مزيد الاستبصار
والمبالغة في الايقاظ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي ولا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض فهو نهي عن جهر مخصوص
مقيد وهو الجهر المماثل لجهر اعتادوه فيما بينهم لا عن الجهر حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة ان تحبط اعمالكم علة
للنهي بمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا
او لنفس الفعل كانه قيل انهيكم عن الجهر له بالقول لاجل حبوط اعمالكم وقيل المعنى انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط
لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله ليكون لهم عدوا
وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبي والرسول قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية قال ابو بكر رضي يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله قرأ زيد بن علي وابن عمير فتحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون لا تحسون انها محبطة وقرأ عبد الله لا ترفعوا باصواتكم والباء مزيدة دخلت في الحل كقوله وامسحوا
برؤسكم فلا يبتناول كل الحل بان نهوا عن رفع مطلق الصوت وكله فانهم لم ينهوا عن ذلك وانما نهوا عن رفع صوت مخصوص
وهو رفع صوت فوق صوت النبي عم ويتأذى به ومن ثم قال بعضهم ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به
رسول الله عم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه قال عم للعباس بن عبد
المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بن جعدة زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم
زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وعن ابن عباس نزلت الآية في ثابت بن قيس
بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله فيتأذى بصوته وعن
انس لما نزلت هذه الآية والا رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت
بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله فمحمله والله اعلم
ان المؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم
ليظهروا قلة مبالاتهم به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله توقيرا له ورعاية
للادب او خشية حبوط الاعمال او لمحل وقيل كان ثابت بن قيس يبكي بعد نزول الآية فقال له رسول الله ما يبكيك يا ثابت
فقال انا صيت واتخوف ان يكون هذه الآية نزلت فيّ فقال عم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت
ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي ابدا على رسول الله عم فانزل الله قوله ان الذين يغضون اصواتهم الآية فلما كان يوم اليمامة
خرج خالد بن الوليد الى مسيلمة الكذاب فلما التقوا راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء
ثم قال لولي ابي حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله عم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه
رجل من الصحابة في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن
في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت ابا بكر خليفة رسول الله عم وقل له
ان علي دينا حتى يقضى وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه واخبر خالد ابا بكر
بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر وصيته قال انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها لان الامتحان سبب المعرفة فاللام صلة للمحذوف او
للفعل باعتبار الاصل او ضرب قم

قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى لتثبت فيظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم عند المحن
والشدايد والاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي اذهب
الشهوات عنها اي نزع عنها محبة الشهوات والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد لهم مغفرة ستر ومحو لذنوبهم
واجر عظيم وثواب لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره لعظمه وانه متكاثر مفرط الكثرة وذلك لتوقيرهم رسول الله وغضهم وساير
طاعتهم وقيل انزلت في الشيخين رضي لما كان منهما غض الصوت والبلوغ به اخا السرار والتنكير للتعظيم كما بيناه والجملة خبر ثان
لان او استيناف يبين ما هو جزاء الغاضين اصواتهم احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مركبة من معرفتين والمبتدا اسم الاشارة المتضمن
لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلته دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له مع ما في ذلك من الاعلام
ببلوغ عزة رسول الله عم وقدر شرف منزلته والتعريض بالجهة الرفع وشناعة الجهر وان حال المرتكب لها مضادة لحال هولاء
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها فان الوراء من ظروف المكان بمعنى خلف وقدام ومن ابتدائية لان
المنادات نشأت من جهة الوراء وفايدتها الدلالة على ان المنادي داخل الحجرة ضرورة ان يتخلف المبدا والمنتهى بالجهة وقرا ابو جعفر
الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها وقرئ بسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحايط يحوط عليها ولذلك يقال لحظيرة
الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء رسول الله عم وكانت لكل واحدة منهن حجرة وقيل فيها
كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له او بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها
او بانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله ولمكان حرمته فاسند فعل بعضهم الى جميعهم لرضاهم بفعله
واتصالهم به نسبا ودينا فانا ناداه فكانهم نادوه كلهم فقد ذكر الاصم ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس
وفدا على رسول الله عم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا اكثرهم لا يعقلون اذ
العقل يقتضي توقير سيد القوم وكبيرهم واحتشامه وحسن الادب معه اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه سيما من كان سيد
الانبياء وصفوة المرسلين وفي قوله اكثرهم دلالة على انه كان فيهم من قصد بالمحاشاة وعلى قلة العقلاء فيهم قصد الالى ان يكون
فيهم من يعقل اذ القلة تجري مجرى النفي في كلامهم ويويده قوله عم لما سئل عنهم هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا
للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان
وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى لغاية الشيء المضروبة فتفيد ان يكون
الصبر مغيا بخروجه تقول اكلت السمكة حتى راسها ولو قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز بخلاف الى فانها عامة في كل غاية وفي اليهم
اشعار بانهم لو خرج لا لاجلهم لزمهم ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم والصبر حبس النفس على الطاعات وعن
المعاصي اي ولو حبسوا انفسهم في مجالسهم ومواقفهم حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من
تعظيم رسول الله وحسن الادب وحفظ الحشمة المقتضية للمدح والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين
في اسارى بني العنبر فاطلق نصفهم وفادى نصفهم وقال مقاتل لكان خيرا لهم لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء
والله غفور رحيم بليغ الغفران والرحمة واسعهما حيث اقتصر على النصح والتوبيخ لهولاء المسيئين الادب التاركين تعظيم
الرسول عم وفي هذه الايات من الارشاد للعباد الى محاسن الاداب ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا
فتبينوا قرا حمزة والكسائي وخلف فتثبتوا والباقون فتبينوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الخبر وثباته
ولا تهوكوا فيه من غير بينة وروية يقال تبينته اذا عرفته بينا مكشوفا من غير شك واشتباه روي ان رسول الله عم بعث
وليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلوة الفجر اربعا

ثم قال



ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه ركبانا فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن
او لابعثن اليكم رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف علي رضي وقيل بعث اليهم
خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوات متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبا للتعميم كانه قال اي
فاسق باي نبا فاطلبوا فيه بيان الحال وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحرز جنس الفسوق لا يتحرز الكذب
الذي هو نوع منه وقيل في تعليق الامر بالتبيين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان
عدم عند عدمه وان خبر العدل لو احتمل وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات
لا يعلل بالغير ان تصيبوا لئلا او كراهة ان تصيبوا قوما بجهالة الجار والمجرور في موقع النصب على الحال كقوله ورد الله الذين كفروا
بغيظهم اي جاهلين بحالهم وكنه قصتهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع
وهذا التركيب يدل على اللزام والدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان مع الاسم والخبر ساد مسد مفعولي العلم باعتبار ما قيد به
من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم لانه حال من احدى ضميري فيكم المستتر المرفوع او البارز المجرور فلو جعل
استينافا وكلاما مبتدا برأسه لتنافر النظم ولم يظهر للامر فايدة والمعنى ان فيكم رسول الله على الحال يجب تغييرها وهي انكم
تريدون منه استمراره على رايكم ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه دلالة على ان بعض المؤمنين اشار لرسول الله بالايقاع
ببني المصطلق وانما ذكرت لفظ الاستمرار لان دخول لو على المضارع فيه لقصد استمرار الفعل فيما مضى وقتا فوقتا وانه كان
في قصدهم وارادتهم ان يستمر عمل رسول الله عم على ما يستصوبون وهو انه كلما عن لهم راي في امر كان عمله معولا عليه بدليل
قوله في كثير من الامر يعني ان امتناع عنتكم بسبب امتناع استمراره على اطاعتكم لان المضارع يفيد الاستمرار ودخول لو عليه
يفيد امتناع الاستمرار والعنت المشقة والشدة ومنه الاسير من المسلمين في دار الحرب اذا خشي العنت على نفسه والفجور لا باس
بان يتزوج امراة منهم وقد يطلق على الهلاك ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم الايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل
ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن قلوبهم للتقوى ويمضي الوجه الاخير قوله
اولئك هم الراشدون مخاطبا لرسول الله عم اي اولئك المستثنون بقوله ولكن الله هم الذين اصابوا الطريق السوي او هم
المتمادون في الرشاد الكاملون في السداد والتكرير ههنا بمعنى التبغيض والكفر ستر نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن
حدود الشرع والعصيان ترك الانقياد لما امر به الشارع ونهى عنه وقراطه اولئك يرشدون فضلا من الله ونعمة مفعول له
لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدون لان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم
او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعامه والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز
والتفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا ولم يقل اقتتلا
بالتثنية بل اقتتلوا بالجمع حملا على المعنى فان كل طائفة جمع وقرا ابن ابي عبلة اقتتلتا بالتثنية والتانيث وقرا زيد بن علي
وعبيد بن عمير بالتثنية والتذكير اي اقتتلا على تاويل النفرين او الرهطين ويعضده ما روى قتادة انها نزلت في رجلين
من الانصار كان بينهما مداراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر ليحاكمه الى النبي
فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناولوا بالايدي والنعال دون السيوف ويعضد الاول ما روى السدي
ان امراة من الانصار يقال لها ام زيد كان بينها وبين زوجها فرقة فالى عليها فحبسها فبلغ ذلك قومها فجاؤا وجاء قومه فاقتتلوا
بالايدي والنعال فانزل الله بينهما بيانا

وان طائفتان الآية وروى ابن عباس ان رسول الله عم وقف على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد
الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد اذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى
حماره افضل منك وبول حماره اطيب من مسكك ومضى رسول الله عم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما
الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى او بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله عم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل
قراها عليهم فاصطلحوا فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء لحكم الله فان بغت احديهما تعدت احديهما بالاستطالة والظلم واباء
الصلح على الاخرى فقاتلوا التي تبغي فقاتلوا الباغية حتى تفيء الى امر الله حتى ترجع لحكم الله او ما امر به وقد سمي بالفيء الظل
والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ترجع من الكفار الى المسلمين وعن ابي عمرو حتى تفي بغير همز ووجهه انه
ان ابا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيين فلطفت على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل
بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل هاهنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة فاقسطوا واعدلوا في
كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم ويشكر حسن الثواب وقرا عبد الله حتى تفيئوا الى امر الله فان فاءوا فخذوا
بينهم بالقسط وفي الآية دلالة على ان حكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وان الباغي لمن مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب
يترك كما جاء في الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه من تقديم النصح والسعي في المصالحة بما يصلح ذات
البين انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منسوبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر باللهاد
ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع المظهر موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة في التقرير
والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان
الفساد في شقاق الجمع اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم وعن
سالم عن ابيه قال رسول الله عم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم
كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيمة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمة واتقوا الله في محافظة حقوقه وحقوق عباده
وما امركم به ونهاكم عنه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله
من الساخر زيادة خلوص ضميره وتقوى قلبه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت
ان احول كلبا والقوم مختص بالرجال لانه مصدر سمي به الجمع او جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر والقيام بالامور
وظيفة الرجال قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال النبي عم النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون
هم الرجال وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وقوم فرعون فاما على التغليب للرجال على النساء او الاكتفاء بذكر الرجال
عن ذكرهن لانهن توابع لهم وايثار الجمع على التوحيد لان السخرية تغلب في الجامع وعسى باسمها استيناف بالعلة الموجبة
للنهي عن السخرية ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرا عبد الله عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهي على هذه القراءة ذات
خبر كالتي في قوله فهل عسيتم ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب
المؤمن المؤمن فكانما عاب نفسه او لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة وقيل
المعنى وخصوا ايها المؤمنون انفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم ان تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم
ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله عم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج اخرج
الينا بنانا قصيرة قلما عرفت فيها الاعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا ابا سعيد يا ابا سعيد

وقال لما مات

وقال لما مات اللهم انت امته فاقطع سنته فانه اتانا اخيفش اعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلوة
لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول له قائل الصلوة ايها الرجل الصلوة ايها
الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يطعن بعضكم بعضا واللمز الطعن والضرب باللسان
واللعن نوع منه وقرا الحسن والاعرج وابو حيوة ولا تلمزوا بضم الميم وقرا يعقوب ولا تلمزوا بضم التاء ولا تنابزوا بالالقاب
ولا يدعو بعضكم بعضا بلقب السوء لان النبز مختص بلقب السوء عرفا وقرا طلحة ولا تنابزوا بالتاء بئس
الاسم الفسوق بعد الايمان الاسم هاهنا بمعنى الذكر من طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع
بين الناس اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به الدلالة على ان
التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح او التعيير والبيان لهجنته ان يذكر المؤمن بالفسق ويقال له يا فاسق
يا يهودي يا نصراني مثلا قال رسول الله عم من عير مؤمنا بذنب تاب منه كان حقا على الله ان يبتليه به ويفضحه في الدنيا
والاخرة وذلك انه كان من شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عن ذلك وقيل لهم بئس الذكر ان
تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه وعن ابن عباس ان صفية بنت حيي بن اخطب اتت رسول الله عم فقالت
ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال عم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد
وعن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت
وعن عائشة انها سخرت من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن انس نزلت في نساء رسول الله عم
عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وكان في اذنه وقر وكانوا يوسعون له في مجلس
رسول الله عم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله عم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من
هذا فقال الرجل انا فلان فقال لا بل انت ابن فلانة وذكر اما له يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل ونكس راسه فانزل الله هذه
الآية فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون العادون المجاوزون
حد الظلم حيث وضعوا العصيان موضع الطاعة ومن لم ينتهوا بنهي الله ولم يتعظوا بوعظه ونصحه فعرضوا للعذاب
المعد للظالمين وفيه دلالة بينة على ان الرجل بترك التوبة يدخل مدخل الظلمة ويلتحق في زمرتهم يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن اي كونوا من الظن على جانب وابعدوا عنه ونكر الكثير للتبعيض والابهام وان في الظنون ما يجب ان يجتنب
من غير تبيين ولا تعيين ليحتاط في كل ظن ويتامل حتى يعلم انه من اي القبيل لان من الظن حق يجب اتباعه كالظن بالله حسنا
وظن المجتهد فيما لا قاطع فيه العمليات وظن الخير بالمؤمنين وباطل يحرم على كل كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه
قاطع وظن السوء بالمؤمنين قال النبي عم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء ومباح كالظن في الامور
المعاشية وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه الحزم
سوء الظن ان بعض الظن اثم استيناف معناه التعليل لوجوب الاجتناب من بعض الظن والاثم الذنب الذي يستحق العقاب
عليه ومنه قيل لعقوبته الاثام والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اي يكسرها وعن سفيان الثوري الظن ظنان
احدهما اثم وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات
المسلمين تفعل من الجس لما فيه من الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى في قوله تعالى
وانا لمسنا السماء وقرا الحسن بالحاء المهملة من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس عن يعقوب
قال ابن فرقد سمعت الهذليين يقولون التحسس للبصر والتجسس للسمع وقال ابو عمرو برواية العباس التجسس
من ورائه والتحسس هو الدخول

والالتماس والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما
ستره الله تع وعن ابن عمر رضي قال النبي عم يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا
عوراتهم فان من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله وعن ابن عمر ايضا
انه نظر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك وما اعظم حرمتك والمؤمن اعظم عند الله حرمة منك وعن زيد بن وهب قلنا لابن
سعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان يظهر لنا
شيئا نأخذه به ولا يغتب بعضكم بعضا اي ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته فان الاغتياب ذكر السوء في الغيبة

بيان الغيبة

قال ابو هريرة قال رسول الله عم اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارايت ان كان في اخي
ما اقول كان ما فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته وروي ان الصحابة ذكروا عند رسول الله عم رجلا
فقالوا لا ياكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي عم اغتبتموه فقالوا انما تحدثنا بما فيه قال حسبك اذا ذكرت
اخاك بما فيه وعن جابر وابي سعيد قال النبي عم التوبة من الزنا ايسر من التوبة من الغيبة لان صاحب الزنا اذا تاب تاب الله
عليه وصاحب الغيبة لا تقبل توبته حتى يأتي صاحبه فيستغفر له وعن الحسن كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وهذا القول
مخالف للحديث فلا ينبغي ان يعمل به فكيف يعمل به وقد قال النبي عم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحلل
منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه
فزيد عليه سيئاته ثم خرجه البخاري من حديث ابي هريرة وقال النبي عم اقلوا من غيبة الناس والوقوع في اعراضهم فان
عبدا مسلما يغتاب رجلا مسلما الا اعرض الله عنه يوم القيمة وكلم الغيره رواه انس قال قال لرجل قال اسمن هذا وعن
ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افظع وجه
وافحشه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احدكم للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب
باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك
وهو حي وقد ورد في الخبر ان امرأتين صامتا فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار فاستأذنتا رسول الله عم
في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما عبيطا ولحما عريضا وقاءت الاخرى
مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عم هاتان صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما فقعدت
احديهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم وقال عم خمس يفطرن الصيام الكذب والغيبة
والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة رواه انس وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع وابو جعفر
ورويس ولما قررهم الله تع ان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه زيادة تقرير وتحقيق لذلك
اي اذا تحققت بوجوب الاقرار عليكم وبانكم لا يمكنكم انكاره كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره
من الغيبة والطعن في اعراض المسلمين وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقيل
المعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فكرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته وكره
يتعدى بنفسه الى مفعول واحد واذا شدد الراء استدعى مفعولا آخر بحرف الجر وهو الى لان كره ما قل ببغض
وهو منقول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حب اليه فهو حبيب اليه واتقوا الله في مخالفة ما امرتم به ونهيتم
عنه وقيل بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه ان الله تواب رحيم لمن اتقى في محافظة حدوده

واحكام

واحكام وتاب مما فرط منه من المخالفة فيها والمبالغة في التواب لمبالغته في قبول التوبة حيث يجعل صاحبها كمن لم يذنب قط لسعة
كرمه او لكثرة من يتوب عليه من عباده او لكثرة ذنوبهم وعن ابن عباس ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة
ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول الله يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي شيء
فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما
فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما او قال ظلمتم تاكلون لحم سلمان واسامة فانزل الله هذه الآية ومما يجب التنبيه
ان مستمع الغيبة كقائلها فوجب على من سمعها ان يردها وكيف لا وقد قال النبي عم من رد عرض اخيه رده الله عز وجل من
النار يوم القيمة وقال عم المغتاب والمستمع شريكان في الاثم فوجب كف الاذن عنها وكانه بها من المكروه والله ولقوله عم
استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها كفر وفي فتاوى الامام علي السعدي نقلا عن بعض المتكلمين
ذكره بما يسمى به انما يكون غيبة اذا قصد الاضرار والشماتة به اما اذا ذكره تأسفا لا يكون غيبة وقال بعضهم رجل ذكر
مساوي اخيه المسلم على وجه الاهتمام فلا بأس به ومثله في الواقعات وعلل بانه انما يكون غيبة ان لو اراد به السب
والنقص قلت فيما قالوه خطر عظيم لانه مظنة ان يجر الى ما هو محض غيبة فلا يؤمن فتركها رأسا اقرب الى التقوى
واحوط يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء وخلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه
للتفاخر بالنسب والتفاضل فيه ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة من الاغتياب ويعضده ما رواه مقاتل انه لما كان يوم
فتح مكة امر رسول الله عم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى هذا اليوم
وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره
وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبر به رب السماء فاتى جبرئيل فاخبر رسول الله بما قالوا فدعاهم وسألهم
عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء وعن ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي عم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال
انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واحمر واسود قال فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى
فانزل الله هذه الآية في ثابت وقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا في الذي لم يتفسح وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الجمع العظيم المنسوبون الى اصل واحد وهو الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهو يجمع القبائل
والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل
بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم نسب بعض فلا ينتسب الى غير آبائه لا ليتفاخر بالآباء والقبائل ويدعي التفاوت
والتفاضل في الانساب وقرأ البزي لتعارفوا بالادغام وقرئ لتتعارفوا بالتائين ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون
ولتعرفوا فوائد ذكر الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم
لان التقوى هي سبب الفضل والكرم فمن اراد فضلا يفوق به الناس فليتصف بها كما قال عم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق
الله وقال عم ان ربكم واحد وابوكم واحد لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود ولا لاسود على
احمر الا بالتقوى وعلى هذا الاصل اجماع العلماء الاعلام وعنه عم انه طاف يوم الفتح بمكة فحمد الله تع واثنى عليه ثم قال الحمد
لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله
ثم قرأ الآية وفي رواية ابن عمر وابي هريرة ان الله تع قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي
الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب

النبي صلى الله عليه وسلم استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها كفر ... نعالج

لينتهين اقوام عن فخرهم برجال او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بانفها وعن سمرة بن جندب قال النبي عم
الحسب المال والكرم التقوى وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله عم في سوق
المدينة فراى غلاما يقول من اشتراني فعلى شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله فاشتراه رجل فكان رسول الله عم
يراه عند كل صلوة ففقده فسال عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سال عنه بعد ايام فقيل هو لما به فجاءه وهو في ذمائه فتولى غسله
ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار امر عظيم فنزلت الاية ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا قل لم
تؤمنوا لان الايمان تصديق اي اذعان ما جاء من عند الله وقبوله ولم يحصل لكم والا لما مننتم على رسول الله عم بالاسلام
وترك المقاتلة فالايمان في هذه الاية بمعنى الانقياد الظاهر بلا انقياد الباطن والا لم يكن للاستدراك معنى بقوله ولكن قولوا اسلمنا لان
الايمان والاسلام واحد لا تغاير بينهما اذ الاسلام هو الخضوع والانقياد بمعنى اذعان حكم الخبر وقبوله وذلك حقيقة التصديق كما تراه
وتسمعهم فمن اثبت التغاير بينهما فقد وقع دون السداد بمراحل وقيل كان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا
ولكن اسلمتم فعدل منه الى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا نزلت في نفر
من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر وكانوا يقولون لرسول الله اتتك العرب بانفسها
على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمتنون على رسول الله عم ويريدون الصدقة
فانزل الله فيهم هذه الاية وعن السدي نزلت في الاعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وهم اعراب جهينة ومزينة واسلم واشجع
وغفار وكانوا يقولون امنا ليا منوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا فانزل الله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه فانه حال من ضمير
قولوا اي ولكن قولوا اسلمنا حين لم تواطئ قلوبكم السنتكم وفيه نداء واعلام بان حقيقة الايمان التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان
واظهار شرايعه بالابدان ليس بايمان وفي كلمة التوقع دلالة على ان هؤلاء قد امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله
بالتصديق والاخلاص وترك النفاق لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم من اعمالكم من جزاء اعمالكم وثوابها شيئا من الالت وهو
النقصان او من جزاكم واجودكم وعلى الاول في موضع المصدر وعلى الثاني واقع موقع المفعول وقرا ابو عمرو ويعقوب لا يالتكم
من الالت وهو لغة غطفان والباقون لا يلتكم من لات يليت ليتا وهو لغة اسد واهل الحجاز ومنه قول ام هشام السلولية
الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصم الاصوات ان الله غفور ستور على مطيعين لما صدر منهم رحيم منعم عليهم
باجر عظيم وهو الجنة انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ثم لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه
في الشك مع التهمة والمعنى انهم امنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما امنوا به وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار
الايمان ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل ونظيره قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
قاتلوا المشركين وغزوهم باموالهم وانفسهم من اجل الله وبسببه وقيل في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان ولم يكذبوا كما كذب اعراب بني اسد وهم
الذين ايمانهم من صميم القلب وخلوص الاعتقاد بشهادة تعريف الطرفين وضمير الفصل كانهم هم اهل الصدق دون غيرهم
واعلم ان الاية الكريمة شاملة لجامع التقوى التي وجب على كل احد تهذيبها واصلاحها تطهير النفس الحاصل به الفوز بالفلاح و
والسعادة كلها لما قال تع قد افلح من زكيها وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي اذا اصلحت تلك وضبطت
حصول العدل الذي قامت به السموات والارض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولاصالة الاولى و
وجلالتها قدمت على الاخيرتين فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها

بيان فرق الايمان والاسلام

القوى

الا باصلاح

الا باصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود التابعان بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالانفس
على الشجاعة والحلم التابعان لاصلاح القوة الحمية الغضبية وقهرها واستسلامها للدين وعليه دل قوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة واعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل
والاحسان واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس الانسانية محصورة في القوى الثلث وفضايلها الاربع اذ العقل كماله العلم
والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الانصاف وهي اصول الدين على التحقيق قل اتعلمون الله بدينكم
اتخبرونه بقولكم امنا وفيه تجهيل لهم وتوبيخ لانه محال ان يخبر بشيء من لا يخفى عليه شيء ما في العالم كما قال والله يعلم ما في
السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم بليغ العلم بكل شيء من الكلي والجزئي فكيف يخفى عليه احوال الاعراب والمنافقين
وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها روي انه لما نزلت الاية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون
فنزلت هذه قرئ اتعلمون من الاعلام يمنون عليك ان اسلموا يعتدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب
موليها من يسديها اليه مشتقة من المن الذي هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير ان يعمد لطلب
مثوبة وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمن الفعل معنى الاعتداد
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم انكم ارشدتم اليه مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان
هداكم بالكسر وفي حرف ابن مسعود اذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعائكم الايمان وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله
تقديره فلله المنة عليكم وفي سياق هذه الاية لطف وهو انهم لما سموا ما صدر منهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما
بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له
والارشاد اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه والله بصير بما تعملون
في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمايركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك ان حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف وقراء
ابن كثير يعملون بالياء لما في الاية من الغيبة والباقون بالتاء ليوافق ما قبله من الخطاب عن رسول الله عم من قرا سورة الحجرات
اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه سورة ق خمس واربعون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم
ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما ذكر في ص والقرآن ذي الذكر بل عجبوا قراء الحسن وابن ابي اسحق قاف بالجر وعيسى بن عمير
قاف بالنصب على القسم والمجيد ذو المجد والشرف على ساير الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد
عند الله وعند الناس واختلفوا في ق فقال ابن عباس هو قسم وقيل اسم السورة وقيل اسم من اسماء القرآن وقال عكرمة
والضحاك هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء منه خضرة السماء والسماء مقببة عليه وعليه كنفاها ويقال هو
وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من ورائه بمسيرة سنة وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم القدير والقادر والقاهر
والقريب والقابض وقيل معناه قضي الامر وما هو كاين كما قالوا في حم واختلفوا ايضا في جواب القسم فقيل جوابه محذوف تقديره
والقرآن المجيد لتبعثن وقيل جوابه قوله ما يلفظ من قول وقيل بل عجبوا وقيل قد علمنا وجوابات القسم سبعة ان المثقلة
وهو كثير وان المخففة كقوله تالله ان كنا لفي ضلال مبين وما النفي كقوله والضحى ما ودعك ربك ولا كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت واللام المفتوحة وهو كثير الوقوع ايضا وقد كقوله والشمس وضحيها قد افلح من زكيها وبل كقوله
بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا امانته
فيهم وشرفه وعدالته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خايفا ان ينالهم سوء ويحل بهم مكروه
واذا علم ان مخوفا اظلهم لزمه ان ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير والكار لتعجبهم مما انذرهم به
من البعث مع علمهم بقدرة الله على

بيان جوابات القسم

كنفاها جمع كنف بتحتيتين الناحية

خلق العالم وايجاد كل موجود واقرارهم بالنشاة الاولى ومع شهادة العقل بلزوم الجزاء ثم عوّل على احد الانكارين بقوله
فقال الكافرون هذا شيء عجيب دلالة على ان تعجبهم من البعث ادخل في الاستبعاد واحق بالانكار والتعجب اذ العجب كل
العجب قولهم ءاذا متنا وكنا ترابا ووضع الكافرون موضع الضمير اظهارا للغضب عليهم ودلالة على ان قولهم هذا من اقدامهم
على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع او الى كون المنذر منهم او الى اختيار الله محمدا للرسالة فيكون انفاعلا للدلالة على ان تعجبهم
من البعث اغا صدر بعد تعجبهم من البعث وعقيبه واذا منصوب بمضمر دل عليه المرجع المذكور بعده اى احين متنا وصرنا
ترابا نرجع والهمزة للانكار بمعنى لا نرجع اذا متنا وكنا ترابا وقوله ذلك رجع بعيد استيناف معناه التعليل لانكار الرجع ونفيه
كانهم قالوا لا نرجع حينئذ لان ذلك الرجع رجع بعيد عن الوهم والعادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع والناصب في الظرف
ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث وقرئ اذا متنا بلفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد ان نرجع قد علمنا ما تنقص
الارض منهم ما تاكل الارض من اجساد موتاهم وهو رد لانكارهم الرجع واستبعادهم اياه لان من لطف علمه حتى تغلغل الى
ما تاكل الارض من لحوم الموتى ودمائهم وعظامهم وعروقهم كان قادرا على رجعهم احياء كما كانوا عن النبي عم كل ابن آدم يبلى
الا عجب الذنب وعن ابي هريرة قال رسول الله عم كل ابن آدم تاكله الارض الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقال السدي
قد علمنا من يموت منهم وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لكل ما كتب فيه
او محفوظ من الشياطين ومن التغيير وهو اللوح المحفوظ والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء وجعلها بعلم من عنده
كتاب محفوظ ينظر فيه ويطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب اتبع الاضراب الاول
للدلالة على انهم جاءوا بما هو افظع وافحش من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات على البديهة قبل
التدبر تقليدا للاباء وبعده تمردا وعنادا او النبي او القران اى بل سارعوا الى التكذيب بالقران في اول وهلة في بديهة السماع
قبل ان يعلموا كنه امره وقبل التدبر فيه والوقوف على تاويله ومعانيه لما جاءهم جاء بكلمة التوقع اشعارا بانهم علموا بعد علو
شانه واعجازه الشاهد على صحة حقيته فكذبوا به بغيا وحسدا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هي
التي في قولهم لخمس خلون اى عند مجيئه اياهم فهم في امر مريج في امر مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا جرج اى قلق و
اضطرب من سعته وذلك قولهم تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن وتارة مفترى لا يثبتون على شيء واحد وقال الحسن
ما ترك قوم الحق الا مرج امرهم وقال قتادة من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه افلم ينظروا حين كفروا
بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم وايجاده من العدم الى الوجود كيف بنيناها رفعناها بغير عمد
وزيناها بزينة الكواكب وما لها من فروج من فتوق لان خلقها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل
كما قال هل ترى من فطور والارض مددناها فرشناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت ارسيت
بها الارض اذ لولم تكن لكانت مضطربة مائلة الى الجهات المختلفة كما كانت قبل اذ روى ان الله لما خلق الارض جعلت تمور
فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وانبتنا فيها و
اخرجنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف يبتهج به لحسنه اى يسر تبصرة وذكرى لكل عبد لنبصر بذلك ونذكر كل
عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع خلقه وصنعه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع اى خلقها تبصرة ومن مزيدة للتوكيد
كما في قوله تع وترى الملائكة حافين من حول العرش وقوله اسس على التقوى من اول يوم ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير
المنافع فيه حيوة الاناسي والدواب والارض الميتة قراه زيد بن علي وانزل فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا في الحال واراده
للحال كما قال فاخرجنا به ثمرات وحب الحصيد اى وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير وغيرهما مما

يقتات به

يقتات به والنخل باسقات طوالا في السماء من بسقت الشجرة بسوقا اذا طالت او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت
فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لبيان فضلها واستبدادها بالمزية على غيرها من الاشجار وقيل لفرط ارتفاعها
وكثرة منافعها وفي قراءة رسول الله عم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه
على بعض بكثرة الطلع وتراكمه او بكثرة ما فيه من التمر والطلع ما يطلع من النخلة وهو الكم قبل ان ينشق ويقال لما يظهر
من الكم طلع ايضا وهو شيء ابيض يشبه بلونه الاسنان وبرائحته المني رزقا للعباد علة لانبتنا اى انبتناها لرزقهم
او مصدر بغير لفظ فعله لان الانبات في معنى الرزق واحيينا به بلدة ميتا احيينا بذلك الماء ارضا يابسة لا نماء فيها
كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون احياء بعد موتكم فالكاف في محل الرفع على الابتداء قرا ابو جعفر
ميتا بالتشديد كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليوافق ما قبله
وما بعده من الجماعات واصحاب الرس قوم حبيب النجار او قوم حنظلة بن صفوان عم واصحاب الاخدود فان الرس
هو الاخدود او بقية ثمود وقوم صالح او قوم كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اى دسوه فيها واخوان لوط اخوانه لانهم كانوا اصهاره
(واخوان صادق)
واصحاب الايكة وقوم تبع مر تفسيرها في الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير
لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدى وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله وتهديد لهم افعيينا بالخلق
الاول افعجزنا عن الخلق الاول وهو ابداء حتى نعجز عن الخلق الثاني وهو الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله
والهمزة فيه للانكار عن ابي جعفر افعينا بادغام الياء في الياء بل هم في لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من المخالفة للعادة وقيل اى في خلط وشبهة قد لبس عليهم
الشيطان وحيرهم ومنه قول علي رضي يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم
ان احياء الموتى خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر وتنكير الخلق
الجديد لتعظيم شانه وابهام امره لانه غير متعارف ولا معتاد فحق على كل من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد
على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان كانت موصولة والباء مثلها في صوّت بكذا او للانسان ان كانت مصدرية والباء للتعدية اى
اى ما يجعله موسوسا ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد فالمراد بقرب الذات
قرب العلم مجازا اطلاقا للملزوم على اللازم وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومقعد الازار قال ذو
الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق شبه بواحد الحبال واضافته للبيان مثل شجر الاراك ويجوز ان يكون المراد حبل العاتق
فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما قيل حبل العلباء مثلا والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي
العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان منصوب باذكر
او باقرب اى هو اعلم بحال الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما
لكن الحفاظ الملكين لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام
للحجة يوم يقوم الاشهاد عن النبي عم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك
لا تستحيي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه
اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة عن اليمين وعن الشمال قعيد القعيد المقاعد كالجليس
بمعنى المجالس اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقوله كنت
منه ووالدي بريا وقيل يطلق

الفعيل للواحد والمتعدد لقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يتكلم من قول فيلفظه اى يرميه من فيه والقول اعم
من الكلمة والكلام كما تقرر فى موضعه الا لديه رقيب ملك يرقب له عمله عتيد حاضر اينما كان واختلف فيما يكتب الملكان فقيل
يكتبان كل شىء حتى انينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه ويوزر به ويدل عليه قوله عم كاتب الحسنات على يمين الرجل
وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا
عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وعنه عم ان الحافظين اذا نزلا على
عبد وامة معهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد والامة واذا ارادا ان ينهضا قال احدهما للآخر فك الكتاب المختوم الذى
معك فاذا فيه ما كتب سواء فذلك قوله تع ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعن الحسن والضحاك انهما قالا ان مجلس الملكين
تحت الشعر على الحنك وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وعن الحسن ايضا ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه
وعند جماعه وقراءة الخليل ما يلفظ بفتح الفاء ذكره صاحب غرائب القراءات وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول وجاءت سكرة
الموت بالحق لما ذكر انكارهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه واستبعدوه يلاقونه عن قريب
عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وهو جاءت ونفخ وسكرة الموت شدته التى تذهب
بالعقل والباء فى بالحق للتعدية كما فى قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق الذى يجب
ان يكون من الموت والجزاء لان الانسان خلق لذلك او للملابسة كما فى قوله تنبت بالدهن اى وجاءت ملتبسة بالحق مقترنة به اى
بحقيقة الامر او بالحكمة والغرض الصحيح او بالعدل والانصاف كقوله تع خلق السموات والارض بالحق وقرأ ابو بكر وابن مسعود
رض سكرة الحق بالموت باضافة السكرة الى الحق دلالة على انها السكرة التى كتبت على الانسان واوجبت له وانها حكمة والباء
للتعدية على انها لشدتها اقتضت زهوق الروح او لاستعقابها له كانها جاءت به ويجوز ان يكون الباء بمعنى مع اى جاءت و
معها الموت وان تكون سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تهويلا لشانها وتفظيعا وقرئ سكرات الموت وعن النبى عم
انه قال يا على احذر على نوبك النجاسة فيها شدة السكرات واحذر الحرام فيه شدة عذاب القبر ذلك اى الموت ما كنت
منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للفاجر وسئل زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله عم وحكى هذا لابن
كيسان فقال والله ما لحق عالية والسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكى القولان لحسين بن عبد الله بن عباس
فقال اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر ويعضده ما روى عن عائشة رض انها قالت اخذت ابا بكر غشية من الموت فبكت
عليه فقالت من لا يزال دمعه مقنعا لا بد يوما انه مهراق فافاق ابو بكر فقال بل جاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه
تحيد وما روى انها قالت ان من نعم الله على ان رسول الله عم توفى فى بيتى وبين سحرى ونحرى وان الله جمع بين ريقى وريقه
عند موته ودخل عبد الرحمن بن ابى بكر على وبيده سواك وانا مسندة رسول الله عم فرايته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك
فقلت اخذه لك فاشار برأسه ان نعم فتناولته فاشتد عليه وقلت الينه لك فاشار برأسه ان نعم فلينته فامره وبين
يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق
الاعلى حتى قبض ومالت يده ونفخ فى الصور يعنى نفخة البعث ذلك يوم الوعيد محمول على تقدير حذف المضاف اى وقت ذلك يوم
الوعيد اى يوم وقوع الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد معها ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد بعمله او ملك
واحد جامع للوصفين وقال الضحاك السائق من الملائكة والشاهد من انفسهم وهو الايدى والارجل وقيل السائق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته
الى ما هو فى حكم المعرفة لقد كنت فى غفلة من هذا على ارادة القول والخطاب لكل نفس لان لكل احد اشتغالا ما عن الاخرة او للكافر



فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور الاخرة وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك
اليوم حديد نافذ تبصر ما كنت تنكره وتستبعده فى الدنيا لزوال المانع للابصار وعن مجاهد يريد نظرك الى لسان الميزان
حين توزن حسناتك وسيئاتك وقيل الخطاب للنبى عم والمعنى كنت فى غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى
وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب
النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه هذا ما لدى عتيد هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدى او الشيطان الذى قيض
له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما موصوفة وعتيد صفتها او موصولة فيكون عتيد
بدلا منها او خبرا بعد خبر او خبر مبتداء محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة
النار او للواحد وتثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل وتكريره كانه قيل الق الق للتاكيد ووجه اخر وهو ان العرب اكثر ما يرافق
الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلى وصاحبى وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج
انه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه او الالف بدل من نون التاكيد اجراء للوصل مجرى الوقف ويعضده قراءة الحسن القين بالنون
الخفيفة فانه اذا وقف على النون تنقلب الفا فكتبت بالالف على الوقف عنيد معاند للحق معاند لاهله مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل المراد بالخير الاسلام لان الاية نزلت
فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عن الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متجاوز للحق
مريب شاك فى الله وفى دينه او موقع فى الريبة الذى جعل مع الله الها اخر يحتمل ان يكون الذى مبتدأ متضمنا معنى الشرط
وخبره فالقياه فى العذاب الشديد وان يكون بدلا من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد وان يكون مفعولا لمضمر يفسره فالقياه
فالمراد بالعذاب الشديد ههنا ما رواه ابو سعيد فى قوله عم بينما الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله عنقا من النار يكلم فيقول
امرت بثلثة بمن دعا مع الله الها اخر وبمن قتل نفسا بغير حق وبكل جبار عنيد فيلقطهم من الناس كما يلقط الطير الحب
ثم يسيبهم فى نار جهنم قال قرينه هو الشيطان المقيض لهذا الكافر وانما استؤنفت هذه الجملة كما تستانف الجمل الواقعة
فى حكاية التقاول لانها جواب المحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال اطغانى فقال قرينه ربنا ما اطغيته اى ما جعلته طاغيا
وما اوقعته فى الطغيان بخلاف الجملة الاولى لانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول من مجيء كل نفس
مع الملكين وقول قرينه ولكن كان فى ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى فاعنته على ذلك لان اضلال الشيطان
انما يؤثر فيمن ضل عن طريق الحق ووقع دونه بمراحل كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وقيل
قال قرينه اى الملك وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل قال سعيد بن جبير يقول الكافر رب ان الملك زاد على فى الكتابة
فيقول الملك ربنا ما اطغيته اى ما زدت عليه ولا كتبت الا ما قال وعمل ولكن كان فى ضلال بعيد لا يرجع عنه قال اى الله تع
لا تختصموا لدى هو استيناف مثل قوله قال قرينه كان سائلا سأل فاذا قال الله فقيل لا تختصموا لدى اى لا تختصموا فى موقف
الحساب اذ لا فائدة فى اختصامكم وقد قدمت اليكم بالوعيد وقد اوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى
فما تركت لكم حجة على وهو حال فيه تعليل للنهى وهو الانتهاء اى انتهوا عن الاختصام ههنا والحال انى اوعدتكم او للنهى
اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقع على قوله
ما يبدل القول لدى بان يقع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل قولى ووعيدى فاعفيكم عما اوعدتكم به وعفو بعض المذنبين لبعض
الاسباب ليس من التبديل لان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه
وقيل انما قال بظلام بلفظ المبالغة لوجهين ان يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق
العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم

فنفى ذلك وهذا بيان لعدل الله وانه لا يعاقب عبيده بغير جرم وذنب يوم نقول لجهنم يوم منصوب باضمار اذكر او انذر مثلا
او بظلام او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يقدر حذف المضاف هل امتلأت وتقول هل من مزيد سوال وجواب
على التخييل الذى يراد به تصوير المعنى فى القلب وتبيينه والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اطرافها تمتلى بالجنة والناس حتى لا
يسعها شىء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملان جهنم وانها من سعتها بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ وموضع للمزيد
ويجوز ان يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة
وعن النبى عم يلقى فى النار اهلها وتقول هل من مزيد حتى يأتيها ربنا فيضع قدمه عليها فتنزوى وتقول قط قط اى يأتيها امر الله
فيردعها عن طلب المزيد فترتدع فان وضع القدم على الشىء مثل للردع والكف والمزيد مصدر كالمجيد والمحيد او مفعول كالمبيع
وقرا نافع وابو بكر يوم يقول بالياء اى يقول الله والباقون بالنون وقراءة الحسن والاعمش يقال وهو فى حرف عبد الله وقراءة ابن عباس
يقول الله بزيادة الله فتقول بالفاء وازلفت الجنة للمتقين اى قربت وادنيت للذين اتقوا ربهم فى محافظة حدوده و
واحكامه او للمتقين الشرك غير بعيد نصب على الظرف اى مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره صفة محذوف اى شيئا غير بعيد
ومعناه التوكيد كقولك هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل او على زنة المصدر كالزئير والقليل والمصادر يستوى فى الوصف
بها المذكر والمؤنث او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على ارادة القول اى يقال لهم هذا ما توعدون وهذا اشارة
الى الثواب او الى مصدر ازلفت وقراءة ابن كثير يوعدون بالياء لكل اواب رجاع الى ذكر الله وهو بدل من المتقين باعادة الجار
وقال سعيد بن المسيب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبى ومجاهد هو الذى يذكر ذنوبه فى الخلاء فيستغفر منها
وقال الضحاك هو التواب وقال ابن عباس وعطا هو المسبح من قوله يا جبال اوبى وقال قتادة المصلى حفيظ حافظ لحدوده
وعن ابن عباس حافظ لامر الله وعنه ايضا يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله
من حقه وعن الضحاك المحافظ على نفسه المتعهد لها وعن الشعبى الحفيظ هو المراقب وعن سهل الحافظ على الطاعات والاوامر
من خشى الرحمن بالغيب بدل بعد بدل تابع لكل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف
من بين الموصولات الا بالذى وحده او مبتدأ خبره الامر الآتي بعده من غير تقدير شىء فان وقوع الانشاء خبرا من الامر وغيره
غير عزيز فى كلام العرب الا يرى الى قولهم زيدا ضربه وعمرو اللهم اضرب به وابن ابوك وكيف حالك ومنه الحكم ومنه الدعاء فى قوله تع بل
انتم لا مرحبا بكم والتاويل بتقدير القول كما ذكر الزمخشرى وغيره مما من التعسف فى اكثر المواضع وبالغيب حال من الفاعل اى من خشيه غايبا
عنه او المفعول اى غايبا عنه لم يره ببصره او صفة لمصدر محذوف اى خشية خشية ملتبسة بالغيب مقرونة به حيث خشى عذابه وهو غايب
او خشيه بسبب الغيب الذى اوعده به من عذابه وقال الضحاك والسدى يعنى فى الخلوة حيث لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى الستر واغلق
الباب وقيل من خاف الرحمن فاطاعه بالغيب ولم يره وتخصيص الرحمن بالذكر من بين الصفات للايذان بانهم يخشون خشية مع علمهم بانه
الواسع الرحمة او بانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه قبل حلوله ومعاينة اهواله ولا يغترون برحمته الواسعة التى سبقت غضبه ونظيره
قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات وجاء بقلب منيب تائب راجع الى الله بما يحب و
يرضى والانابة هو الرجوع الى الله وقيل مخلص مقبل الى طاعة الله ادخلوها بسلام اى ادخلوا الجنة سالمين من العذاب وزوال
النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود اى يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين مقدرين الخلود لهم ما يشاؤن
فيها وذلك انهم يسألون الله حتى ينتهى مسئلتهم فيعطيهم ما شاؤا ثم يزيدهم من عنده ما لم يسألوه وهو قوله ولدينا مزيد يعنى زيادة
لهم فى النعيم ما لم يخطر ببالهم ولم يبلغه امانيهم وهو النظر الى وجه الله الكريم قاله جابر بن عبد الله وانس بن مالك رضى وهو المختار عندنا
وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله تع ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم للتكثير

الثنا



ههنا وقعت مفعول اهلكنا ومن قرن مميزها ومبنى لابهامها اى وكثيرا من القرون اهلكنا قبل قومك وقوله هم اشد منهم بطشا
فى محل النصب على انه صفة كم اى اشد منهم قوة كعاد وثمود وفرعون فنقبوا فى البلاد فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او جالوا فى الارض ساروا
كل مجال حذر الموت والفاء على الاول للتسبيب عن قوله اشد منهم بطشا اى شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه
وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشىء والبحث والطلب وقيل اصله من النقب وهو الطريق كانهم سلكوا
كل طريق وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل راوا محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده
قراءة من قرا فنقبوا بلفظ الامر كقوله فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير
قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى اكثروا السير فى البلاد حتى نقبت اقدامهم واخفاف مراكبهم هل من محيص اى هل لهم
من الله او من الموت مفر ان فى ذلك فيما ذكر فى هذه السورة من العبر والاخبار واهلاك القرون لذكرى لتذكرة وموعظة
لمن كان له قلب اى قلب ناظر فيما ينبغى ان ينظر فيه حافظ لما يجب حفظه لان من لا يعى قلبه ولا يحفظ فكانه قد عدم القلب
جملة وفيه تخييل ان من لم ينتفع بقلبه كالعادم للقلب جملة صفة قلب وقال ابن عباس لمن كان له قلب اى عقل وهو ضعيف جدا لانه ان اراد
ان المعنى لمن كان له عقل مطلقا فهو ظاهر الفساد وان اراد ان المعنى لمن كان له عقل ينتفع به ويعمله فيما خلق له من النظر فهو مما
لا طائل تحته فان تفسير القلب بالعقل ثم تقييد العقل بما فيه عرى عن الفايدة لصحة وصف القلب بذلك بدليل قوله تع
لهم قلوب لا يفقهون بها وكان ههنا محتمل على اربعة اوجه ناقصة اسمها قلب وخبرها له او تامة فاعلها قلب وله متعلق بها او زائدة
وله قلب مبتدا وخبر والمعنى لمن له قلب او التى فيها ضمير الشان فمن كان ضمير الحديث وهو اسمها وله قلب مبتدا وخبر فى موقع الخبر
فيكون اسمها على هذا الوجه ضميرا مبهما وخبرها جملة ليس فيها ضمير يعود الى اسمها جعلت قسما على حالها منفردا والاربعة الناقصة
او القى السمع او اصغى للاستماع وهو شهيد اى حاضر بذهنه وفطنته ليفهم معانيه فان من لا يحضر ذهنه فكانما غايب
او شاهد بصحته وصدقه وانه وحى من الله فيلين قلبه ويخشع عند تلاوته ويتفكر فى عبره وقوارعه وزواجره فيعتبر بها ويتعظ
فان المراد بهذه الاية الحث على التفكر والتوبيخ على تركه وقيل او هو بعض الشهداء فى قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة
وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وفى تنكير القلب تعظيم لشانه وابهام لامره ودلالة على ان كل قلب لا يتفكر
ولا يتعظ وقراءة السدى وجماعة القى السمع على البناء للمفعول ومعنا لمن القى غيره السمع وفتح له اذنه فحسب ولم يحضر ذهنه
وهو حاضر الذهن لا متفطن وقيل القى سمعه او السمع منه ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام سبق
تفسيره غير مرة وما مسنا من لغوب من اعياء وتعب وهو رد وتكذيب لما زعمت اليهود من التربع بدء خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وروى انهم قالوا يا محمد اخبرنا بما خلق الله من الخلق
فى هذه الايام الستة فقال عم خلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين والجبال يوم الثلثاء والمداين والانهار والاقوات يوم
الاربعاء والسموات والملائكة يوم الخميس الى ثلث ساعات من يوم الجمعة وخلق فى اول الثلث الاجال وفى الثانية الآفة وفى الثالثة
آدم قالوا صدقت ان اتممت قال وما ذلك قالوا ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فنزلت الاية ردا عليهم وتكذيبا لهم
قال العلماء ان الذى وقع من التشبيه لهذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم اخذ وقرئ لغوب بفتح اللام بوزن القبول والولوع
فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون واليهود من انكار البعث والشرك والتشبيه لان من قدر على خلق العالم بلا تعب
قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة باية السيف وقيل الصبر مامور به فى كل حال وسبح بحمد ربك التسبيح ههنا
يحتمل ان يراد ظاهره يعنى وقل سبحان الله حامدا له وتنزيهه عن العجز عن كل ممكن والوصف بما فيه من شائبة التشبيه حامدا له
على ما انعم عليك من النعماء والآلاء التى من جملتها النبوة واصابة الحق اى هم اوو اذكره مسبحا حامدا له زيادة فى عبادته والثناء عليه
لزيادة انعامه عليه وان يراد الصلوة

ولقد خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام

اى وصلّ حامدًا لربك قبل طلوع الشمس يعنى صلوة الفجر وقبل الغروب يعنى صلوة العصر وعن ابن عباس الظهر والعصر
فانهما قبل غروب الشمس وفى ذكر هذين الوقتين من بين الاوقات ابانة لفضلهما وفضلها على غيرها وان التسبيح فيهما بكان
ومن الليل فسبحه اى وبعض الليل فصل يريد صلوة المغرب والعشاء فادخل من التبعيضية على الظرف كما دخلت على
المفعول فى قوله تع يغفر لكم من ذنوبكم وقيل التهجد وادبار السجود التسبيح فى ادبار الصلوات واعقابها جمع دُبر من ادبرة
الصلوة اذا انقضت والسجود والركوع يعبّر بهما عن الصلوة وعن عمر وعلى رض ادبار السجود الركعتان بعد صلوة المغرب
وادبار النجوم الركعتان قبل صلوة الفجر وعليه جمهور المفسرين وعن النبى عم من صلى بعد المغرب قبل ان يتكلم كتب صلوته فى
عليين وقال ابن مسعود ما احصى ما سمعت رسول الله عم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب والركعتين قبل صلوة الفجر
بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وعن ابن عباس الوتر بعد العشاء وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان
فى ادبار الصلوات المكتوبة قال ابو هريرة قال رسول الله عم من سبح فى دبر كل صلوة ثلثا وثلثين وكبر الله ثلثا وثلثين وحمد
الله ثلثا وثلثين فذلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت
خطاياه وان كان مثل زبد البحر وقرأ نافع وابن كثير وحمزة وخلف وابو جعفر وادبار بكسر الهمزة مصدر من ادبرت الصلوة
اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود كقولهم اتيك طلوع الشمس او خفوق النجم والباقون بفتحها واستمع
لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به كما روى عن النبى عم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ استمع
ما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك يوم ينادى المنادى يريد بالمنادى اسرافيل فانه ينفخ فى الصور وينادى ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادى
بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهى وسط الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا قال الكلبى
وقيل باثنى عشر ميلا وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية وقيل
بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء ولعل فى الاعادة نظير كن فى الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج اى يوم
ينادى المنادى يخرجون من القبور سراعا يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة
والمراد به البعث والحشر جزاء ذلك يوم الخروج من الاجداث وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد انا نحن نحيى ونميت
فى الدنيا وتكرير الضمير بعد ايقاع اسم ان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص الله وتفرده بالاحياء والاماتة ليمتنع فى انفس عباده
انه اذا كان هو المحيى والمميت لم يكن احياؤه واماتته على اى وجه كان الا على وجه الحق والصواب لا يحوم حول ذلك الباطل
والخطاء والينا المصير اى لا يصيرون فى العاقبة للجزاء الا الينا فليستعدوا للقائه يوم تشقق عنهم سراعا قرأه
نافع وابن عامر وابن كثير وابو جعفر ويعقوب تشّقّق بتشديد الشين والباقون بتخفيفها وقرئ تُشَقّق مبنيا
للمفعول وتنشق وسراعا حال من المجرور اى مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وقدم الظرف للاختصاص
اى لا يتيسر ذلك الحشر الا على بليغ العلم والقدرة الذى لا يشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
نحن اعلم بما يقولون بما يقول هؤلاء المشركون واليهود من الكفر والتكذيب والتشبيه وانكار الخلق والنشر وهذا
تهديد لهم وتسلية لرسول الله عم وما انت عليهم بجبار بمسلط تجبرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما
داع ومنذر فذكر بالقران من يخاف وعيد من يخاف ما اوعدت العصاة من العذاب اذ لا ينتفع به غيره وقال
ابن عباس يا رسول الله عم لو خوفتنا فنزلت الاية عن النبى عم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت
وسكراته سورة الذاريات ستون اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا والذاريات الرياح

لانها

لانها تذرو التراب وغيره كما قال تذروه الرياح اى تفرقه وقيل تنسفه وقيل هى او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب
التى تذرو الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأه ابو عمرو وحمزة بادغام التاء فى الذال والباقون بالاظهار فالحاملات وقرا اى
فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك بيان للاسباب وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول
بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا فالسفن الجارية فى البحر جريا يسرا اى ذا يسر وسهولة على ان يسرا صفة لمصدر
محذوف او الرياح الجارية فى مهابها او الكواكب الجارية فى منازلها قرأ ابو البرهسم فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا بادغام
التاء فى الواو والياء ولم يسمع من احد غيره فالمقسمات امرا هى الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق
وغيرها او تفعل التقسيم مامورة بذلك وعن مجاهد يتولى امر العباد جبرئيل للغلظة وميكائيل للرحمة وعزرائيل لقبض الارواح
واسرافيل للنفخ او الرياح تقسم الامطار بتصريف السحاب او السحب يقسم الله بها ارزاق العباد او اسباب القسمة تقسيمه
من الكواكب وغيرها فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة
على كمال القدرة فكانه قيل اقسم بالرياح فبالسحب التى تسوقها فبالسفن التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن
الله من الامطار ومنافع البحر وان لم تحمل عليها فالفاء لترتيب الافعال لان الريح تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا
فتحمله فتجرى به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر والمعنى اقسم بالرياح الذارية للتراب والحصاة والابخرة الحاملة
للوقر وهو السحاب الجارية به المقسمة للامر وهو الرزق من المطر وغيره انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب
القسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة
اى ان الذى وعدكم الله اياه من البعث والحشر او من الثواب والعقاب لصادق او مصدرية اى ان وعدكم لصادق
ووعد صادق كعيشة راضية فان اسم الفاعل سند الى المفعول به اذ الوعد مصدوق والعيشة مرضية والدين الجزاء
والواقع الصالح والسماء ذات الحبك ذات الطرائق وهى الطرائق المحسوسة التى هى مسائر الكواكب او المعقولة التى يسلكها
النظار ويتوصل بها الى المعارف وقال الحسن حبكت بالنجوم لان لها طرائق ولانها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى
وقال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقيل حبكها صفاقتها
واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم اى محكمها واذا جاد الحائك الحياكة قالوا ما احسن حبكه وهى جمع حبيكة كطريقة وطرق
او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بسكون الباء والحبك بوزن الابل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق
والحبك بوزن النعم قال عكرمة هو البنيان الحسن الا يرى ان الحائك اذا جاد الثوب يقال ما اجوده ما احبكه انكم لفى قول
مختلف فى القران وهو قولهم انه شعر وسحر وافتراء واساطير الاولين وفى الرسول شاعر وساحر ومفتر وغير ذلك وفى القيمة
فان من الناس من يقطع القول باقرارها ومنهم من يقطع القول بانكارها ومنهم من يقول ان نظن الا ظنا وعن الضحاك قول
قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف ولعل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتناهى اغراضها
بالطرائق للسموات فى تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك الضمير فى عنه للقران او الرسول او الايمان او
ما توعدون او الدين اى يصرف عنه من صرف اذ لا صرف اشد منه واعظم فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف عنه من صرف
فى علم الله وقضائه ويجوز ان يرجع الضمير الى مختلف على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون
عن اكل وعن شرب اى يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن عنهما او
وبسببهما وقرئ من افك مبنيا للفاعل اى من افك الناس وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان وذلك ان الحى
كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله عم فيقولون احذره ويقولون انه ساحر وكاهن ومجنون
فيرجع فيخبرهم

وعن زيد بن علي يؤفك عنه من افك اي يصرف الناس من هو مأفوك في نفسه وعنه ايضا يؤفك عنه من افك اي يصرف الناس عنه
من هو افاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن اي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا قتل الخراصون قتل الكذابون
من اصحاب القول المختلف وهو دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن
وقبح واللام للعهد اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون اي قتلهم الله وعن مجاهد هم الكهنة الذين هم في غمرة في
جهل يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به وقيل عن امر الآخرة يسئلون ايانو فيقولون ايان يوم الدين اي متى يوم
الجزاء اي وقوعه وقرئ إيان بكسر الهمزة وهي لغة يوم هم على النار يفتنون يحرقون ويعذبون جواب للسؤال وانتصب يوم
بفعل مضمر دل عليه السؤال اي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز ان يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهو الجملة
ومحله اما نصب بالمضمر الذي هو يقع او رفع هو يوم هم على النار يفتنون ويدل عليه قراءة ابن ابي عبلة بالرفع وقرئ
يفتنون ذوقوا فتنتكم على ارادة القول اي تقول لهم خزنة النار ذوقوا فتنتكم وعذابكم بشارة لهم به او يقال لهم يوم
القيمة ذوقوا وهو في محل النصب على الحال اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون اسم الاشارة مبتدأ خبره
الموصول بصلته اي هذا العذاب هو الذي تستعجلونه في حيوتكم الدنيا او بدل من فتنتكم اي ذوقوا هذا العذاب فيكون في محل
النصب والموصول صفته ان المتقين في جنات وعيون نكرهما لتعظيمهما او لتكثيرهما كقوله ان لنا لأجرا وان لنا لغنما والمراد
بالمتقين هم الذين امنوا بالله ورسله آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما اعطاهم راضين به ومعناه ان جميع ما آتاهم مقبول
مرضي غير مردود ولا مسخوط لان كله حسن طيب ومنه قوله ويأخذ الصدقات اي يقبلها ويرضيها وآخذين حال من الضمير
في الجار وقراءة الجار آخذون بخبر بعد خبر لان او على انه خبر ان والظرف لغو انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا اعمالهم
وهو علة لاستيهالهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم وما مزيدة اي كانوا يهجعون في طائفة قليلة
من الليل او يهجعون هجوعا قليلا على ان قليلا نصب على الظرف او صفة مصدر محذوف او مصدرية اي كانوا في قليل من الليل
هجوعهم او موصولة اي ما يهجعون فيه وليست نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم
ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما المؤكدة لذلك وعن ابن عباس يعني
كانوا اقل ليلة تمر بهم الا صلوا فيها شيئا من اولها او من اوسطها وعن انس كانوا يصلون ما بين المغرب الى العشاء وعن محمد بن علي
كانوا لا ينامون حتى يصلون العتمة وبالاسحار هم يستغفرون يعني انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اشرعوا في الاستغفار
كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وعن الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فمدوا الى السحر ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار
وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلوتهم بالاسحار لطلب المغفرة وعن النبي عم انه قال من تعار من الليل
فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال
اللهم اغفر لي او دعا استجيب له فان توضأ قبلت صلوته وفي بناء الفعل على الضمير دلالة على انهم احقاء بالاستغفار لكمال عرفانهم
وفرط تقواهم وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة وفي اموالهم حق نصيب يلزمونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على
الناس وانما خصص بالسائل والمحروم ولم يذكر سائر المستحقين لان ذلك حق سوى الصدقة المفروضة بدليل قوله عم ان
في المال حقا سوى الزكوة للسائل للذي يسأل الناس وقيل للذي يستجدي اي يطلب العطاء والمحروم اي وللذي يتعفف
عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم الصدقة وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب المحروم الذي ليس له في الاسلام سهم
وقال قتادة والزهري المتعفف الذي لا يسأل وقيل صاحب الجائحة وعن النبي عم ليس المسكين الذي ترده الاكلة
والاكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمي له مال والحارف الذي لا يكاد
يكتسب

يكتسب وفي الارض ايات للموقنين اي وفيها دلائل من انواع الحيوان والاشجار والجبال والانهار ووجوه دلالات من الحدوث
والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع ووحدته وقدرته
وحكمته ومشيئته وتدبيره وكمال رحمته ورأفته وفي انفسكم ايات لهم من عجايب الصنع الدالة على كمال الحكمة والقدرة والتدبير [illegible]
وهو تخصيص بعد تعميم لان انفس الناس مما في الارض كما بيناه في الوجه الاول لكانه قيل في الارض ايات للموحدين العاقلين وفي
انفسكم خصوصا ايات لهم لان اقرب المنظور فيه من كل عاقل نفسه ومن ولده وما في بواطنها وظواهرها من الدلائل الواضحة
على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته وقيل اي وفي انفسكم ايات اذ ما من شيء في العالم
الا وله نظير في الانسان يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
الغريبة واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر اعتبار [illegible]
علم بانه قادر على ما سواها من الممكنات لتعلق قدرته بجميع الممكنات على التساوي وعدم اختصاصها بمقدور دون مقدور
وفي السماء رزقكم يحمل على حذف المضاف كانه قيل اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر لانه
سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير رزقكم هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن انه كان اذا راى السحابة قال لاصحابه
فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون من الثواب لان الجنة على ظهر السماء السابعة تحت العرش
او اراد ان كل ما توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب وغيرهما مكتوب مقدر في السماء وقيل انه مستانف خبره
فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا يرجع الضمير الى ما وعلى الاول يحتمل ان يرجع اليه والى ما ذكر من الايات [illegible]
وامر [illegible] والوعيد مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم [illegible]
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وخلف مثل بالرفع صفة لحق [illegible]
[illegible]
هل اتيك حديث ضيف ابرهيم [illegible]
[illegible]

وهو من المصادر التي لم تستعمل العرب افعالها قال سلام مبتدا خبره محذوف تقديره عليكم سلام وترك العطف قصدا الى الاستيناف فكان
قائل قال ماذا قال ابراهيم في جواب سلامهم فقيل قال سلام اي حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان تحيتهم كانت بالجملة الفعلية الدالة
على الحدوث كما ذكرنا وتحيته بالاسمية الدالة على دوام السلام وثباته لهم وقريا مرفوعين وقرا حمزة والكسائي وخلف قال سلم والسلم
السلام وقرئ قال سلما بالنصب وهو ليس بوجه قوي كما لا يخفى قوم منكرون ليسوا من معارفه او من جنس الناس المعهودين
اي انتم قوم منكرون
اولانه راى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم اولانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان
وفي ذلك الارض لان السلام لم يكن تحيتهم لانه علم الاسلام الذي هو دين محمد وقال ابن عباس قال ابراهيم في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم
فراغ الى اهله اي فذهب الى اهله في خفية من ضيوفه لان من ادب المضيف ان يبادر القرى من غير ان يشعر به الضيف مخافة
ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا ولذلك قد قيل ان التعجيل في الضيافة محمود والتاني مذموم فجاء بعجل سمين لانه كان عامة
مال البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم لياكلوا فلم ياكلوا ولما راى منهم ترك الاكل قال الا تاكلون للانكار عليهم ترك الاكل
والحث عليه وقيل الا تاكلون منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه
وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا وانما خافهم لظنه انهم يريدون به سوءا ولانه
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وروي ان جبرئيل مسح بجناحه العجل فقام يدرج اي تذبّ ومشى
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وقيل انما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف او التغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا
ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وبشروه بغلام هو اسحق وعليه الجمهور وعن مجاهد هو
اسمعيل عليم بليغ العلم اذا بلغ وعن الحسن عليم اي نبي فاقبلت امراته هي سارة اي فاقبلت الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم وقيل فاخذت في صرة في صيحة من صر الجندب والقلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت امراته صارة
او على المفعول ان فسر فاقبلت باخذت كقولك اقبل فلان يشتمني اذا اخذ في شتمك فصكت وجهها فلطمت ببسط يديها
او باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقيل جدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقيل صرتها قولها
اوه وقيل يا ويلتي وعن عكرمة رنتها وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلنا
مطلق اواز
وهو بشره (٥٩)
واخبرنا به او الحال او الامر كما قلت تصديقا لها قال ربك اي انما نخبرك عن ربك وهو قادر على ما تستبعدين
انه هو الحكيم العليم هو البليغ الحكمة والعلم بكل شيء من الكلي والجزئي فلا يقول كل ما يقول ولا يفعل كل ما يفعل الا
على وجه الحكمة والصواب وروي ان جبرئيل عم قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولما
علم ابراهيم عم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي فما شانكم وما طلبكم قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين متمادين في اجرامهم واثامهم مصممين عليها وهم قوم لوط
لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين طبخ كما يطبخ الاجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة اي معلمة
من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلمت بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على
انها ليست من حجارة الدنيا او مرسلة من اسمة الماشية عند ربك للمسرفين للمجاوزين الحد في الكفر والمعاصي وعن
ابن عباس للمشركين والشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر لها ذكر
لكونها معلومة من المؤمنين ممن الذين امنوا بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قالوا وفيه
من بينها
دليل على ان الايمان والاسلام واحد لان الايمان التصديق بالقلب اي اذعان حكم الخبر وقبوله وجعله صادقا والاسلام
هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان لها وهذا حقيقة التصديق كما لا يخفى على من له ادنى عقل وتامل والكار

ذلك

ذلك مكابرة وبهذا ظهر فساد ما قيل من ان الاستدلال به على اتحادهما ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبع
وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة واختلفوا فيهم فقيل هم لوط وابنتاه وقيل
كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك لانجاهم لتعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة
على اهله عند الله وتركنا فيها في مدينة قوم لوط اية حجة بينة وبرهانا نيرا يستدل بذلك المستدلون على كمال قدرتنا على
الانتقام من الكافرين والمشركين او عبرة يعتبر بها الخائفون بعدهم فلا يجترؤن على مثل ما اجترء هؤلاء عليه اذا سمعوا بحالهم
وبصغارهم عند الله وهوانهم عليه للذين يخافون العذاب الاليم لاعتبارهم بها وهي تلك الحجار او صخر منضود او ماء
اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض ايات او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقوله
كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين بحجة ظاهرة يظهر بها صدقه وحقية نبوته او موضح
يوضح الحق ويميزه عن الباطل ويظهر معه وهي معجزاته او عصاه لانها كانت ام اياته واكبرها وقد تعلقت بها معجزات
شتى من انقلابها حية عظيمة وابتلاعها افك السحرة وكونها حارسا وشمعا وشجرة خضراء مثمرة الى غير ذلك كما ذكرناه
بنفسه
فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به كقوله وناى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن اسم لما يركن
اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقيل الباء بمعنى مع اي فاعرض مع جمعه وجنوده الذين يتقوى بهم وقال ساحر
اي هو ساحر او مجنون هو ذو جنون وهو زوال العقل او فساده وقيل او على اصله كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا
الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرها وقال ابو عبيدة او بمعنى الواو فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فطرحناهم في البحر مع كثرتهم كما يطرح احدكم فيه حصيات اخذهن في كفه لا يبالي بها وبزوالها عنه وهو مليم ات بما يلام
عليه من الكفر والتكذيب والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه واسباب اللوم مختلفة فكل من صاحب الكبيرة وصاحب
الصغيرة ملوم على مقدار ذنبه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا خير فيها ولا بركة من انشاء مطر او القاء
شجر ولعله سماها عقيما لانها كانت سبب قطع الارحام من الولادة باهلاكها اياهم وقطعها دابرهم وهي من رياح العذاب
والهلاك واختلف فيها فعن علي رض هي النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه مرة
مرت عليه الا جعلته كالرميم كالتراب المدقوق من الرم وهو البلى والتفتت وقال كالتبن اليابس وقال قتادة كرميم الشجر
وقيل كنبات الارض اذا يبس وديس وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين الى وقت نزول العذاب وهو اخر ثلثة ايام الاربعاء
والخميس والجمعة فانهم عقروا الناقة يوم الاربعاء وهلكوا بالصيحة يوم السبت وقد فسروا قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام
فعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه كالمتكبر واعن امتثال عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح من قوله اعبدوا الله وقوله
فذروها ويا كل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه او صدر عتوهم عن امر ربهم وبسببه كان امر ربهم بعبادته وبترك الناقة
كان هو السبب في عتوهم فاخذتهم الصاعقة هي صيحة جبرئيل عم كما صرح بها في قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وقيل انها
صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وقراء الكسائي الصعقة
وهي المرة من الصعق والباقون الصاعقة وهي نفس النازلة من السماء وعن ابن عباس الصاعقة الموت وعن المقاتل
كل عذاب مهلك وهم ينظرون بعيونهم اليها لانها جاءتهم معاينة بالنهار وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون
اليهم وما ضرتهم فما استطاعوا من قيام فما قدروا ان يقوموا من تلك الصاعقة بل صاروا في ديارهم ميتين هالكين كقوله فاصبحوا
نائمين
في دارهم جاثمين او ان يدفعوا عن انفسهم من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه قراءة اليماني من اقام وما كانوا منتصرين
ممتنعين من العذاب وقوم نوح قرا حمزة والكسائي وابو عمرو بالجر عطفا على قوله وفي ثمود باضمار حرف الجر وفي قوم نوح وهي
قراءة ابن مسعود رض

والباقون بالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه او واذكر قوم نوح من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين متمردين من الكفر لخروجهم عن الايمان والطاعة بالكفر والمعاصي وهو علة لاهلاكهم والسماء بنيناها بايد بقوة والايد والكد القوة وقد آد يئيد فهو ايد انا لموسعون لقادرون من الوسع وهو الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء وما بينها وبين الارض او الرزق بالمطر على خلقنا والارض فرشناها مهدناها لتكون مكانهم الذي يستقرون و يتقلبون عليه كما يتقلب احدهم على فراشه ومهاده فنعم الماهدون نحن وهو المخصوص بالمدح المحذوف اي هم نحن فحذف المبتداء والخبر من غير ان يقوم شئ مقامهما قراءة الخليل فنَعِم بفتح النون وكسر العين ومن كل شيء خلقنا من الاجناس وقيل من الحيوان زوجين صنفين ونوعين مختلفين كالذكر والانثى والارض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر والموت والحيوة وقال الحسن كل اثنين من هذه المذكورات زوج والله تع فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لكي تذكروا فتعرفوا ان خالقها فرد لا شريك له ولا شبيه له وتعبدوه وحده فان الشركة والشبه والزوجية والتعدد من خواص المخلوقات وخالقها الذي هو الواجب بالذات يتعالى عن كل ذلك علوا كبيرا ففروا الى الله فالتجأوا الى الله بالايمان والعمل الصالح فارين اليه من الكفر والمعاصي وعن ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقيل ففروا مما سوى الله الى الله وقيل فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه بالايمان والطاعة وقيل ففروا الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به ونعم ما قال من قال من صح فراره الى الله صح قراره مع الله اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن كفر وعصى نذير مبين ظاهر كونه منذرا من الله بالمعجزات الواضحات او مظهر ما يجب ان يحذر عنه والفرار منه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه ويحذر عنه اني لكم منه نذير مبين تكرير الاول للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك خبر مبتداء محذوف اي الامر مثل ذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون تفسير لذلك ولا يصح ان يكون الكاف منصوبا باتى لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به الضمير للقول اي اوصى الاولون الآخرين وبعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون اضراب عن التواصي المنفي فان الهمزة للانكار المخرج به النفي اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهي مشاركتهم في الطغيان الحامل على هذا القول وقال ابن عباس حملهم على الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيبك فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة وعرفت منهم الاضراب والعناد واللجاج فما انت بملوم على اعراضك بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر ودم واثبت على التذكير والموعظة بايام الله وآياته فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه ومن آمن فانه يزداد بها بصيرة قال ابن عباس قال النبي عم ما من مؤمن الا وله ذنب قد اعتاده الفينة بعد الفينة ان المؤمن خلق مفتونا ناسيا فاذا ذكر ذكر وقيل اي تؤثر في الذين عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او يزيد الداخلين فيه ايمانا وروي ان الاية المتقدمة وهي قوله فتول عنهم لما نزلت حزن رسول الله عم واشتد ذلك على اصحابه ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله وذكر فان الذكرى تنفع الاية فطابت انفسهم وقال مقاتل عظ بالقرآن كفار مكة فان الموعظة تنفع من في علم الله ان يؤمن منهم وما خلقت الانس والجن الا ليعبدون اي وما خلقت هذين الفريقين الا لاجل العبادة وهي قيام العبد بما تعبد به وكلف من امتثال الاوامر والنواهي والا لطلب العبادة منهم وقد طلب من الفريقين العبادة في كتبه المنزلة على انبيائه وهذا التقدير صحيح لا تقدير الارادة لان الطلب لا يستلزم المطلوب بخلاف الارادة كما تقرر في موضعه وقال الكلبي والضحاك وسفيان هذا عام قد خص باهل طاعته من الفريقين بدليل قراءة ابن عباس وما خلقت

الجن

الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون واليه ذهب الزمخشري من قال ان معناه وما خلقت السعداء من الفريقين الا للعبادة وقال على رض معناه الا لآمرهم ان يعبدوني وادعوهم الى عبادتي وقال مجاهد اي الا ليعرفون وقيل الا ليخضعوا الي وقيل الا ليوحدوه فان المؤمن يوحده في الاحوال كلها واما الكافر فيوحده في الضراء دون السراء بدليل قوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قراءة الحسن وعيسى ليعبدوه بالياء ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم فاني غني عن العالمين فاشتغلوا بما يسعدكم في الدارين من عبادتي والمراد ان شانه مع عباده ليس كشان السادة مع عبيدهم لانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وارزاقهم ويجوز ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق من قصر الصفة على الموصوف اي لا رازق الا الله اي الذي يرزق كل احد من شانه الحاجة الى الرزق وفيه اشعار باستغنائه عنه قال عبد الله اقرأني رسول الله عم اني انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة اي القدرة لما مر في سورة البقرة من ان القوة تمام القدرة والمتانة شدتها وقرئ المتين بالجر صفة للقوة والمشهور الرفع على انه صفة لذو والمعنى وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ القدرة على كل شيء قراءة ابن عباس والاعمش المتين بالجر صفة للقوة وبهذا تبين ضعف ما قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراءة الا على القرب والجوار كقيل جحر ضب خرب فان للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله بالكفر والتكذيب نصيبا من عذاب الله مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من الامم المتقدمة المكذبة لانبيائهم وهو تمثيل اخذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء لان الذنوب هو الدلو العظيم المملو قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي فلا يستعجلوني بما وعدوا من العذاب لان له اجلا معلوما قراءة يعقوب فلا تستعجلون بالتاء فويل للذين كفروا عتوا على كفرهم ولم يتوبوا عنه ووضع المظهر موضع المضمر ايضاحا لظلمهم بالكفر واشعارا بان العذاب انما يلحقهم لكفرهم و واصرارهم عليه من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او من يوم بدر عن رسول الله عم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور تسع او ثمان واربعون اية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والطور اقسم الله بطور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر الكتابة من سطره اذا كتبه وقيل ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله بيده لموسى وهو يسمع صرير القلم او اللوح المحفوظ او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الصحيفة او الجلد الذي يكتب فيه وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور هو الضراح في السماء السابعة حذاء العرش وعمرانه بكثرة غاشيته من الملائكة وفي رواية يدخل كل يوم سبعون الفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون اليه ابدا او الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين او قلب المؤمن المخلص لكونه معمورا بالايمان والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء قال الله تع وجعلنا السماء سقفا محفوظا والبحر المسجور اي المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت وروي ان الله تع يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن ابن عمر قال رسول الله عم لا يركبن رجل بحرا الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا واليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب وعن علي بن ابي طالب ومقاتل انهما قالا ان البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر على العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقيل المختلط العذب بالملح السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل لا محالة قراءة زيد بن علي وابن عمير واقع بغير اللام ما له من دافع يدفعه

[illegible]

ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة
وقال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله عم في اسارى بدر فالفيته في صلوة الفجر يقرء سورة الطور فلما بلغ
ان عذاب ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مكانى حتى يقع العذاب ثم بين وقت
وقوع العذاب بقوله يوم تمور السماء مورا اى تضطرب وتجيئ وتذهب وقيل تدور لدوران الرحاء وتتكفاء باهلها
كما تتكفاء السفينة وقال قتادة تتحرك في تموج وهو الشيء الذى يتردد في عرض كالداغصة في الركبة وتسير الجبال سيرا اى
تسير عن وجه الارض وتزول عن امكنتها فتصير هباء منثورا كما قال وكانت هباء منبثا فويل يومئذ للمكذبين اذا وقع ذلك فويل
لهم اى فهلاك لهم وقيل فشدة العذاب يومئذ لهم الذين هم في خوض يلعبون الخوض في الاصل الشروع في الشيء ثم غلب
استعماله في الشروع في الباطل والكذب ومنه قوله وخضتم كالذى خاضوا وكنا نخوض مع الخائضين يوم يدعون الى نار جهنم
دعا اى يدفعون اليها بعنف وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعونهم الى
النار دفعا على وجوههم وزخا في اقفيتهم حتى يردوها وقرء زيد بن على يدعون من الدعاء اى يقال لهم هلموا الى النار و
ادخلوا النار فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التى كنتم بها
تكذبون اى تقول لهم خزنة النار هذه النار التى كنتم بها تكذبون في الدنيا افسحر هذا اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر افسحر هذا
اى هذا المصداق ايضا سحر فالفاء للعطف على محذوف والهمزة للانكار والتوبيخ وتقديم الخبر للاهتمام لانه المقصود بها ام انتم
لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يخبر عنه يعنى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهو تقريع
وتهكم وقيل ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا
اى ادخلوا النار على اى وجه اردتم من الصبر وعدمه فانه لا خلاص لكم عنها ولا مدفع وقيل اصلوها اى قاسوا شدتها سواء عليكم
مبتدأ او خبره محذوف او على العكس تقديره سواء عليكم الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء
الصبر وعدمه لان الجزاء لما كان واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيان في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اى
في اية جنات واى نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة فاكهين حال من
الضمير في الجار والظرف مستقر وقرئ فكهين وفاكهون بالرفع على انه خبر ان والظرف لغو اى متلذذين بما آتيهم من
ربهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتيهم ان كانت ما
مصدرية اى فاكهين باتيانهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم او على قوله في جنات او الواو للحال باضمار قد من المستكن
في الظرف او الحال من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا على ارادة القول اى يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا
وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف او مفعول محذوف اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا اى سايغا
طيبا لا اذى فيه ولا تنغيص بما كنتم تعملون بسببه او بدله وجوز ان يكون الباء مزيدة وما فاعل هنيئا و
المعنى هنأكم ما كنتم تعملون جزاؤه وجوز ان يكون معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل والشرب فيكون الباء متعلقة
بكلوا واشربوا والفاعل الاكل والشرب متكئين على سرر مصفوفة مصطفة يكون بعضها بجنب بعض قرء ابو السماك
سرر بفتح الراء وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم
ازواجا بسببهن والذين امنوا عطف على حور اى وصلناهم او قرناهم بالحور وبالذين امنوا اى بازواج حور وبرفقاء
مؤمنين كقوله اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقيل انه مبتداء
خبره الحقناهم وقوله واتبعناهم ذرياتهم بايمان اعتراض للتعليل او للترغيب في الايمان قرأ الكوفيون وابن كثير واتبعتهم

واتبعتهم

واتبعتهم وابن عامر ويعقوب واتبعتهم ذرياتهم بالجمع للمبالغة في كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم في الايمان ولاجله وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره
للتعظيم وانه ايمان خاص عظيم المنزلة او للاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة في اصل الايمان الحقنا بهم ذرياتهم او لادهم الصغار
والكبار في دخول الجنة او الدرجة لما روى ابن عباس ان رسول الله عم قال ان الله ليرفع ذرية المؤمن اليه في درجته وان كانوا
دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرء هذه الاية وفيها دلالة بينة على ان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لاحد ابويه و
تحقيقا للموعود به فانه تع اذا جعلهم تابعين لابائهم ولاحقين بهم في احكام الاخرة فينبغى ان يكونوا تابعين لهم ولاحقين
بهم في احكام الدنيا ايضا وعنه في حديث آخر قال النبي عم اذا دخل الرجل الجنة سأل عن ابويه وزوجته وولده فيقال له
انهم لم يبلغوا درجتك وعملك فيقول يا رب انى قد عملت لى ولهم فيؤمر بالحاقهم وعن على رضى سألت خديجة
النبي عم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية قال عم هما في النار فلما راى الكراهية في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت
يا رسول الله فولدى منك قال في الجنة ثم قال عم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا
الاية وقرأ الكوفيون ونافع وابن كثير ذريتهم بالافراد والباقون بالجمع وقرئ ذرياتهم بكسر الدال للاتباع وما التناهم
وما نقصناهم من عملهم من شيء بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم
يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت يالت والباقون بفتحها من الت يالت كضرب
يضرب او من الات يليت وقرئ الناهم من آلت يولت وقرئ ولتناهم من ولت يلت ولتناهم من لات يليت و
معنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اهلكها وقال
مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار والمؤمن لا يكون مرتهنا لقوله تع كل نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب
اليمين وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم في وقت بعد وقت ما يشتهون من انواع التنعيم يتنازعون
فيها يتعاطون ويتداولون هم وجلساؤهم من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير
في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اى لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله من الكذب والسب
والفواحش كما هو عادة الشاربين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زايلة
وهم حكماء علماء وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر وابو جعفر لا لغو فيها ولا تاثيم بالرفع والتنوين فيهما والباقون
بفتحهما وهو ابلغ لانه يوجب الاستغراق بخلاف الرفع فانه يجوزه ويطوف عليهم غلمان لهم اى مملوكون لهم مخصوصون
بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ مكنون مستور في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون
لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة الخادم فكيف المخدوم فقال ذكر لنا ان رجلا قال يا رسول الله هذا
الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة
من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يتحادثون ويسال
بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استحق به نيل ما عند الله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من
خشية الله او خائفين من عذابه او وجلين من ان لا يقبل منا عمل صالح كقوله وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون فمن الله
علينا بقبول اى لنا وبالامن والنجاة من عذابه ووقينا عذاب السموم عذاب النار التى تنفذ في المسام نفوذ السموم
وهى الريح التى تدخل المسام وقال الحسن السموم اسم من اسماء جهنم وقرئ ووقينا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل لقاء
الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقال ابن عباس اللطيف وقال
الضحاك الصادق فيما وعد

العظيم بيان

الرحيم اللطيف الرحمن والانعام او العظيم الرحمة الذى اذا عُبد اثاب واذا سُئل اجاب وقرأ نافع والكسائى وابو جعفر
انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على التذكير والموعظة ولا يثبطنك قولهم كاهن او مجنون ولا تكترث به فانه قول
باطل متناقض لان الكاهن محتاج فى كهانته الى الفطنة ودقة نظر والمجنون فاسد عقله فما انت بنعمة ربك بحمد
الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا مجنون كما يزعمون والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن
فى مستقبل الزمان من غير وحى ويدعى معرفة الاسرار ومطالعة علم الغيب والمجنون من له جنون وهو زوال العقل
او فساده ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول
من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالت الكفار ننتظر به نوايب الزمان فيهلك كما هلك
من قبله من الشعراء زهير والنابغة وطرفة وقرأ زيد بن على رضى وابن عمير يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول
قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا التناقض
فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى والشاعر دوم شعره
كلام مشتق موزون متخيل ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق وامر الاحلام بذلك التناقض مجاز عن
ادائها اليه كقوله اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد اباؤنا وقرئ بل هم قوم طاغون ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه
ام منقطعة بمعنى بل ايقولون ومعنى الهمزة فيه التوبيخ والانكار والتعجب وقد مر بيانه غير مرة بل لا يؤمنون فلكفرهم
وعنادهم يرمون هذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من
العرب ان كان الامر كما يزعمون فليأتوا بحديث مثله مثل هذا القرآن فى البلاغة وحسن النظم وقرئ بحديث مثله
بالاضافة والضمير لرسول الله ومعناه ان مثل محمد فى فصاحته وبلاغته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على
نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل ان كانوا صادقين فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن تحدوا فهو رد
للاقوال المذكورة بالتحدى او للمتقول لان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شئ ام احدثوا وقدروا التقدير
الذى عليه فطرتهم من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدون الخالق او من اجل لا شئ من عبادة وجزاء ام هم الخالقون الذين
خلقوا انفسهم حيث لا يعبدونه خالقهم وهو يقوى الوجه الاول ومن ثم عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام
فى هذه الآية منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله
وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون اذ لو ايقنوا ذلك لما تركوا عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة
من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء حتى يدبروها كيف
شاؤا وقرأ حفص وهشام وقنبل بالسين بخلاف عن حفص وقرأ حمزة بين الصاد والزاى والباقون بالصاد
ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين اليه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو
كائن من تقدم هلاككم على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة
تصدق استماع مستمعهم ام له البنات ولكم البنون هذا انكار عليهم حيث جعلوا الله ما يكرهون وقيل فيه تسفيه
لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم
اجرا على تبليغ الرسالة وعلى ما دعوتهم اليه من الدين والتوحيد فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون
الثقل يعنى لزمهم مغرم ثقيل اثقلهم فزهدهم ذلك فى اتباعك ام عندهم الغيب اى اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات
فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب وقال قتادة هذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون

نـ: بكاهن ولا بمجنون

يقول

يقول اعندهم علم الغيب اى علم ما غاب عنهم حتى علموا ان محمدا يموت قبلهم فهم يكتبونه ذلك ام يريدون كيدا وهو كيدهم
فى دار الندوة برسول الله عم وبالمؤمنين فالذين كفروا التعريف فى الذين يحتمل ان يكون للجنس اشارة الى كل من كفر بالله وان يكون
للعهد اشارة الى هؤلاء الكافرين المعهودين من اهل مكة فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب
للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون فى الكيد
من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم وشركة ما تشركون
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم هو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يعنى لو اسقطنا
عليهم من السماء بعض العذاب لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا لفرط طغيانهم وعنادهم هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا
ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا يعاينوا يومهم الذى فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى نفخة
الصعق وقرأ ابو جعفر يلقوا وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب يصعقون مبنيا للمفعول من صعق فهو مصعوق
قال الاخفش او من اصعق فهو مصعق قاله ابو على والباقون يصعقون بفتح الياء اى يموتون من صعق يصعق اذا مات
يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا لا يدفع عنهم مكرهم شيئا من عذاب الله او لا ينفعهم شيئا من النفع فى رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون
من العذاب وان للذين ظلموا يحتمل الجنس والعهد عذابا دون ذلك دون عذاب يوم القيمة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين
وعذاب القبر وهو وعيد عظيم وتهديد بليغ لاهل مكة على ظلمهم وفى مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
لفرط جهلهم وغفلتهم واصبر لحكم ربك بامهالهم وما يلحقك فيه من الكلفة والمشقة فانك باعيننا فى حفظنا بحيث نراك
ونكلاك اى بمرأى منا وقال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقال الزجاج انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون الى مكروهك
وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وقرأ ابو السمال وابان بن تغلب باعينا بالادغام وسبح بحمد ربك
حين تقوم من اى مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه لان العبادة فيه اشد موافقة بين السر
والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وابعد من الزلل واغلظ على النفس واوفق لما يراد من الخضوع والاخلاص ولذلك
افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل والمراد بقول سبحان الله وبحمده فى هذه
الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر قاله الضحاك
وعن مقاتل وادبار النجوم يعنى الركعتين قبل صلوة الفجر وذلك حين تدبر النجوم اى تغيب بضوء الصبح وهو قول اكثر
المفسرين وعن جبير بن مطعم انه قال سمعت رسول الله عم قرأ فى المغرب بالطور وقرأ سالم بن ابى الجعد وادبار
بفتح الهمزة اى فى اعقاب النجوم واثارها اذا غربت عن رسول الله عم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه
من عذابه وان ينعمه فى الجنة سورة النجم احدى او اثنان وستون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او بالثريا ومنه قوله عم ما طلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الا رفع يريد
بالنجم الثريا باتفاق العلماء اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او انقض او طلع لانه يقال هوى هويا بفتح الهاء اذا
سقط وغرب وهويا بضمها اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا هوى اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض
وقال الامام جعفر الصادق اراد بالنجم محمدا عم اذا نزل ليلة المعراج والهوى النزول وعن عروة بن الزبير ان عتبة
بن ابى لهب وكانت تحته بنت رسول الله عم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد
هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنى فتدلى ثم تفل فى وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال عم اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا ابن اخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره
ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا

فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابولهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد عم فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان • من يرجع العام الى اهله • فاكيل السبع بالراجع • وجواب القسم قوله ماضل صاحبكم ما عدل محمد عم عن الطريق المستقيم والخطاب لقريش وماغوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي نسبتهم اياه الى الضلال والغي اى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نقيض ذلك وماينطق عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورايه والهوى مصدر هويه اذا احبه واشتهاه ثم غلب على الميل الى الشهوات والمستلذات من غير داعية الشرع ومنه قيل صاحب الهوى للمبتدع لانه مايل الى ما يهويه في امر الدين فالهوى هو الميل المخصوص المذموم ولهذا نهى الله عنه انبياءه فقال لداود ولا تتبع الهوى ولنبينا عم ولا تتبع اهواءهم ومن ثم لم يمل احد من الانبياء اليه بدليل قوله عم ما اطلى نبي قط يقال اطلى الرجل اذا مال الى هواه ان هو اى ما القرآن او الذى نطق به الا وحي يوحى الا وحي من عند الله يوحيه اليه واحتج بهذه الاية من لم ير الاجتهاد للانبياء واجيب بان الله تع اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى ورد بانه ذكر حينئذ بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد القوة قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبرئيل عم لانه الواسطة في ابداء الخوارق على الباد ومن قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عم على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه في اقصى جبل بالهند والقوى جمع قوة فتشمل قوى الظاهرية والباطنية ذو مرة ذو حصافة في عقله ورايه ومتانة في دينه وعن ابن عباس اى منظر حسن وقال مقاتل ذو خلق طويل حسن لانه له ستمائة جناح موشحا بالجواهر وقال ابن المسيب ذو حكمة والمرة في الاصل القوة والشدة ومنها الحديث ولا لذي مرة سوي اى مستوى الخلق فاستوى فاستقام على صورة الحقيقية التي خلقه الله عليها دون الصورة التي يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك ان رسول الله عم احب ان يراه في صورته التي خلق عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو افق الشمس من جانب المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله عم مغشيا عليه فتمثل جبرئيل عم بشرا في احسن الصور وجعل يمسح الغبار عن وجهه وما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد عم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوة على ما جعل من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير عايد الى جبرئيل وقيل الى محمد عم والمعنى فاستوى جبرئيل ومحمد ليلة المعراج بالافق الاعلى وهو اقصى الدنيا عند مطلع الشمس ثم دنا فتدلى ثم قرب من النبي عم فتعلق به في الهواء وهو تمثيل وتصوير لعروجه بالرسول او ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من النبي عم وهو يشعر بانه عرج به غير منفصل عن محله ويقرر شدة قوته لان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق قال تدلى عليها بين سب وخيطة ويقال هو مثل القرلى ان راى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان جبرئيل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما قاب قوسين اى مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبرئيل الى عبده الى عبد الله وان لم يجر لاسمه تع ذكر لانه معلوم غير خاف على احد كقوله على ظهرها ما اوحى جبرئيل او الله اليه والنكتة في ابراد المفعول هاهنا اسم موصول التفخيم المراد به التعظيم والتهويل كانه قيل فاوحى اليه ما لا يعلم كنهه الا الله لعظمه ومنه قول ابي نواس وبلغت ما بلغ امرء بشبابه وجمهور المفسرين

على ان

على ان الضمير لكلها الله تع وهو المراد بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس وعن انس وابن عباس برواية ابي سلمة عنه دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين او ادنى والتدلي النزول الى الشيء حتى يقرب منه وقال مجاهد دنا جبرئيل من ربه والضحاك دنا محمد من ربه فتدلى اى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى وقرأ زيد بن علي قاد قوسين والقاد والقيد والقاب والقيب والقيس المقدار وقرئ قيد وقدر وقال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك وعن عايشة رضي انها قالت سالت النبي عم عن ذلك فقال اوحى الله الي لولا العتاب ما كان مع امتك الحساب وروي انه تع قال له قل لامتك ان احببتم احدا للاحسان اليكم فانا اولى به لكثرة نعمي عليكم وان انتم رجوتم احدا فانا اولى بذلك لانكم احب عبادي وان انتم استحييتم من احد لجفائكم اياه فانا اولى بذلك لانه منكم الجفاء ومني الوفاء وان انتم آثرتم احدا باموالكم وانفسكم فانا اولى بذلك لاني معبودكم وان صدقتم احدا في وعده فانا اولى بذلك لاني انا الصادق ماكذب الفؤاد ما راى اى ما كذب فؤاد محمد ما راى ببصره من صورة جبرئيل او الله تع اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه بعينه او ما راه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويعضده قوله عم رايته بفؤادي لمن قال له هل رايت ربك واعلم انهم اختلفوا في الذي راه فقال قوم هو جبرئيل وبه قال ابن مسعود وعايشة ومعاوية قالوا راى جبرئيل له ستمائة جناح وقال الاخرون هو الله تع واختلفوا في معنى الرؤية فقال ابن عباس جعل بصره في فؤاده فراه بفؤاده وقد روى ابو العالية عنه انه قال ماكذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى بفؤاده مرتين وقال انس والحسن وعكرمة وجماعة راى محمد ربه بعينه ويدل عليه قوله عم ان الله تع اعطى موسى الكلام واعطاني الرؤية وفضلني بالمقام المحمود والحوض المورود رواه جابر رضي وعنه عم رايت ربي تع في احسن صورة الحديث قيل اراد بالصورة الصفة وقرأ هشام وابو جعفر ما كذب بتشديد الذال اى صدقه ولم يشك انه جبرئيل بصورته او الله تع افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى تعديتها او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة لان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد راه نزلة اخرى مرة اخرى من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو وهو مبني على قول ابن عباس وانس والحسن وذلك انه كانت للنبي عم عرجات في ليلة المعراج لمسالة التخفيف في اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه في بعضها وقد روينا عن ابن عباس انه راى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه راى بعينه وقيل تقديره ولقد راه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الاخيرة عند سدرة المنتهى قيل سدرة المنتهى اى شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كاذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله والمنتهى موضع الانتهاء والانتهاء كانها في منتهى الجنة واخرها وقال ابن مسعود سدرة المنتهى صبر الجنة اى جانبها ينتهي اليها ما يعرج به من الارض فيقبض منها وما يهبط به من فوقها فيقبض منها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقال مقاتل هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان

نوات ورقة منها وضعت في الارض لاضاءت لاهلها وهو طوبى الذي ذكرها الله في سورة الرعد عندها جنة المأوى
الجنة التي ياوي اليها المتقون وارواح الشهداء وعن ابن عباس ياوي اليها جبرئيل والملائكة وقرأ علي وابن الزبير وجماعة
جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه وعن عايشة انكرته وقالت من قرأ به فاجنه الله اذ يغشى السدرة ما يغشى
تعظيم وتكثير لما يغشاها مما لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره من الخلايق الدالة على عظمة الله وكبريائه وجلاله وعن الحسن غشيها نور
رب العزة فاستنارت وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن ابي هريرة وابي العالية ومقاتل
غشيها نور الخلايق والملائكة من حب الله امثال الغربان حين يقعن على الشجرة فكلمه عنده كل فقال له سل وفي الحديث رايت
على كل ورقة منها ملكا قايما يسبح الله تع وفيه ايضا يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش
من ذهب ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله عم عما رآه يمينا ولا شمالا وما طغى وما جاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا
وما عدل عن روية العجايب التي امر بروايتها وما جاوزها لقد راى والله لقد راى من آيات ربه الكبرى اي لقد راى
الكبرى من آياته وعجايب الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما راى ويجوز ان يكون الكبرى صفة للايات على
ان المفعول محذوف اي شيئا من آيات ربه او من مزيدة او تبعيضية اي لقد راى بعض آيات ربه الكبرى وهو احسن لحصول
الاستغناء به عن تقدير المفعول الذي هو خلاف الظاهر وعن علقمة عن ابن عباس لقد راى رفرفا اخضر سد افق السماء
وعنه ايضا لقد راى جبرئيل في صورته وله ستماية جناح افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى اي بعدما رايتم
وعقيبها اخبروني عن هذه الاصنام التي تعبدونها وهي مونثات ومن حالكم انكم تحقرون الاناث غاية التحقير وقد
بلغ من تحقيركم اياها ان يستنكفوا من ان يولدن وينسبن اليكم فكيف تجعلونهن شركاء لله وتسمونهن آلهة اما تستحيون
من ذلك فاللات كانت لثقيف بالطايف او لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة
او يلتوون عليها اي يطوفون وقرأ رويس اللات بالتشديد ووقفها الكسائي بالهاء وزعموا انه سمي برجل كان يلت السويق
بالسمن ويطعم الحاج وعن مجاهد كان يلت السويق بالطايف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى شجرة لغطفان
يعبدونها واصلها تانيث الاعز فبعث اليها رسول الله عم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية
ويلها واضعة يدها على راسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
ورجع فاخبر رسول الله عم فقال عم تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهي فعلة
من مناه اذا قطعه لانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون
عندها الانواء تبركا بها والثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله يطير بجناحيه والاخرى ذم وهي المتاخرة الوضيعة المقدار
كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعفاؤهم لرؤسائهم ويجوز ان يكون الاولية لوثية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا
يقولون ان الملائكة وهذه بنات الله ويعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم الكم الذكر وله
الانثى انكارا لقولهم وهو المفعول الثاني لقوله افرايتم تلك اذا قسمة ضيزى جايرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه كما فعل في بيض لان فعلى بكسر الفاء لم يثبت صفة عند سيبويه الا مع التاء
كعزهات وسعلاة وحكى ثعلب وغيره رجل كيصى ومشية حيكى وامراة عزهى وسعلى وقال ابو علي كان القياس في
ضيزى ان يقال ضوزى لانه قد بعد من الطرف بحرف التانيث فلم يكن مثل بيض وعين وكانهم اثروا الكسرة والياء لخفتهما
ولم يخافوا التباسا حيث لم يكن في الصفات فعلى وقرأ ابن كثير ضئزى بفتح الضاد كذكرى ان هي الا اسماء اي ما هذه
الاصنام الا اسماء ليس تحتها في حقيقة مسميات لانكم تزعمون الالهية لها وليس فيها شيء من معنى الالهية ويحتمل ان يكون
الضمير

الضمير للصفة التي يصفونها بها من كونها آلهة وبناتا وشفعاء وان يكون لها المذكورة لانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار
استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين اي ما هذه الاسماء
الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم بهواكم وشهوتكم ما انزل الله بها من سلطان ما انزل الله بصحة تسميتها برهانا
تتعلقون به ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد وقرأ عيسى بن عمر سلطان بضم اللام ان يتبعون
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وقرئ ان تتبعون بالتاء وما تهوى الانفس وما
تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب فتركوه وقيل البيان بالكتاب والرسول
انها ليست آلهة وان العبادة لا تصلح الا لله الواحد القهار وقرأ عبد الله بن عيسى جاءكم بالكاف ام للانسان
ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان كل ما يتمناه من طمعهم في شفاعة الآلهة لانه تمن على
الله في غاية القبح والبعد ومن قولهم لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وقول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا ونحوها من تمنياتهم الباطلة فلله الآخرة والاولى
يعني ان الدارين مختصتان بالله لا يملكهما احد سواه فهو يعطي منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه
في شيء منهما وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لا تنفع شفاعتهم شيئا اي
احدا او شيئا من النفع وهو القليل منه وقرأ زيد بن علي شفاعته بالتوحيد اشارة الى الملك الا من بعد ان ياذن
الله في الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع
الاصنام الى عبدتهم ان الذين لا يومنون بالآخرة ليسمون الملائكة اي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم قالوا
الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به من علم اي بما يقولون وقرئ الا
بها اي بالملائكة او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي هو حقيقة الشيء انما يدرك
بالعلم والتيقن دون الظن والتوهم الذي لا اعتبار له في المعارف الحقيقية اذ العبرة به في العمليات وما هو وصلة اليها لا غير
وقيل الحق بمعنى العلم اي لا يقوم الظن مقام العلم وقيل الحق بمعنى العذاب اي ان ظنهم لا ينقذهم من العذاب في مصحف ابن مسعود
ما لهم بها من علم الا اتباع الظن فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوة من كان
معرضا عن ذكر الله وغم الآخرة مستمرا على ذلك ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولا تتهالك على اسلامه لان الدعوة لا تزيده الا عنادا
واصرارا على الاعراض والباطل ذلك اي ارادة الدنيا وايثارها على الآخرة وقيل اي امر الدنيا وكونها شهيتهم مبلغهم من العلم
نهاية علمهم واقصاه لا يتجاوزه والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا التي هي ابغض الخلق الى الله بشهادة حبيب
الله وهو قوله عم ان الله تع لم يخلق خلقا هو ابغض اليه من الدنيا وما نظر اليها منذ خلقها بغضا لها رواه ابو هريرة وقوله
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى علة للامر بالاعراض اي فاعرض عن دعوتهم انما يعلم
الله من يجيب دعوتك ممن لا يجيبها فلا تتعب نفسك في دعوتهم لانه ليس عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في
السموات وما في الارض اي جميع ما في هذين الجنسين مختص بالله خلقا وملكا وعلما فكيف يخفى عليه احوال الناس كلها
احوال هؤلاء الكفرة وان اخفوها فهو يجازيهم بما يستحقون من الجزاء فانه انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت ليجزي
الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
اي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او بالحسنى اي بسبب الاعمال الحسنى وقرأ عبيد بن عمير ليجزي ونجزي بالنون
فيهما

الذين يجتنبون كبائر الاثم مايكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد
وقرا حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش ومافحش من الكبائر خصوصا الا اللمم
الا ما قل وصغر لانه معفو عن مجتنبي الكبائر وهو استثناء منقطع او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا كانه قيل
كبائر الاثم غير اللمم والآلهة غير الله وعن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن ابن المسيب والسدي
ما خطر من الذنب على القلب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين
وعن ابن عباس فيه قال رسول الله عم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما ومحل الذين نصب على البدل او الصفة
او المدح او رفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغاير باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء
من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة
من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تع هو اعلم بكم اي اعلم منكم باحوالكم ومالكم الذي يؤول اليه امركم
اذ انشأكم من الارض حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق آدم عم واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم وحين صوركم
في الارحام والاجنة جمع الجنين وهو الولد ما دام في الرحم وسمي جنينا لاجتنانه في البطن فعيل من جنه اذا ستره
فلا تزكوا انفسكم فلا تمدحوها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذايل واهضموها واقروا عليها
بالذنوب والتقصير هو اعلم بمن اتقى لانه يعلم التقي وغيره منكم اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان
تخرجوا من بطون امهاتكم وقال الكلبي ومقاتل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله
هذه الآية افرأيت الذي تولى اعرض عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع عطيته وامسك من اكدى
الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فيمسك عن الحفر ويتركه ونحوه اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا
افحم واختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فيه فقال مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي عم على دينه فعيره
بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط وبخل بالباقي وقال السدي نزلت في العاص بن وايل السهمي كان ربما يوافق النبي عم
في بعض الامور وقال القرظي نزلت في ابي جهل كان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق واعطى قليلا واكدى اي
اي لم يؤمن به وقيل في عثمان وعبد الله بن سعد بن ابي سرح وذلك ان عثمان رض كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله وهو
اخوه من الرضاعة يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضاء الله وارجو عفوه فقال
له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى
ترك المركز يوم احد فعاد عثمان الى احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب فهو يرى اعنده علم ما غاب عنه وخفي عليه
فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه وان ما قاله له من احتماله اوزاره حق ام لم ينبأ لم يخبر بما في صحف موسى يعني
اسفار التورية قرأه طلحة صحف باسكان الحاء وابراهيم الذي وفى اي بالغ في الوفاء بالزمه او وفر واتم بما التزمه
كقوله فاتمهن وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمل غيره كالصبر على نار نمرود وذبح ولده وقيامه باضيافه وخدمته
اياهم بنفسه وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله بشيء الا وفى به
وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته
والعبد بسيده فاول من خالفهم ابراهيم عم وعن عطا بن السايب عهد ان لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل
وميكائيل الك حاجة قال اما اليكم فلا وعن ابي العالية وفى سهام الاسلام المذكورة في قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن

والتوفية

والتوفية الاتمام وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة
في المؤمنين قد افلح المؤمنون وعن النبي عم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة الضحى وروي الا
اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
حتى يختم الآيتين ذكره احمد في مسنده والطبراني في الفردوس وتقديم موسى لان صحفه وهي التورية كانت اشهر
واكثر عندهم قرأه زيد بن علي واليماني ومن الوفاء الا تزر وازرة وزر اخرى ان مخففة من الثقيلة اي انه لا تزر
وازرة والضمير ضمير الشان والمجموع في محل الجر بدلا من ما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما
وما في صحف موسى وابراهيم فقيل ان لا تزر وازرة اي ان لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تع كتبنا
على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عم من سن سنة سيئة فله
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس للانسان الا ما سعى
الا سعيه اي كما لا يؤاخذ بذنب الغير كذلك لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون
الناوي له كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه وعن ابن عباس انه قال هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة لقوله الحقنا بهم
ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الاباء وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا
وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله الهذا حج قال نعم ولك اجر وقال رجل
ان امي افتلتت نفسها فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان يعني الكافر
فاما المؤمن فله ما سعى وما سعي له وان سعيه سوف يرى سوف يبصره في ميزانه يوم القيمة او سوف نريه اياه
ونبصره وقرئ بالتخفيل يرى اي يريه كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يجزاه ثم يجزى العبد سعيه الجزاء الاوفى اي
بالجزاء الاوفر الاكمل فانتصابه بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا والضمير للجزاء الدال عليه يجزى ثم فسره بقوله
الجزاء الاوفى او ابدله عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلايق ورجوعهم كقوله والى الله
ترجعون واجمع القراء العشرة ورواتهم على فتح الهمزة على معنى ان هذا كله في الصحف وقرأ ابي بكسرها على انه منقطع
عما في الصحف وكذلك ما بعده والكسر ضعيف خارق للاجماع لفظا ومعنى وهو في حرف اليماني وابان بن تغلب وابن ابي عبلة
والسماك وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى خلق الضحك والبكاء والموت والحيوة وفي ضمير الفصل وتكريره
دلالة على ان ذلك مختص به لا يقدر عليه غيره فان كلا منها لا يحصل عند حصول متعلقه الا بفعل الله على سبيل العادة
وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اذا تدفق
في الرحم يقال مني وامنى او يخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان عليه النشأة الاخرى الاحياء بعد الموت
وفاء بوعده وقيل اي الخلق الثاني للبعث يوم القيمة والنشأة الاولى هي الابداء والنشأة الاخرى هي الاعادة وهي
وهي ابين من الاولى واخف وقرأ ابو عمرو وابن كثير النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأه وانه هو اغنى بما يحصل
به الغنى من الاموال وغيرها واقنى واعطى القنية وهي المال الذي تأثلته وعزمت ان لا تخرجه من يدك وافرادها لانها
اشرف الاموال وقال مجاهد ومقاتل ارضى بما اعطى وقنع وقال ابن زيد اغنى اكثر واقنى اقل وقال الاخفش اقنى افقر وقال
ابن كيسان اولد وانه هو رب الشعرى من نجم الجوزاء وهي التي تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان يقال
لاحدهما العبور والاخرى الغميصاء والمجرة بينهما واراد بالشعرى ههنا العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك
ابو كبشة احد اجداد رسول الله عم وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانت قريش تقول لرسول الله عم ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار

بانه عم وان وافق اباكبشة في مخالفتهم خالف ايضا في عبادتها يريد انه رب معبودهم هنا وانه اهلك عادا الاولى القدماء
لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا الاشراف او قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عاد لولى
بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرئ وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وقراءة قنبل وابو جعفر عادا الا ؤلى
بجعل الواو همزة بخلاف عن ابي جعفر وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقراءة عاصم وحمزة ويعقوب وثمود
بترك التنوين لمنع الصرف بتاويل القبيلة والباقون وثمودا بالتنوين بالصرف على انه اسم للحي او اسم ابيهم الاكبر
فما ابقى الفريقين وقوم نوح هو ايضا عطف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وما اثر فيهم
دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة اي والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط يقال افكه
فائتفك وقرئ والمؤتفكات اهوى اسقطها بعد ان رفعها الى السماء على جناح جبرئيل فغشاها ما غشى فالبسها
الله تع ما البسها من العذاب باسقاطها من جانب السماء الى الارض وامطار الصخرة المنضود عليها واورد المفعول
بلفظ الموصول تفخيما لما اصابها كانه قيل فغشاها ما لا يعلم كنهه الا الله فباي الاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول
او للانسان على الاطلاق وقيل للوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى اي تكذب وقد عدد نعما وسماها الاء لان
التحذير من نعائه وعذابه لطف والانتقام من الاعداء المستلزم لنصر الاولياء من اجل الالاء لحصول النجاة من
صحبتهم وريبتهم والعصمة من شرهم ومكرهم ولذلك امر بالحمد نوحا على ذلك في قوله فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين وقد حمد هو بنفسه على ذلك في موضع اخر تعليما لعباده حيث قال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين فهلاك اعداء الله من اعظم الالاء الواصلة على المؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن نذير
من جنس الانذارات التي انذر بها من قبلكم او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل
الجماعة ازفت الازفة قربت الساعة الموصوفة بالقرب في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة
اي ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او ليس لها نفس الان كاشفة بتاخيرها الا الله
او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالخائنة والعافية
وقراءة طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة افمن هذا الحديث وهو القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون تحزنا من ما فيه من الوعيد وعلى كشف ما فرطتم فان البكاء حق عليكم وعن رسول الله عم انه لم ير
ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو وانتم سامدون لاهون لاعبون او مستكبرون من
سمد البعير في مسيره اذا رفع راسه او مغنون من السمود وهو الغناء كانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولجبوا
ليشغلوا الناس عن استماعه فاسجدوا لله واعبدوا اي واعبدوه اي وخصوه بالعبادة ولا تعبدوا غيره من ملك
او بشر فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع عن ابي هريرة قال النبي عم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار عن النبي
من قرا سورة والنجم اعطاه الله تع عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة القمر خمسون
اية مكية بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة دنت القيمة لانه ما بقي من الدنيا
الا قليل قال ابن مسعود قال رسول الله عم ان الله تع خلق الدنيا كلها قليلا فما بقي منها قليل من قليل ومثل ما بقي مثل
الثغب شرب صفوها وبقي كدرها وانشق القمر عن انس ان الكفار سالوا رسول الله عم اية فانشق القمر مرتين وكذا

عن ابن عباس

عن ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت حراء
بين فلقتي القمر وقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسالوا السفار فسالوهم قالوا نعم قد رايناه وقيل معناه سينشق
يوم القيمة ويعضد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من اقترابها انشقاق القمر وهي قراءة
حذيفة وعنه انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم وان يروا اية
يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر دائم مطرد وهو يدل على انهم راوا قبله ايات اخرى مترادفة
ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او قوي محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع
من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا وقراءة سعيد بن
جبير واذا راوا اية اعرضوا وكذبوا واتبعوا اهواءهم وثمو على التكذيب للحق وعلى اتباع اهواءهم وهو تصديقهم للشيطان
فيما زين لهم من دفع الحق ورده بعد ظهوره وانتفاء الخفاء والشك عنه وكل امر مستقر منته الى غاية يستقر عليها من صدق
وكذب حتى يتبين اهل كل منها تبيينا ينزاح عنده الشك والشبهة وذلك بالثواب والعقاب وقيل منته الى غاية من خذلان
او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقال الكلبي لكل امر حقيقة ما كان
منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة فسيعرف وقرئ بفتح القاف اي ذو مستقر بمعنى ذو استقرار وذو موضع استقرار
او زمان استقرار وقرا ابو جعفر مستقر بكسر القاف والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب
كل امر مستقر يستقرون ويتبين حاله ولقد جاءهم في القرآن من الانباء اللام عوض عن المضاف اليه اي انباء القرون
الخالية او انباء الاخرى وما وصف من عذاب الكفار ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار
والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة حسنة وتاء الافتعال تقلب
دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها وقيل مزدجر متناهي مصدر بمعنى الازدجار
اي نهي وعظة يقال زجرته وازدجرته اذا نهيته عن السوء وقراءة زيد بن علي وابن عمر مزجر بالادغام حكمة بالغة غايتها
لا خلل فيها او قد بلغت الغاية في الانذار والنهي والموعظة وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما لانها
موصولة او موصوفة خصصت بالصفة فيحسن نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار وما منصوبة اي فاي
غناء تغني النذر وهي جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او المصدر بمعنى الانذار وما تنفعهم الانذارات فتول عنهم
فاعرض عنهم لعلمك بان الانذار لا ينفعهم وقيل نسخها اية القتال يوم يدع الداع الداعي اسرافيل او جبرئيل كقوله يوم ينادي
المنادي ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله كن فيكون وقرا ابو عمرو وورش وابو جعفر الداعي باثبات الياء وصلا
لا وقفا والبزي ويعقوب في الحالين والباقون باسقاطها اكتفاء بالكسرة للتخفيف ويوم منصوب بيخرجون او باضمار
اذكر او بنزع الخافض اي الى يوم يدع الداع الى شيء نكر منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة
وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم خاشعا
ذليلا ابصارهم من الهول فهو حال من الخارجين وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على
طرق الاصل وقرا نافع وابن كثير وابو جعفر خشعا ابصارهم على لغة من يقول يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني
البراغيث وهي بهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم وتقع ابصارهم بدلا منه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء
والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في
الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال الشاعر تعبدني
نمر بن سعد وقد ارى ونمر بن

سُعُرٍ مطيع ومُهطِع قراءة الذليل مُهْطِعِين بفتح الطاء يقول الكافرون هذا يوم عسر يوم صَعْبٌ شديدٌ كذبت قبلهم
قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا وهو تفصيل بعد اجمال ويجوز ان يكون معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب
كلما مضى منهم قرنٌ مُكَذِّبٌ تبعه قرنٌ مكذِّبٌ اوكذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن
التبليغ بالشتم والضرب والخنق والوعيد بالرجم ويجوز ان يكون من جملة قيلهم اى قالوا هو مجنون وقد ازدجرتْه
الجنُّ وتخبّطتْه وذهبتْ بلبّه وطارت بقلبه فدعا ربه اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب ٥
غلبتني قومي فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى فانتصر فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك
بعد يأسه منهم فقد رُوِى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر مُنْصَبٍّ فى كثرة وتتابع لم ينقطع اربعين يوما وقرأ
ابن عامر وابو جعفر ورويس ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كأنها عيونٌ
تتفجر واصله وفجرنا عيون الارض فغيّر للمبالغة ونظيره فى النظم واشتعل الراس شيبا وعن عبد الله واصحابه وابى حيوة
وفجرنا بالتخفيف فالتقى الماء يعنى مياه السماء والارض وقرئ الماءان لاختلاف النوعين وقرأ الحسن الماوان
بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء فى الازل من غير تفاوت او على حال
قُدِّرَتْ وسُوِّيَتْ وهى ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض سواء بسواءٍ او على امر قد قدر فى
اللوح انه يكون وهو هلاك قوم بالطوفان وقرأ ابو البرهسم وابو حيوة قد قدّر مشددا وحملناه على ذات الواح ذات
اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دِسار وهو المسمار فِعال من الدسر وهو الدفع الشديد لانه يُدسر به منفذه
وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها تؤدى مؤداها ولا يفصل بينهما ونحوه ولكن قميص مسرودة
من حديد اراد ولكن قميص درع وعن الحسن الدسر صدر السفينة سميت بذلك لانها تدسر الماء بجؤجؤها وقيل اضلاعها
وقال الضحاك اصلها وطرفها وقال مجاهد عوارضها والقول الجزل هو الاول تجرى باعيننا بمرأى منا اى بحفظنا ومنه قولهم
للمودع عين الله عليك وقيل بامرنا وقرأ زيد بن على وابو عمرو برواية العباس باعينّا بالادغام جزاء لمن كان كفر مفعول
له لما ذكر من فتح ابواب السماء وما بعده اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على
امته فكان نوح نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما حكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام فقال
انت نعمة حمدتُ الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير كانك قلت كُفر به ثم حذف الجار
فبقى الضمير ثم لما بنى للمفعول انقلب الضمير المجرور مرفوعا والبارز مستكنا وقرأ قتادة كفر اى جزاء للكافرين وقرأ
الحسن جزاءً اى مجازاة ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة اى جعلناها اية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر وعن قتادة
ابقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر
على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا مثل مُدَّجِر وعن عبد الله سمعت النبى عم يقرؤها بالذال
فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد وهو تقرير فيه تعجيب والنذر اما مصدر او جمع نذير بمعنى الانذار ٥
كاليقين بمعنى الايقان ومنه قولهم ايقنت يقينا ولقد يسرنا القران للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع
المواعظ والعبر والوعد والوعيد او للحفظ بالاختصار وعذوبة النظم او هيأناه للذكر من يسّر ناقته للسفر اذا رحلها
ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسّرا هنالك يجزينى الذى كنت اصنع وعن سعيد بن جبير
ليس شيء من كتب الله يقرؤه اهله ظاهرا الا القران فهل من مدكر متعظ وطالب للحفظ ليعان عليه كذبت عاد فكيف كان

عذابى



عذابى ونذر وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او انذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا
او شديد الصوت والهبوب فى يوم نحس شوم مستمر استمر شومه ودام او استمر عليهم حتى اهلكهم او استمر على
جميعهم صغيرهم وكبيرهم حتى لم يبق منهم احدا وكان يوم الاربعاء آخر الشهر لا تدور ويجوز ان يراد بالمستمر الشديد
المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم بايدى بعض ويتدخلون فى الشعاب
ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم الريح وتكبهم وتدق رقابهم وقرأ الحسن فى يوم نحسٍ اى يوم هو نحس بكسر
الحاء لغة كانهم اعجاز نخل منقعر اى كانهم اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على وجه الارض وقيل شبهوا
باعجاز النخل لان الريح قطعت رؤسهم فبقت اجسادا بلا رؤس واعجاز جمع عجز وهو الاصل كاعضاد وعضد
ونخل من الجنس الذى يفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد لكنه كثيرا ما يسمى جمعا نظرا الى المعنى الجنسى فتذكير
منقعر لاعتبار جانب اللفظ والتانيث فى قوله اعجاز نخل خاوية لاعتبار جانب المعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره
للتاكيد او لتكرير العذاب حيث قطعتهم الريح عضوا عضوا فانه قد روينا ان الله بعث عليهم السموم فكانت
تدخل فى انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا او اراد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة كما
صرح بذلك فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات والمواعظ والرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او جملتنا لا فضل له علينا
وانتصابه بفعل يفسره نتبعه وقرئ ابشرٌ منا واحدٌ بالرفع على الابتداء وخبره نتبعه والاول اوجه للاستفهام والفعل
اوفق بقوله فقالوا ابشر يهدوننا واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انكروا ان يتبعوا بشرا
مثلهم لما اعتقادهم الكفرة من التنافى بين الرسالة والبشرية انا اذا لفى ضلال وسعر كان نبيهم يقول ان لم تتبعونى
كنتم فى ضلال عن الحق وسعر اى ونيران جمع سعير وهو النار الشديدة الاشتعال فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا
اذن كما تقول وقيل الضلال الخطاء والبعد عن الصواب والسعر الجنون ومنه ناقة مسعورة قال كان بها سعرا اذا العيس
هزها ذميل وارخاه من السير متعب االقى الذكر الكتاب او الوحى عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو
كذاب اشر بطر متكبر حمله بطره وكبره وطلبه الترفع علينا على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم
او يوم القيمة من الكذاب الاشر من الكذاب الذى حمله اشره على التكبر عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن
عامر وحمزة ستعلمون بالتاء على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشُر بضم الشين كقولهم حَدِثٌ وحَدُثٌ
وحَذِرٌ وحَذُرٌ وقرئ الاشرّ اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقد حكى ابن الانبارى ان العرب
تقول هو اخير واشر وما اخيره وما اشره انا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا وذلك انهم
اقترحوا على صالح تعنتا ان يخرج لهم من صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة حمراء عشراء جوفاء
وبراء فاخرجها الله على ذلك فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر ٥
واصبر على اذاهم صبرا بليغا وقيل على ارتقابهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم بينهم لها شرب يوم وقال بينهم
تغليبا للعقلاء كل شرب محتضر محضور لهم او للناقة او يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره او يحضرون الماء
فى نوبتهم واللبن فى نوبتها وحضر واحتضر بمعنى واحد لكن غلب استعمال الاحتضار فيما فيه علامة الهلاك فنادوا صاحبهم
قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطى قتلها غير مكترث له فعقر فاحدث العقر بالناقة او فتعاطى
الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابى ونذر ثم بين عذابه
بقوله

انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل عم فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقال قتادة كالعظام النخرة المحترقة وقرا الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اى الحظيرة ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر بالانذارات والمواعظ والمواعيد والانبياء قراء الخليل بالنذْر باسكان الذال انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم بها الا آل لوط وهم اهل بيته الذين نجوا من العذاب ثلثة عشر وقيل يعنى لوطا وابنتيه نجيناهم بسحر فى سحر هو اخر الليل قالوا هو السدس الاخير منه وقيل هما سحران السحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاخر عند انصداعه وانشد مرت باعلى السحرين تذالى وصرف لانه نكرة ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه او سحرين نعمة من عندنا انعاما منا مفعول له كذلك نجزى من شكر مثل ذلك الجزاء نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة يعنى كذلك ننجى المؤمنين وقال مقاتل من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ولقد انذرهم خوفهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فشكوا بالنذر مكذبين او فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بضيفه وقيل طلبوا ان يسلم اليهم اضيافه فطمسنا اعينهم فمسحناها وجعلناها كساير الوجه لا يرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبرئيل بجناحه صفقة فتركهم عميا يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط وقال الضحاك طمس الله ابصارهم فلم يروا الرسل قالوا قد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا والقول الاول ما عليه الجمهور فذوقوا عذابى ونذر على ارادة القول اى فقلت لهم ذوقوا على السنة الملائكة او على ظاهر الحال فوكم ونذر اى وما انذركم به لوط من البطشة ولقد صبحهم بكرة جاءهم وقت الصبح الذى هو اول النهار كقوله مشرقين ومصبحين وقراء زيد بن على بكرةَ غير منصرف على ان المقصود به اول نهار معين عذاب مستقر دائم استقر عليهم حتى يفضى بهم الى عذاب الاخرة فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك فى كل قصة ليستيقن الناس ان تكذيب كل رسول لازم للعذاب ويجددوا عند استماع كل قصة من قصص الاولين اذكارا واتعاظا ويستانفوا تنبيها وايقاظا لئلا يغلبهم السهو ولا يستولى عليهم الغفلة وهكذا تكرير قوله فباى الاء ربكما تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين ونحوهما من الانباء والقصص والمواعيد والزواجر والقوارع فان فى التكرير تقريرا للمعانى فى الاسماع والقلوب وتثبيتا لها فى الصدور وكلما زاد تكرير الشىء وترديده كان اقرّ له فى القلب وامكن فى الصدر وارسخ فى الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك النذر موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون او جمع نذير بمعنى المنذر منه او الانذار كذبوا باياتنا كلها اى بالايات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شىء اكفاركم يا اهل مكة او يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اى اهم خير قوة وعدة ومكانة فى الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعنى ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام لكم براءة فى الزبر ام نزل فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب كان آمنا من عذاب الله فامنتم بتلك البراءات قراء الخليل فى الزبْر باسكان الباء ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع قراء ابو حيوة ام تقولون بالتاء لقوله ام لكم براءة منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع وعن ابى جهل انه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فنزلت سيهزم الجمع

ويولون الدبر اى الادبار كقوله كلوا فى بعض بطنكم تعفوا وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دليل النبوة وعن عكرمة لما نزلت هذه الاية قال عمر اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر وراى رسول الله عم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع علم تاويلها قراء ابن جبير وابن يعمر سنهزم بالنون وابن ابى عبلة سيَهزِم الجمعَ مبنيا للفاعل وهو الله وقراء اليمانى يولون وقراء الخليل وتولون الدبْر باسكان الباء وقرئ الادبار بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلى وما يحيق بهم فى الدنيا فمن طلايعه والساعة ادهى اشد وافظع والداهية امر منكر لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من الهزيمة والقتل والاسر ان المجرمين فى ضلال فى بعد من الحق وقيل فى هلاك وقيل فى ذهاب عن طريق الجنة فى الاخرة وسعر نيران فى الاخرة يوم يسحبون فى النار على وجوههم يجرون عليها عن النبى عم اول الناس يقضى فيه ثلثة رجل استشهد اتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال قاتلت فى سبيلك حتى استشهدت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جرئ فقد قيل فامر فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل تعلم العلم وقراء القرآن فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها فقال تعلمت العلم وقرات القرآن وعلمت قال كذبت انما اردت ان يقال فلان عالم وفلان قارئ فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل اتاه الله من انواع المال فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها قال ما تركت من شىء يحب ان ينفق فيه الا انفقت فيه لك قال كذبت انما اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل فامر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار وقراء ابن ابى عبلة الى النار مكان فى ذوقوا مس سقر محمول على اضمار القول اى يقال لهم ذوقوا حر النار والمها لان مسها سبب للتالم بها وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته وقيل سقر اسم لطبقتها الخامسة وعدم صرفها للتعريف والتانيث انا كل شىء خلقناه بقدر كل شىء منصوب بفعل مضمر يفسره الفعل المظهر والقدْر والقدَر التقدير اى انا خلقنا كل شىء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه وقرئ بالرفع على الابتداء فيكون خلقناه خبر الا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على ان كل شىء مخلوق بقدر وقيل لعل اختيار النصب هيهنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وعن عبد الله بن عمر سمعت رسول الله عم يقول كتب الله مقادير الخلايق كلها قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وعرشه على الماء وعنه عم كل شىء بقدر الله حتى العجز والكيس قراء زيد بن على بقدْر ساكن الدال وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهى كن او الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة كلمح بالبصر فى اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وعن ابن عباس يريد ان قضائى فى خلقى اسرع من لمح البصر وعنه ايضا وما امرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم فى الكفر من الامم المتقدمين فهل من مدكر متعظ يتعظ بذلك ويعتبر وكل شىء فعلوه فى الزبر مكتوب فى كتب الحفظة او دواوينهم وقيل فى اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن مستطر مسطور فى اللوح قراء عاصم برواية ابى حاتم مستطّر بتشديد الراء قال عصام اشكل فيها ان المتقين فى جنات ونهر فى بساتين وانهار واكتفى باسم الجنس وقال الضحاك ونهَر اى ضياء وسعة ومنه النهار وقرئ بسكون الهاء وقراء الاعرج نُهُر جمع نَهَر كاسد واسد وقيل هو جمع نهار يعنى نهارا لا ليل لهم فى مقعد صدق فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق عند مليك مقتدر عنديكم مبهم امره فى الملك والاقتدار فلا شىء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن النبى عم من قراء سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن ست وسبعون اية مكية او مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن قيل نزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر ولما عدد الله فى هذه السورة النعم الدينية والدنيوية صدرها بالرحمن

اشعاراً بان النعم بها في الدارين ومُبيدُها بانعامها على عباده فان الرحمن رحمان الاخرة والدنيا ومعناه العطوف على الخلق بالايجاد
والهداية الى اسباب السعادات الدنيوية والاخروية ثم ذكر تعليم القرآن الذي يفاز به تلك السعادات كلها لا يشذ منها شئ
ولهذا قال رسول الله عم اكرموا حملة القرآن فمن اكرمهم فقد اكرم الله الا لا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فانهم من الله بمكان
كاد حملة القرآن ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم رواه ابن عمر رضي قال عم افضل عبادة امتي تلاوة القرآن وقال عم اشرف
امتي حملة القرآن واصحاب الليل وقيل لما قصدت السورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن فقدم ما هو اصل
النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشاء الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو
باعجازه واشتماله على خلاصتها مُصدِّق لنفسه ومصداق لها والمعنى علم القرآن عباده كما قال وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون وعلم
الانسان ما لم يعلم وقال الكلبي علم القرآن محمدا عم وقيل اي يسره للذكر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية **خلق الانسان**
**علمه البيان** اي خلق ادم وعلمه الاسماء واللغات كلها وكان آدم عم يتكلم بسبعمائة الف لغة افضلها العربية او محمدا عليه السلام
او خلق نوع الانسان وعلمهم ما يتميزون به عن ساير الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وقيل هو التعبير
عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به
والافعال الثلثة اخبار مترادفة وردت على نمط التعديد ومن ثم لم يتوسط بينها عاطف ويجوز ان يكون كل من الاخيرين
مستأنفا وان يكون الثالث حالا مقدرة باضمار قد **الشمس والقمر بحسبان** تجريان بحسبان معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما
وفي ذلك فوايد لا تحصى كانتظام امور الكواين الماضية والحالية والمستقبلة الموقوفة على ذلك في كمالها وادراكها ونضجها ولونها
وحصولها ونفعها والانتفاع بها واختلاف الفصول والاوقات وعلم السنين والحساب والحسبان اما مصدر
كالغفران والرجحان او جمع حساب كالشهبان والركبان هكذا قيل والاحسن ان يقال انه بمعنى الحساب ههنا كما ذكرا ولا وعليه
المحققون **والنجم والشجر يسجدان** ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والنجم النبات
الذي ينجم من الارض لا ساق له والشجر الذي له ساق عود صلبة وفي المنتقى كل نابت اذا ترك حتى بذر انقطع فليس
بشجر وكل شئ يبزر ولا ينقطع من سنته فهو شجر وقال مجاهد النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه ولما كانت هذه الاربعة
مغايرة لجنس الانسان في ذاته وصفاته غيّر النظم بايرادها في صورة الاسمية تحقيقا للتغاير بينهما وضعا وطبعا صورة
ومعنى وقيل كان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه
يغنيهم عن البيان وتوسيط العاطف بينهما لتناسبهما من حيث التقابل والانقياد اما التقابل فلان الشمس والقمر
جاريان سماويان والنجم والشجر نباتيان ارضيان واما الانقياد فظاهر **والسماء رفعها** خلقها مرفوعة محلا ومرتبة
لانها منشأ قضاياه ومتنزل احكامه ومسكن ملايكته الهابطين بالوحي على انبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه
وانتصابه بفعل محذوف يفسره المذكور وقرئ بالرفع على الابتداء **ووضع الميزان** اي خلق كل ما يوزن به الاشياء ويعرف
مقاديرها من ميزان ومكيال ونحوهما موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده وقضاياهم وتعبدهم وكلفهم
به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم وقال مجاهد وغيره اراد بالميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه
ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عم بالعدل قامت السموات والارض وقراءة ابن مسعود
وخفض الميزان وهو يعضد المعنى الاول وقال الغزالي في القسطاس المستقيم هو ميزان المعرفة كما سنذكر عبارته
في سورة الحديد **الا تطغوا في الميزان** لئلا تطغوا فيه اي لا تجاوزوا الانصاف ويجوز ان تكون ان مفسرة وقراءة ابن مسعود

لا تطغوا



لا تطغوا بغير ان على ارادة القول اي يقول لكم لا تطغوا اي لا تجاوزوا الحق في الميزان **واقيموا الوزن بالقسط** وقوموا وزنكم
بالعدل وقال ابو الدرداء وعطاء اقيموا لسان الميزان بالعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب **ولا تخسروا**
**الميزان** ولا تنقصوه لان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله
وفي ايراد الامر بالتسوية في الوزن بين النهي عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة والنهي عن الخسران الذي هو تطفيف
ونقصان ما لا يخفى من الارشاد الى الحق وتعليم وان العدل في الوزن لا يحصل للحد الا بان يكون بينهما منتهيا عنهما بتركهما وقرئ
ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح فعلى ان الاصل فلا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها** خفضها مدحوة على الماء **للانام** للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس
والجن فهي كالمهاد والفراش لهم يتقلبوا عليها ويتصرفون فوقها مبسوطة **فيها فاكهة** انواع مما يتفكه به ويتلذذ **والنخل ذات الاكمام** اوعية
الثمر جمع كم وهو الغلاف الذي يكون فيه الثمر اول ظهورها وكل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه كله ينتفع به كما ينتفع
بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه **والحب** والثمرة **ذو العصف** كالحنطة والشعير وساير ما يقتات به ويتغذى والعصف ورق
الزرع وقيل التبن **والريحان** هو الرزق وهو اللب اراد في الارض ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو
ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وعن الحسن والريحان هو ريحانكم هذا الذي يشم وعن الضحاك العصف هو التبن والريحان
ثمره وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الثلثة اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب والريحان ويجوز
ان يراد وذا الريحان على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرأ حمزة والكسائي وخلف والريحان بالجر عطفا على
العصف اي والحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو طعام الناس والباقون بالرفع على وذو الريحان
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وفيها الريحان الذي يشم او يطعم والريحان كل ما طاب رايحته من النبات او
الشاهسفرم وعند الفقهاء الريحان ما لساقه رايحة طيبة كما لورقه كالآس والورد ما لورقه رايحة طيبة فحسب كالياسمين
كذا ذكر في المغرب واصله ريحان من روح فقلبت واوه ياء كما في اخواته وهي الريح والرايحة وارياح فان الياء في الكل بدل عن الواو
بدلا لازما وقيل هو فيعلان من روح فقلب الواو ياء وادغم ثم خفف ذكر الله تع اولا ما هو اصل الاية واشرفها ومنبعها
بالقرآن العظيم الذي هو اجل كتبه السماوية واعلاها ثم قفى على اثره بذكر خلق الانسان ليعلم انه انما خلقه ليشكره على
الآية ونعمائه بايثار دينه الكلام واتباع وحيه وكتابه ليخصه بالعبادة فانه المقصود الاصلي من اخراجه من العدم الى الوجود
كما صرح به فيه حيث قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبانه انعم ما تميز به من ساير الحيوان من البيان ثم ذكر
المسخرات له ثم ذكر قوته مع قوت ما يركبه مبالغة في اتمام ما انعم عليه من الالاء ثم خاطبه مع الجن بقوله **فباي الاء ربكما تكذبان**
لان الخطاب فيه للثقلين الدال عليهما قوله للانام وقوله ايها الثقلان والالاء جمع الى كاعناب وعنب واضلاع وضلع
وانآء واني والمراد بها النعم الظاهرة والباطنة الواصلة الى الفريقين وبهذا يظهر فساد ما قيل من ان الالاء هي النعم الظاهرة
فحسب والنعماء هي النعم الباطنة والصواب انها من الالفاظ المترادفة كالاسود والليوث والفلك والسفن **خلق الانسان**
**من صلصال كالفخار** الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة اي صوت والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف
وقد خلق الله ادم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه كقوله انا خلقناهم
من طين لازب **وخلق الجان** الجان الجن او ابو الجن او ابليس وقال الضحاك **من مارج** من لهب صاف من الدخان
وقال مجاهد المارج هو المختلط بعضه من بعض اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت
من مرج امر القوم اذا اختلط واضطرب **من نار** بيان لمارج كانه قيل من صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار

مخصوصة كقوله فانذرتكم

نارًا تلظى وفي ذكر الّا الفريقين اشعار بان الخطاب في ربكما تكذبان لهما جميعًا ويعضده ماروى عن جابر انه قال قراء علينا رسول
الله عم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي اراكم سكوتًا للجن كانوا احسن منكم ردًّا ما قرات عليهم هذه الآية مرة فباى الاء
ربكما تكذبان الّا قالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد وفيه دلالة بيّنة على ان الالاء اراد بها النعم المطلقة الشاملة للظاهرة
والباطنة لا المقيدة بالظاهرة كما سبق الى بعض الاوهام وقيل خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب يخاطب الواحد بلفظ
التثنية كقوله القيا في جهنم فباى الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيّركما افضل المركبات وخلاصة
الكائنات رب المشرقين ورب المغربين يعني مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وارتفع على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره مرج ويلتقيان حال وقرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلًا من ربكما فباى الاء ربكما تكذبان مما في ذلك
من المنافع الفائتة للحصر كالدلالة على الصانع ووحدته وقدرته وحكمته فان شروق الشمس من احد الخافقين وغروبها في الآخر
على تقدير مستقيم في فصول مختلفة وحساب مستوٍ من اجلّ النعم التي يستدل به وباظهره وبجلالته وظهوره كرّره في كتابه الكريم
وقرانه الحكيم واعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين اى ارسل البحر الملح
والبحر العذب من مراج الدابة اذا ارسلها وخلاها يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان
في المحيط لانهما خليجان ينشعبان منه وقال مجاهد والضحاك بحر السماء وبحر الارض يلتقيان كل عام بينهما برزخ حال من
البحرين او من ضمير يلتقيان اى حاجز من قدرة الله او من الجزاير وعن الحسن يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما لا يبغيان
من الاحوال المترادفة او المتداخلة اى لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حدّيهما وعن قتادة
لا يطغيان على الناس بالغرق فباى الاء ربكما تكذبان مما في ذلك من الفوايد والعبر يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان بيان
لبعض فوايدهما واللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره او اللؤلؤ مطلق الدر والمرجان الخرز الاحمر وهو البسّذ وفيه
دلالة بيّنة على ان المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم للقطع بان اللؤلؤ يخرج من بحر فارس والمرجان من بحر الروم وهذا
مما لا ينبغي ان يشكك فيه وبهذا يظهر ضعف ما قيل من انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب وقرأ نافع وابو عمرو
ويعقوب يُخرَج مبنيًّا للمفعول والباقون يَخرُج من الخروج وقرئ يُخرِج بالبناء للفاعل وهو الله من الاخراج ونصب اللؤلؤ
والمرجان فباى الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية وقرئ الجوارُ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربعٌ حسانٌ
واربعٌ فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرأ حمزة وابو بكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع او اللاتي
ينشئن الامواج بجريهن او السير في البحر متعلق بالمنشآت كالاعلام كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل وهو حال من ضمير
المنشآت فباى الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب
لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها فان من على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب او من الثقلين
ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومنه قول القائل اين وجه عزيز كريم ينقذني من الهوان ذو الجلال
والاكرام صفة الوجه اى ذو العظمة في ذاته وصفاته وشانه وملكه وسلطانه والفضل العام والجلال اشارة الى السلوب والاكرام
الى الاضافات وقرأ ابن مسعود وابن عمير ذي الجلال بالجر صفة للرب وهو في مصحف ابيّ فباى الاء ربكما تكذبان ذكرنا
قبل من بقاء الرب وابقاء ما لا يحظى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلًا او مما ترتب على افناء الكل من الاعادة والحيوة
الدايمة والنعيم المقيم يسأله من في السموات والارض لافتقارهم اليه في ذواتهم وصفاتهم ودينهم ودنياهم فيسألونه ما يحتاجون
اليه من الرزق والمغفرة وعن ابن عباس فاهل السماء يسألونه المغفرة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة وعن مقاتل كل من
الاهلين يسأله الرزق والمغفرة وذكر السؤال بلسان المقال والحال ولسان الحال انطق من لسان المقال كل يوم ظرف لما دل عليه

في شان

في شان اى يقلب الامور كل يوم او يحدثها كل يوم او نحوه هو في شان قيل اى كل وقت هو في احداث امور وتجديد احوال مطابق
لسابق قضايه كما روى عن النبي عم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا
ويضع اخرين وعن ابن عباس انه قال ان مما خلق الله تع لوحًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر
فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تع كل يوم هو في شان وهو
ماخوذ من قوله عم ان الرب لينظر الى عباده كل يوم ثلثمائة وستين نظرة يبدئ ويعيد وذلك من حبّه خلقه وعن ابن عيينة الدهر كله
عند الله يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والاخر يوم القيمة
فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل شانه ان يخرج في كل يوم وليلة ثلثة عساكر عسكرًا من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وعسكرًا من
الارحام الى الدنيا وعسكرًا من الدنيا الى القبور ثم يرحلون جميعًا الى الله وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم
السبت شيئًا وسال ملك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبًا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك
لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيمًا ويسقم سليمًا ويبتلي معافًا ويعافي مبتلى ويعز ذليلًا ويذل عزيزًا و
يفقر غنيًّا ويغني فقيرًا فقال الملك احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا ايضًا من شان الله وعن
عبد الله بن طاهر انه دعى الحسين بن الفضل وقال له اشكلت على ثلث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تع فاصبح من النادمين
وقد صح ان الندم توبة وقوله تع كل يوم هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وقوله تع وان ليس للانسان الا ما سعى
فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله خص هذه الامة بخصايص
لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس
له الا ما سعى عدلًا ولي ان اجزيه بواحدة الفًا فضلًا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام
عبد الله وقبّل راسه وسوّغ خراجه فباى الاء ربكما تكذبان مما يسعف سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم حينًا فحينًا
سنفرغ لكم ايها الثقلان اى سنتجرد لكم لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تع لا يفعل فيه غيره او تهديد مستعار من قول
القائل لمن يتهدده سافرغ لك اى ساتجرد لك من كل شغل فلا اشتغل الّا بالايقاع بك وقرأ حمزة والكسائي وخلف سيفرغ بالياء
اى الله تع وقرأ ابيّ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم وقرئ سافرغ لكم وسيُفرغ بالياء مفتوحًا ومضمومًا مع فتح الراء وسنفرغ
بالنون مفتوحًا ومكسورًا مع فتح الراء والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رايهم وقدرهم او لانهما
مثقلان بالتكليف وقرأ ابن عامر ايُّهُ الثقلان فباى الاء ربكما تكذبان من التاخير للفراغ والتهديد به والاخبار عنه يا معشر
الجن والانس كالترجمة لقوله ايها الثقلان ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان
تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من فضايح قراءة زيدين على ان استطعتما ذهابًا الى انهما جنسان كقوله
رب السموات والارض وما بينهما وبقوله يرسل عليكما فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان
الا بقوة وقهر وغلبة وانّى لكم ذلك ونحوه وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في
السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببيّنة نصبها الله من مصاعد عقلية فتعرجون عليها
بالافكار وفي الخبر يحاط على الخلق بالملايكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس الآية فباى الاء ربكما
تكذبان من التنبيه والتخويف والامهال والحلم مع كمال القدرة على المواخذة والانتقام او مما نصب من المصاعد
العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العلى يرسل عليكما شواظ لهب خالص لا دخان فيه

من نار بيان لشواظ او اريد من نار مخصوصة ونحاس ودخان قال تضيء كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا
اوصُفر مذاب يُصَبُّ على رؤسهم وعن ابن عباس اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرأ ابن كثير شِواظ
بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان ونحاسٍ بالجرّ عطفا على نار وروا فقهم فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحُس جمع
نُحاس وهو الدخان نحو لحافٍ ولحُفٍ وقرأ النعمان بن مُرّة الانصاري ونُحُس بضم النون والسين ومجاهد بكسرهما وحنظلة
بن النعمان بفتح النون والحاء وجرّ السين ومسلم بن جُندَب بفتح النون وسكون الحاء ورفع السين وقرئ ونحُسّ اى
ونقتل بالعذاب وقرئ يُرسِل عليكم شُواظا من نارٍ ونحاسا فلا تنتصران فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكما ناصر
منه فبأى آلاء ربكما تكذبان من التحذير وتعريف الجزاء والاعلام بعد الانتصار وقيل فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع
والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت السماء فكانت وردة اى حمراء كالدهان كدهن الزيت
كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دُهن او اسم لما يُدّهن به كالحزام والادام وقال الكلبي كالدهان كالاديم
الاحمر وقال مقاتل كدهن الورد الصافي وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذايب وذلك حين يصيبها حرّ جهنم وقرأ
عبيد بن عمير وَرْدَةٌ بالرفع على كان التامّة اى فحصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن
بغزوة نحو الغنايم او يموت كريم فبأى آلاء ربكما تكذبان مما يكون بعد ذلك فيومئذ فيوم تنشق السماء لا يسئل
عن ذنبه انس ولا جان اى لا يسئل بعض من الانس ولا بعض من الجن لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون
من قبورهم ويحشرون الى الموقف فوجا فوجا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسئلنهم ونحوه ففي يحكبون
في الجمع والضمير في ذنبه للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة وتوحيده لكونه في معنى البعض واراد بالجان
الجن كما يقال تميم ويراد ولده وعن ابن عباس لا يسئل لهم هل عملتم كذا وكذا فانه اعلم بذلك منهم ولكن يسئلهم لِمَ عملتم
كذا وكذا وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على افواه القوم وتكلمت ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وقال ابو العالية
لا يسئل غير المجرم عن ذنب المجرم وعن عكرمة ان القيمة يوم طويل وفيها مواطن يسئل في بعضها ولا يسئل في بعضها
وقيل لا يسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل سؤال توبيخ وقرأ الخليل لا يسئل وقرأ الحسن ولا جأن هربا من اجتماع
الساكنين وان كان على حدّه فبأى آلاء ربكما تكذبان مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف المجرمون بسيماهم
بعلاماتهم التي تظهر في وجوههم من السواد والغبرة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة
من خلفه ويلقى في النار او تسحبهم الملائكة تارة بالنواصي وتارة بالاقدام وعن ابن عباس يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف
كما يقصف الحطب فبأى آلاء ربكما تكذبان من التنبيه على ذلك والتخويف به والترهيب عما يلزمه ويقتضيه من الاجرام
والاثام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها وبين حميم ماء حارّ آنٍ بلغ
النهاية في الحرارة يصب عليهم ويسقون منه من انى ياني فهو آنٍ اذا انتهى في الحرّ والنضج وقيل اذا استغاثوا من النار
جعل غياثهم الحميم كما قال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجتمع فيه
صديد اهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا
جديدا فيلقون في النار وقرئ يُطوّفون من التطويف ويُطوّفون ويطّوفون ويطافون وقرأ عبد الله هذه جهنم
كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان تطوفون بينها وهو حال او استيناف فبأى آلاء ربكما تكذبان لان
التهديد لطف ونجاة الناجي من ذلك العذاب وانتقام المشركين به من اعظم الآلاء ولمن خاف مقام ربه موقفه
الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيمة او قيامه على احواله من قام عليه اذا رقبه او مقام الحقايق عند ربه للحساب

باحد العنيين

باحد العنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقولك اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك ومنه قوله
ونفيت عنه مقام الذيب كالرجل اللعين يعني ونفيت عنه الذيب وعن ابراهيم ومجاهد هو الذى يهم بالمعصية فيذكر
الله فيدعها من مخافة الله جنتان جنة عدن وجنة نعيم قاله مقاتل او جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المنكرات او جنة يثاب
بها وجنة يتفضل بها عليها او روحانية وجسمانية او جنة في اعلى الجنات وجنة في وسطها وقيل جنة للخايف الانسي وجنة للخايف
الجني لان الخطاب للثقلين وفيه نظر لقول من ان مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب وليسوا من اهل الجنة مع امة
محمد عم هم على الاعراف حايط للجنة تجرى فيه الانهار وتنبت فيه الاشجار والثمار فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا
افنان بدل من جنتان او خبر مبتدا محذوف او صفة لهما وافنان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر
استعيرت لانواع الثمار والوان النعم وقال الحسن ذواتا اظلال وابن عباس ذواتا الوان وابن جبير والضحاك الوان الفاكهة
وعطا ذواتا اغصان في كل غصن فنون من الفاكهة وقتادة ذواتا فضل وسعة على ما سواهما وقيل ذواتا انواع من الاشجار
والثمار جمع فن او ذواتا اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فرع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها تورق وتثمر وتمد
الظل وتجتنى من الثمار فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان حيث شاؤا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل
من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وعن عطية احديهما من ماء غير آسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس وعن
ابن عباس ما في الدنيا حلوة ومرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها
من استبرق من ديباج ثخين واذا كان البطاين من الاستبرق فما ظنك بالظواهر وعن ابن عباس وصف البطاين وترك
الظواهر لانه ليس في الارض احد يعرف ما الظاهر وقيل سعد بن جبير البطاين من استبرق وظواهرها من نور جامد وسكين
نصب على المدح للخايفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع قرأ اليماني وابو حيوة فُرُش باسكان الراء وجنى الجنتين
دان قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ جِنى بكسر الجيم فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن في الجنان فان
جنتين تدل على جنان هي للخايفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور والمجالس او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش والجنى قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان نساء قصرت ابصارهن عن ازواجهن لا
ينظرن الى غيرهم يقال طمث المرأة اذا افتضها بالتدمية اى اخذ بكارتها ومنه قول من جمع لم تطمث اى عذراء والمعنى لم
يطمث الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وفيه دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس والجمهور
على ان هؤلاء من حور الجنة وقال الشعبي والكلبي من نساء الدنيا اى لم يجامعهن في هذا الخلق الذى انشئن فيه انس ولا جان
قرأ المحدرتي والباقي لم يطمثهن بفتح الميم وقرأ طلحة بن مصرف لم يطمثهن بضم الميم فيهما وقرأ الكسائي احديهما
بالكسر فان كسر الاولى ضم الثانية وبالعكس يحكيها جمعا بين الاثرين فان اصحاب علي يقرؤن بالضم واصحاب ابن مسعود
بالكسر فبأى آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان في حمرة الوجه وبياض البشرة وصفائهما وقال قتادة صفاء
الياقوت في بياض المرجان وعن النبي عم ان المرأة من اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير
ومخها رواه ابن مسعود فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب وعن ابن عباس
هل لما جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد عم الا الجنة وعن انس قرأ رسول الله عم هل جزاء الاحسان الا
الاحسان ثم قال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة
وعن محمد بن الحنفية هي مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة يعني ان كل من احسن احسن اليه وكل من اساء اسيئ اليه

فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم
من اصحاب اليمين وقال ابن عباس ومن دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان
من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن اربع جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب
اليمين والتابعين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقال الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والاخريان من ياقوت فبأي
آلاء ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان يضربان الى السواد لشدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين
النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت كذا قيل
وقال بعضهم المدهام في الاصل الشديد السواد يوصف به الخضرة لانها كالها فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء لا ينقطعان والنضخ اكثر من النضح لانه مثل الرش وقال ابن عباس تنضخان بالخير والبركة على اهل الجنة
وقال ابن مسعود تنضخان بالمسك والكافور على اولياء الله تع وقال انس تنضخان بالمسك والعنبر في دور اهل الجنة كطش
المطر فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما جنتي
واستبدادهما بالمزية على غيرهما كما عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة لذلك او لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودواء فلم يخلصا للتفكه وكذا العنب عند ابي حنيفة رض والمذكور في كتب الحنفية ان كلا منهما جزء زايد على التفكه وهو الغذائية
وقوام البدن فبهذه الزيادة يخص عن مطلق الفاكهة فلو حلف لا ياكل فاكهة ولا نية له لم يحنث باكل الرطب والرمان والعنب
عنده لما فيها من المعنى الزايد على التفكه خلافا لصاحبيه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات اي خيرات بالتشديد على الاصل
والمعنى فاضلات الاخلاق حسان حسان الخلق او الوجوه وعن ام سلمة قلت لرسول الله عم اخبرني عن قوله خيرات
حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن
يقال امراة قصيرة وقصورة ومقصورة اي مخدرة مستورة لا تخرج او مقصورات الطرف على ازواجهن لا يبتغين برده
بهم بدلا والخيام جمع الخيمة وهي القبة المضروبة على الاعواد هكذا جمع خيام الدنيا وهي لا تشبه خيام الجنة الا بالاسم فانه قد لا يطلب
قيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة وعن النبي عم ان في الجنة خيمة من لؤلؤ مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهلون
ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمنون وحور بدل من خيرات او مبتدأ خبره محذوف اي فيهن حور فبأي آلاء ربكما
تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان اي قبل اصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين فبأي آلاء ربكما تكذبان
متكئين على رفرف على وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط وقيل كل ثوب عريض وقد يقال
لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف وفسرها سعيد بن جبير برياض الجنة ورفرف السحاب هيدبه ومتكئين نصب
على الاختصاص او حال صاحبه محذوف يدل عليه الضمير في قبلهم خضر وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر
تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذا جمع حسان حملا على المعنى وقرئ
رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدايني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروى ابو حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف
وهذا الوجه لا صحة له وقال القتبي كل ثوب موشى عند العرب عبقري وعن ابي عبيدة هو منسوب الى ارض يعمل بها
الوشي وقيل هي الزرابي والطنافس الثخان جمع عبقرية وعن قتادة العبقري عتاق الزرابي فبأي آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته ويجوز ان يكون الاسم بمعنى الصفة او مقحما
كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما قال يعقوب اخرج الى الاصمعي الكسائي اعرابيا يكنى ابا الدينار فقرأ الرحمن فنون
فبأي في جميع السورة ذي الجلال والاكرام قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع صفة للاسم والباقون بالجر صفة للرب ومعناه

الذي



الذي يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن صفاتهم وافعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك او من عنده الجلال والاكرام
للمخلصين من عباده او ذو الاستغناء المطلق والفضل العام او ذو العظمة في ذاته وصفاته وافعاله والاكرام لانبيائه واوليائه وقيل
ذي الجلال معناه الجليل فانه الذي له الجلال وهو يفيد كمال الصفات السلبية والثبوتية فاما السلبية فهو انه منزه عن الند
والضد والمكان والزمان واما الثبوتية فهي العلم المحيط والقدرة الشاملة واما الاكرام فاضافة ولا بد فيها من المضافين وقدم السلب
على الاضافة لانه مما يكفي فيه ذات الشيء وحده مقدم بالرتبة على ما لا بد له في تحققه من غيره ولهذا الاعتبار قدم ذكر الجلال على
ذكر الاكرام عن رسول الله عم من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة سبع وتسعون اية
مكية بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة وقيل اذا نزلت صيحة القيمة
وهي النفخة الاخيرة وسماها واقعة لتحقق وقوعها واذا منصوب بمذكور وهو ليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف
مثل اذكر او كانت كيت وكيت وقيل ظرف لفعل يدل عليه كاذبة اي اذا وقعت لم تكذب او ظرف لخافضة او رافعة اي اذا وقعت
خفضت ورفعت او ظرف لرجت ليس لوقعتها كاذبة نفس كاذبة اي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب في نفيها
كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق او ليس لها حينئذ
نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها اذ انهم يومئذ اضعف من ذلك واذل من قولهم كذبت فلانا نفسه
في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وسولت له ان يطيقه وما فوقه وقيل ليس لمجيئها كذب كقوله لا تسمع فيها لاغية
اي لغو يعني انها تقع صدقا وحقا وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن
وما تثبط وحقيقته وما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير اذا ما الليث كذب عن اقرانه
صدقا اي اذا وقعت لم يكن لها رجعة ولا ارتداد وقيل التقدير ليس لوقعتها حالة كاذبة اي مكذوب فيها خافضة رافعة
تخفض اقواما الى النار وترفع اخرين الى الجنة وعن ابن عباس تخفض اقواما كانوا مرتفعين في الدنيا وترفع اقواما كانوا
متضعين فيها وهو اعلام بفرط شدتها وعظمتها لان الوقايع العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس
او اخبار عما يكون حينئذ من خفض الاشقياء ورفع السعداء وازالة الاجرام عن مقارها بسقوط السماء كسفا وانتثار
الكواكب ومرور الجبال في الجو مر السحاب وارتفاعهما على هي خافضة رافعة وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا
حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم كل شيء فوقها من بناء وجبال واذا رجت بدل من اذا وقعت او ظرف لخافضة رافعة
كانه قيل تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه حينئذ ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وبست
الجبال بسا وفتتت حتى تصير كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم
اذا ساقها وقال الحسن قلعت من اصلها فذهبت وقيل جعلت كثيبا مهيلا بعد ما كانت شامخة طويلة
فكانت هباء غبارا منبثا متفرقا وقرئ بالتاء اي منقطعا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي
كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج قرأ عبيد بن عمير وبثت الجبال بثا بالثاء لقوله منبثا
وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف آخر زوج فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب
المشأمة ما اصحاب المشأمة اصحاب الميمنة الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم واصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل او اصحاب اليمن واصحاب الشؤم
لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين
وذات الشمال وعن ابن عباس اصحاب الميمنة هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله لهم هؤلاء
هؤلاء الى الجنة ولا ابالي

والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة المظهر مقام المضمر ومعناهما التعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة
والمعنى فاصحاب الميمنة اى شئ هم واصحاب المشأمة اى شئ هم والسابقون السابقون السابقون من المهاجرين والانصار
هم السابقون في الاخرة او السابقون الى الخيرات هم السابقون الى الجنات او الانبياء لانهم سابقوا اممهم ومقدموهم
في الدنيا والاخرة وهم الذين عرفت حالهم ومآلهم ووصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري
ما عرفت حاله وبلغك وصفه وسمعت بفصاحته وبلاغته وقال كعب هم اهل القران المتوجون يوم القيمة فانهم
كادوا ان يكونوا انبياء الا انه لا يوحى اليهم ولا يصح ان يكون السابقون تاكيدا واولئك المقربون خبرا وان يوقف على
الاول بل على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة وما اصحاب المشأمة اولئك المقربون في جنات
النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم وهو حال من
ضمير المقربون او ظرف او خبر ثان ثلة من الاولين وقليل من الاخرين الثلة الامة الكثيرة من الناس
واشتقاقها من الثل وهو القطع والكسر كما ان الامة من الام وهو الشج كانها جماعة قطعت من الناس وكسرت منهم
اى السابقون كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد عم وقليل من الاخرين وهم امة محمد عم ولا يخالف ذلك
قوله عم امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من
تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما
والمختار عندنا ان الاولين والاخرين من هذه الامة وهم متقدموها ومتأخروها بدليل قول النبي عم الثلثان جميعا
من امتي وارتفاع ثلة على انها خبر محذوف اى هم ثلة او السابقون ثلة على سرر موضونة خبر اخر للمبتداء المحذوف
والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع قال
الاعشى ومن نسج داود موضونة او المتواصلة ادني بعضها من بعض من الوضن وهو نسج الدرع وقرأ زيد بن
علي وابن عمر سرر بفتح الراء متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على وهو العامل فيهما اى استقروا على سرر
موضونة وهم متكئون عليها لا ينظر بعضهم في اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والاداب
يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون غلمان مبقون ابدا على شكل الولدان وطرا وانهم لا يتحولون عنه
وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا
عليها روي عن علي وعن الحسن وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب واباريق حال الشرب وغيره والا
والاكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء له ذلك وقيل سميت اباريق لبروق الوانها
من الصفاء وكاس من معين من خمر جارية لا يصدعون عنها اى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها اولا
يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون
اى لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم اولا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون
ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل اذا سكر وذهب عقله والباقون بفتحها من نزف الرجل اذا سكر وذهب عقله
وفاكهة مما يتخيرون اى يختارون يقال تخير الشئ اذا اخذ خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وقرئ لحوم
طير وحور عين قرأ حمزة والكسائي وابو جعفر بالجر عطفا على جنات النعيم اى هم في جنات النعيم وفي حور عين اى
وفي مصاحبة حور عين على حذف المضاف او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب
وقال ابو عمرو بن العلاء وقطرب على اكواب يعني ان الولدان يطوفون بها وبالحور العين والباقون بالرفع عطفا على





ولدان او على انه مبتداء محذوف الخبر اى وفيها او ولهم حور عين ونظيره بيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء
ومشجج وقرأ مجاهد حور عين بالاضافة وعكرمة والخليل وحوراء عيناء وقال عاصم اقرأني زر وحورا عينا وقرئا
بالنصب على ويؤتون حورا عينا كامثال اللؤلؤ المكنون المخزون في الصدف لم تمسه الايدي وقيل المصون عما يضر به
في الصفاء والنقاء ويروى انه سطع نور في الجنة قالوا ما هذا قالوا ضوء ثغر حوراء في وجه زوجها جزاء بما كانوا
يعملون مفعول له اى يفعل ذلك كله جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا
يقال لهم اثمتم الا قيلا اى قولا سلاما سلاما بدل من قيلا بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفة
او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما سلاما يعني انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام او مصدر
وقرئ سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له كانه خضد شوكه
اى قطع ونزع عنه او مثني اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او شجر
ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وقرأ علي رضي
وطلع بالعين فقال وما شان الطلح انما هو الطلع فقيل انها في المصحف بالحاء افلا نحولها قال ان القران لا يهاج اليوم
ولا يحول وعن ابن عباس نحوه منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه اى متراكم بعضه على بعض وظل ممدود
منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس والعرب تقول للشئ الذي لا ينقطع ممدود وعن ابي
هريرة قال رسول الله عم في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وماء مسكوب يسكب لهم
اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب او دائم الجرية لا ينقطع او مصبوب سائل على الارض في غير اخدود وكانه لما شبه حال
السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت
بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس والاصناف لا مقطوعة هي دائمة لا تنقطع في وقت كفواكه الدنيا
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وفي الحديث ما قطعت ثمرة من ثمار
الجنة الا ابدل الله مكانها ضعفين وقرئ وفاكهة بالرفع على الابتداء وخبره محذوف اى وفيها او ولهم فاكهة كثيرة
وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضودة قد تراكم بعضها على بعض حتى ارتفعت وعن ابي سعيد الخدري
وابي هريرة قال رسول الله عم في قوله وفرش مرفوعة ارتفاعها كما بين السماء والارض وان ما بين السماء والارض
لمسيرة خمسمائة عام او مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة رفعن على
الارائك او رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا يدل عليه قوله انا انشاناهن انشاء ابتداء ناخلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة
ابداء او اعادة وعن ابن عباس يعني الادميات العجز الشمط اى خلقناهن بعد الهرم خلقا اخر ويؤيده قوله عم هن اللواتي
قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فلما سمعت عائشة رضي ذلك قالت وا وجعاه فقال عم ليس هناك وجع وعن الحسن قالت عجوز يا رسول الله ادع الله
ان يدخلني الجنة فقال يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت وهي تبكي فقال عم اخبروها انها ليست يومئذ
بعجوز وقرأ الاية فجعلناهن ابكارا عذارى عربا اى متحببات الى ازواجهن حسنات التبعل جمع عروب وقال ابن عباس
برواية عكرمة ملقة وقال عكرمة غنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه حسنات الكلام وقرأ حمزة وابو بكر وخلف عربا
بسكون الراء والباقون بضمها وهما لغتان كرسل بسكون السين وبضمها في جمع رسول في ضم الراء الى الاصل ومن سكنها خفف والتخفيف
لغة تميمية اترابا مستويات في السن لان كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لقوله عم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا
بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين

على خلق آدم طوله ستون ذراعا في سبعة اذرع رواه ابو هريرة وعن ابي سعيد قال النبي عم ان الرجل ليفتض في الغداة سبعين عذراء ثم
ينشئهن الله ابكارا وعنه عم انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق
كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا رواه عبد الله بن ابي اوفى وعن سعيد قال رسول الله عم ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون
الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء لاصحاب
اليمين متعلق بانشانا او جعلنا او صفة لابكارا او خبر محذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
وهي على الوجه الاول خبر مبتدا محذوف قال ابو بكرة قال النبي عم ثلة من الاولين وثلة من الآخرين جميعا من هذه الامة
وكلهم ناج واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة
وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة وقال الضحاك النار سوداء واهلها سود وكل شيء فيها اسود لا بارد
كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح والمعنى انه ظل حار ضار الا ان النفي في مثل هذا شانه
ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستاهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة و
قرئ بالرفع على لا هو بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين منعمين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون
على الحنث العظيم اي على الذنب العظيم وهو الكفر ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث في يمينه
خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وتحرج وقال الشعبي الحنث العظيم اليمين الغموس ومعنى هذا انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون
وكذبوا في ذلك وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون العامل في اذا ما دل عليه ائنا لمبعوثون
وهو نبعث لا مبعوثون لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها اي انبعث اذا متنا وكان هذا اصل الكلام فبدلت الجملة الفعلية
بالاسمية وقدم الظرف وكررت الهمزة مبالغة في الانكار وايذانا بان البعث مستنكر في حد ذاته وفي هذه الحال اكثر فهو ابلغ من
قراءة نافع والكسائي بطرح الهمزة الثانية على الخبر وقراءة ابو جعفر بطرح الاولى ايضا او آباؤنا الاولون عطف على محل
ان واسمها او على المستكن في لمبعوثون وحسن للفصل بهمزة الاستفهام كما حسن في قوله ما اشركنا ولا آباؤنا الفصل لا المؤكدة
للنفي وهي لزيادة الاستبعاد ولاشعار بان ذلك اشد انكارا في حق آبائهم الاولين لبعد زمانهم وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر
او بالسكون على معنى الترديد قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم معلوم اي الى
ما وقتت به الدنيا وحد من يوم معلوم معين عند الله والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات هو الوقت المحدود
وقد يستعار للمكان ومنه مواقيت الحج لمواضع الاحرام ثم انكم ايها الضالون المكذبون اي الضالون عن الهدى المكذبون
بالبعث والخطاب لاهل مكة واشباههم ممن جمع بين الضلالة والتكذيب لآكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء
والثانية لبيان الشجر ومعنى الزقوم سبق في والصافات فمالئون منها البطون من فرط الجوع فشاربون
عليه من الحميم لغلبة العطش وتانيث ضمير الشجر في منها وتذكيره في عليه باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون
التذكير على تاويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه فشاربون شرب الهيم الابل التي بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء
حيث تشرب منه فلا تروى جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها
هيامها وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على هيم كسحب في جمع سحاب
ثم خفف وفعل به مثل جمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم الجوع المفرط بحيث يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل
فاذا ملؤوا منه البطون سلط عليهم العطش الذي هو يضطرهم الى شرب الحميم المقطع امعاءهم فيشربونه شرب
الهيم وكونهم شاربين للحميم غير كونهم شاربين شرب الهيم لان كلا منها اخص من الآخر من وجه كما لا يخفى وقرأ حمزة



ونافع وعاصم وابو جعفر بفتح الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا في الجحيم وفيه
تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وقول ابي الشعر الضبي جعلنا القنا والمرهفات له نزلا لان النزل الرزق الذي يعد للنازل
تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون فهلا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال
الدالة عليه او بالبعث لان من قدر على الخلق اولا قدر على الخلق ثانيا افرأيتم ما تمنون ما تقذفونه في الارحام من النطف
وقرأ ابو السمال بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها اي صبها في الرحم وقذفها فيه ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه
وقيل تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم قسمة الرزق على تفاوت
ووقتنا موت كل منكم بوقت معين وقرأ ابن كثير قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب
من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه اي لا يغلبوننا عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم
وذلك قوله على ان نبدل امثالكم على ان نخلق امثالكم بدلا منكم وهو على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام و
وما نحن بمسبوقين اعتراض اي انا قادرون على ذلك لا نعجز ولا نغلب عليه وعلى الثاني صلة وامثالكم جمع مثل وهو الشبه
اي على ان نبدل منكم مكانكم اشباهكم من الخلق او جمع مثل وهو الصفة اي نحن قادرون على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم
عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم فيما لا تعلمون في خلق او صفات لا تعلمونها وعدم تم بتبدلها يعني نحن قادرون على خلق
ما يماثلكم ولا ما يماثلكم ولا نعجز عنهما جميعا فكيف نعجز عن بعثكم الذي هو جمع الاجزاء الاصلية واعادة الارواح اليها
فان البدن الثاني يخلقه الله تعالى من الاجزاء الاصلية للبدن الاول ثم يعيد الروح اليه فيصير بشرا سويا حيا كما كان وقيل اي
ونخلقكم فيما لا تعلمون من الصور يعني نجعلكم قردة وخنازير يعني لسنا عاجزين عن خلق امثالكم بدلا منكم ومسخكم
من صوركم الى غيرها ولقد علمتم النشأة الاولى اي علمتم الخلقة الاولى وهي الاحياء الاول فان الاحياء الثاني شيئان متحدان
لا يتغايران الا بالتعلق فان ابتداء الانسان واعادته ليس معناهما الا جعل الله اياه حيا اولا وثانيا كما دللنا عليه بقوله قال
من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة والنشأة الاولى هي الابتداء والنشأة الاخرى هي الاعادة ولكل
واحد منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود فمن علم القدرة على الابتداء لزمه ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون ولذا
قال فلولا تذكرون تحضيض على التذكر ومعناه فهلا تذكرون ان من قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الاخرى فانها
اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى
على الاولى افرأيتم ما تحرثون ما تحرثونه من الطعام اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه نباتا
يرف وينمي الى ان يبلغ وعن النبي عم لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم الى قوله افرأيتم الآية ام نحن
الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما لا ينتفع به في مطعم وغذاء وقال عطاء تبنا لا قمح فيه فظلتم
فصرتم تفكهون تعجبون من سوء حاله او تندمون على تعبكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصي وقرئ فظلتم بكسر
الظاء وظللتم على الاصل وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبينما هم اذ غار
ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام
وهو الهلاك بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام افرأيتم الماء الذي
تشربون يعني الماء العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب جمع مزنة وقيل المزن السحاب الابيض خاصة
وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام قرأ الخليل المزن بضم الميم والزاي
المنزلون مشددا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه وقال الحسن مرا وحذف اللام
من الجواب لعلم كل احد بمكانه

الحمة العين الحارة من الحميم

او الاكتفاء بتقدم ذكره على انه يدل على التأكيد فادخل في آية المطعوم دون آية المشروب اشعارا بان امر المطعوم مقدم على امر المشروب
وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم **فلولا تشكرون** امثال هذه النعم الضرورية ٥
**افرأيتم النار التي تورون** تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى
الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة **ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون** يريد الشجرة التي منها الزناد وقرأ
ابو عمرو وعيسى آنتم انشأتم بحذف الاستفهام **نحن جعلناها** جعلنا نار الزناد **تذكرة** تبصرة في امر البعث كما مر في يس او في
الظلام او تذكيرا لنار جهنم او تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله عم ناركم هذه التي توقد بنو آدم جزء من سبعين
جزءا من حر جهنم **ومتاعا** ومنفعة **للمقوين** للذين ينزلون القواء وهي القفر الخالي عن الماء والكلاء والعمارة وهم المسافرون
او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من سكانها **فسبح باسم ربك العظيم**
فاحدث التسبيح بذكر اسم ربك او بذكر ربك لان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة الاسم او الرب ولما ذكر ما دل على
قدرته وانعامه على عباده امره باحداث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله تنزيها له عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او تعجبا من امرهم في غمط نعمه او شكرا له على النعم التي عدها ونبه عليها **فلا اقسم** اذ الامر اوضح من
ان يحتاج الى قسم او فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه
قراءة الحسن فلأقسم وقيل فلا رد لما قال الكفار في القرآن انه سحر وشعر وكهانة اي ليس الامر كما يقولون ثم استأنف القسم فقال
اقسم **بمواقع النجوم** اي بمساقطها ومغاربها وتخصيص المغارب لما في وقت غروبها من اقبال الصبح والروح والنسيم ونزول
الرحمة والرضوان على المتهجدين واستغفارهم واسترحامهم لانفسهم ولغيرهم وتلاوتهم وتضرعهم وغير ذلك من خيراتهم و
واجابة دعوات العباد وقسمة ارزاقهم وكشف ظلمة الليل واظهار النهار او بمنازلها ومسايرها الدالة على وجود مسيرها
ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته ويجوز ان يراد بالنجوم نجوم القرآن وبمواقعها اوقات نزولها واليه ذهب ابن عباس
وعن الحسن اراد بمواقع النجوم انكدارها وانتثارها يوم القيمة **وانه لقسم لو تعلمون عظيم** لما في المقسم به من عظائم
الامور وجلائل الشؤون وهو اعتراض في اعتراض لانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراضا بين الموصوف
وصفته **انه لقرآن كريم** هو المقسم عليه اي ان هذا الكتاب لقرآن كريم اي حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع كثير المنافع لارشاده
الى جميع المنافع الدينية والدنيوية او كريم على الله **في كتاب مكنون** مصون وهو اللوح **لا يمسه الا المطهرون** لا يطلع على اللوح الا المطهرون
من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي وقيل لا يقرأه الا الموحدون
وعن عكرمة كان ابن عباس ينهى اليهود والنصارى عن قراءة القرآن وقيل لا يقرأه الا المطهر وعن ابن عمر احب الي
ان لا يقرأه الا وهو طاهر وعن ابن عباس في رواية انه كان يبيح القراءة للجنب وعن حماد وابي حنيفة يجوز للجنب والمحدث
حمل المصحف ومسه خلافا لمالك والشافعي ويعضده ما روي عن محمد بن عمرو بن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله عم
لعمرو بن حزم ان لا يمس القرآن الا طاهرا وقرئ المتطهرون وقرئ المطهرون بتشديد الطاء والهاء والمطهرون من اطهره بمعنى
طهره والمطهرون اي يطهرون انفسهم وغيرهم بالاستغفار لهم والالهام والوحي الذي ينزلونه **تنزيل من رب العالمين** صفة
ثالثة او رابعة للقرآن اي منزل من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكأنه في نفسه تنزيل
ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل نطق به التنزيل وورد في التنزيل كذا او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على
اضمار فعل اي نزل تنزيلا **افبهذا الحديث** يعني القرآن **انتم مدهنون** اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين
جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وقال ابن عباس رض مكذبون وقال مقاتل بن حيان كافرون والخطاب لاهل مكة

ويجعلون



ويجعلون رزقكم **وتجعلون رزقكم** اي شكر رزقكم على حذف المضاف **انكم تكذبون** بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانواء
وقرأ علي رض وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وروى المفضل عن عاصم تكذبون وقرئ
تكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر وافتراء وفي المطر انه من الانواء روي ان النبي عم صلى صلوة الصبح بالحديبية في اثر سماء
كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي
مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك
كافر بي مؤمن بالكواكب فنزلت فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله انكم تكذبون **فلولا اذا بلغت الحلقوم** ترتيب الآية فلولا
ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين ولولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح
اي فهلا ترجعون النفس اذا بلغت الحلقوم عند الموت **وانتم حينئذ تنظرون** الواو للحال والخطاب لمن حول المحتضر
اي وانتم يا اهل الميت تنظرون اليه متى تخرج نفسه او تنظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم ردها الى الجسد او تنظرون
حالكم روي احمد عن ابي عمرو وحينئذ بكسر النون مثل يومئذ لعله لغة لبعضهم وقرأ الاعمش حينئذ قال ابو حاتم كذلك
في مصحف ابن مسعود **ونحن اقرب اليه منكم** ونحن اقرب الى المحتضر منكم بعلمنا وقدرتنا او ملائكتنا الذين يقبضون
روحه اي ونحن اعلم به منكم فعبر عن العلم بالقرب الذي هو اقوى سبب الاطلاع **ولكن لا تبصرون** لا تدركون كنه ما
يجري عليه وملائكة الموت **فلولا ان كنتم غير مدينين** اي مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله
واستعبده **ترجعونها** تردون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا **ان كنتم صادقين** والمعنى انكم تجحدون
افعال الله وآياته في كل شيء بقولكم للكتاب المعجز انه سحر وافتراء وللرسول الصادق انه ساحر كذاب وبقولكم صدق نوء
وكذا ان رزقكم الله مطرا بحسبكم به وفيه من الاهمال والتعطيل ما لا يخفى فما لكم لا ترجعون الروح الى الجسد بعد بلوغه ترجعون بيان
الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد واذ لم يمكنكم ذلك فاعلموا
ان مرجع الامر كله الى الله وايقنوا بذلك وامنوا ثم ذكر طبقات الناس عند موتهم وبين درجاتهم فقال **فاما ان كان**
**من المقربين** اي ان كان المتوفى من السابقين **فروح** فله استراحة وقال الضحاك مغفرة ورحمة وقال ابن جبير فله فرح
وقرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل اي فحياة وبقاء لهم **وريحان** ورزق طيب
وقال قوم هو الريحان الذي يشم وعن ابي العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة
فيشمه ثم يقبض روحه وعن ابي بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار **وجنة نعيم** ذات
تنعم **واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك** اي فسلام لك يا صاحب اليمين **من اصحاب اليمين** اي من اخوانك
اصحاب اليمين اي يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما وقيل فسلام لك يا محمد منهم فلا تهتم لهم لانهم سلموا
من عذاب الله **واما ان كان من المكذبين الضالين** اي من المكذبين بالبعث والآيات الضالين عن الصراط المستقيم وهم
اصحاب الشمال انما وصفهم بافعالهم تنفيرا عنها وتحذيرا وتنبيها لما اوجب لهم ما اوعدهم به **فنزل من حميم** فالذي
يعد لهم حميم جهنم **وتصلية جحيم** ادخال نار لا يكتنه كنهها ولا يقادر قدرها وقرئت بالرفع والجر عطفا على نزل
وحميم **ان هذا** الذي ذكر في هذه السورة **لهو حق اليقين** اي الحق الثابت من اليقين او حق الخبر اليقين **فسبح**
**باسم ربك العظيم** فدم على التسبيح وقول سبحان الله او فنزهه بذكر اسمه او بذكره عما لا يليق بعظمة شانه وعن
بعضهم اي فصل بذكر ربك وامره عن ابن مسعود رض انه قال سمعت رسول الله عم يقول من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا **سورة الحديد تسع وعشرون آية مكية او مدنية** بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض ذكر في هذه السورة والحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع
وفي الاعلى بلفظ الامر تعليما للعباد كلمته ان وجود التسبيح منهم في جميع الازمنة والاوقات ومجيء المصدر مطلقا
في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال وانما عدي باللام وهو معدى
بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان احداث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا وما على عمومه وانه سبح له كل
شيء مما في السموات والارض من حي وجماد بدليل قوله وان من شيء الا يسبح بحمده الآية وذلك التسبيح بلسان المقال ولسان
الحال حيث يدل كل مخلوق فيهما بامكانه وخروجه من العدم على الصانع الواجب لذاته وعلى قدرته وحكمته فكانه ينطق بذلك
وينزه الله مما لا يليق به من الشركاء وغيرها مما هو من خواص الامكان ولوازم الحدوث وهو العزيز الحكيم حال
يدل على استحقاق التسبيح لما في مصنوعاته من السماء والارض وما فيهما من الحكم الدالة على قدرته الكاملة وحكمته البالغة
له ملك السموات والارض اي يختص به ملك العالم اذ لا صانع له سواه ولا متصرف فيه غيره يحيي ويميت خبر مبتداء
محذوف او حال من المجرور في له والجار عامل او جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب اي يحيي الموتى والنطف والبيضة ويميت
الاحياء ومعنى الاحياء والاماتة جعل الشيء حيا وجعله ميتا ويستعاران للهداية والاضلال ومنه قوله تع او من
كان ميتا فاحييناه وهو على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة وغيرهما بليغ القدرة هو الاول هو القديم الذي كان
قبل كل شيء او السابق على كل شيء سواه بالذات والصفات والاخر والباقي بعد فناء كل شيء او الاول بالازلية والاخر بالابدية
والظاهر والظاهر وجوده بالدلائل الدالة عليه او الذي يظهر به كل ممكن من العدم الى الوجود او الظاهر بالاحدية
والقدم واختراع الممكنات او الغالب على كل شيء والباطن والذي خفي ادراك ذاته على العقول او العالم بباطن كل شيء
من بطن كل شيء اذا علم باطنه او الباطن على التوهمات والتخيلات والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين الاولية
والاخرية والوسطى للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء من الواجب والممكن والممتنع عليم بليغ العلم لا يخفى عليه شيء
من ذلك ولا يتفاوت وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق تفسيره غير مرة
يعلم ما يلج في الارض كالبذور والدفاين والاموات وكالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وما يخرج منها كالجواهر
من الذهب والفضة والنحاس مثلا وكالزروع والحيوان والماء وما ينزل من السماء كالكتب والملائكة والصواعق والا
والامطار وما يعرج فيها كالملائكة والاعمال والابخرة والادخنة قراء الخليل يعرج بكسر الراء وهو معكم اينما كنتم
لا ينفك علمه وقدرته عنكم في اي مكان تكونون فيه وعنه عم افضل ايمان المرء ان يعلم ان الله معه حيث كان والله بما
تعملون بصير عالم باعمالكم ودرجاتها فيجازيكم على حسبها ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك
السموات والارض فهو مالك اموركم ومدبرها ويجزيها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم باعمالكم من طاعة ومعصية
وخير وشر وذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور فيرجع الامور كلها الى الله كالمتعلقة
للقايم باختيار ارشد الامور واحسنها عند الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بضمايرها
واسرارها امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها
فهي في الحقيقة له لا لكم وما انتم فيها الا كالوكلاء والنواب او التي استخلفكم عمن قبلكم في ملكها والتصرف فيها وفيه حث
على الانفاق وترغيب للنفس عليه فانه كما انتقل منهم اليهم كذلك ينتقل منهم اليهم الى من بعدهم فالذين امنوا منكم و
وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات بجعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر
ووصفه بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله لا تؤمنون حال من الضمير في ما لكم لما فيه من معنى الفعل اي اي شيء ثبت لكم و

والمعنى

والمعنى وما تصنعون حال كونكم غير مؤمنين بالله كقولك ما لك قايما بمعنى ما تصنع حال كونك قايما وحقيقته ما سبب عدم
ايمانكم بالله وما سبب قيامك والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول
يدعوكم اليه بالحجج والايات وقرئ ما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم وقد اخذ ميثاقكم وقد اخذ الله ميثاقكم
بالايمان قبل ذلك بتركيب العقول فيكم ونصب الادلة لكم والتمكين من النظر وازاحة العلل والواو للحال من مفعول يدعوكم
وقراء ابو عمرو واخذ مبنيا للمفعول ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على
عبده ايات بينات ليخرجكم الله او العبد وفي مصحف عبد الله هو الذي انزل من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر
والشك الى نور الايمان واليقين وان الله بكم لرؤف رحيم بليغ الرأفة والرحمة والانعام حيث نبهكم بالرسول والايات
ولم يقتصر بما نصب لكم من البراهين والحجج العقلية وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله لاجل
الله او فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث
يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى وقال جار الله يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لاحد من مال وغيره
يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم فهو ابلغ البعث على الانفاق
في سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل قسيم من انفق محذوف
لوضوحه ودلالة ما بعده اي لا يستوي في الفضل من انفق من قبل الفتح ومن انفق من بعده والفتح فتح مكة في قول الجمهور حيث
عز الاسلام به وقوي اهله ودخل الناس في دين الله افواجا وقلت الحاجة الى القتال والانفاق فيه وعن الشعبي هو صلح الحديبية
والظاهر ان من انفق فاعل لا يستوي وقيل من مبتداء ولا يستوي خبره ومنكم حال من ضمير لا يستوي لمن ضمير
انفق لضعف تقديم ما في الصلة على الموصول او الصفة على الموصوف ولضعف تقديم الخبر على منكم لان حقه ان يقع
بعده وقراء زيد بن علي والاعمش من انفق قبل الفتح باسقاط من اولئك اعظم درجة تقرير لعدم الاستواء بين الفريقين
اي اولئك المنفقون قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار اعظم درجة عند الله من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا اي وكل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى
وهي الجنة وقال عطا درجات الجنة متفاضلة فالذين انفقوا قبل الفتح في افضلها وقرا ابن عامر وكل بالرفع على
الابتداء اي وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والباقون بالنصب على انه مفعول اول لوعد والحسنى مفعوله الثاني
والله بما تعملون خبير عالم بكلها عما لكم ظاهره وباطنه وبدرجاتها ومراتبها فيجازيكم على حسبها وعن الكلبي نزلت في
ابي بكر الصديق رض فانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك
وقال ابن مسعود اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي عم وابو بكر رض وقال ابن عمر رض كنت عند النبي عم وعنده ابو بكر
وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبرئيل عم فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها في صدره بخلال فقال
انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تع يقول اقراء عليه السلام وقل له اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال رسول
الله عم يا ابا بكر ان الله يقرءك عليك السلام ويقول لك اراض انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على
ربي اني عن ربي راض اني عن ربي راض من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من مبتداء خبره ذا والذي صفة ذا او بدله
والاقراض حقيقة اعطاء المال على وجه يطلب بدله واريد به هنا الانفاق في سبيل الله ولوجهه وقرضا حسنا مفعول مطلق له
بمعنى اقراضا حسنا اي من ذا الذي ينفق ماله انفاقا مقرونا بالاخلاص وطيب القلب فانه اذا انفق ماله خالصا كانه اقرضه
اياه وقيل من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوض فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال
وافضل الجهات له

وبقي ههنا وجه اخر وهو ان القرض في الاصل القطع من قرض الثوب بالمقراض اذا قطعه به ثم سمي مال يقطعه الرجل من امواله فيعطيه عينا وعلى هذا يكون مفعولا به لا مفعولا مطلقا والمعنى من ذا الذي يقرض الله مالا حسنا اي يعطيه مالا حلالا طيبا فانه تعالى لا يقبل الا الحلال الطيب ولا ياخذ الا اياه كما قال ويأخذ الصدقات فيضاعفه له فيعطيه اجره على اقراضه مضاعفا اضعافا من فضله وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرا عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وحمزة وابو عمرو ونافع والكسائي بالرفع عطفا على يقرض او لانه خبر مبتدا محذوف اي فهو يضاعفه له وابن كثير وابو جعفر فيضعفه مرفوعا من التضعيف وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا والمضاعفة والتضعيف بمعنى واحد يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم او لقوله فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذكر اليوم يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمايلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم واية لانهم هم الذين بايمانهم سعدوا وبصحايفهم البيض افلحوا ويجوز ان يريد جميع جوانبهم على ذكر البعض وارادة الكل وعن قتادة ذكر لنا ان نبي الله عم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وفي حديث اخر ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى نورا اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفى اخرى فاذا اضاء قدم قدمه فمشى واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب ومنهم من يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص الحديث وعن ابن مسعود رض يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا من يؤتى نوره على ابهامه فيطفى مرة ويتقد مرة فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون فيسعى بسعيهم نورهم جنيبا لهم ومتقدما بشريكم اليوم جنات على اضمار القول اي يقول لهم الملايكة الذين يتلقونهم بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات وهو حال مترادفة من ومفعول ترى اي مقولا لهم هذا القول تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم قرئ ذلك الفوز بحذف هو وذلك اشارة الى ما ذكر من النور والبشر بالجنات المخلدة وسماه الفوز العظيم لكونه الظفر بكل ما ارادوا يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا اخلصوا في الايمان بكل ما يجب الايمان به انظرونا انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرا حمزة انظرونا من النظرة وهي الامهال على ان اتيادهم وتانيهم في المضي ليلحقوا بهم انظار لهم وامهال نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به وقيل ان الله يعطي المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم وهو قوله وهو خادعهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفا نور المنافقين فذلك قوله يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب المنافقون وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقال قتادة يقول لهم الملايكة ارجعوا وراءكم من حيث جيتم

فالتمسوا

فالتمسوا نورا بتحصيل الايمان فانه يتولد منه او الى الموقف لانه من ثم يقتبس او الحيث شيتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا النور وهو تطرد لهم وتهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملايكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحايط حايل بين شق الجنة وشق النار والباء زايدة وقيل ليست بزايدة له باب يدخل منه اهل الجنة باطنه فيه الرحمة باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته العذاب وهو الظلمة والنار واختلف في هذا السور فقيل هو الاعراف وعن ابن عباس رض هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال شريح كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تع فضرب بينهم بسور له باب الاية وقرا زيد بن علي رض فضرب بينهم مبنيا للفاعل ينادونهم من وراء السور حين حجز بينهم بالسور وبقوا في الظلمة وينادونهم حال من ضمير بينهم او استيناف الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الامور الظاهرة من الصلوة والصوم وغيرهما قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق والمعاصي واهلكتموها وتربصتم وانتظرتم بالمؤمنين الدواير وقال مقاتل وتربصتم بمحمد الموت وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم وشككتم في هذا اليوم وفي نبوته او في الدين وغرتكم الاماني وخدعتكم الاماني من طول الامال والطمع في امتداد الاعمار ونزول الدواير بالمؤمنين حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الدنيا او الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار وقرئ الغرور بضم الغين فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرا ابن عامر وابو جعفر ويعقوب لا تؤخذ بالتاء نظرا الى لفظ الفدية والباقون بالياء لان تانيثها غير حقيقي ولوجود الفصل بالجار والمجرور ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا وفيه دلالة على ان الناس ثلثة اقسام مؤمن ظاهرا وباطنا وهو المخلص ومؤمن ظاهرا لا باطنا وهو المنافق وكافر ظاهرا وباطنا ماويكم النار مرجعكم النار هي موليكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مينة للكرم اي مكان لقول القايل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتوليكم كما توليتم في الدنيا موجباتها وبيس المصير النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يجي وقته من اني الامر يانى اذا جاء اناه اي وقته الم يان من ان يانين بمعنى الاية قرا الحسن الم يان بالتاء والاية روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا واصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس ان الله استبطا قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلث عشر سنة من نزول القران وعن الحسن اما والله لقد استبطاهم وهم يقرؤون من القران اقل مما تقرؤون فانظروا في طول ما قراتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رض ان هذه الاية قريت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب وعن مقاتل والكلبي نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ذات يوم فقالوا حدثنا عن التورية فان فيها العجايب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم سالوه عن مثل ذلك فنزل الله احسن الحديث فكفوا عنه ما شاء الله ثم قالوا حدثنا عنها فان فيها العجايب فنزلت هذه الاية فعلى هذا يراد بقوله للذين امنوا الذين امنوا ظاهرا وباللسان فقط ولم تؤمن قلوبهم ومعنى تخشع قلوبهم ترق وتلين وتخضع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله عطف الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بذكر الله ان يذكر الله وما موصولة او موصوفة اي وكتاب او قران نزل من الحق او مصدرية اي ولنزول من الحق وهو القران وفيه من المبالغة ما لا يخفى وبه يظهر ضعف ما قيل من انها لا يكون مصدرية لئلا يبقى الفعل بلا فاعل وقرا ابو عمرو وعاصم وابو جعفر نزل بضم النون وتشديد الزاء بخلاف عنهما وقرا نافع وحفص ورويس نزل بتخفيف الزاء

بخلاف عن رويس والباقون بتشديدها اى وما نزّله من الحقّ وقرئ انزل مبنيا للفاعل والمفعول ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع وقراءة رويس ولا تكونوا بالتاء على الالتفات او النهى لهم عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب
بعد ان وبّخوا فطال عليهم الامد فقست قلوبهم كان بنو اسرائيل اذا سمعوا التورية والانجيل خشعوا لله ورقّت قلوبهم فلمّا
طال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا التحريف
وغيره وقرئ الامدّ بتشديد الدال وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم
لفرط الجفاء والقسوة اعلموا انّ الله يحيى الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر احياء الارض بالبعث
او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كى يكمل عقلكم ان المصدّقين
والمصدّقات قراء ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد فيهما اى الذين صدقوا الله ورسوله وهم المؤمنون والباقون بتشديدها
اى المتصدّقين والمتصدّقات وقد قرئ بها والمراد التصدق مطلقا او بالواجب واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى
الفعل فى المصدّقين لان معناه الذين صدّقوا واصّدّقوا والمراد بالقرض الحسن التصدّق المقرون بالاخلاص وطيب النفس
يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه مامرّ غير انّه لم يجزم لانه خبر انّ وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو جعفر ويعقوب يضعّف والباقون يضاعف وقرئ بكسر العين اى يضاعف الله والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصدّيقون والشهداء عند ربهم جمع صدّيق وشهيد اى اولئك الذين بالغوا فى الصدق ويشهدون على الامم يوم
القيمة وفيه دليل بيّن على انّ كل مؤمن صدّيق شهيد وقيل اى اولئك عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء فى سبيل الله
وقال الضحاك الصدّيقون ثمانية نفر سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وتاسعهم عمر رضى وفيه نظر لانه تخصيص من غير دليل وكذلك تخصيص الشهداء بالانبياء وجوّز ان يكون والشهداء ابتداء
ولهم اجرهم خبره وقال مقاتل هم المستشهدون فى سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اى لهم مثل اجر الصدّيقين والشهداء
ومثل نورهم او لهم الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذّبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فالذين تواعلى الكفر
والتكذيب بالايات العظام اولئك يلازمون الجحيم لايفارقونها ولاينفكّون عنها اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو
وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد لمّا ذكر حال المؤمنين والكافرين وما لهم فى الاخرة ترغيبا فى الايمان وتنفيرا
عن الكفر بيّن انّ الدنيا ليست الا محقّرات من الامور وانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدّ اتعاب الصبيان فى الملاعب
بلا فائدة ولهو يلهون به انفسهم عمّا يهمّهم وزينة من الملابس والمراكب والمنازل الحسنة يتزيّنون بها وتفاخر بالانساب
والاحساب يتفاخرون بها وتكاثر بالعَدد والعُدد يتباهون بها ثم قرّر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج
فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فانه تمثيل لحال الدنيا وسرعة فنائها وقلّة نفعها بحال نبات انبته الغيث فاستوى
واكتهل واعجب به الزرّاع او الكافرون بالله لانهم اشدّ عجبا بزينة ولانّ المؤمن اذا راى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه
فاعجب بها والكافر لايتخطّى فكره عمّا احسّ به فيستغرق فيه اعجابا ثم بعث الله عليه العاهة فهاج به اى يبس واصفرّ وصار حطاما
عقوبة لهم على كفرهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين والحطام ما يتحطّم ويتكسّر بعد يبسه وقرئ مصفارّا ثم عظّم امور
الاخرة بقوله وفى الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان اى عذاب شديد لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الاخرة
ومغفرة ورضوان لمن اعرض عنها وقصد بها الاخرة وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور قال سعيد بن جبير متاع الغرور
لمن لم يشتغل فيها بطلب الاخرة واما من اشتغل بطلبها فلم متاع بلاغ الى ما هو خير منه سابقوا سارعوا مسارعة المسابقين
لاقرانهم فى المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها بالايمان الخالص والعمل الصالح وجنة عرضها كعرض السماء والارض

اى



اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول فلا يعلم طولها الا الله ويعضده قول النبى عم انما اسكن الله تع اهل الجنة
الجنة بقى فى الجنة مكان افيح فيسكنها البستين وثلثمائة عالم كل عالم منها اكبر من الدنيا منذ خلقت الى يوم تنقطع وقال السدى
كعرض سبع ارضين وقيل المراد بالعرض البسطة كقوله فذو دعاء عريض اى اوسع ما اعدّت للذين امنوا بالله ورسله هيئت للمؤمنين
بالله ورسله وفيه دليل على انّ الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اى ذلك
الموعود من المغفرة والجنة عطاء الله يعطيه من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد عنه التفضّل والانعام
بذلك على المؤمنين وان جلّ قدره وفهم انّ احدا لايدخل الجنة الا بفضل الله ما اصاب من مصيبة فى الارض كقحط
المطر وقلّة النبات ونقص الثمار مثلا ولا فى انفسكم كمرض وآفة الا فى كتاب الا مكتوبة فى اللوح من قبل ان نبراها نخلقها
والضمير للمصيبة او للارض او للانفس انّ ذلك ان تقديرذلك واثباته فى كتاب على الله يسير هيّن وان كان عسيرا على العباد
لعدم احتياجه فيه الى العُدّة والمُدّة لكيلا تأسوا اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم
بما اعطاكم الله منها لانّ من علم انّ كل شئ مقدّر مكتوب عند الله هان عليه جميع الامور فلم يتفاقم جزعه عند فوت ما كان
له ولم يتعاظم فرحه عند وصول الخير اليه وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليناسب ما فاتكم والباقون بمدّ الالف من الايتاء
بمعنى الاعطاء ومفعوله الثانى محذوف بما اتاكموه والمراد نفى الايتاء المانع عن الصبر والتسليم لامر الله والفرح الموجب
للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لايحب كل مختال فخور اذ قلّ من يثبت نفسه حالتى الضراء والسراء والمختال
ذو الخيلاء والكبر وهو من العام المخصوص بدليل قوله عم انّ من الخيلاء ما يحبّها الله ومنها ما يبغضها الله اما الخيلاء
التى يحبّها الله فالاختيال عند الصدقة واختيال الرجل بنفسه عند اللقاء واما الخيلاء التى يبغضها الله فالاختيال فى البغى
والفخور اى لايحب كل متكبّر بما اوتى من الدنيا فخور مبالغ فى الفخر به على الناس الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل
بدل من كل مختال فخور فان المختال بالمال اذا كان فخورا به يحتوه بزيادة القدر كالبخيل به اذا كان آمرا للناس بالبخل
بل هو اشدّ من ذلك وافسد وعن النبى عم انه قال لبنى سلمة من سيّدكم قالوا الجدّ بن قيس وانا نبخّله فقال واىّ داء ادوء
من البخل بل سيّدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح او رفع على الذم او نصب عليه او مبتدا خبره محذوف يدلّ عليه قوله
ومن يتولّ فانّ الله هو الغنى الحميد لانّ معناه ومن يعرض عن الانفاق فانّ الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا
يضرّه الاعراض عن شكره بالتقرّب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق او ومن
يعرض عن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عمّا نُهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى فان الله غنى عنه وقيل ومن يتولّ
عن الايمان وقرأ حمزة والكسائى وخلف بالبخل بفتحتين والباقون بضم الباء وسكون الخاء كالعدم والعدم والعرب
والعرب وقرأ نافع وابن عامر وابو جعفر فانّ الله الغنى بحذف هو لقد ارسلنا رسلنا يعنى الملائكة الى الانبياء او الانبياء
الى الامم بالبيّنات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب اى الوحى تفصيلا لما يحتاج الناس اليه وقطعا للعذر تهم
والميزان اى والعدل او ما يوزن به روى ان جبرئيل عم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك يزنوا به وقال الامام
الغزالى اتظنّ ان الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البرّ والشعير والذهب والفضة انتوهّم هو الطيار والقبان ما
ابعد الحساب واعظم هذا البهتان فاتّق الله ولا تتعسّف فى التاويل واعلم يقينا ان هذا الميزان هو ميزان معرفة الله
ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته لتتعلّم كيفية الوزن به من انبيائه كما تعلّموه من ملائكته فالله تع هو المعلم
الاول والثانى جبرئيل والثالث الرسول عم والخلق كلهم يتعلّمون من الرسول عم ما لهم طريق فى المعرفة سواه ولكل عبارته
بلا تغيّر وليت شعرى ما دليله على ما ذهب اليه من العدول عن الظاهر ليقوم الناس بالقسط ليتعاملوا بينهم بالعدل
ويسوّوا به الحقوق

وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المرّ والمسحاة وعن النبي عم ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء وقضاياه واحكامه وقيل اى اخرجنا لهم الحديد من المعادن وعلمناهم صنعته بوحيه فيه بأس شديد وهو القتال به والبأس الشدة وقيل قوة شديدة يعني السلاح للحرب وقال مجاهد فيه جنة وسلاح من آلة الدفع وآلة الضرب والجملة حال من الحديد ومنافع للناس في مصالحهم ومعايشهم وصنايعهم اذ ما من صنعة الا والحديد آلة فيها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة في مجاهدة اعداء الدين وهو عطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من الضمير المستتر في ينصره او من البارز فيه اى غايبا عنهم وقال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي قادر بليغ القدرة على اهلاك من يريد هلاكه عزيز بليغ العزة غني بقدرته وعزته عنهم وعن نصرتهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وعن ابن عباس اراد بالكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة قرأ الاعمش في ذريتهما بكسر الذال فمنهم فمن الذرية او فمن المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والدلالة على الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي لا يلزم فيه حفظ الابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم يتوادون كما قال تع في صفة اصحاب رسول الله عم رحماء بينهم ورهبانية اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اى احدثوها من عند انفسهم ونذروها ورهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين مبالغين في العبادة والاخلاص لها وذلك ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد عيسى فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئت بضم الراء كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الفعل المذكور بعدها لا بالعطف على رحمة لان ما جعله الله تع لا يبتدعونها ويؤيده قراءة الاعمش ورهبانية بالرفع ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل لان ما كتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب المقصود منه مجرد حصول مرضات الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من عند انفسهم فما رعوها فلم يرعوا الرهبانية حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نقضه وذلك انهم ضموا اليها الاشراك والرياء والتنصر والكفر بمحمد عليه السلم او ضيعوها حيث كفروا بدين عيسى عم بتهودهم وتنصرهم ودخولهم في دين ملوكهم الفاسقين فآتينا الذين آمنوا ثبتوا على الايمان الصحيح باتباع عيسى عم في جميع ما امرهم به ونهاهم عنه او اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد عم منهم من الذين اتبعوه اجرهم وكثير منهم فاسقون متمردون في الفسق بسبب ترك الاتباع وعدم المحافظة على نذرهم وقيل خارجوا عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بعيسى او بالرسل المتقدمة اتقوا الله في المحافظة

على حروده

على حروده وما امركم به ونهيكم عنه في دين الاسلام وآمنوا برسوله محمد عم يؤتكم كفلين اى نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله والخطاب لمؤمني اهل الكتابين من اليهود والنصارى او لمن آمن منهم ومن غيرهم وقيل للنصارى الذين كانوا في عصره وعن ابي موسى قال رسول الله عم ثلثة يؤتون اجورهم مرتين الرجل تكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تاديبها ثم يعتقها ويتزوجها فله اجران ومؤمن اهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي عم فله اجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده ويجعل لكم نورا تمشون به يعني النور المذكور في قوله يسعى نورهم وهو الظاهر المشهور وقيل الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس وعن ابن عباس ان النور هو القرآن ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة لئلا يعلم لا مزيدة اى ليعلم اهل الكتاب الذين لم يسلموا ويعضده قراءة من قرأ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون وقيل ليست زايدة والمعنى لئلا يعلم اهل الكتاب عجز المؤمنين الا يقدرون على شيء من فضل الله ان مخففة من الثقيلة اصله انه لا يقدرون يعني ان الشان لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط به فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن ارادوا ويعضده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم ويؤيده انه قرئ لكي لا يعلم ولئلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء وليلا بكسر اللام على ان همزة ان حذفت وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان الاصل في الحروف المفردة الفتح وقرأ ورش ليلا حيث وقع وقرئ ان لا يقدروا وروى ان النبي عم بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ايذن لنا في الوفادة على رسول الله عم فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله عم فرجعوا وقدموا باموال لهم فاسوا بها المسلمين فانزل الله الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت ويد الله عبارة عن تصرفه عن النبي عم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة ثنتان وعشرون اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله قد معناه التوقع فيشعر بان رسول الله عم والمجادلة يتوقع ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها كربها وادغم دالها في السين حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام والباقون بالاظهار وقرئ تحاورك اى تراجعك الكلام وتحاولك اى تسائلك في زوجها اى لاجله وبسببه وقيل في شانه ومعناه روى ان خولة بنت ثعلبة كانت تحت اوس بن الصامت اخي عبادة راها تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من الطلاق لاهل الجاهلية فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق فاتت رسول الله عم وعايشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله عم ان اوسا تزوجني وانا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني اى كثر ولدي جعلني عليه كامه فقال عم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال لها ما اراك الا قد حرمت عليه

وانما قال الله تع اولا قد سمع الله بالماضي وقال تع ثانيا يسمع بالمضارع وقال تع ثالثا ان الله سميع بالصيغة الدالة على الاستمرار لان السمع في الماضي والحال والاستقبال

ولم اومر في شانك بشيء فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه كلما
قال رسول الله عم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت هذه الايات الاربع قالت عايشة الحمد لله او تبارك الذي
وسع سمعه الاصوات كلها ان المتكلمة المجادلة لرسول الله عم في جانب البيت وانا عنده اسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه
وقد سمع لها وعن عمر رضه انه كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع لها وتشتكي عطف على تجادل او حال والله يسمع تحاوركما
تراجعكما الكلام وهو على تغليب للخطاب ان الله سميع بصير للاقوال كلها والاحوال باسرها لا يخفى عليه شيء منها الذين يظهرون
منكم من نسايهم قرا عاصم يظاهرون وابن عامر وحمزة والكسايي وخلف وابو جعفر يظاهرون من اظاهر والباقون
يظهرون اصله يتظهرون وقرا مجاهد بضم التاء وابن جبير تظاهرون بفتح التاء وقال ابن قطيب في مصحف ابي صلى
يتظهرون وقال الكسايي في مصحف ابي يتظاهرون والكل بمعنى واحد وهو ان يقول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي
وقال الفقهاء هو ان يشبه زوجته او ما عبر به عنها او جزءا شايعا منها بعضو يحرم نظره اليه من اعضاء محارمه نسبا
او رضاعا وفيه خلاف الشافعي فان عنده لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وقيل لا بد من ذكر
الظهر حتى يكون ظهارا وفي منكم تهجين لعادتهم فيه وتحسين لهم لكونه من ايمان جاهليتهم خاصة دون ساير الامم ماهن
امهاتهم على الحقيقة وقرى بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وقرا ابن مسعود بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب
ان امهاتهم الا اللايي ولدنهم من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا امهاتهم مقصورات على والداتهم واللاتي
ولدنهم لا يتجاوزن الوالدية الى غيرها اصلا وانما انه من اي قسم من اقسام الثلثة ففيه دقة وغموض قال جار الله يريد ان
الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات امهات لانهن
لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذا كل ازواج رسول الله عم امهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن
على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات فاما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن بامهات على الحقيقة ولا
بداخلات في حكم الامهات فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية والظاهر ان اخص
من ما فانهم قالوا ما لنفي الحال في قولك ما تفعل وما زيد قايم او قايما على اللغتين ولنفي الماضي المقرب من الحال في قولك ما فعل وان بمنزلة
ما في نفي الحال ولا يجوز اعمالها عمل ليس عند سيبويه واجازه المبرد قرا الخليل ماهن امهاتهم ان امهاتهم بكسر الهمزة فيهما وانهم
ليقولون منكرا من القول اي قولا منكرا وزورا كذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو بليغ العفو والاعراض عنهم وعن عقوبتهم
من عفا عنه اذا اعرض عنه وتركه غفور ستور عليهم محاء لما صدر منهم وفي وقوع اسم الله في هذا الموقع مع تصديره بحرف
التحقيق وادخال اللام على الخبر وتكريره بالوصف البليغ شان ليس بالخفي وفي طي هاتين الجملتين تاكيد للنفي المذكور وزيادة
تكريه الى المظاهر ما فرط منه من القول المنكر المكروه عند الله وتنفير له منه ولغيره على ابلغ وجه واكده واسرار القرآن ورموزه
في كل فن بالغة من اللطف والخفاء حد الاعجاز لاشتماله على الدقايق والخواص الخارجة عن طوق البشر وقيل عفا عنهم و
وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا
العود الصيرورة ابتداء منه حتى عاد كالعرجون او ثانيا كقوله كما بداكم تعودون ويتعدى بنفسه وبالى وعلى وفي واللام كقوله لعادوا لما نهوا
عنه وقوله ثم يعودون لما قالوا واختلفوا في تفسير العود فيه فقيل اي يكررون قولهم ويقولون مرة اخرى على معنى ان الذين
كانوا يقولون هذا القول المنكر في الجاهلية ثم يعودون بمثله في الاسلام فكفارة من عاد ان يحرر رقبة قبل التماس وقيل اي ثم
يتداركون ما قالوا لان التدارك للامر عايد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول
وتلافيه بان يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار وقيل يحتمل ان يراد لنقضه او تداركه او لتحليل ما حرموا على حذف المضاف

وتنزيل



وتنزيل القول منزلة المقول فيه وهو للمظاهر منها كما في ونرثه ما يقول وهو معنى الفقهاء العود استباحة وطيها وقال ابو العالية العود
تكرار لفظ الظهار واللام بمعنى الى فان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه وقيل الوطي وبه قال الحسن وقتادة وطاوس والزهري قالوا الا كفارة
عليه ما لم يطاها ويجوز ان يكون من باب التاكيد التقديم تقديره ثم يعودون فكفارتهم تحرير رقبة لما قالوا والعود بمعنى العزم على الوطي
كما قالوا وقد وجدت في بعض نسخ الكشاف مكتوبا على حاشيته في هذا الموضع ان في تفسير عبد القاهر لقد اخطاء من فسر العود بتكرار
لفظ الظهار لانه لم يرد فيه توقيف ولا هو من قضية اللغة والله اعلم بصحته فان صح فيه يظهر ضعف ما قال المطرزي من ان لفظ
العود يحتمل تكرار الظهار في الاسلام لانه ليس بمذهب ولما حمله على السكوت عن الطلاق عقيب الظهار فليس من مفهوم
اللفظ والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة قرا زيد بن علي ثم يعودون الى ما قالوا وقرا
اليماني فيما قالوا ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان يتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا
الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه وقيل تؤمرون به والله بما تعملون خبير تحذير وتهديد وما موصولة او موصوفة او مصدرية
اي باي حكم تعملون به ومما يجب التنبيه له ان المظاهر اذا ابى الكفارة فللمراة ان ترافعه وعلى القاضي ان يجبره على التكفير ويحبسه
لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها وان وطي قبل التكفير استغفر وكفر للظهار فقط ولا يعود
اي لا يظاهر ثانيا حتى يكفر لما قال سلمة للنبي عم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عم استغفر
ربك ولا تعد حتى تكفر وقال مالك ان اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطي قبله لان الله تع قيد العتق والصوم بما قبل المسيس
وقال في الطعام فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ولم يقل من قبل ان يتماسا وعند الاخرين الاطلاق في الاطعام
محمول على المقيد في العتق والصوم واذا قال لنسايه انتن علي كظهر امي يجب لكل كفارة بعتق رقبة خلافا لمالك فان عنده يكفيه كفارة
واحدة وجاز فيها المسلم والكافر لان الرقبة في الاية مطلقة ولم يقيد بشيء من الكلام والكفر وفيه خلاف الشافعي والصغير والكبير
مطلقا الا مقطوع اليدين او الابهامين او الرجلين والاعمى والمجنون والمدبر وام الولد والمكاتب الذي ادى شيا فان
لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجوز فمن لم يجد بان عجز عن العتق فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا يعني ان لم
يجد ما يعتق صام شهرين متتابعين لا يكون فيهما رمضان وايام منهية فان وطيها فيهما ليلا او يوما ناسيا او
افطر استانف الصوم ولم يجز للعبد الا الصوم وان اطعم او اعتق منه سيده فمن لم يستطع الصوم لمانع من كبر او مرض او شبق
او غيرها فاطعام ستين مسكينا فكفارته ان يطعم هو او نايبه ستين فقيرا كالفطرة او قيمته وعند الشافعي لا يجوز
دفع القيمة وان اطعم ستين فقيرا اكل فقير صاعا عن ظهارين لا يصح وعن افطار وظهار صح وعند محمد يجوز عن الظهارين
ذلك المذكور من البيان وتعليم الاحكام والتنبيه عليها لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرايعه التي شرعها
من الظهار وغيره وترك ما كان في الجاهلية وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون
عليها او وللجاحدين بها وعن ابن عباس لمن جحده وكذبه عذاب اليم ان الذين يحادون

الحمد لله الذي قد انعم علينا بانعام اتمام المجلد الرابع من التفسير الجامع فضايل جميع الفنون منبع الانوار ونور
العيون المسمى ببحر العلوم للعالم العامل الكامل المرشد في الدين العلي الشهير بشيخ علي السمرقندي نور الله
مرقده الى يوم الدين كتبه العبد الفقير الضعيف النحيف المذنب المحتاج الى رحمة ربه اللطيف رجب بن مصطفى
بن يوسف غفر الله له ولوالديه واحسن اليهما واليه والى ساير المسلمين اجمعين وختمه في اليوم الجمعة في وقت
العصر من رمضان تاريخ سنة ثلث وسبعون وتسعمايه

بيان قصة هاروت وماروت

والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا قال اهل التحقيق في استغفارهم
لهم ان الملائكة لما راوا ما يصعدون الى السماء من قلة اعمال بني آدم وكثرة ذنوبهم فعيروهم بذلك ودعوا عليهم
فقالوا الهنا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض خليفة واخترتهم علينا يعصونك ولا يطيعون امرك وذلك كان في زمن
ادريس عم فقال تع لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم من النفس الامارة بالسوء واللذات الشهوانية
والوسواس الشيطانية لفعلتم اخس مما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما ينبغي لنا ان نعصيك فقال تع اختاروا
اثنين من خياركم اهبطا الى الارض فاختاروا جبرئيل وميكائيل فتضرعا الى الله وهللا وطلبا منه العفو
فعفا عنهما فاختاروا بعدهما هاروت وماروت وكانا من اتقى الملائكة واخشاهم فركب الله فيهما الشهوة
التي ركبها في بني آدم واهبطهما الى الارض امرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهيهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله
الاعظم فصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا فاختصم اليهما ذات يوم امرأة اسمها الزهرة مع زوجها
وكانت من اجمل النساء فلما نظرا اليها وقع في قلوبهما فراوداها عن نفسها فابت حتى يعلما اسم الله الاعظم الذي
كانا يصعدان الى السماء فعلما ثم ابت حتى يشربا واسكرا ثم ابت حتى يقتلا زوجها فقتلاه ثم ابت حتى يسجدا الصنم
فسجدا فكشف الله الغطاء من بينهما وبين الملائكة فنظروا اليهما والى صنيعهما فجعلوا يستغفرون لمن في الارض و
ويعذرون اهلها فلما امسيا ارادوا الصعود الى السماء فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى
ادريس عم فاخبراه بامرهما وسألاه ان يشفع لهما الى الله ففعل ذلك ادريس عم فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة فاختاروا عذاب الدنيا لكونه ايسر من عذاب الاخرة فهما ببابل اسم موضع بالعراق في بئر فيها معلقان



فيها بشعورهما او بالسلسلة الى يوم القيمة وقال مجاهد مُلئت للجب نارا فجعلا فيه وروى ان رجلا وجدهما
معلقين فقالا له من اي امة انت فقال من امة محمد عم فقالا قد بعث محمد قال نعم فحمدا الله واستبشرا وقالا انه
بعثته عم من اشراط الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا ويقال اذا فرغ امة محمد من صلوة العصر يعذبهما الملائكة
الى وقت طلوع الفجر فبعد ما راى ملائكة السموات حال هروت وماروت جعلوا يستغفرون لمن في الارض
ويقولون في دعائهم ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي ما من شيء الا نالته رحمتك واحاط به علمك والملائكة عباد
الله تع العاملون بامره على ما دل عليه قوله تع لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ولا يستكبرون عن عبادته ولا
يستحسرون واما هاروت وماروت فالاصح انهما ملكان لم يصدر عنهما الكفر ولا الكبيرة وتعذيبهما انما هو
على وجه المعاتبة كما يعاتب الانبياء على الزلة والسهو وكانا يعظان الناس ويعلمان السحر ويقولان انما نحن فتنة
فلا تكفر فلا كفر في تعليم السحر بل في اعتقاده والعمل به وانما قلنا والاصح انهما ملكان ذكر في تفسير القاضي انهما ملكان
انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما بشرين وركبت فيهما الشهوة فتعرضا
لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود وانهما
يعذبان في الجب لاه فمردود بهذا المذكور تأمل تحرير م



